أ. د. صالح أبو أصبع

تحديات الإعلام العربي

"دراسات الإعلام"

المصداقية - الحرية - التنمية والهيمنة الثقافية



تحديات الإعلام العربي

الدكتور **صالح أبوأصبع**

تحديات الإعلام العربي

تحديات
الإعلام العربي

الدكتور

صالح خليل أبوأصبع

أستاذ الاتصال الجماهيري
جامعة فيلادلفيا
عمّان - الأردن

2010

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (- / -/2010)

306
أبو أصبع، صالح خليل
تحديات الإعلام العربي/ **صالح خليل أبوأصبع**
عمان – دار البركة 2010
(   ) ص.
ر . ا : (- / - /2010)
الواصفات: الاتصال/ الاتصال الجماهيري /الإعلام

- أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة الأولية
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه

ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ISBN 978 - 9957 – 414 – 80 - 1 (ردمك)



بسم الله الرحمن الرحيم



المقـدمة

تشمل فصول هذا الكتاب مجموعة من الدراسات التي كان الباحث قد أعدها للمشاركة في مؤتمرات علمية أو تم نشرها في مجلات علمية، ولأن فرضية توفرها للقارئ العربي المتخصص والعام تكاد تكون محدودة، فقد رأى الكاتب أن تنشر ضمن مجلد واحد، خصوصا أن الدراسات الإعلامية في الوطن العربي ضئيلة.

وترتبط هذه البحوث بخيط مشترك وهو جانب التحديات التي تواجه الإعلام العربي سواء كان ذلك في مجال الحرية أو المصداقية أو الأخلاق أو التنمية أو التضليل الإعلامي أو النشر أو التعليم والتدريب الإعلامي أو التأثير.

إن القارئ المهتم بالدراسات الإعلامية سيجد فيها آراء تحتاج إلى مناقشة، وتستدعي منه الاتفاق أو الاختلاف مع كاتبها، وليس هناك من سبيل إلى التقدم مثل الحوار البناء الذي يفسح المجال للآراء أن تتحاور وتتفاعل وتتلاقح، وهذا الكتاب بدراساته المتعددة – يوفر مناخا للحوار البناء الذي يرحب به كاتبها.

صالح أبو أصبع

عمان / 1999

الفصل الأول

تحديات الاتصال الجماهيري في
القرن الحادي والعشرين
(الحالة العربية)

الفصل الأول

تحديات الاتصال الجماهيري في القرن الحادي والعشرين (الحالة العربية)

المدخل:

شهد العالم مع نهاية القرن العشرين متغيرات سياسية واقتصادية جديدة تلقي بظلالها على آفاق حياة المجتمعات البشرية في الألفية الثالثة.

ومن هذه المتغيرات، التي يشهدها العالم بروز النظام العالمي الجديد الذي أنهى وجود معسكرين شرقي وغربي وتوابعهما، ومع هذا أيضا زاد التوجه نحو عولمة الاقتصاد وانفتاحه، وتبعت ذلك تأثيرات مباشرة نحو التوجه إلى الديمقراطية والسعي نحو مأسسة الأنظمة السياسية، وخلق مجتمعات مدنية.

ويشهد العالم كذلك تزايد وتيرة الثورة الصناعية والتكنولوجية، وخاصة في مجال الاتصال، مما يتطلب ظروفا أفضل للتواصل البشري، ويفرض منافسات إقليمية ودولية في مجال الاتصال الدولي، من المنتظر أن تحدث تحديات حقيقية على مختلف المستويات.

وعلى امتداد تاريخ البشرية كان الاتصال: هو النشاط الإنساني الأهم لحياة الإنسان وتفاعله مع أخيه الإنسان في إطار بيئته. وحين اهتدى الإنسان إلى اللغة والكتابة وإلى الرسم اهتدى إلى السبيل الذي يحقق معه وجوده المتفاعل مع الآخرين ومع البيئة.

وإذا كانت البشرية قد عرفت وسائل اتصال مختلفة؛ فإن هذه الوسائل – على تنوعها – كانت السبيل لتحقيق التواصل الإنساني، للتعبير عن حاجاته الأساسية في المعيشة، والتفاعل والعمل والتكيف مع البيئة وحل النزاعات، وكانت كذلك سبيلا للتعبير عن الذات، وأصبح حق الإنسان في الاتصال من الحقوق الثابتة التي أقرتها الدساتير والمواثيق الدولية.

فميثاق الأمم المتحدة يقر بما يلي:

1- احترام حق جميع الشعوب في المشاركة في تبادل المعلومات على المستوى الدولي على أساس الإنصاف وتكامل المصالح.
2- حق كل أمة في استخدام مواردها الخاصة من المعلومات لحماية سيادتها والدفاع عن قيمها السياسية والأخلاقية واطلاع العالم على مصالحها وتطلعاتها.

3- احترام حق الجمهور والمجموعات الإثنية والاجتماعية والأفراد في الانتفاع بمصادر المعلومات والاشتراك على نحو فعال في عملية الاتصال.
4- الحق في احترام قيم الشعوب وحياة الأفراد الخاصة (المعمودي 19 – 17 : 982).

وفي عالم اليوم، أضحت وسائل الاتصال الجماهيري والمعلوماتية تهيمن على حياة الإنسان بحيث جعل ذلك أحد الباحثين يصف قوتها على حياة البشر (بالإله الثاني) إذ يرى أن الراديو والتليفزيون في كل مكان وهما معنا دائما، إذ تستمع الملايين إلى الشبكات والإعلانات التجارية نفسها، وتشارك شخصيات المسلسلات العاطفية مذاق الروح، وغموض الحب، والموت، ومعاناة الخطيئة، وانتصار الشيء الصحيح، إن وسائل الاتصال تؤثر في اتجاهات المجتمع، والبنى السياسية، والحالة النفسية لجميع البلدان، وكما الله فإن وسائل الإعلام يمكنها أن تغير دورة الحرب وأن تطيح بالمسؤولين وترفع من حطه الله، وتحط من قدر من علا شأنه من خلال توجيه انتباه الملايين إلى الحدث نفسه بالطريقة نفسها Schwartz 1983: 1 – 3.

إذن فإن قوة وسائل الاتصال، وحقوق الإنسان والشعوب في الاتصال تفرض تحديات على المستويات التالية:

1- الأفراد: وما توفره ثورة المعلومات وتقنياتها من انفتاح عالمي يجعل الإنسان العربي قادرا على الوصول إلى المعلومات والتواصل مع أفراد من الشعوب الأخرى، وخصوصا عبر ما توفره شبكات الإنترنت من إمكانيات هائلة من المعلومات والبيانات والآراء المتباينة.
2- المجتمعات المحلية: ومدى اتجابتها للتحديات الثقافية والفكرية، وتأثير ذلك في الثقافة الشعبية والقومية.
3- المجتمعات الإقليمية: مثل الوطن العربي كوحدة إقليمية من حيث قدرته على الاستجابة للتحديات الإعلامية الإقليمية والدولية.
4- المجتمع الدولي: والتحدي الذي ينشأ عن شبكات الاتصال الدولي، وما يمكن أن ينتج عنه في ظل التوجه السائد إلى عولمة الاقتصاد والتوجه الديمقراطي وتأثير ذلك على الشعوب.

أسئلة تحتاج إلى إجابات:

إن هذه التحديات التي تشارك في صنعها ثورة الاتصال بالإضافة إلى الظروف السياسية والاقتصادية الدولية، ستجعل النظر إليها من زاوية رؤية مستقبلة أشبه بالتنبؤ.

ولذا فإن هذه الورقة معنية بالإجابة على جملة أسئلة:

1- إلى أي مدى يمكن للظروف السياسية الدولية والإقليمية والمحلية أن تؤثر في تشكيل نمط الاتصال وحجمه ونوعيته في الوطن العربي في القرن القادم؟
2- ما هي التحديات التي تواجه المجتمعات في تنميتها والتأثير في بناء الفرد وتنشئته في ظل ثورة الاتصال والمعلومات في القرن القادم؟
3- ما هي التأثيرات المتوقعة للإعلام في الثقافات الشعبية والقومية؟
4- هل وسائل الإعلام قادرة على صنع ثقافة عالمية على غرار النظام الاقتصادي العالمي؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها أو بعضها، لن تكون إجابة مباشرة، بل ستكون من خلال مجموعة من المجالات التي تشكل أساسا لتأثير وسائل الإعلام في مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية والإقليمية والدولية.

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة رصد جملة التحديات التي تواجه الوطن العربي في حقل الاتصال الجماهيري في الألفية الثالثة، وهي تنظر إلى أن هذه التحديات المستقبلية ليست منبتة الصلة عن واقع تحديات آلية. فبعض هذه التحديات امتداد لما كان في القرن العشرين، وستستمر مع القرن الحادي والعشرين، وبعضها سيكون وليد الظروف السياسية والاقتصادية والتكنولوجية التي يمكن أن يتمخض عليها عالم الغد بتشابك علاقاته ونمو اتصالاته وتطور تقنياته.

المنهج:

تعتمد هذه الدراسة منهجا تحليليا نقديا يقدم رؤية استشرافية بحيث تدرس واقع التحديات الحالية وامتداداتها المستقبلية وتنقسم هذه الدراسة إلى سبعة محاور أساسية وهي:

1- التحديات التي تواجه الاتصال في الوطن العربي.
2- الاتصال والتنمية البشرية في القرن القادم.
3- النظام العالمي الجديد وتأثيره في ديمقراطية الاتصال في القرن القادم.
4- الاتصال والمعلومات وتأثيرهما في الثقافات القومية (قبائل في قرية عالمية).
5- ثورة الاتصال والمعلومات: الإنترنت ووسائل الاتصال الدولي في القرن القادم وتأثيرها في النخب في المجتمعات الدولية.
6- وسائل الاتصال والغزو الثقافي.
7- الاتصال الجماهيري: صناعة التسلية وترويج الاستهلاك وغزو خصوصية الفرد.

إن هذه المجالات تحاول الإجابة على الأسئلة المذكورة أعلاه.

- فالسؤال الأول: يجيب عليه المجال الأول.
- والسؤال الثاني: يجيب عليه المجال الثالث والسادس والسابع.
- والسؤال الثالث: يجيب عليه المجال الرابع والسادس.
- والسؤال الرابع: يجيب عليه المجال الخامس والسابع.

إن ما نقدمه ليس سوى قراءة أولية: ونعترف بأن هذا الموضوع يستحق المزيد من الدراسة والبحث وأن المجالات التي تحتاج إلى دراسة ستظل موضوع تحديات مستقبلية ليست فقط هذه المجالات ولكن ما تقدمه بمقدار ما يطرح من قضايا فإنه يفتح الباب أمام المزيد من التساؤلات حول تحديات الاتصال في القرن القادم.

2- التحديات التي تواجه الاتصال في الوطن العربي:

يشكل الاتصال الجماهيري في الوطن العربي حالة لا يمكن عزلها عن حالة الاتصال الجماهيري في دول العالم الثالث ولا عن حالة الاتصال الجماهيري في دول الشمال المتقدم من جهة، ومن جهة أخرى، فإن حالة الاتصال الجماهيري في الوطن العربي تعاني ما تعانيه أنظمة الاتصال في العالم الثالث، من مشكلات فهي تعاني نقص الإمكانيات المادية، وتعاني تقييد حريات وسائل الإعلام وحريات الأفراد هذا علاوة على طبيعة المعلومات التي تحول نشاطات البشر من المشاركة الفعالة النشطة إلى معرفة سلبية.

إن تحقيق الاتصال المعروفة جميعها ليس أمرا ميسورا، ذلك لأن الإعلام نشاط يرتبط بمجموعة من العوامل الشخصية المجتمعية، فإن ثقافة الأفراد وتكويناته النفسية المختلفة ومصالحهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية تشكل جزءا من العوامل التي تواجه نجاح الإعلامي في مخاطبة الناس.

وكذلك فإن العوامل المجتمعية السياسية والاقتصادية والثقافية والأيدلوجية ذات تأثير بين في الإعلامي من جهة أولى، وفي المؤسسة ا لإعلامية من جهة ثانية، وفي الرسالة الإعلامية من جهة ثالثة، وفي المتلقين من جهة رابعة.

ومن ثم فإن الحديث عن التحديات التي تواجه الإعلام العربي تجعلنا نقف أمام جملة من العوامل التي هي في حقيقتها ضغوط وكوابح تقف في مواجهة الإعلامي العربي. تثبط من عزمه. وتحول دون تأديته لرسالته على أكمل وجه. وهي تحديات قائمة في نهاية القرن العشرين – ويمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1- تحديات سياسية: وهي تتمثل بمجموعة من القضايا الكبرى التي تواجه الإعلامي ويأتي على رأسها الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، والتجزئة، وما ينتج عنهما من نزاعات عربية – عربية، وقضية الديمقراطية والحريات السياسية في الوطن العربي وقضايا التنمية والتبعية مما يثير مسألة ارتباط الاتصال بالتنمية الشاملة في الوطن العربي.

2- السيطرة الحكومية والقانونية والتنظيمية: وتتمثل بالقوانين والتشريعات النقابية المنظمة للإعلام والقوانين واللوائح المنظمة للمؤسسات الإعلامية والقوانين التي تكفل أو تحد من الحريات، وتقنن التراخيص والرقابة، وهذا يثير مسألة حرية وسائل الإعلام وديقراطية الاتصال.
3- تحديات أيديولوجية: وهي تواجه الإعلامي حينما تكون هناك أيديولوجيات للسلطة والمؤسسة الإعلامية وأخرى للكاتب وأيديولوجية للقارئ، وهذه تشكل تحديا أساسيا لا يمكن تجاوزه إلا من خلال الديمقراطية وهذا يثير قضية حرية الرأي.
4- تحديثا تمويلية واقتصادية: وهي تتمثل بمجموعة ضغوط وتأثيرات مباشرة وغير مباشرة في الإعلام ومؤسساته وهي تتمثل بتأثيرات:

أ) الممول.
ب) المعلن.
ت) المستهلك.
ث) المشترك (أفرادا وحكومات).
ج) التوزيع.

وتتمثل كذلك بمحدودية الموارد ومحدودية السوق في إطار التنافس المحلي والدولي.

5- تحديات مجتمعية: وهي ذات أشكال متعددة إذ يتمثل بعضها بالمستوى التعليمي والثقافي للمجتمع، أم ما يمكن أن نسميه بالأمية التعليمية والأمية الثقافية، وبعضها يتمثل بالمستوى الاقتصادي للمجتمع، ونضيف إلى ذلك الضغوط التي تمارس من التنظيمات الفكرية السياسية والجماعات الطائفية، وتثير هذه التحديات مسألة تأثير الاتصال في المجتمع.
6- التحديات الخارجية: وهي تتمثل بأشكال متعددة من بينها؛ ظروف الاتصال الدولي ومنافساته، كذلك الضغوط المباشرة مثل اتصال السفارات بالمحررين، أو إرسال الرسائل إلى السفارات، بالإضافة إلى الضغوط الاقتصادية عبر الاشتراكات أو الإعلانات الدولية.

7- تحديات مهنية: وهي مجموعة من التحديات التي ترتبط بنوعين من المؤثرات:

أ) عوامل مرتبطة بإدارة المؤسسة الإعلامية وتنظيمها: وذلك من خلال أسلوب الإدارة، وأسلوب التنظيم، وكفاءة الكادر، وتجانسه، وأهداف المؤسسة الإعلامية.

ب) عوامل مرتبطة بطبيعة العمل الإعلامية: وهذه ترتبط بالمغربل (حارس البوابة) واعتبار مهنته تتمثل بالمساحة والوقت وخدمات وكالات الأنباء.

8- تحديات تكنولوجية: تشكل المنافسة والتكنولوجيا الإعلامية وما رافقها من تدفق للمعلومات شكلا من أشكال التحديات الدائمة للإعلام من حيث قدرتها على مواكبة التطورات التكنولوجية للصمود في وجه المنافسات الإعلامية المحلية والإقليمية والدولية.

إن هذه العوامل لا يمكن فصلها. فهي عوامل ديناميكية متفاعلة لأنها ترتبط بعملية الاتصال وتشكلها.

كيف تتم مواجهة التحديات؟

ليست هناك رسالة إعلامية كاملة وناجحة مئة بالمائة، فالكمال في الجهد الإنساني غير موجود، وخاصة إذا كان يتعامل مع عملية الاتصال بتعقيداتها وديناميكيتها، وفي ظل تعقيد الاتصال الإقليمية والدولي، ولذا فإن طموح أي إعلامي يتمثل في تحقيق بعض النجاح لرسالته الإعلامية.

إن محاولة اجتياز التحديات – أو على الأقل التعامل معها بمنطق يروضها – تستدعي منا التعامل مع عناصر عملية الاتصال بوعي وعلمية، بحيث تصبح أكثر قدرة على الإسهام في عملية اتصالية ناجحة.

ولا شك أن مثل هذه التحديات سيظل جزءا من هموم الاتصال العربي في القرن القادم.

ولأن التحديات التي تواجه الإعلام ليست تحديات في مقدرة فرد واحد مواجهتها فإنها تحديات أقل ما يمكن أن نصفها به بأنها تحديات مؤسساتية ومجتمعية ولكي يتم تجاوزها فإننا ننتظر من أكثر من جهة أن تسهم في مجابهتها.

فإننا لا نتوقع أن تحل مشكلة الديمقراطية في الوطن العربي في يوم وليلة، حتى ولو سنت القوانين التي تمنح الأفراد حرياتهم السياسية والفكرية، وذلك لأن الحرية الفردية وإن كانت مقياسا لتقدم المجتمعات. إلا أنها كذلك تستلزم تقبل الأفراد لتحمل المسئولية. وبعض التحديات التي تواجه المؤسسات الإعلامية يمكن حلها، إذ يمكن مثلا أن تستخدم مؤسسة إعلامية إعلاميا خبيرا يعرف كيف يصمم رسالة ناجحة مستخدما إمكانيات العلم، وتتوفر فيه لديه المعرفة بنظريات تأثير وسائل الإعلام ومعرفة جمهوره والأسلوب الأمثل لمخاطبته، إلا أن ذلك في ظل ظروف لا تسمح للرسالة الإعلامية بالوصول إلى جمهورها، يصبح هذا الإعلامي مثله مثل المتطفل على العمل الإعلامي والذي لا يجيد عمله ولكنه يستطيع أن ينشر اسمه كل يوم على صفحات الجرائد.

إن تجاوز أزمة الإعلام، عملية تستدعي مساهمة الحكومات والمؤسسات الإعلامية والتعليمية والأسرة .... لأن الإعلام هو نتاج هذه البيئة.

كذلك سوف تواجه المؤسسات الإعلامية تحديات على مستوى تنافسي كبير، ولذا فإن المؤسسات الإعلامية ذات الطابع الفردي، سوف تتضاءل وسوف تحل محلها المؤسسات الكبيرة، والتي من المتوقع أن تتوسع أنشطتها الاتصالية في مجالات مختلفة مثل، النشر والإعلان والصحافة والإنتاج التلفزيوني وغير ذلك. وسوف تبقى سيطرة الحكومات العربية على وسائل الاتصال قائمة في القرن القادم بصورة ظاهرة أو خفية عبر المشاركة في حصص رأس مال أو الامتلاك الكامل للمؤسسات الإعلامية، وسوف تزداد حدة المنافسة في الاتصال وخصوصا بين الفضائيات العربية، وسيقود ذلك إلى المزيد من القنوات الفضائية العربية.

وكما انتشر الفاكس وانتشرت آلات الاستنساخ التي وفرت للناس سرعة تداول المحظور من المطبوعات والمعلومات، ففي القرن القادم ومع دخول الإنترنت إلى مجالات الحياة العربية، وانتشار الفضائيات سيقود ذلك إلى المزيد من التفاعل عربيا، وسيزيد من فرص الحوار وسيساعد في تعزيز تدفق الاتصال وانتشار الديمقراطية وصيانة حرية الأفراد والمجتمعات.

3- الاتصال والتنمية البشرية في القرن القادم.

في عام 1994 بلغ عدد السكان في الوطن العربي 145034 مليون نسمة، ولا يزال الوطن العربي يعاني من مشاكل حقيقية في التنمية، وعلى الرغم من أن كشف حساب التنمية البشرية للدول العربية، أظهر تقدما واضحا حتى عام 1993، إلا أن الحرمان – كما يشير تقرير التنمية الدولي – يتجلى في كشف حساب الحرمان للتنمية البشرية للدول العربية وذلك كما يلي:

* في ما يتعلق بالصحة:

- لا يحصل سوى نصف سكان المناطق الريفية على مياه مأمونة، ولا يحصل سوى الثلث على مرافق الصرف الصحي الأساسية.

* وأما فيما يتعلق بالتعليم:

- هناك حوالي 60 مليون أمي بين مجموع سكان المنطقة البالغ 140 مليون نسمة.

- يوجد 9 ملايين طفل خارج المدارس الابتدائية، 15 مليونا خارج المدارس الثانوية.

* وفي ما يتعلق بالدخل والفقر:

- ما زال حوالي 73 مليون نسمة يعيشون دون خط الفقر، ويعاني أكثر من 10 ملايين نقص التغذية.

* وأما في ما يتعلق بالمرأة:

- لا يشارك سوى 25% من النساء العربيات في القوة العاملة الرسمية، مقارنة بنسبة 39% في البلدان النامية كمجموعة.

- لا تشغل النساء سوى 4% من المقاعد البرلمانية، وهي نسبة تقل كثيرا عن المتوسط في العالم النامي وقدره 10%.

* وفي ما يتعلق بالطفل:

- ما زال معدل الوفيات دون سن الخامسة، والبالغ 73 حالة لك 1000 مولود حي، أعلى من المعدل الموجود في البلدان الصناعية بأربع مرات.

* وأما في ما يتعلق بالبيئة:

- مع توافر من 1000 متر مكعب من المياه للفرد كل عام، يعاني حوالي 55% من السكان مع شحة شديدة في المياه. (دليل التنمية البشرية 1996)

يفرض هذا الواقع تحديات حقيقية من أجل تقدم حقيقي للمجتمع، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالمزيد من التنمية المستديمة، التي تعتمد على مشاركة الناس مشاركة حقيقية في مشاريع التنمية وإنجازها، ومنذ الخمسينات أسهم ليرنر وشرام وروجرز وغيرهم في دراسة دور وسائل الاتصال في التنمية والتي اعتبروها ضرورية لإنجاز التنمية ولا يمكن تحريك الجماهير بدون الاتصال التنموي الذي يشكل عصبا هاما لنجاح مشاريع التنمية. (أبو أصبع 1984)

ولا شك في أن العديد من مشاريع التنمية العربية وخططها، كانت تفتقد إلى رؤية واعية لدور الاتصال في التنمية، ولذا فإن تحديات التنمية البشرية التي تواجه الوطن العربي، يجب أن تواكبها رؤية واضحة لدور الاتصال التنموي في إنجاز التنمية. (أب أصبع 1989)

إن إدراكا لهذا الدور ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين، يجب أن يوفر كوادر اتصال تنموي، مدربة أكاديميا ومهنيا وخبيرة، ويجب أن يمتد دورها ليس فقط ليكون جزءا من وزارات الإعلام، بل يجب أن يمتد إلى جميع الوزارات والمؤسسات المعنية بالتنمية.

4- النظام العالمي الجديد: توجهات نحو اتصال أكثر ديمقراطية

شهد العقد الأخير من القرن العشرين العديد من المتغيرات الدولية، وبعد حرب الخليج برز مصطلح النظام العالمي الجديد الذي كرس الدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية في العالم، وبانهيار المعسكر الشرقي وتصدر نظام القطب الواحد لقيادة العالم باتت المتغيرات الدولية في ظل نظام العالمي الجديد تعزز بعض المفاهيم الأساسية مثل حرية الأفراد وحقوق الإنسان والديمقراطية، وحقوق المرأة وحقوق الأقليات وتعزيز القوميات والسوق الحرة وعولمة الاقتصاد وحرية السوق وهذه المفاهيم

ذات حضور في القضايا التي تنقلها وسائل الاتصال الجماهيري من ناحية، وذات تأثير في المناخ الذي تخلقه للاتصال من ناحية ثانية.

ويزداد الآن التوجه العالمي نحو المجتمعات المدنية وتعزيز الديمقراطية، ويعني هذا التوجه: أن على المجتمعات أن تعمل على صيانة الحريات العامة وبناء ديمقراطيات تعزز التمثيل الشعبي والمشاركة الشعبية ويحمل هذا التوجه في طياته العديد من التضمينات ذات الصلة بالاتصال.

1- فإن المجتمعات المدنية تحتاج إلى مؤسسات مدنية تمثلها وتعبر عن قيمها وطموحاتها.
2- إن المجتمعات المدنية والديمقراطية تحتاج لكي تنضوي تحت مظلة نادي الديمقراطية الدولي، حرية تدفق المعلومات وإبقاء النوافذ مشرعة أمام الاتصال الدولي.
3- إن المجتمعات التي تخض تجارب جديدة نحو الديمقراطية ستظل أمام مجهر نادي الديمقراطية الدولي، وسيكون هناك المزيد من المتابعات والتقارير، عبر مؤسسات وطنية وإقليمية ودولية لحماية حقوق الإنسان، ورصد حرية وسائل الإعلام ومخالفاتها ومدى إتاحة الفرصة لمزيد من تدفق الاتصال من مختلف الاتجاهات.
4- إن النظام العالمي الجديد سوف يتيح للشركات متعددة الجنسيات والمؤسسات الدولية أن تلعب أدوارا أوسع – بمشاركة الحكومات – في تشكيل الحياة القادمة وتوجيهها، مستفيدة من تكنولوجية الاتصال والمعلومات، وستلعب الشركات والشبكات الاتصالية والمعلوماتية دورا أكبر في التحكم في أشكال الاتصال وحجمه ونوعيته، وسوف يؤدي ذلك إلى المزيد من التنافس على الأسواق العالمية لتسويق معدات الاتصال والمعلومات ومنتجاتها بما تحمله من قيم منتجيها.
5- يتزايد الطلب على المعلومات في ظل التوجه السائد نحو حل النزاعات بطرق سلمية أو تحت مظلة دولية.

ويحمل النظام العالمي الجديد معه هموم الحرية والديمقراطية وأمل الشعوب في التقدم والمساواة، ولا يبشر المستقبل بعالم تتساوى فيه الشعوب بإمكانياتها الاقتصادية، والتكنولوجية، والمعلوماتية، وستظل الفجوة قائمة بين شعوب العالم في الإمكانيات السالفة، مما سيبقي قضية التوازن والإنصاف في تبادل المعلومات من أولويات القرن الحادي والعشرين.

ولا نتوقع في القرن القادم أن يتم أي إنصاف بشأن التوازن في تدفق الاتصال بين دول الشمال والجنوب، وستظل مسألة تدفق الاتصال الحر باتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب ذات سيطرة على سوق المعلومات العالمية، وسيظل البون الشاسع موجودا في تكنولوجيا الاتصال. ويشير تقرير لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي، إلى اختلال الاتصال وذلك بقوله: وعلى الرغم من أنه قد حدث توسع هائل في المدى الذي تصل إليه بعض وسائل الاتصال، تظل أوجه اختلال خطيرة في ما يتعلق بفرص الوصول إلى المعلومات وفي توزيع حتى التكنولوجيا الأكثر أساسية. فلا يزال نحو ملياري نسمة – أي ما يزيد على ثلث عدد السكان في العالم – يفتقر إلى الكهرباء. وفي عام 1990، كان عدد خطوط الهاتف المتوافرة في بنغلاديش والصين، ومصر والهند وأندونسيا ونيجيريا مجتمعة أقل منه في كندا التي يعيش بها 27 مليون نسمة فقط. ويتكرر هذا التفاوت في ملكية أقمار الاتصالات، وهي الأساس في عولمة وسائل الإعلام. (جيران في عالم واحد 1995" ص 53).

وعلى الرغم من التوجه العالمي نحو الديمقراطية، والدفاع عن حقوق الإنسان – ومهما كانت النيات من وراء هذه التوجهات والمصالح التي تدفع إليها – فإنه ليس من المتوقع أن تصبح قضية الديمقراطية والعدل وحقوق الإنسان قيما ثابتة لدى الأنظمة المختلفة التي تسود في العالم، وخصوصا أنظمة الحكم العربية ودول العالم الثالث بشكل عام.

وعدم ثبات هذه القيم لدى تلك الأنظمة سيشكل تحديا رئيسا في القرن القادم، سوف يبقي مبدأ حرية الصحافة وحرية القول والتعبير محكومة بمصالح الأنظمة وإراداتها، وسيظل مبدأ المصداقية – وقول الحق مرهونين بإرادة الأنظمة وسيطرتها، وسيظل مجال غزو خصوصية الأفراد متاحا ما دامت حقوق الإنسان منتهكة في ظل الأنظمة القمعية.

5- الاتصال والمعلومات وتأثيرها في الثقافات القومية (الخصوصية القومية في إطار العالمية: قبائل في قرية عالمية):

طرح مارشال مكلوهان Marshall Mcluhan مقولته حول القرية العالمية the global village في كتابه the Gutenberg galaxy حيث يقول " .... ولكن من المؤكد أن الاكتشافات الكهرومغناطيسية قد ساهمت في خلق المجال المتزامن في مناحي الحياة الإنسانية كافة، بشكل جعل المجتمع البشري يعيش في جو يمكن تسميته بالقرية العالمية، فنحن نعيش في مجال ضيق محدود يتناغم مع دقات الطبول القبلية، حيث إن اهتمامنا ... هذه الأيام يقابل في بساطته اهتمام الناس بالتقدم في القرن التاسع عشر، والذي لا يمت لمشاكلنا بأي شكل من الأشكال. (Mcluhan, 1962. 43)

وقد اعتبر مكلوهان أن الكرة الأرضية، أضحت ناحية مجتمع تعلم، وفي الوقت نفسه، فإنها بالنسبة إلى وثاقة علاقاتها المتداخلة أصبحت قرية صغيرة، أنماط الرابطة البشرية القائمة فيها على وسائل أضحت في ليلة وضحاها، ليس غير ذات صلة أو قديمة حسب، ولكنها أضحت تحديا للوجود المتمرد للقدسية، وفي مثل هذه الظروف فإن فهم وسائل الاتصال، يجب أن يعني فهم تأثيرات الوسائل.

لقد مالت أهداف وسائل الإعلام الجديدة – بشكل قدري – لأن توضع بناء على معايير وأطر الوسائل الأقدم، فجميع اختبارات وسائل الإعلام أجريت من خلال معايير الوسائل الأقدم وخصوصا الكلام والطباعة. (Mcluhan 1976, 151 – 152).

إن هذا المصطلح الذي أطلقه مكلوهان بخصوص القرية العالمية الصغيرة صحيح إلى حد ما من حيث القدرة الهائلة والإمكانيات المتاحة نحو تدفق الاتصال الدولي وتوافره، وهذا كان يعني كما رأى كثير من المنظرين الإعلاميين، مزيدا من الانفتاح العالمي والتفاعل بين الثقافات الإنسانية، ورغم التنوع ووفرة وسائل الاتصال وأصبح توفر القنوات المحلية والقومية التي تتنافس فيما بينها، وتنافس القنوات الأجنبية يحول دون تفاعل الشعوب بالمستوى المأمول، فعلى سبيل المثال، فقد بات بمقدور المشاهد العربي، أن يختار بين أكثر من ثلاثين قناة فضائية عربية، جميعها

تتنـافس فـي مـا بينهـا، لاجتـذاب المشـاهد العربـي، وتتنـافس معهـا المحطـات التركية، من جهة أخرى، وهي تقترب من عشر قنوات فضائية.

وإذا كـان بإمكـان الجمهور العربـي، أن يستقبل نحـو خمسين محطـة فضـائية بأقل تكلفة ماديـة، فـإن الجمهور ميـال إلـى متابعـة المحطـات الفضـائية العربيـة بسبب اللغة والثقافة المشتركة، ولذا فإن ا لخيارات المطروحة عربيا أمامه تتيح لـه مجـالات الاختيار ترفيهيا وثقافيا وأيديولوجيا من قنواته الفضائية العربية العديدة، وما نفترضه هنا أن القرية العالميـة الصـغيرة تكنولوجيـا، سوف تعزز مـا نسميه فـي القرن القـادم بالقبائـل فـي القريـة العالميـة الصـغيرة الموصـولة، وهـذا يعنـي أن وسـائل الاتصـال وخصوصـا المحطـات الفضـائية، سـوف تـؤدي إلـى تعزيـز الهويـات القوميـة والخصوصية الثقافية والثقافات الشعبية، وهناك شواهد على ذلك.

فخلال العقد الماضي، أصبح بإمكان الأقليات والعناصر الثقافية المتنوعة في مجتمع مثل المجتمع الأمريكي – الذي كان يعتبر وسائل الاتصال من عناصر بوتقة الصهر Milting Pot – أن تعزز ثقافتها الأصلية والعودة إلى جذور هويتها القومية عبر وسائل الاتصال، وقد أضحى بإمكان العرب الأمريكيين متابعة البث التلفزيوني من الولايات المتحدة ذاتها سواء أكان ذلك من خلال محطـات تلفزيونيـة أو مـن خـلال التلفزيون السلكي Cable t.v أو من خلال قدرتهم علـى استقبال القنوات الفضـائية العربيـة، وهذا نفسه ينطبق علـى الأمريكـان مـن أصـول عرقيـة أخـرى، كالصـينيين واليابانيين والمكسيكيين أو غيرهم.

إذن فمثـل هذا الـدور الـذي تلعبه وسـائل الاتصـال فـي إطـار القريـة العالميـة، سيميل إلـى تشـظية المجتمعـات، التـي تتنـوع فيهـا الثقافـات والأعـراق، بحيث يـزداد التوجه نحو القوميات وتعزيز ثقافاتها وهوياتها القومية أي أن القرية العالميـة ستكون قرية قبائل متنوعة.

ولعل ما نتوقعه بالنسبة للأمة العربية، وبالنسب للقوميات الأخـرى التـي تتـاح لهـا فـرص اتصـال مناسـبة، أن تسـير فـي تجـاه تعزيـز هوياتهـا القوميـة وترسـيخها والتفاعل بين شعوب القوميـة الواحدة كالأمـة العربيـة، إن مـا تقدمه الآن الفضـائيات العربيـة، وعلـى الـرغم مـن تحفظنـا علـى مستوى مـا يقدمـه بعضـها، وعلـى أسـلوب بعضها الآخر

ومضامينها، إلا أنها الآن مناخا مناسبا للحوار والتفاعل العربي، ومجالا للنقاش حول قضاياه من الرباط حتى مسقط يساهم فيه الجمهور ويبدي رأيه فيه. أعتقد أن هذا يشكل تيارا يشق طريقه بين الناس بصمت، ويعزز وجود قبيلتنا العربية في إطار القرية العالمية الصغيرة بقبائلها (قومياتها) العديدة.

- ثورة الاتصال والمعلومات: الإنترنت ووسائل الاتصال الدولي نخبة عالمية في القرية العالمية الصغيرة.

أشرنا إلى ما اقترحه ماكلوهان بخصوص القرية العالمية الصغيرة وفي تقرير لمجلة التايم الأمريكية Time Feb 3. 1997 بعنوان المجتمع المشتبك أهلا بالعالم السلكي، The Net worked society. Welcome to the wired world.

كتب جوشوا كوبر رامو Joshua Cooper Ramo يقول أنه في جميع أنحاء المعمورة فإن ضوء المجتمع المشبك ينمو Pinprick is glowing وفي بداية التسعينات كان هناك مليون إنسان موصولا أو غالبا يحاول أن يتصل عبر الكوابل النحاسية عن طريق البريد الإلكتروني ولكن حينما أصبح الالتحاق بالإنترنت أكثر سهولة فإن قيمتها وعدد الملتحقين بها تضاعف ومنذ ذلك الوقت أصبح عدد مستخدمي الإنترنت في العالم يقدرون بنحو 57 مليون مستخدم، ويقدر جون كوارترمان Jon S Quarterman بأن العدد مع نهاية القرن سيصل إلى سبعمائة مليون.

ويرى كبير مهندسي شركة MCI فريد بريجز Freed Briggs أن شبكة الهاتف أخذت مائة سنة لتصبح على ما هي عليه الآن، أما شبكة الإنترنت فإنها ستأخذ المستوى نفسه خلال خمس سنوات فقط، ويؤكد رامو بأنه يمكن تتبع بسهولة وبمنطق بسيط بأن شبكة الإنترنت ستكون قوتها مائة ضعف عما هي عليه الآن كأداة معلوماتية في نهاية القرن العشرين Time : P. 32.

ويرى د. شذي الدركزلي أن شبكة الإنترنت أصبحت : مكتب بريد وسوقا تجارية ومكتبة ومخزن برمجيات ووسيلة تعليم وثقافة وقراءة صحف ومجلات، ومراكز حوار فكري وعلمي بين الفئات المختلفة في عدة أماكن من العالم، كل ذلك

باستخدام النص الكتابي والصوري والصوتي (أو ما يسمى بالأوساط المتعددة Multimedia من على شاشة مرئية تشبه شاشة التلفاز. الدركزلي 1997 : 35.

لقد أصبحت شبكة الإنترنت بما توفره من ثروة في المعلومات منبرا للتفاعل بين المستفيدين، تقدم مجموعة من الخدمات الاتصالية والمعلوماتية مثل البريد الإلكتروني E-Mail وبروتوكول نقل الملفات File transfer protocol وهذا يتيح نقل الملفات من حاسوب إلى آخر، وتبادل التقارير والبحوث وقواعد البيانات بين الباحثين، بالإضافة إلى البرمجيات سواء المجانية Freeware أو المشتركة Shareware أو التجارية Commercial وكذلك هناك الشبكة العالمية World wid web "www" وتشمل هذه الشبكة بروتوكول نقل النص متعدد الطبقات Hyper text transfer protocol "HTTP المصدر نفسه 35 – 36.

لقد أصبحت إمكانية اشتراك الأفراد والمؤسسات بشبكة الإنترنت سهلة للغاية فمن خلال جهاز كمبيوتر وموديم وخط هاتفي أصبح بإمكان المشترك أن يتصل بالشركات والمؤسسات الصناعية والحكومية والأكاديمية ومراكز البحث العلمي والمؤسسات الصحفية والتلفزيون، ودور النشر وذلك للحصول على المعلومات التي يحتاجها.

بل أصبحت شبكة الإنترنت مجالا من مجالات الترفيه والترويج للأفكار الدينية والاجتماعية والشاذة، وكذل مجالا لترويج الرذيلة والإباحية. وفي هذا السياق كله تصبح شبكة الإنترنت – التي يتوقع أن تقتحم القرن الواحد والعشرين بقوة لا مثيل لها – أن تتمتع كذلك بتأثيرات إيجابية وسلبية في المجالات التالية:

1- في إطار تشبيك العالم عبر الإنترنت في عالم القرية الصغيرة، فإن الفرص أمام النخب العالمية للاتصال والتفاعل الإنساني سوف تزداد، ولكن ذلك سيؤدي إلى مزيد من الحوارات والاعتمادات المتبادلة في الحصول على المعلومات وتوفيرها للنخب السياسية والثقافية والعلمية والتكنوقراط.

وسيؤدي ذلك في المجالات العلمية والتكنولوجيا إلى زيادة قاعدة المتخصصين وتطوير كفاءاتهم على امتداد العالم.

وفي المجالات الثقافية والفكرية والقضايا الجدلية (في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية) وسوف يزيد التفاعل من حدة الحوارات والتي تنطلق من رؤى ثقافية مختلفة سوف تقود إلى تكريس خنادقها الثقافية والدفاع عنها، وسيكون الإسلام محورا من محاور النقاش والجدال عبر شبكات الإنترنت الجماهيرية.

وقد لاحظ نيصبات وابردين ما يلي: (كلما زاد تأثير الشعوب المتبادل في بعضها البعض كلما ازدادت رغبتنا في الاحتفاظ بقيمنا التقليدية ليس بالضرورة بالصورة الإيرانية العنيفة بالحماس نفسه على الأقل.

وفي مواجهة تزايد عملية التماثل والتجانس في أسلوب الحياة العالمي فسوف نسعى إلى الاحتفاظ بهويتنا القومية سواء أكانت دينية أو ثقافية أو لغوية أو إثنية. (بيصبات وابردين 127 – 159).

وفي هذا السياق، فإن الغرب الذي فقد خصمه التقليدي بعد انهيار الاتحاد الاتحاد السوفيتي سوف يزيد من حدة عدائه لعدو جديد مصطنع، يجد له مبرراته من خلال أفعال العنف والإرهاب الدموي الذي تشهده بعض البلدان العربية والإسلامية مثل الجزائر ومصر وأفغانستان، والذي يلبس طابعا دينيا أو أن يلصق بجماعات دينية وتسمى أحيانا أصولية.

نتوقع من وسائل الاتصال الغربية أن تستمر في تشويه الإسلام وتشويه الشخصيات العربية والوقوف بتحيز مع إسرائيل في مواقفها العدائية ضد العرب.

2- سوف توفر شبكات الإنترنت والمحطات الفضائية الدولية مثل الأمريكية CNN، والبريطانية BBC، والفرنسية TV5، وغيرها وكذلك الصحافة الراقية الغربية والتي يتم تسويقها عالميا مثل New Week, Time وديرشبيجل، ولوموند وغيرها، سوف توفر جميعها قاعدة تفاعل نخبوي دولي يؤثر عمليا في خلق نخبة عالمية قادرة على التفاعل، وخصوصا فيما يتعلق بالمشكلات الدولية والقضايا الاقتصادية العالمية، ويمكن أن يكون لهذه النخب – باعتبارها قادة رأي في مجتمعاتها – دور كبير في التأثير على مجتمعاتها.

وهنا يمكن القول إن الحديث عن رأي عام دولي في القضايا الدولية ذات الطبيعة الإنسانية وغير جدلية مثل قضايا البيئة، والحريات والديمقراطية، سيكون ممكنا تشكيله مستقبلا، ما دام موضوعها لا يتعارض مع الهموم أو المصالح القومية، ولا يؤثر في الخصوصية الثقافية في المجتمع.

3- بشكل عام سوف تؤدي شبكات الإنترنت ووسائل الإعلام إلى إتاحة المجال للاستغلال من قبل قوى شريرة، سواء أكانت عصابات عالمية، أو أشخاص مضطربين نفسيا، أو جماعات عرقية متعصبة، أو جماعات ذات هوس عقائدي.

ولقد نشرت النيوزويك 7 أبريل تقريرا بعنوان لو الشبكة Blaming the web بقلم ستيفن ليفي Steven levy أشارت فيه إلى دور شبكة الإنترنت في نشر العقائد الغريبة، وذلك إثر الانتحار الجماعي لتسعة وثلاثين شخصا، من أتباع جماعة بوابة السماء Heaven's Gote ، قرب سان ديجو في كاليفورنيا، وقد تم استخدام شبكة الإنترنت من قبل هذه الجماعة حيث إن الشبكة كما أشار ليفي تمثل سوقا حرة للمعلومات توفر الفرصة لإيجاد الأتباع واستعراض الآراء من قبل مثل هذه الجماعات.

4- سوف تقوم شبكة الإنترنت ومع توفر شبكات الاتصال الدولية أمام شعوب العالم في القرن الحادي والعشرين إلى نقيض ما اقترحه هربرت ماركوز حين قال إن المجتمع المعاصر يميل إلى إلغاء امتيازات الثقافة الإقطاعية والأرستقراطية وإلى إلغاء مضمونها في آن واحد. فلئن كانت حقائق الفنون الجميلة المتعالية وجماليات الحياة والفكر وقفا على جمهور غني ومثقف، فهذا لأن المجتمع كان مجتمع قمع، ولكن لا يمكننا الافتراض بأن شيئا ما قد تغير، لأن هناك اليوم كتب جيب واسطوانات ميكروسيون، أو لأن التربية قد عممت، أو لأنه بات في وسع المرء أن يذهب إلى المسرح أو الحفل الموسيقي من غير أن يرتدي لباس السهرة الرسمي، لقد كانت الامتيازات الثقافية تعبر عن كون الحرية مجحفة، تعبر عن التناقض بين الأيدولوجية والواقع، تعبر عن أن هناك هوة بين الإنتاج الفكري والإنتاج المادي، ولكنها كانت تقيم أيضا ميدانا مغلقا مسورا يمكن فيه للحقائق – التابو – أن تعيش وتحافظ على كمالها. أما اليوم فقد تلاشى هذا الانفصال وتلاشى معه التجاوز والوضع في قفص الاتهام، وصحيح أن النص واللهجة ما يزالان موجودين، ولكن المسافة الفاصلة التي كانت تجعل منها "ريحا آتية من الكواكب الأخرى" (هربرت ماركوز ص 100 – 101).

وبنظرة متفحصة إلى واقع التنمية البشرية ففي المجتمعات العربية – الذي أشرنا إليه سابقا – ندرك تماما بأن أشكال التمايز بين ثقافتين هما ثقافة النخبة والثقافة الشعبية أو الجماهيرية ستكون أكثر بروزا في مطلع القرن القادم. وذلك يعود إلى عدة عوامل منها:

أ) المستوى التعليمية والثقافي لأفراد المجتمع.

ب) المستوى الاقتصادي الذي يسهل أو يعيق الحصول على الاتصال بأعلى تقنياته ويمكننا الحصول على أكبر حجم من المعلومات وعلى نوعية متميزة توائم الحاجة والطلب.

ج) حاجز اللغة الذي وإن تكسر في بعض جوانبه لدى البعض فإن اللغة الأم تظل في اللغة الأقرب إلى الإنسان والأحب إليه في الاستعمال.

4. وفرة المعلومات والاتصال وفيضانها:

إن وفرة المعلومات وتدفق الاتصال سوف يسهم في إتاحتها بشكل لم تعرفه البشرية من قبل، وأضحت المعلومات وفيرة بشكل لا يمكن لأي متخصص أن يتابع معه ما يستجد في حقل تخصصه مهما جاز من الإمكانيات، ومهما توفر له الوقت والجهد، وليست الوفرة هنا هي التي يمكن أن تسبب مشكلة فتوفرها بدون إمكانية الحصول عليها لا تقود إلى شيء وخصوصا بالنسبة للمجتمعات الفقيرة.

إن ما يلفت الانتباه عما سيكون عليه مستقبل الاتصال في القرن القادم ما يلي:

1. وفرة المعلومات في جميع المجالات وعدم إمكانية احتكارها.

2. إتاحة هذه المعلومات لمن يستطيع أن يتوصل إليها تقنيا واقتصاديا وفنيا وثقافيا.

3. إن التوسع في الاتصال وخصوصا عبر شبكات القنوات الفضائية، والتلفزيونات الخطية وربط الكمبيوتر وشاشة التلفزيون بحيث يستخدمان كجهاز واحد، سوف يتيح فيضان الاتصال إقليميا ودوليا، ويعزز التنافس بينها.

ولا شك أن وفرة المعلومات، وسهولة الوصول إليها، وفيضانها، سوف تطرح تحديات كبيرة على النشء، في مواجهة العملية التعليمية، والتنشئة الاجتماعية. وسيظل للتلفزيون دوره الكبير في التأثير في النشء وفي تلبية العديد من الحاجات لهم.

إن تشبيك العالم عبر القنوات الفضائية والإنترنت والبرامج التلفزيونية التي تبث عبر الحدود، سوف تقود إلى مراجعة لنظريات تأثير وسائل الاتصال، ون يصبح أمرا ميسورا اعتماد إحدى النظريان لفهم تأثير وسائل الإعلام، فنظرية التأثير المباشر Bullet Theory ونظرية التأثير المحدود Limited Effect Theory ونظرية التأثير المعتدل Moderate Effect Theory ونظرية التأثير القوي

Powerful Effect Theory كلها لا تستجيب لفهم تأثير الاتصال على المتلقي لأنها جاءت في سياقات مختلفة وتركز على بعض المتغيرات وتترك أخرى. ولذا فإن رؤية لتأثير وسائل الإعلام في المتلقي تستدعي منا نظرة أكثر شمولية لفهم تأثير وسائل الإعلام وذلك ما اقترحناه في موضع آخر تحت اسم مبدأ الاصطياد (أبو اصبع، 1995).

7- الاتصال الجماهيري: صناعة التسلية وترويج الاستهلاك وغزو خصوصية الفرد.

خلال هذا القرن، تطورت أشكال الاتصال التي تقدمها وسائل الإعلام بطريقة تضمن الجاذبية وتحرص على الاستحواذ على أكبر قدر من الزبائن، والحصول على أكبر عائد مادي. ومن أجل ذلك، عمدت وسائل الإعلام إلى ترويج التسلية وترويج الاستهلاك وغزو خصوصية الأفراد باعتبارها سلعة للتسلية وسنستعرضها هنا باعتبارها من التحديات التي واجهت وستواجه الاتصال في القرن الحادي والعشرين.

7- 1- الربح وصناعة التسلية

يمكن النظر إلى وسائل الاتصال في القرن الحادي والعشرين. وهي تسير باتجاهات ثلاثة: فهناك الاتجاه الذي يوفر المعومات الجادة والرصينة، وهناك الاتجاه الذي يوفر الترفيه، ويعمد إلى ترويج التسلية، وهناك اتجاه يحاول الجمع بينهما.

ولا شك في أن هدف الربح، سيظل عنصرا أساسيا بالنسبة للمؤسسات الاتصالية، لأنه يدعم حياتها، ويعطيها حافزا الاستمرار والتقدم. ولكننا نتوقع أن تزداد قدرة الاتصال على توفير التسلية المنزلية للأطفال واليافعين والراشدين في آن واحد، سواء كان ذلك في البرامج الترفيهية التلفزيونية، أو برامج ألعاب الكمبيوتر، أو ألعاب الفيديو، أو ما توفره شبكات الإنترنت من ترفيه. ويجب النظر بجدية إلى تأثير هذه النوعية في البرامج الترفيهية، على حياة الأفراد واستغلالهم للوقت، وتأثيرها في الأنشطة الأخرى، وعلى الحياة الاجتماعية بشكل عام. وهكذا فإن استوديوهات الإنتاج السينمائي والتلفزيوني والإذاعي، اهتمت بالسعي إلى زيادة الإنتاج، بل والإنتاج بالجملة، بمضامين تكاد تكون نمطية، وتخفي عجزها بأشكال جذابة، فمضامين المسلسلات تكاد تتكرر حكاياتها، وتثير انتباه المتلقي من خلال فنون إخراجية وتكنولوجيا عالية الكفاءة ، وقادرة على جذب الجمهور، أمام مادة الإنتاج، فيجب أن تكون مقبولة من الجميع، ولا تثير الجدل، ويسعى الاتصال الجماهيري دوما إلى استثارة استجابات متشابهة عند أكبر قدر ممكن من الجمهور متجاهلا خصائصهم الفردية ورغباتهم وتفضيلاتهم الشخصية.

ومن أجل الحصول على مثل هذا الجمهور فإن وسائل الإعلام تحرص على تقديم الترفيه لجمهورها، ولا يمكن تحقيق الأهداف التي يتوقعها التنمويون والمصلحون والقادة من وسائل الإعلام، من خلال أهداف مالكي وسائل الإعلام، لأن هؤلاء ينظرون إلى جمهورهم باعتبارهم زبائن مربحين. ولتحقيق ذلك فإن سعيهم الدائم نحو السيطرة على هذا الجمهور، لا يقابله تحمل مسئولية واعية وحقيقية نحو المجتمع، ولذلك نجد أن بعض المؤسسات الإعلامية في الولايات المتحدة، أقرت نظام التصنيف للأفلام والبرامج. وهذا يشكل دليلا على هذه الأزمة والإحساس بالمسئولية الاجتماعية، التي لا تراعيها وسائل الإعلام نحو الأبناء غير البالغين.

لم تعد التسلية المنزلية مقصورة على التلفزيون أو الإذاعة أو السينما، بل إننا نجد أن العديد من الصحف، وخصوصا الأسبوعية منها والصحب المعروفة بصحف التابلويد، تعمد إلى أن تكون رفيق تسلية للقارئ، أكثر من كونها رفيق ثقافة لهذا فإنها تعتمد على نشر قصص الإثارة وفبركتها، وتسهم إسهاما كبيرا في غزو خصوصية حياة الأفراد من المشاهير والساسة وقادة الرأي. وتسهم كذلك شبكات الإنترنت وألعاب الفيديو Video Games وألعاب الكمبيوتر في ترويج التسلية المنزلية، ولا شك فإن أشكال التسلية المنزلية المتاحة، إذا لم يكن هنا ضابط لاستخدامها كما ترى باتريشيا جرينفيلد فإن "الخطر الحقيقي بالنسبة "لألعاب الفيديو" يكمن في تنوعها وتعقيدها وإغراء عوالم الألعاب التي لها استجابات قوية لدى الأطفال" وكما اقترحت كان شيغولد Karen Sheingold فإن السيطرة الكبيرة على العوالم الخيالية لألعاب الفيديو، يمكنها أن تجلب إلى الحياة الحقيقية عدم الصبر، والتشويش،وعدم السيطرة على عالم الحياة الحقيقية (Patricia M. Green Field 1984: 125)

7- 2- الربح وترويج الاستهلاك

تسهم وسائل الإعلام من خلال صرحها على نشر الإعلان أو إذاعته والحصول على المزيد منه، بتثبيت واقع يقول "إن البضائع المعلن عنها للمستهلك لا تنفصل على سعادته!" "وهذا يعني أن إعلانات وسائل الإعلام تقوم بترسيخ الروح الاستهلاكية عند الأفراد وتقوم بخلق حاجات للناس ليست هي في الأساس كذلك. بل أن هذه الروح الاستهلاكية أصبحت تتحول إلى نوع من الاستلاب كما يرى ماركوز إذ يقول: "إننا لنواجه هنا واحد من أكثر مظاهر المجتمع الصناعي المتقدم مدعاة للأسف: الطابع العقلاني للاعقلانية، فهذه الحضارة منتجة، ناجعة، قادرة على إضفاء صفة الحاجة على كل ما هو زائد عن الحاجة، وعلى تحويل الهدم إلى بناء. وبمقدار ما تحول الحضارة القائمة علم الشيء إلى بعد للجسم والروح الإنسانيين، يصبح مفهوم الاستلاب بالذات إشكاليا، فالناس يعترفون على أنفسهم في بضائعهم، ويجدون جوهر روحهم في سيارتهم وجهازهم التلفزيوني الدقيق الاستقبال، وفي بيتهم الأنيق وأدوات طبخهم الحديثة". (هربرت ماركوز: 45).

7- 3- غزو خصوصية الأفراد: الليدي ديانا سبنسر ضحية الإعلام

مع فر الحادي والثلاثين من آب 1997، تابع الذين استيقظوا مبكرا، (عبر القنوات الفضائية). نبأ حادث سيارة الليدي ديانا سبنسر ورفاقها في نفق في باريس، وليس من شك في أن أصابع الاتهام وجهت – قبل أن يرفعها شقيقها – إلى وسائل الإعلام، كان المشاهدون قد علموا أن سبب الحادث كان محاولة هروب السائق من مطاردة كاميرات الصحفيين لها,.

وكان واضحا أن السبب في حادث الموت هذا، هو غزو الخصوصية الفردية من قبل وسائل الإعلام.

إن هذا الحادث يقف كمأساة بارزة في تاريخ وسائل الاتصال، وفي تاريخ حق الإنسانية في الخصوصية حتى لو كانت من الشخصيات العامة.

إن متابعة الشخصيات العامة نجوما وساسة وقادة، أمر من الأمور المثيرة لشهية وسائل الإعلام، ومثيرة كذلك \الشهية الجمهور المتلهف دوما لمعرفة خصوصيات الناس، إنها شهوة حب الاستطلاع، وشهوة امتلاك الأسرار وكشفها، وهذا ما جرى لديانا سبنسر حين صرحت في مقابلة صحفية معها، "بأن مطاردة الصحفيين تجعلك ترى نفسك سلعة لوسائل الإعلام".

وفي القرن الحادي والعشرين، ستظل حقوق الإنسان في الخصوصية محورا من المحاول التي تشكل أكبر التحديات الأخلاقية لوسائل الاتصال، وبلا شك فإن تطور التكنولوجيا وتوفيرها، والتي تزداد كفاءتها في التسلل إلى حياة الأفراد والتلصص عليها، وتزداد القدرة على الحصول على المعلومات بشكل ملفت للانتباه، سوف تجعل من الخصوصية في القرن الحادي والعشرين، جزءا من تساؤل كبير تصعب الإجابة عليه إلا بمنطق التزامي أخلاقي.

8. خاتمة

استهدف هذا الفصل وبأسلوب تحليلي نقدي، التعرف على التحديات التي تواجه الاتصال في الوطن العربي مهنيا ومؤسساتيا ومجتمعيا ودوليا. واعتبر أن هذه التحديات هي تحديات مستمرة في القرن الحادي والعشرين.

وأبرز هذا الفصل مجموعة من التحديات الاتصالية، التي سيعيش معها مجتمعنا الكوني في القرن الحادي والعشرين، ولذا فقد استعرضنا دور النظام العالمي الجديد وتأثيره في ديمقراطية الاتصال، ورأينا أن عدم التوازن واللا مساواة في مجال الاتصال والمعلومات، سيظلان من علامات القرن. وكذلك أظهرنا أن مستوى التنمية البشرية في الوطن العربي، ما زال في مستويات متدنية تحتاج إلى مزيد من الجهد ونحن ندخل القرن الحادي والعشرين. ولا يمكن أن يتم تحقيق ذلك بدون نظرة جادة في دور الاتصال التنموي في إنجاز التنمية المستدامة.

ودرس هذا الفصل وقائع الاتصال الدولي. وما أفرزه من محطات فضائية أصبحت متاحة للجمهور. ومن خلال المنافسات الدولية والعربية فإننا في هذا الفصل نطرح مقولة جديدة ترى أن مقولة القرية العالمية الصغيرة التي تحدث عنها مكلوهان أفرزت لنا:

1. قبائل في قرية عالمية تعزز الخصوصية القومية في إطار العالمية.

2. إن ثورة المعلومات والاتصال – مصل شبكات الإنترنت – فإنها عمل على وجود نخبة عالمية.

واستنتجنا أن من تحديات الاتصال الجماهيري التي ستستمر في القرن الحادي والعشرين. هي سعي المؤسسات الإعلامية للربح، وذلك بترويج التسلية والاستهلاك (الإعلان) وغزو خصوصية الأفراد.

ونرى أن نجال الغزو الثقافي، مرهون بشروط أهمها استعداد الملتقى لذلك.

إن هذا الفصل لم يستقصى جملة التحديات، ولكنه ركز على أبرزها وهي تحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث.

المراجع

أولا: باللغة العربية:

1. أبو اصبع، صالح (1995) الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة (عمان، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع).
2. أبو اصبع، صالح (1989) التنمية العربية ودور الاتصال المفقود (مجلة شئون اجتماعية، مارس 1989).
3. أيلورث، جيل (1996) نمو النشاط التجاري على الإنترنت، ترجمة د. محمود الخفيف، مجلة الثقافة العالمية العدد 77/ يوليو 1996 (ص. ص 101 – 119).
4. الدركزلي، (1997) الإنترنت، ثورة المعلومات والثقافة والتعليم. مجلة آفاق الثقافة والتراث السنة (4) العدد (16) مارس 1997 ص. ص 33 – 43.
5. لجنة إدارة شئون المجتمع العالمي 1995 ، جيران في عالم واحد، ترجمة مجموعة من المترجمين، مراجعة عبد السلام رضوان (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة).
6. مجلة المستقبل العربي الملف الإحصائي، التنمية البشرية في الوطن العربي، العدد فبراير 1997. بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.
7. ماركوز، هربرت، 1998، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الآداب.
8. المصمودي: مصطفى، 1982، النظام الإعلامي الجديد (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب).
9. نيصبات، جون وابردين، باترشيا، 1991، الاتجاهات الكبرى عام 2000، مراجعة د. العجيلي السيري (فاليتا – مالطا – مركز دراسات العالم الإسلامي).
10. الهيتي، د. هادي نعمان 1966، الفضائيات الوافدة واحتمالات تأثيرها السياسي في الوطن العربي (بغداد، مجلة آفاق عربية، كانون الأول لسنة 21 ص 16 – 21.
11. 1996، دليل التنمية البشرية.

ثانيا: باللغة الإنجليزية:

Cherry. Colin 1978: World communication threat or promise? (Chichester – New York, John Wily & Sons.

الفصل الثاني

مصداقية الكلمة بين

ثوابت الثقافة ومتغيرات الإعلام

الفصل الثاني

مصداقية الكلمة بين
ثوابت الثقافة ومتغيرات الإعلام

مدخل:

إن عنوان الفصل "الكلمة والمصداقية عربيا بين ثوابت الثقافة ومتغيرات الإعلام" يثير ثنائيات تحتاج إلى دراسة وتفسح المجال للمقارنة بينها. هناك مصداقية الكلمة وهناك كذبها وتزيفها، وهناك ثوابت الثقافة وهناك متغيراتها، وهناك ثوابت الإعلام وهناك متغيراته أيضا.

ومن أجل وضع منهجية تتسق مع طبيعة هذا الوضع، فإن الدراسة ستنتهج ما يلي:

1- تحديد المفاهيم موضع الدراسة.
2- تحديد ثوابت الثقافة ومتغيراتها.
3- تحديد ثوابت الإعلام ومتغيراته.
4- دراسة العلاقة بين الثقافة والإعلام.
5- تأثير الثقافة والإعلام في مصداقية الكلمة.
6- خاتمة.

أولا: المفاهيم:

1-1- الكملة:

يقول الباحث اللغوي د. تمام حسان في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها، عند تفريقه بين الكلام واللغة إن الكلام "معايير تراعى، وميادين حركة، ووسيلة حياة في المجتمع، فهي عمل وسلوك ونشاط وحركة، وهو يحس بالسمع نطقا وبالبصر كتابة، فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب[1]، وبناء عليه فإن الكلمة التي نعنيها هنا هي كل رسالة منطوقة أو مكتوبة يتاح نشرها للجمهور عبر وسائل الإعلام الجماهيرية، وهذا يشكل كل ما تنشره وسائل الإعلام المقروءة من صحف ومجلات وكتب

---

[1] - د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة ، دار المعارف 1985، ص 22.

ونشرات وغيرها، ويشمل كذلك ما يتم بثه عبر وسائل الاتصال المسموعة أو المسموعة المرئية كالإذاعة والتلفزيون والسينما.

1-2- معنى المصداقية:

تعني هنا التزام الكلمة بالصدق في التعبير عن الحقيقة.

وهناك ثلاثة أنواع من الكلمات التي تنقلها وسائل الإعلام وهي: الكلمة الإبداعية والكلمة العلمية والكلمة الإعلامية.

- الكلمة الإبداعية مثقلة بالمشاعر وبالخيال.
- والكلمة العلمية هي كلمة العقل والواقع.
- والكلمة الإعلامية هي مزيج من المشاعر والعقل، مزيج من الخيال والواقع ولكل منها مصداقيتها الخاصة.

1-2-1- الكلمة الإبداعية والمصداقية:

تعرض تراثنا العربي منذ القرن الرابع الهجري لقضية الصدق والكذب في العمل الإبداعي، تعددت مواقف النقاد من هذه القضية ويلخص د. إحسان عباس هذه المواقف بقوله "تباينت مواقف النقاد كثيرا حول هذه القضية فمنهم من ربط الشعر الحق بالصدق ونفى عند الكذب ومنهم من جعل الكذب سببا لرفض الشعر ومنهم من وقف حائرا إزاءها لا يدري ماذا يقول ومنهم من اشتق طريقا وسطا[2]".

وليس هنا مجال لاستعراض تاريخي لآراء النقاد العرب القدامى حول قضية الصدق والكذب في الشعر ويمكن الإحالة إلى ابن طباطبا في كتابه "عيار الشعر" وعبد القاهر الجرجاني في "أسرار البلاغة" وقدامة بن جعفر في "نقد الشعر" والمرزوقي في "شرح الحماسة" والحاتمي في كتاب (الرسالة الموضحة) وابن رشيق

---

[2] - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت: دار الثقافة ط 2 ، 1987، ص 35.
لمزيد من التفصيل حول ظاهرة الصدق في الأدب العربي، يمكن الرجوع إلى الكتب التراثية التالية:

- ابن طباطبا	عيار الشعر
- عبد القاهر الجرجاني	أسرار البلاغة
- قدامة بن جعفر	نقد الشعر
- المرزوقي	شرح الحماسة
- الحاتمي	الرسالة الموضحة
- ابن رشيق	كتاب العمدة
- ابن بسام الشنتريني	الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة
- حازم القرطاجني	منهاج البلغاء وسراج الأدباء

في "كتاب العمدة" وبان بسام الشنتريني في "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" وحازم القرطاجني في "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" وغيرهم.

ونجد أن قضية الصدق قد لقيت عناية خاصة في أدبنا المعاصر وها نحن نجد ناقدا يخصص كتابا كاملا لدراسة قضية الصدق في الأدب ففي كتابه "وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي" يقوم الدكتور محمد النويهي بدراسة مسألة الالتزام وتعلقها بالصدق وهو يجد الصدق الذي يطلبه في الأدب بقوله:

إننا نعني أن يصدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي أحس بها فعلا، وإعلان عقيدته التي اعتقدها ولسنا نعني به أن يكون نقلا حرفيا للواقع الخارجي في كل حذافيره ... فالأديب ليس وظيفته أن يسجل الواقع كما هو في وجوده الموضوعي المستقل، بل وظيفته وسر أهميته العظمى أن يصور عاطفة الإنسان نحو هذا الواقع، ونظرته الخاصة الشخصية إليه، وموقفه منه، ورد فعله عليه فنحن نتطلب الصدق في الأدب، لأننا نريد من الأديب أن يكون تصويرا أمينا لحقيقة عاطفة الإنسان نحو الوجود، وسلوكه الحقيقي في تجارب حياته المختلفة، حتى نستطيع أن نفهم تلك العاطفة، ونقدر ذلك السلوك فهما وتقديرا صحيحين عميقين. والأدب الذي يصور لنا عواطف الإنسان على غير ما تحدث فعلا، والذي يصور السلوك الإنساني على غير ما يكون في تجارب الحياة. يعطينا صورة مشوهة خاطئة ... [3].

فالصدق الذي يرمي إليه النويهي هنا صدق يرتبط بطبيعة الأدب الذي يعتمد في جزء كبير منه على العاطفة، وهو يكاد يقصر فهمه للصدق بصدق العاطفة والتصوير الأمين لها.

وأما الدكتور محمد زكي عشماوي فهو يفرق بين الصدق في الحقيقة العلمية والصدق في الحقيقة الأدبية، إلا أنه يخطو خطوة أكثر نحو توكيد مفهوم الصدق في الحقيقة الفنية حيث يقول:

وإذا كان الصدق في الحقيقة العلمية مرده إلى ما لها من واقعية، يؤكدها المنطق وتثبتها التجربة العلمية، فإن الصدق في الحقيقة الفنية مرده إلى مدى ما يكون من تواؤم واستجابة بين التجربة التي تتضمنها قطعة من الأدب وبين ما يحدث أو يقع للإنسان من تجارب واقعة بالعقل أو ممكنة الوقوع .... [4].

---

[3] - د. محمد النويهي، وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية 1966 – 1977، ص ص 48 – 49.

[4] - د. محمد زكي عشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، بيروت: دار النهضة العربية، 1984، ص 15.

ولا شك أن التجربة الأدبية ليست تجربة عاطفية بحتة، إنها مجموعة معقدة من التجارب العاطفية والعقلية والعملية، ولذا فإن التجربة الأدبية – الإبداعية نتاج لهذه التجارب المركبة وتعبير عنها بأسلوب يلعب الخيال فيه دورا أساسيا.

إننا ندرك تماما أن تحديد المصداقية يعاني من تحديد مفهوم ما هي الحقيقة. ويعاني كذلك من تلك القضية القديمة الجديدة وهي الصدق في الأعمال الأدبية والفنية، وبين الصدق الفني والصدق الواقعي تظل الأزمة قائمة في الشعر الذي يمتاز بعاطفيته وخياله، وأما القصة والرواية والمسرحية فإنها تحمل رؤى فنية لأحداث مختلفة ليست هي الحقيقة. ولكنها تعبير عنها، إنها تحمل معها صدقها الفني وليس صدقها الواقعي.

1-3-1- الثقافة:

مصطلح الثقافة من المصطلحات التي تحمل دلالات تتصف بالعمومية حينا وبالخصوصية حينا آخر، وبين الدلالات الإنثربولوجية الاجتماعية للثقافة والدلالات الأدبية للمصطلح صلة وثيقة.

وقد لاحظ باحث عربي أن مفهوم الثقافة يخرج بمعان ثلاثة أساسية: معنى لغوي، وآخر فكري، وثالث اجتماعي[5].

والمعنى اللغوي: معنى معجمي لا حاجة، هنا، للخوض فيه.

تبنى د. مصطفى حجازي تعريف تايلور Taylor للثقافة بمفهومها الاجتماعي الواسع وهو أكثر التعريفات شيوعا في الدراسات الإنثربولوجية، وهذا التعريف يرى أن الثقافة: هي تلك المجموعة المركبة التي تتضمن المعارف والمعتقدات والفن والحق والأخلاق والأعراف وكل الاستعدادات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع[6].

ويخلص حجازي إلى أن الثقافة هي: ... مجمل ما يقدمه المجتمع لأبنائه من عادات وقيم وأساليب سلوك وتوجهات وعلاقات وأدوار وتقنيات كي يتعلموها ويتكيفوا معها. فهي نمط معيشة للجماعة لا أكثر ولا أقل. إنها طريقة ائتلاف هذه العناصر معا كي تكون كلا يعطي للجماعة طابعها المميز، وكيانا من أساليب السلوك

[5] - د. مصطفى حجازي وآخرون، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة، الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، 1990، ص 17.
[6] - المصدر نفسه ص 19.

والعلاقة والتعبير، ومع أن المقومات الأساسية للثقافة متقاربة في مختلف المجتمعات إلا أن هناك اختلافا في التآلف يعطي بني مختلفة ومتفاوتة في درجة تعقيدها، وهو ما يميز ثقافة عن أخرى[7].

إن هذا التعقيد في عناصر الثقافة هو الذي يجعل فهمنا لها لا ينحصر بالعادات والقيم والسلوك بل يتعداها إلى المؤسسات الاجتماعية التي تنبثق عنها تلك القيم والعلاقات. وتجعل دراسة الثقافة أشمل لتستوعب المؤسسات التي توجه السلوك الإنساني والأنشطة الأخرى كاللغة والإبداع.

وكما يرى الباحثان هيرسكوفتز Herskovits ورفيقه باسكوم Bascom أن الثقافة لا تضم المؤسسات الاجتماعية فقط وأشكال المكتسب التي تنبثق منها، بل تضم أيضا تلك المظاهر من قوة الإنسان الخلاقة التي تمكن الفنان من إنتاج شيء جديد متميز ينفرد في إنتاجه ضمن نطاق الأشكال والأنماط التي تعتبر جزءا من تقاليده، وتمكن الفيلسوف أو الكاهن من التوفيق بين التناقضات الظاهرية في المعتقدات الدينية، وتمكن الراوي من الاهتداء إلى نقطة تحول جديدة في موضوع إحدى القصص المألوفة. وهي التي تمكن المخترع من إدخال تغييرات تكنولوجية تستند إلى معارف سابقة، ولا تقتصر دراسة الثقافة على المؤسسات التي تتحكم في ردود أفعال الإنسان تجاه زملائه في المجتمع، وإنما تتناول أيضا أوجه السلوك الإنساني الخارجة عن نطاق المؤسسات كاللغة، والعلاقة بين اللغة والسلوك الإنساني والعلاقة بين الشخصية والثقافة، ونظام القيم الذي منح دلالته لطرق السلوك المقبولة عند أي شعب من الشعوب[8].

تضع رؤية الباحثين هيرسكوفتز وباسكوم عناصر أساسية للمفهوم الفكري للثقافة مثل الإبداع واللغة ونظام القيم والعقيدة كجزء أساسي من الثقافة من خلال التفاعل بين العناصر المختلفة – كما يرى د. عبد الله عبد الدائم: وذلك لأن الثقافة تضم جوانب حضارية تتصل باللغة والفكر والعقيدة والتشريع والقانون والأدب والفن والعلم والتقنية، ولذا فإنه حدد الثقافة بأنها جملة السمات والملامح الخاصة التي تميز مجتمعا معينا أو زمرة اجتماعية معينة سواء كانت روحية أو مادية، فكرية أو عاطفية[9].

ولقد شاعت رؤية للثقافة أكثر تحديدا وأكثر ارتباطا بمفهوم التنمية الفكرية واكتساب المعارف والآداب والفنون وترقية القدرة على التذوق والمعرفة الشاملة.

---

[7] - المصدر نفسه ص 21.

[8] - هيرسكوفتز وباسكوم، مشكلة الاستقرار والتغيير في الثقافة الأفريقية، في كتاب الثقافة الأفريقية، دراسات عناصر الاستمرار والتغير. وليم باسكوم وملفيل (محرران) ، ترجمة عبد الملك الناشف (بيروت: المكتبة العصرية 1966)، ص 22.

[9] - عبد الله عبد الدايم، في سبيل ثقافة عربية ذاتية: الثقافة العربية والتراث، بيروت، دار الآداب ، 1983، ص 26.

ويرى حجازي أن المفهوم الفكري للثقافة هو اكتساب المعارف التي تنمي الحس النقدي والذوق والحكم، وقد تتخصص الثقافة من خلال اكتساب معرفة متعمقة

في مجال معين كالفلسفة والأدب. أو الفنون والعلوم على اختلافها، أو هي تتخذ معنى عاما يدل على المعرفة خارج نطاق الاختصاص. وفي المجالات المختلفة التي تعتبر ضرورية لكل إنسان مستنير، مما يتيح له التعامل مع قضايا الإنسان عموما درجة متقدمة من الانفتاح والاستيعاب والشمول، ويشكل الاكتساب المعيار للثقافة الفكرية وذلك في مقابل الذكاء الفطري. وقد تم هذا الاكتساب من خلال عملية تربية منظمة تؤدي إليه[10].

ولا مندوحة في القول أن المعنى الفكري للثقافة يكتسب معاني عديدة تضيق إلى أن تصبح لدى البعض رديفا للآداب والفنون، مميزة هذين الجانبين من الإبداع الإنساني عن باقي العلوم.

وهذا ما حدا بباحث عربي إلى إعلان نقده للرؤى المختلفة في تعريف الثقافة والذي يرى أن الاختلاف جاء للسببين التاليين:

1- إطلاق الثقافة كصفة لظواهر وسيرورات Processes مختلفة ومتفاوتة بل ومتناقضة أحيانا لتمييز ميادين ذهنية ومادية مختلفة (ثقافة سياسية / ثقافة بدنية) أو لتمييز سلوك أو خصوصيات قومية، أو لتحديد مكانة اجتماعية (مثقف / أمي) أو لوصف مواقع سياسية (تقدمية / رجعية).
2- استخدام الثقافة للتعبير عن آليات ووظائف اجتماعية، فمنهم من يعتبرها بنية فوقية تتبع بنية تحتية تحدد لها وظائفها أو هناك من يعتبرها بنية أساسية تخضع لها جميع البنى الأخرى[11].

ولذا فإن برهان غليون يرى أن المشكلة تظهر في تحديد موضوع الثقافة، إذ يقول في هذا الجانب: هل هو نظام القيم والمعايير الذي ينظم حياة الجماعة ويتحكم بسلوك أفرادها وبسلوكها الجماعي واستمراريتها؟، أم هو الإنتاج الفكري للهيئة المثقفة من علماء وأدباء وفنانين؟ والذي يشكل مرآة صادقة أو كاذبة، لحياة المجتمع بكل ما تعنيه كلمة مرآة من سلبية. فالثقافة تعني بالمفهوم الأول القاعدة الأساسية التي تقوم بضبط المجتمع لبيئته وتاريخه وسيطرته عليهما، أي في الواقع تعامله سلبا أو إيجابا معهما. وتصبح بالتالي مصدر المدنية وعلتها، وتعنى بالمفهوم الثاني المتعة

10 - مصطفى حجازي وآخرون سبق ذكره، ص 18.

11 - برهان غليون، اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1987، ص ص 82 – 83.

التي يحصل عليها الإنسان من الثقافة واستهلاك الإنتاج الثقافي. فالنظرة الأولى ترى في الثقافة مجموعة قواعد، وترى فيها الثانية جملة منتوجات ومواضيع استهلاك[12].

من خلال هذا يمكن فهم الشروط التي تؤدي إلى انبثاق قيم معينة لجماعة ما، وتخلق لديها حقل دلالات خاصة روحية وعقلية تصوغ من خلالها الأسئلة والإجابات التي تسمح بالتكيف مع البيئة وتسير بها تاريخها وتخلق لها معاييرها التي تميز الوعي والسلوك، وهكذا فإن الثقافة هي مظهر للوعي الذي من خلاله يفهم الإنسان العالم وهي استجابة لواقع موضوع قائم خارج ذهن الإنسان[13].

ويتوصل غليون إلى تعريف الثقافة باعتبارها جملة الأنماط (القيم والقواعد والأعراف والتقاليد والخطط ...) الخ التي تبدع وتنظم لدى جماعة ما حقل الدلالات العقلية والروحية والحسية، وتحدد بالتالي لدى هذه الجماعة أسلوب استخدامها لإمكانياتها البشرية والمادية، ونوعية استهلاكها لبيئتها[14].

فالكلمة حسب هذا التعريف تدخل ضمن حقل الدلالات، ومن هنا فإن الصلة لا انفصام فيها بين الكلمة والثقافة.

وسائل الإعلام:

نعني بوسائل الإعلام هنا:

الوسائل التي بها تتم عملية الاتصال الجماهيري المتميزة بالمقدرة على توصيل الرسائل، في اللحظة نفسها، وبسرعة. إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات، ومع قدرتها على نقل الأخبار، والمعلومات، والترفيه، والآراء، والقيم، والمقدرة على خلق رأي عام وتنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجودة لدى الجمهور، وهذه الوسائل هي الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والكتاب والتسجيلات المسموعة والمرئية والإنترنت[15].

ولا غرو أن يقوم المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية الذي دعت إليه اليونسكو عام 1982 بالمكسيك بتحديد الصلة بين الإعلام والثقافة كما يلي:

---

[12] - المصدر نفسه، ص 83.
[13] - المصدر نفسه، ص ص 85 - 86.
[14] - المصدر نفسه ص 88.
[15] - صالح أبو أصبع، قضايا إعلامية، دبي: دار البيان، 1988، ص 230.

الاتصال هو أحد العناصر المكونة للثقافة لأنه مصدر تكوينها وعامل من عوامل اكتسابها وثرائها وأنه يساعد على التعبير عنها ونشرها[16].

ثانيا: ثوابت الثقافة:

في التقرير النهائي للخطة الشاملة العربية الذي وضعته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1986 تتبنى هذه الخطة مفهوم الثقافة باعتبارها مجموع النشاط الفكري والفني بمعناها الواسع مع ما يتصل بهما من مهارات ووسائل. وتدرج الخطة تحت عنوان الثقافة الاهتمام بالمجالات التالية: التراث الشعبي، طراز العمارة، الفن الإسلامي، المتاحف والآثار، اللغة العربية، الخط العربي، المخطوطات، الفنون التشكيلية، الموسيقى، الفنون الشعبية، الآداب، أدب الأطفال، وسائل الإعلام المكتوبة المسموعة والمرئية، ثقافة الشباب، وثقافة المرأة، وثقافة المعوقين[17].

وهذه الخطة تربط بين الهوية العربية والثقافة إذ أن الثقافة في هذا المنظور ترتبط بالهوية العربية حيث تمثل روح الأمة وأصالتها من ناحية كما ترتبط بالمستقبل نظرا لدورها في التنمية الشاملة، ووظيفتها في صناعة المجتمع وصوغ ملامحه وهويته وتماسكه من ناحية ثانية. فهي تشكل إذا ركن البناء الحضاري وأساس تماسك الأمة. تغرس جذورها في التراث الروحي والمثل العليا للأمة وتنبت فروعها في طموحاتها المستقبلية وما تتخذه لنفسها من أهداف إنسانية، وهي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل صانعة بذلك الهوية المميزة للأمة العربية في انفتاحها العالمي[18].

وفي تقرير اللجنة الفرعية حول السياسات الثقافية لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي عام 1981، أشارت إلى عناصر ثوابت الثقافة عندما تحدثت عن الهوية الثقافية العربية حيث توصلت إلى أن:

الهوية الثقافية العربية للأمة العربية إنما هي حالة ذاتية خاصة ترتبط بمقومات وجودها وإن اللغة العربية هي العامل الأساسي المحرك لهذه الذاتية وشرط حصانتها وديمومتها أيضا ... إن الذاكرة الثقافية للأمة إنما هي حصيلة تجارب

الإنسان العربي ومشاركته الحضارية عبر التاريخ، وما قام به الشعب العربي من إنتاج وإبداع وتفكير عبر الزمن، وما يحتاج إليه في تثبيت واقعه الثقافي من حضارة عربية إسلامية ما زالت قائمة ... فإن الدول الاستعمارية ما زالت وبالرغم من خروجها من الأرض العربية تعمل على استلاب الثقافة وتفكيك الذاتية الثقافية العربية

---

[16] - سعد لبيب، دراسات في العمل التلفزيوني العربي، بغداد: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي 1984، ص 39.

[17] - حجازي وآخرون سبق ذكره، ص 28.

[18] - المصدر نفسه ص 28.

... وتدفع المواطن العربي إلى الاغتراب الثقافي في بلاده ... ساعية إلى تمرير الثقافة الاستهلاكية بشكل دائم وغير مباشر ... بالإضافة إلى الغزو الصهيوني المباشر والشرس للأمة العربية ولثقافتها محاولا تخريب هذه الثقافة وتحطيم مقوماتها[19].

1-2- الذاتية الثقافية والدفاع عنها:

إن تميز كل مجتمع من المجتمعات بمجموعة من الخصائص هو الأساس في تشكيل الذاتية الثقافية. وتبرز أهمية الدفاع عن الذاتية الثقافية في عصر يمتلك وسائل اتصال إلكترونية أحالت العالم إلى قرية عالمية حسب تعبير مارشال مكلوهان [20]. ومع امتلاك الغرب لتقنية الاتصال وتصنيعه للأجهزة، وإنتاجه للمعلومات، وتفوقه العلمي والتكنولوجي، فإن سيطرته على المعلومات في هذا العصر أصبحت طاغية. وأضحى النموذج الثقافي الغربي نموذجا يفرض نفسه كاختيار وحيد أمام الثقافات الإنسانية. وأصبح التساؤل المطروح أين موقع الثقافة العربية أمام مزاحمة الثقافة الغربية!؟

إن سمات الثقافة العربية تطرح لنا إجابة لهذا التساؤل. فتاريخ الثقافة العربية يؤكد على أن من إحدى سماتها الانفتاح على الثقافات الأخرى والتفاعل معها مع الاحتفاظ بخصوصيتها. وهذا يعني أن الذاتية الثقافية تقبل التغيير دون أن تقع في حضن التغريب. وهو يعني أيضا التواصل بين التراث والمعاصرة، ولا شك أن اللغة العربية تشكل عنصرا أساسيا في نقل الثقافة وتشكيلها واستمرارها، وهي لغة غنية قادرة على التطور، وعلى استيعاب تقنيات العصر ومبتكراته، وتلعب وسائل الإعلام دورا أساسيا في حماية الذاتية الثقافية.

خصائص الثقافة العربية ووظائفها ومبادئها:

قبل أربعين سنة وبالتحديد عام 1959 وقف باحث عربي وهو الدكتور عبد الهادي هاشم ليلقي محاضرة تحت عنوان ثقافة عربية أصيلة[21]. وفي هذه المحاضرة حدد ملامح الثقافة العربية الموروثة، ثم بين الأسس التي يجب أن تقوم عليها ثقافتنا المستقبلية متسمة بالأصالة والإبداع والخير. وهذه الأسس هي:

---

19 - السياسات الثقافية لمؤتمر الوزراء والمسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي. تونس: المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة 1981، ص 263.

20 - Marshal Mcluhan: Understanding media: The extentions of man, New York : McGraw – Hill book 1965, p. 7.

21 - عبد الهادي هاشم، نحو ثقافة عربية أصيلة، محاضرات الموسم الثقافي الخامس، الكويت: مطبعة دولة الكويت 1959، ص 115 – 136.

1- الإيمان بأمتنا ورسالتها وإمكاناتها وطاقاتها المدخرة الموروثة الأصيلة.
2- الإيمان بالتقدم، وتحقيق المستقبل الزاهر يستلزم العزم والجهد والدأب.
3- الثقافة ترتبط بواقع الأمة وآلامها وآمالها وتعبر عنها.
4- الثقافة حق للجميع لن تقام السدود في وجه أي مواطن.
5- ثقافة المستقبل تنهل من الثقافة المغايرة حيث يتصل المستقبل بالماضي والغابر بالآتي.
6- الخلق الصافي الكريم الذي عرفنا به في الماضي هو معيار السلوك ويعدل الجامع من غرائزنا.
7- الثقافة العربية ستسعى إلى تحرير الإنسان من عبودية المال وسيطرة الآلة وستهدف إلى تحرير الإنسان من الخوف والقلق والجوع والمرض والجهل.
8- ستسعى الثقافة العربية إلى تنمية الذوق. وتصقل الشعور وتدعم الفن المبدع.
9- ستعنى الثقافة العربية بالمادة ولن تكون روحا كلها وستقر للآلة والمادة حقهما لتفيد الروح منهما.
10- الثقافة العربية ستكون منطلقة منفتحة تأخذ القصي، تفيد وتستفيد.
11- تسعى الثقافة العربية إلى خلق الثقافة الإنسانية الكاملة التي تسمو على حدود الأقوام والأعراق، الثقافة التي تهيئ للبشر كلهم حياة أفضل.

إن جملة هذه العناصر تشكل عناصر أساسية مثالية لثوابت الثقافة العربية وهي في طياتها تحمل جوانب التغير، فنحن جميعا نؤمن بالتقدم، وبأن الثقافة هي

ثقافة المستقبل، فإن هذا يعني إيمانا بقيمة أساسية تحمل في كنفها روح التغيير المستمر للثقافة العربية.

وفي التقرير النهائي لخطة الثقافة العربية الشاملة تحديد لخصائص الثقافة العربية التي تبرز مجموعة من الثوابت التي تكاد تلتقي مع العناصر السالفة، وهي تتمثل فيما يلي:

1- عراقة الثقافة العربية التي تطورت عبر ألوف السنين.
2- ارتكازها على مجموعة من القيم الإنسانية مثل الحق والعدل والمساواة والكرامة واحترام المعرفة.
3- اتسامها بالشمول في جميع المظاهر من آداب وعلوم وفنون وعمران.
4- مقدرتها على التفاعل مع الثقافات الأخرى دون فقدانها لأصالتها وتميزها مما جعل لها بعدا عالميا.

وتتركز وظائف الثقافة القومية في تحقيق أهداف الأمة العربية التي تتمثل في ما يلي:

- الاستقلال في مواجهة الهيمنة والاستعمار.
- الوحدة في مقابل التجزئة.
- الديمقراطية في مواجهة الاستبداد.
- العدالة في مواجهة الاستغلال.
- التنمية في مواجهة التخلف.
- الأصالة في مواجهة التبعية والتغريب.
- الحضور القومي بين الأمم.
- تجاوز الانقسام بين فريق يخاصم الماضي وفريق يخاصم المستقبل.

وبناء على الخطة الشاملة للثقافة العربية. فإن المبادئ الرئيسة التالية هي التي تحقق وظائف الثقافة وهي:

-حق العربي في اكتساب الثقافة والتعبير عنها باعتباره غاية كل تنمية.
- شمولية عملية التخطيط للتنمية حيث تشكل الثقافة ركنا أساسيا فيها، ذلك أن التطوير الاقتصادي والاجتماعي لا يتم إلا بالتخطيط الثقافي الذي يحدد الأهداف المستقبلية للأمة.
- يشكل التراث الحضاري العربي الإسلامي الركن الأساسي في الثقافة العربية.
- بما أن الشفافية هي الزاد الفكري والروحي للجميع فلا بد لها من أن تكون ديمقراطية وجماهيرية إنتاجا واستهلاكا.
- قومية الثقافة ووحدتها عربيا كإطار يعطي الخصوصيات القطرية كل غناها.
- دينامية الأصالة والمعاصرة، الخصوصية العربية والانفتاح العالمي.
- مسؤولية المؤسسات الرسمية والشعبية في التخطيط الثقافي الشامل وفي ترجمة هذه الخطط إلى برامج منفذة فعليا[22].

2-2- الثقافة والتغير.

إن التغير من الصفات اللازمة لكل الثقافات. وفي عصرنا الحالي، عصر الاتصالات وانفتاح الثقافات على بعضها أصبح التغير أكثر وضوحا وأسرع حدوثا. لقد كان للاستعمار دوره الكبير في التأثير في دول العالم الثالث التي رضخت للاستعمار عقودا طويلة، وهذا مما أدى إلى أشكال من التغيير والتبدل والتحلل في بعض الثقافات التي أصيبت بأخطار تهدد هويتها الثقافية. وباتت الثقافات التقليدية محاصرة إزاء ثقافات المستعمرين والثقافات الوافدة. ومن هنا باتت وسائل الإعلام تلعب دورا رئيسا في التأثير في الثقافات الوطنية.

---

[22] - حجازي وآخرون سبق ذكره، ص 12.

ويتحدث أمانويل بوشيا دامس عن التجربة الآسيوية في هذا المجال بكلمات تكاد تنطبق على ثقافات العالم الثالث إذ يقول "ويحس الجميع في الوقت الحاضر بالحاجة إلى تكوين هوية وطنية، وتثبيتها نسبة إليهم وللعالم، ويتجهون عامة للتعبير عن هذه الحاجة نحو ثقافتهم التقليدية ليستمدوا منها الإلهام والعون، ولا يجهلون

بالتأكيد أنه من غير المعقول العودة بالزمن إلى عهد ذهبي نعموا به في القرون الماضية. وما يريدونه فعلا هو تشييد مجتمع يتوافق مع نظام قيمهم الخاص، وتراثهم الثقافي الأصيل، وملاءمة هذا النظام والتراث مع الظروف الحالية.

وهم يعون في هذا الصدد المخاطر التي ترافق التقنية الجديدة ووسائل الإعلام الواسعة التي توشك بطريقة ما أن تؤدي إلى تفكيك أساليب الحياة والتفكير التي تجسد الطابع الوطني، لكن النتيجة الأشد خطورة كانت في حصر الثقافة بالتسلية كما كان جاريا في الدول الغربية[23].

وإذا كانت الثقافة – على حد تعبير هيرسكوفتز وباسكوم – تتناول طريقة حياة الشعب وسلوكه التقليدي – بمعناه الواسع – الذي يضم أفكاره وتصرفاته وأشغاله اليدوية والتي تتخذ نمطا معينا يصبح السلوك في المجتمع ليس اعتباطيا أو عشوائيا، ولكن ذلك لا يكون صارما بلا معرفة إذ يختلف من فرد إلى فرد ومن وقت إلى آخر[24].

ولعل أهم ما يميز البشر عن سائر المخلوقات هو الثقافة إذ أن الإنسان هو الوحيد الذي يستعمل اللغة، ويصنع الأدوات، وهو الوحيد الذي يؤمن بالأديان ويمارس الفنون والأوجه الأخرى من النشاط الثقافي[25].

بالعلم يتم اكتساب الثقافة، وما يتم اكتسابه بالعلم يمكن أن يتم تعديله نتيجة زيادة التعلم، وهذا يعني أن أي ثقافة من الثقافات هي عرضة للتغير، وتزداد إمكانيات التغير كلما اتصلت هذه الثقافة بثقافات أخرى، وكلما ازدادت قوة المؤثرات الداخلية والخارجية فيها، ولكن هذا لا يعني أن عناصر الثقافة وأبعادها قابلة للتغيير كلية، أو الاستبدال. فالمعتقدات والقيم السائدة في ثقافة ما يبقى فيها ما يحفظ تماسك مجتمعها ويحول دون ذوبانه في ثقافة أخرى جديدة أو وافدة.

إن من أهم خصائص الثقافة أنها عملية Process وأنها متفاعلة Interactive وإنها من صناعة الإنسان في مجتمعه، ويصبح الإنسان أيضا من

---

[23] - أمانويل بوشيا دامس ، التنمية الثقافية، تجارب إقليمية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983، ص 194.

[24] - هيرسكوفتز وباسكوم سبق ذكره، ص 12.

[25] - المصدر نفسه، ص 12.

صنعه الثقافة في مجتمعه. والثقافة مجموعة من التراكيب المتفاعلة تدخل في بينتها التكنولوجيا واللغة والتركيب الاجتماعي والتركيب المعتقدي والديني والتركيب الجمالي، وهذه التراكيب متفاعلة داخل المجتمع الواحد ومتفاعلة في علاقاتها بالمجتمعات الاخرى[26].

تعني هذه الرؤية أنه على الرغم من وجود ثوابت في كل ثقافة، إلا أن هذه الثقافة عملية وهي في حالة تغير، تأثيرا وتأثرا، وهي تحتاج للحفاظ على استمرارية لعناصر ثقافتها التقليدية، ولذا فإن البلدان المهددة ثقافتها بطغيان الثقافة الأجنبية عليها أن تجد معا وكل فيما خصه، وسيلة إدخال هذا الجهاز الذهني وهذه المادة الضرورية للتنمية وهي التنمية الحديثة، في استمرارية ثقافية تمنع الانفصال عن الماضي، وليس هذا الأمر سهلا، ولا يمكن حفظ الأساليب القديمة بالتمام.

وعلى القيم التقليدية أن تتجدد، وتنبثق عنها قيم جديدة تكملها، وتحافظ على خصائص الشخصية الثقافية القديمة، ودمجها بالحضارة العلمية والتقنية التي ستغزو العالم بالتأكيد. وبهذا يمكن لآسيا أن تؤدي خدمة للعالم أجمع، وليس مستبعدا أن تؤثر بعض تركيباتها على الدولة الصناعية وخاصة بصرفها عن بعض المبالغات التي يتم إدراكها في الوقت الحاضر[27]. ولكل مجتمع ثقافته بما تمتلكه من خصوصية.

وإذا كانت الثقافة تمتلك من بين عناصرها موروثات ثقافية من جيل إلى جيل إلا أن هذا لا يعني أن الثقافة لا تعيش بمعزل عن السياق التاريخي والاجتماعي الذي تولد فيه وتتطور وتتبدل في قيمها وفي آليات استجاباتها أيضا. وإنما تشكل نظاما تحكمه قواعد محددة ويخضع كغيره من النظم المجتمعية إلى التغير والتطور والموت. وليست المعايير والمنظومات العقلية أو الروحية التي تنشأ عن ثقافة ما عبر التاريخ. وترتبط بحقب تاريخية معينة، معطاة مرة واحدة وإلى الأبد، وليست القيم التي تمثلها عناصر متماثلة وصلدة لا يدخل إليها الشك أو التمايز أو التناقض[28].

إن المشكلة الأساسية التي تواجه الثقافة العربية مثلها مثل الثقافات الأخرى تتمثل بالظاهرة التي أخذت أسماء عدة مثل الغزو الثقافي، والاستعمار الثقافي، التلوث الثقافي والاستعمار الإلكتروني والاختراق الثقافي والإمبريالية الثقافية والهيمنة الثقافية.

---

[26] - د. فؤاد شاهين، علم الاجتماع ومفهوم الثقافة، مجلة الفكر العربي ، العدد 14 السنة 20، آذار – نيسان 1980، ص ص 62 – 63.

[27] - أمانويل بوشيا دامس سبق ذكره، ص 195.

[28] - برهان غليون، سبق ذكره، ص 106.

وهذه الظاهرة ليست حكرا على ثقافات العالم الثالث، ففي عام 1986 وقف وزير خارجية كندا معلنا في خطاب أمام ندوة الحوار الكندي – الأمريكي قائلا: إن مشكلتنا مع الولايات المتحدة ليست قاصرة أساسا على حجم الولايات المتحدة أو على أننا نرقد على سرير واحد مع فيل ضخم – على حد التعبير في هذا التشبيه المعروف – ولكن أكبر مشكلة تواجهنا هو مدى جاذبية الحياة الأمريكية بالنسبة لمعظم الكنديين ومدى ولع الكنديين بالمؤسسات الأمريكية، والمستوى الثقافي الرفيع الذي حققته الولايات المتحدة والإحساس القوي لدى الأمريكيين بأمريكيتهم. إننا ننجذب بعنف شديد إلى الولايات المتحدة – لثروتها، لشراء وتنوع الحياة فيها – ومع ذلك فإننا نصر في عناد على أننا نفضل كياننا المنفصل، رغم ما نتكلفه في سبيل ذلك ماديا وغير ذلك[29].

إن شكوى الوزير الكندي تلك تعبر عن مرارة الهيمنة الأمريكية والتي بدأت تغزو العالم من خلال وسائل الاتصال الإلكترونية وهي في حقيقة الأمر تشير إلى مدى الخطورة التي تواجهها الثقافات التي بينها وبين الثقافة الأمريكية مسافة كبيرة مثل الثقافة العربية، ورغم أن الثقافة الكندية ذات مرجع ثقافي غربي مشترك مع الثقافة الأمريكية إلا أنها ما زالت تعاني من مشكلة الهيمنة الثقافية.

إن معظم ما يشاهده الجمهور العربي من أعمال درامية وأفلام وأخبار تأتينا من الغرب، وعلى وجه التحديد من الولايات المتحدة، وهذه البرامج على اختلافها تحمل معها رؤاها الثقافية، وتعبر عن قيم المجتمعات التي أنتجتها، وهي تترك تأثيراتها في الأفراد والجماعات، وليس بالضرورة أن تكون تلك التأثيرات مباشرة، لكنها تتسلل وتختزن في لا وعي المتلقي، حيث تظهر تأثيراتها مستقبلا في الأفراد والجماعات مما يؤثر في قيمهم وأفكارهم ويؤدي إلى ظاهرة الاستلاب الثقافي إذ يقع الأفراد في أزمة الاغتراب وخاصة فئة الشباب.

ويرى تقرير الأليكسو أن الاغتراب "تعبير عن عدم الرضا وعن الرفض للمجتمع وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان"، وأشده فقدان ا لذات، مما يخلق عند الفرد شعورا بالبؤس فلا يستطيع أن ينمي بحرية طاقته الفسيولوجية أو العقلية ويستحيل إلى شخص منهوك القوى جسمانيا، متمزق عقليا، ويرتبط بهذا شعور بالوحدة والخوف وعدم الإحساس بتكامل الشخصية وشعور الإنسان أنه أصبح فردا بلا موضع واضح، ضحية ضغوط غامضة ومتصارعة، يعيش للمجتمع ولا يجد من المجتمع ما يقدمه له، الأمر الذي يؤدي به إلى فقدان الثقة وبالتالي عدم الالتزام الاجتماعي والتسيب.

---

[29] - د. رمانكيكار ترجمة فائق فهيم، تدفق المعلومات من الدول المتقدمة والنامية، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر 1982، ص 88.

ومن هنا كانت الحاجة إلى بلورة فكر عربي أصيل يستند إلى القيم الدينية التراث الحضاري والثقافي، في مواجهة هذا السيل من التيارات الفكرية التي تتصارع على خريطة العالم، أي تأكيد ذاتيتنا الثقافية[30].

إن البحث عن سبيل لحماية الذاتية الثقافية هو بحث عن سبيل للالتزام بثوابت الثقافة، وإدراك أن أشكال السيطرة الثقافية وما يمكن أن تؤديه من تلوث ثقافي تفرض علينا السعي إلى التحرر من آثار التبعية الثقافية، التي ترمي إلى طغيان وسيطرة الثقافة الغربية على الثقافة العربية. وعلى الرغم من الحرص على ذاتية الثقافة واستقلاليتها إلا أن هذا لا يعني أن تأخذ الثقافة طريق الانغلاق، لأن ذلك يحول دون إمكانيات تطورها وإبداعها، فالثقافة – أي ثقافة – تحتاج إلى التفاعل البناء بين الثقافات المختلفة.

وكما يرى تقرير اليونسكو الذي أعده ماكبرايد ورفاقه: "والثقافة لا تتطور بانغلاقها على نفسها داخل قوقعتها وإنما تتطور بالتبادل الحر مع الثقافات الأخرى، والحفاظ على الصلة بكل قوى التقدم الإنساني، بيد أن التبادل الحر لا بد أن يكون أيضا على قدم المساواة، وقائما على أساس الاحترام المتبادل، ولكي نضمن هذا فسيكون من الضروري في أحيان كثيرة أن تتم حماية وتعزيز الثقافات المهددة، وتطوير الاتصالات على أساس الاحترام المتبادل، ولكي نضمن هذا، فسيكون من الضروري في أحيان كثيرة أن تتم حماية وتعزيز الثقافات المهددة، وتطوير الاتصالات على الصعيد المحلي، وتمهيد السبيل لأشكال بديلة من الاتصال كترياق مضاد لضغوط وسائل الإعلام الكبرى. كذلك ينبغي أن نؤكد أن المشكلة لا تنحصر في العلاقات بين أمة وأخرى، بل كثيرا ما تنشأ في أكثر أشكالها حدة وأشدها خطرا داخل الأمم التي تضم بين سكانها أقليات ثقافية[31].

ثالثا: العلاقة بين الثقافة ووسائل الاتصال:

3-1- الصلة بين الإعلام والاتصال والثقافة:

الاتصال هو العنصر الأساسي في الحياة البشرية والذي يجعلها ممكنة، وهو وعاء الثقافة وناقلها، وهو أيضا أسلوب التعبير عنها، ووسائل الاتصال لها الدور الأساسي في حماية الثقافة ونقلها وتغيرها أيضا. وهي كما يرى تقرير اليونسكو إن وسائل الاتصال هي أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف أو التأثير فيها. وعلى حفز وتعزيز ونشر الأنماط السلوكية وتحقيق التكامل الاجتماعي، وهي تلعب أو

---

30 - سعد لبيب، سبق ذكره، دراسات في العمل التلفزيوني العربي، ص 790.

31 - شون ماكبرايد ورفاقه، أصوات متعددة وعالم واحد، الاتصال والمجتمع اليوم وغدا، الجزائر: اليونسكو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 85.

يتعين عليها أن تلعب دورا أساسيا في تطبيق السياسات الثقافية وفي تيسير إضفاء طابع ديمقراطي على الثقافة، وهي تشكل بالنسبة لملايين من الناس، الوسيلة الأساسية في الحصول على الثقافة وجميع أشكال التعبير الخلاق، كذلك فللاتصال دور في تدبير شؤون المعرفة وتنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمع، وبخاصة جمع المعلومات العلمية ومعالجتها واستخدامها. وهو يستطيع – احتمالا على الأقل – إعادة صياغة القالب الثقافي للمجتمع. ومع ذلك ففي هذا المجال كما في سائر المجالات. فإن التطور السريع للتكنولوجيا الجديدة ونمو البنى المصنعة التي تمد سيطرتها على الثقافة وعلى الإعلام، يخلق مشكلات وأخطارا[32].

ومن هنا تتضح لنا أهمية دور وسائل الاتصال في التأثير في الثقافة بأنماطها المختلفة فقد لعبت وسائل الاتصال – وما زالت تلعب – دورا أساسيا في تشكيل الثقافة وخلق أنماط جديدة منها.

وسائل الإعلام وأنواع الثقافة:

يفرق الباحثون في مجال الثقافة بين ثلاثة أنواع من الثقافة: الثقافة الراقية High culture ، والثقافة الشعبية Popular culture، والثقافة الجماهيرية Mass culture.

فالثقافة الراقية: هي ثقافة الصفوة والتي سجلت في الكتب الدراسية والأدبية والفنية، وفي الأعمال الفنية الراقية والتي أنتجت للنخبة المتعلمة.

أما الثقافة الشعبية: فيه تتسم بالتلقائية التي يصنعها الشعب وتنمو نموا من أسفل، تصنعها الجماهير لتعبر بها عن نفسها من خلال مواهب طبيعية لدى الفنان الشعبي.

أما الثقافة الجماهيرية: فيه التي تستمد مضمونها من الثقافة الراقية ومن الثقافة الشعبية، وهي منتج من منتجات وسائل الاتصال الجماهيري الراديو والأفلام وكتب التسلية والقصص التلفزيونية والسينما، وهي معدة للاستهلاك الجماهيري وتتسم بالتماثل وتعمل على إرضاء أذواق الجماهير وتعمل على توحيدها وهي ثقافة مصنعة مفروضة على الجماهير من أعلى. فالثقافة الجماهيرية: هي الوسائل الاتصالية التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيري غير موجهة إلى طبقة محددة ولا أي مستوى ثقافي أو تعليمي محدد[33].

---

[32] - المصدر نفسه، ص ص 82 – 83.
[33] - أنظر:

ويرى ريفرز ورفيقاه Rivers, et. Al أن قد: أصبحت الثقافة الجماهيرية عمليات ممكنة في ظل الظروف الاستهلاك الكبير والتقدم التكنولوجي الذي سهل الاتصال، وجعل منه تجارة رائجة. وهكذا باتت الرسائل الإعلامية تخضع لقانون السوق التجارية، وحيث أن السوق التجارية تتطلب دوما المزيد من السلع بأرخص الأسعار، ولتخاطب متوسط الأذواق، فإن هذا يستدعي تبسيطا وتسطيحا للثقافة. والهدف دوما هو كسب أكبر قدر من الجمهور القارئ أو المستمع أو المشاهد، ولكي يتحقق ذلك لجأت وسائل الإعلام إلى اقتناص جمهورها تستحوذ على الانتباه وخاصة من خلال الترفيه والتركيز عليه[34].

ومن هنا فإن مضمون الثقافة الجماهيرية يعتمد على الأغنية والتمثيلية والفيلم والقصة المنشورة في المجلة، إنه مضمون ترفيهي مسيطر.

وكما أشرنا في موضع آخر بأن العلاقة بين وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية علاقة تفاعلية، فبينما تقوم وسائل الإعلام بضخ مضامينها كمنتجات موجهة إلى استهلاك جماهيري، إلا أنها تحمل في طياتها قيما أصبحت تفرض نفسها على جمهور المتلقين. وباتت هذه الثقافة الجماهيرية تشكل قيما تؤثر في المتصلين. لقد أصبحت المسلسلات تكرس شخصية الحرفي الجاهل الذي يمتلك الثروة كشخص مقبول للزواج من طبيبة أو مهندسة، لقد أصبحت الرياضة – على سبيل المثال – سوقا رائجة لدى الإعلاميين، لأن لها شعبيتها أصلا ثم تغذيتها وحقنها للجماهير من خلال وسائل الإعلام.

وهكذا تقوم وسائل الإعلام بترتيب الأولويات وبناء المسرح، وتحديد مواقع الممثلين عليه، وتطالب الجمهور بالمشاهدة، بأسلوب يمتاز بالمحاصرة والتكرار، مما يجعل الجمهور يقبل على هذه البضاعة الجماهيرية التي تعرض أمامه – وأحيانا بدون وجود اختيارات كبيرة حتى وإن تعددت الوسائل الإعلامية أو اختلفت[35].

ولعل من أهم المشكلات التي تواجه الثقافة الجماهيرية الآن هو سيطرة الترفيه على مضمون وسائل الإعلام، بالإضافة إلى أن الزاد الثقافي الذي تقدمه يكون سطحيا، وهنا تصاب الكلمات بفقر في محتواها يشكك في مصداقيتها.

Dwigh Mgcdonald A theory of mass culture " in bonard Rosenberg and Dacvid while (eds) New York: The free press, 1975, blak & heroldsen : " A taxonomy of concepts in communication " New York : Hastings house, 1979.

ج - جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت، ص ص 421- 422.

د – د. صالح أبو أصبع ، سبق ذكره، ص 234.

[34] - صالح أبو أصبع ، سبق ذكره، ص 234.

[35] - ماكبرايد ، سبق ذكره، ص 84.

إن هذه المشكلة ليست مشكلة محلية، فوسائل الإعلام الجماهيرية أصبحت تقدم الخبرات الثقافية لمئات الملايين من البشر. وتقدم خبرات جديدة إلى الأجيال الجديدة، التي توفر لهم ثقافة جديدة، وأشكالا ترفيهية بدأت تسيطر على وقتهم.

ولكن هذا الترفيه، وكما أشار تقرير اليونسكو "مبتذل ونمطي بدرجة تجعله يحد من الخيال بدلا من أن يثيره، وتحمل تأثيرات المصالح التجارية والإعلانية وكذلك ما يقره البيروقراطيون من كل نوع من التزام ثقافي عقيم، مخاطر تسطيح وإفقار وتجويف الحياة الثقافية، وليست هذه هي كل أوجه التناقض، في بعض الأحيان أدت الفرص الجديدة المتاحة إلى إثارة الإبداع الخلاق لدى الأفراد، وأدت في أحيان أخرى إلى تشجيع التقليد والسلبية لدى الجمهور، وقد تأكدت في بعض الأحيان الذاتية الثقافية للأقليات العرقية وغيرها من الأقليات باستغلال السبل الجديدة للتعبير، وإن كانت المؤثرات الخارجية قد طغت عليها في أكثر الأحيان، إن المسؤولية الملقاة على عاتق وسائل الإعلام الجماهيرية مسؤولية هائلة – سواء كان ذلك خيرا أم شرا – ذلك أنها لا تقوم بمجرد نقل الثقافة ونشرها بل بانتقاء محتواها أو ابتداعه[36].

رابعا: وسائل الإعلام والمصداقية:

4-1- ثوابت الإعلام.

في 1964/2/21 صدر دستور الاتحاد العام للصحفيين العرب والفقرة (ب) من الدستور تشتمل على ميثاق العلم[37]. وهذا الميثاق يمثل نظريا أساسا للثوابت التي يجب أن يلتزم بها الصحفيون العرب، وهنا سوف نشير إلى العناصر التي ترتبط بمصداقية الكلمة، وهي تتمثل بالثوابت التالية:

1- حرية الصحافة: هي أبرز مظاهر حرية الكلمة ويجب أن تتوافر لها كل الضمانات، وحرية الكلمة حق وشرف وواجب على الصحفيين العرب لأداء رسالتهم.
2- على الصحفي أن يتوخى الأمانة والصدق في بسط وتفسر رأيه وأن يراعي دائما المصلحة العامة في كل ما يقدم للرأي العام.
3- على الصحفي أن يكون حريصا على ألا يشوه أو يخفي بأية طريقة من الطرق عمدا الوقائع الصحيحة.
4- إن شرف مزاولة المهنة الصحفية يحتم على الصحفي ألا يسعى مطلقا وراء منفعة شخصية، فالافتراء أو التشهير المتعمد أو التهم التي لا تستند إلى دليل

---

[36] - د. صابر فلحوط وسجاد الغازي، الاتحاد العام للصحفيين العرب: تأسيسه، مؤتمراته قراراته، بغداد: الاتحاد العام للصحفيين العرب، 1982، ص ص 12 – 13.
[37] - المصدر نفسه، ص ص 124 – 125.

أو انتحال أقوال ونسبتها للغير أنو إثارة الغرائز بالكتابة أو الرسوم أو بأية طريقة أخرى أو إشاعة الانحلال والابتذال والخروج على الآداب والأخلاق العامة أو وصف الجريمة بطريقة تغري بارتكابها كل هذا ما يتنافى مع شرف المهنة وأصولها.

وفي توصيات ومقررات المؤتمر الثالث لاتحاد الصحفيين العرب المنعقد في بغداد 17 – 20 نيسان 1972 أضيفت إلى الثوابت توصيات ترتبط مباشرة بمصداقية الكلمة إذ طالبت بـ:

5- أن يلتزم الصحفيون باحترام الحقوق الأدبية للنشر وعدم اقتباس أي أثر من آثار الغير دون إشارة إلى مصدره.
6- لا بد أن تتضح التفرقة بين الرأي والإعلان ولا بد أن ينص في الجرائد والمجلات على الإعلانات التحريرية بوضوح وتحديد.

وتلتزم الصحف والمجلات ووسائل النشر بالتحقق من الأرقام والحقائق الواردة في الإعلان حفظا لمكانة الصحيفة وسمعة الصحافة[38].

وقد طرح تقرير المنظمة العربية للثقافة والآداب والعلوم أن النظام العربي الجديد للإعلام والاتصال يهدف إلى تحقيق التطور للفرد والمجتمع بمساهمة الإعلام، ولذا فإن هناك مهمات أساسية لوسائل الاتصال يمكننا تصنيفها كما يلي[39]:

1- في المجال البشري: بناء شخصية الفرد العربي وتكوينه النفسي والفكري، وتطوير النظرة إلى المرأة العربية والمساهمة في تربية الأطفال وتكوينهم، والاهتمام بإعداد الشباب العربي وتثقيفهم، والاهتمام بمشاكل المعوقين والمسنين.
2- في مجال الحريات: ضمان حرية الإبداع وحق الاتصال والحوار وممارسة الحريات بمختلف أشكالها.
3- في المجال الاقتصادي والتنموي: تقوم وسائل الإعلام بالمساهمة في التنمية الشاملة، للحياة وترسيخ قيم جديدة في مجالات النشاط الاقتصادي، والمساهمة في إجراء الحوار والنقد حول الخطط التنموية ومشاكلها، وتعريف الفرد بأهداف التنمية، وتقويم المشاريع ومستوى الأداء والنتائج لخطط التنمية.

---

[38] ـ اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال في الوطن العربي، الإعلام العربي حاضرا ومستقبلا، نحو نظام عربي جديد للإعلام، والاتصال، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987.
[39] ـ فريدة النقاش، حول التبعية الثقافية والإعلامية وإمكانية الخروج منها، مجلة أدب ونقد، العدد السابع، السنة الأولى، 1984، ص 13.

4- في المجال الثقافي: ترسيخ الثقافة القومية والحفاظ على الخصوصية القومية، وتغيير اتجاهات الناس وقيمهم، وربط حاضر الأمة بماضيها، وتعميق المفاهيم الروحية، وتطوير اللغة العربية، والتكيف مع التغيرات الحضارية والثقافية والعلمية.
5- في مجال القيم: ترسيخ مفاهيم الاعتماد على النفس والثقة بها، والإيمان بالتكافل الاجتماعي والروح الجماعية.
6- في المجال الوطني والقومي: غرس مفاهيم معاصرة عن الوطن والمواطنة، والارتباط بالأرض بالانطلاق من الوجود الاجتماعي والثقافي والروحي والحضاري للأمة العربية، ومواجهة الغزو الثقافي الأجنبي الذي يهدد شخصية الأمة العربية وهويتها وقيمها الحضارية ويشوه تراثها وتاريخها.

من خلال استعراضنا لهذه النقاط كما جاءت في وثائق اتحاد الصحفيين العرب ووثائق الجامعة العربية، تتضح لنا الثوابت التي يجب أن يلتزم بها الصحفيون وهي العنصر المستهدف من العملية الاتصالية وهو الجمهور والمجتمع.

وتنص الدساتير الوطنية والمواثيق الدولية على:

أ) حق الجمهور في الحصول على المعلومات ومعرفة الحقيقة والاطلاع على وجهات النظر المختلفة.
ب) حق الجمهور في القدرة على الوصول إلى وسائل الإعلام التي يمكنها أن تزوده بالمعلومات والمعرفة.
ج) حق المجتمع في الحفاظ على هويته الثقافية ومواجهة الغزو الثقافي الأجنبي.
د) الحفاظ على اللغة القومية وتنميتها.
ه) حق المواطن في أن توفي وسائل الإعلام التزامها في غرس القيم البناءة بين أفراد المجتمع وخصوصا الأطفال والشباب. وترسيخ القيم الفاضلة في المجتمع.

ونظرة فاحصة إلى واقع الإعلام العربي سوف تكشف لنا الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في السيطرة على تدفق المعلومات ونوعيتها مما يحرم الجمهور حقه في الحصول على المعلومات، ونظرة أخرى إلى القوانين المشرعة في الوطن العربي سوف تكشف أنها تحد من قدرة الجمهور على الوصول إلى المعلومات.

وسنفرد في الصفحات التالية تحليلا لبعض المشاهد من أوجه الخلل التي نتجت عن سوء استخدام وسائل الإعلام والتي كان نتيجتها المباشرة التأثير في مصداقيتها.

2-4- السيطرة على وسائل الإعلام وعلاقتها بتدفق ا لمعلومات والأفكار.

إذا كانت وسائل الإعلام ذات مهمة أساسية تتلخص في إنتاج ونقل ونشر الأفكار والمعلومات، فإن السيطرة على المؤسسات الإعلامية العربية تمثل مجموعة مصالح الأنظمة الحاكمة أو مالكي هذه المؤسسات الإعلامية، ويكون من مصالحها الحد من تدفق المعلومات، وتداولها، ونشر الأفكار والحوار حولها، وتتستر في أحيان كثيرة تحت مظلة الخصوصية الثقافية، وحماية الثقافة الوطنية والقيم السائدة والتراث. وهذه المبالغة أدت وتؤدي إلى خلق نمط من أنماط الوسائل الإعلامية التي تنظر إلى العالم بعين واحدة هي عين الرقيب، وتحاول أن تفصل مقاييس معينة لما ينشر، أو لا ينشر ولما يذاع أو لا يذاع.

وتلعب وسائل الإعلام في مختلف أنحاء الوطن العربي أدوارا متشابهة وإن كانت متفاوتة. وبمراجعة لما تقدمه وسائل الإعلام المسموعة والمرئية من برامج فإن أي مراقب محايد سيلاحظ حجم الترفيه فيما تقدمه هذه الوسائل، وسيلاحظ كذلك حجم ما يقدم من برامج غربية والتي تؤدي إلى السلبية والانعزال، وتؤدي إلى تجذير النمط الاستهلاكي عند الناس، وإلى غرس أنماط غريبة عن المجتمعات العربية، وهذه النماذج التي تشكل مثلا أعلى ونماذج للتفوق الأسطوري تؤدي إلى خلق ثقافة الهروب والعزلة كما تقول فريدة النقاش "يصطدم المثل الأعلى الرأسمالي كما تقدمه الثقافة والإعلام بحقائق الحياة السافرة في هذه البلدان الصغيرة التابعة، وينشأ ذلك التناقض الروحي الذي يصعب بل يستحيل حله بين الحياة الفعلية للناس والمثل الجميل الذي يقدم باعتباره أملا دون أن يكون هناك أدنى أمل في تحقيقه، هكذا ينشأ التهالك على ثقافة الهروب والعزلة، ثقافة الفردية الشديدة والسلبية المناهضة لروح الجماعة والعمل الجماعي، ثقافة الملكية الفردية في مواجهة الملكية العامة التي تفضي بالمرء لأن يكون وحشا وحيدا باحثا عن التملك في غابة الوحوش... الصغيرة والكبيرة ... ثقافة الانفصال عن الواقع لا الإعداد الروحي الشامل لتغييره في حدود معطياته هو ومعطيات الحياة، ثم الكشف عن القدرات الكامنة للناس المنوط بهم عملية التغيير"[40].

إن حديثنا عن السيطرة الرسمية على وسائل الإعلام العربية، واكبه نوع آخر من السيطرة الاقتصادية. فوسائل الإعلام في دول النفط الخليجية استطاعت أن تفرض شروطها على الإنتاج الإعلامي وما يحمله من مضامين وأشكال أي على المبدع والجمهور في آن واحد.

إن قائمة الممنوعات التي يفرضها الرقيب الخليجي مثلا على الإنتاج التلفزيوني العربي جعلت الكاتب والمنتج والمخرج يعد عمله وعينه وجيبه تنظر وتنتظر السوق الخليجية، لذا فإنه سيلتزم بالشروط التي يفرضها الرقيب الخليجي، وهذا أدى إلى هذا المستوى الهابط من الأعمال الدرامية التلفزيونية العربية التي

---

[40] - Daniel Boorstin. The image New York: Atheneum publisher 1962, p p , 12 – 40.

صممت لملاءمة شروط ذلك الرقيب، وهنا تكمن أزمة مصداقية الكلمة الاتصالية التي تخضع لقائمة طويلة من الممنوعات والتي يمكن أن تضيع معها الكلمة الصادقة، فقط لضمان تسويق المسلسل باعتبار أن السوق الخليجية هو أهم الأسواق العربية لشراء الأعمال الدرامية.

3-4- كيف تزيف وسائل الإعلام الحقيقة؟

من الأمور التي تثير الجدل الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في تزييف الحقيقة. وهذا الدور يشمل مجالات مختلفة في السياسة، الرأي العام، الإعلان، وفي العلاقات العامة.

لقد درس باحث أمريكي دور وسائل الإعلام في خلق ما سماه بالأحداث المختلفة (الكاذبة) Pseudo – Events، مثل : [41].

1- المقابلات الصحفية وهي طريقة جديدة لصنع الأخبار.
2- المؤتمرات الصحفية التي يعقدها المسئولون.
3- البرامج السياسية المنتظمة والتي هي أشبه بمؤتمرات صحافية تستضيف السياسيين من أمثال البرامج الأمريكية Meet the press, face the nation وبرنامج مواجهة و Encounter في التلفزيون الأردني.
4- البيانات الإخبارية News releases التي تصدرها الجهات المختلفة سواء أكانت سياسية أم صادرة عن مؤسسات اقتصادية أو نقابية أو غيرها والبيان هو خبر مطبوخ مسبقا وجاهز عند الحاجة.

وتتصف الأحداث المختلفة بالخصائص التالية:

أ) أنها ليست عفوية، ولكنها توجد لأن شخصا أو جماعة أو جهة ما خطط لها وصنعها.
ب) في الغالب يتم خلقها لأهداف آنية لتغطيتها وإنتاجها إعلاميا، ولذا فإن حدوثها أمر مرتب لراحة هذه التغطية أو إعادة الإعلامي وتكون

أهمية السؤال: هل هي حقيقية أقل أهمية من السؤال حول جدارتها بأن تكون ذات قيمة إخبارية.

---

[41] - جريدة الرأي العدد 8119 بتاريخ 1992/11/1.

ج) علاقتها بالموقف الواقعي غامضة، وينبثق الاهتمام بها بشكل كبير من غموضها، إن الاهتمام بالمقابلة الصحفية دائما يكون: هل هي حقيقة حصلت أو ما هو الدافع وراءها؟
د) عادة ما يكون هدفها تحقيق تنبؤ بالاكتفاء الذاتي فحينما يعلن بنك احتفاله بالذكرى الخامسة عشرة لتأسيسه فإنه يميز نفسه كمؤسسة تجعله رقم واحد.

تزييف الكلمة – تزييف الوعي

تطغى الأحداث المختلفة على الأحداث العفوية لعدة أسباب:

الأحداث المختلفة أكثر درامية من الأحداث العفوية ومثالها الجدال بين المرشحين للانتخابات.

ولأن الأحداث المختلفة قد خطط لها فإنها سرعان ما تنتشر لكونها حيوية، كما يتم اختيار المشاركين لأنهم جديرون بالظهور في مثل هذه الأحداث، ولكونها ذات اهتمامات بالموضوعات التي تتسم بالطبيعة الدرامية. ويمكن إعادة الأحداث المختلفة عند الإرادة (الرغبة) ومن ثم فإنه يتم الإعلان عنها مسبقا ويتم إعادتها من أجل الحصول على ما تستحقه من أموال.

ولأن الأحداث المختلفة مخطط لها بوضوح فإنها تكون أكثر وضوحا، ومن ثم أكثر تأكيدا. والأحداث المختلفة أكثر اجتماعية، وإثارة للجدل وأكثر راحة للمشاهدة كما خطط لها.

وهكذا تصبح متابعة الأحداث هي عبارة عن معرفة ذات حقيقة غامضة، وتنمو على حساب رغبتنا في كوننا نريد أن نعلم، وأن نحصل على جميع

الحقائق، وحتى الحصول على المزيد من الحقائق أكثر مما هي في الواقع، وهذه الأحداث تقوم باستدعاء واستثارة رغبتنا في التثقيف وفي متابعة كل ما هو جديد.

4-4- الإعلان ... الصورة الخادعة والكلمة المراوغة:

الإعلان ليس مجرد ترويج لسلعة أو خدمة ما، إنه يحمل في طياته ثقافة ويعبر عنها من عدة أوجه:

1- إنه يحمل معه ثقافة مصدر السلعة.
2- ويحمل معه ثقافة المعلن ومصنع الإعلان.

وينظر الناس إلى الإعلان على أنه رسالة مغرية لشراء السلعة، وبها عناصر جذب متنوعة، فهي تعتمد على الكلمة المشحونة عاطفيا، والكلمة ذات القوة الإقناعية، وتعتمد على الصورة الجميلة والمثيرة للانتباه، وتعتمد على الموسيقى والرقص، والقليل من الناس ينظر إلى الإعلان كمادة ثقافية، يمكنها أن تحمل معها جوانب إيجابية وأخرى سلبية.

إن الإعلان ذو بعد اقتصادي لا تخفى جوانبه من حيث تنشيط الحركة الاقتصادية لكن هذا الجانب يحمل معه بعدا ذا أثر سيء من حيث إشاعة النمط الاستهلاكي في مجتمعات غير منتجة وتعويد الناس على شراء سلع كمالية مما يشكل فيما بعد عادات تتسلل إلى ثقافة الناس وحياتهم اليومية.

إن الإعلان يقول كلمات تحمل غموضا وتراوغا في معانيها ولنأخذ أمثلة من بعض الإعلانات في الصحف اليومية الأردنية:

1- فاكس موراتا طريق النجاح.
2- عبد الهادي للمفروشات صناعة أردنية مميزة ذات جودة عالية.
3- موس هي الحل، أجهزة الإنذار الأكثر تطورا نفتخر بأننا رقم 1 في الأردن.
4- جورسال لصناعة المطابخ ذات الجودة النادرة ... للنخبة فقط.
5- قادمون لنعتلي الصدارة في السوق الأردني ... حارقة التدفئة المركزية كلامكيه، من بلاد التكنولوجيا ... ألمانيا تعدكم بشتاء دافئ ودون مشاكل[42].

إن تحليلا لمضمون هذه الإعلانات يرشدنا إلى طريقة استخدام اللغة التي تحاول أن تستميل قارئيها ... ولكنها لغة إذا لم تكن صادقة فإنها لغة تفتقد على التثبت من مضمونها ... فماذا يثبت أن استخدام فاكس موراتا طريق النجاح، ومن يثبت أن مفروشات عبد الهادي مميزة وذات جودة عالية، ومن أثبت أن أجهزة موس وليس غيرها هي الحل؟ وهل أجريت دراسة كي يفتخر موزع هذه الأجهزة بأنه رقم (1) في الأردن؟

وكيف أثبت جورسال أن مطابخه ذات جودة نادرة وللنخبة فقط؟ وكيف تحقق مسوقو "كلامكيه" بأنهم سيعتلون الصدارة في السوق الأردنية؟ .. وهل ألمانيا هي الوحيدة بلاد التكنولوجيا حينما سموها بلاد التكنولوجيا؟

هذه عينة من إعلانات في جريدة وفي يوم واحد. ويتضح منها كيف تحمل معها لغة مليئة بالتمويه والخداع .. وهي بكل تأكيد تحقق أهدافها. تتسلل إلى عقول الناس ويتخذون قراراتهم بناء عليها وتصبح جزءا من حياتهم اليومية، وبمراجعة

---

42 - فريدة النقاش، مصدر سبق ذكره، ص 18.

إعلانات التلفزيون – التي تستخدم الكلمة والصورة والحركة والموسيقى – نرى إلى أي حد يمكن لهذه الأعلانات بصورها الخادعة وكلماتها المراوغة، أن تخلق عند المشاهدين وغبات جديدة في سلع يمكنهم أن يستغنوا عنها.

وتعبر فريدة النقاش عن ذلك من خلال التجربة المصرية وتقول:

الإعلان مادة ثقافية أيضا لأنه يسهم في خلق نمط حياة، في تأصيل عادات ونبذ أخرى، في خلق مثل نموذجي للسكن والملبس والمأكل والخلق، للادخار والشراب والترفيه للحلم وطريقة تحقيق الحلم وكلما زادت تبعية اقتصاد بلد نام للاقتصاد الرأسمالي كلما ازداد هذا المنط الجديد الذي يقدم عبر الإعلان انتشارا ولعب دورا متزايدا في ترجمة الجانب الروحي والوجداني للتبعية لأن المثل الأعلى الاستهلاكي المرتبط بالبضاعة سرعان ما يلبس زيا قوميا ومحليا. يصبح العالم الحقيقي المرجو هو أمريكيا، ويصبح الأمريكي هو الإنسان تمام كما أن العملة هي الدولار[43].

4-5- وسائل الإعلان والأغنية:

الأغنية أكثر من مادة مطربة، إنها كلمات تحمل المعاني وترافق الموسيقى فتدغدغ العواطف وتخاطب العقل والوجدان معا.

واستطاعت وسائل الإعلام – وخصوصا الإذاعة – أن تقوم بدور مهم في زيادة وعي الجمهور الفني، وخلق قاعدة جماهيرية واسعة من المحيط إلى الخليج، تستمع إلى أم كلثوم وعبد الوهاب وفيروز وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش وغيرهم، ومع زيادة شعبية هؤلاء وتكرار أغنياتهم أصحبت الأغنية العربية أكثر الرسائل العربية شعبية ووصولا إلى الجماهير العربية.

واستطاعت الأغنية أن تسهم في صياغة الوجدان العربي المشترك، وتؤثر في وتؤثر في لغة خطاب الإنسان العربي اليومية، وباتت مفردات الأغنيات تتردد على أفواه الناس وتستخدم في حديثهم اليومي. ولم يقتصر هذا على المستوى الرفيع من الأغنيات التي كانت تحمل كلمات شعراء العربية القدامى والمعاصرين، بل انسحب هذا أيضا على أغنيات تافهة المعاني وخالية من التصوير الفني ترددها الإذاعة تجد طريقها إلى أذن المستمع العربي، وهي خالية من المضمون، وإذا حوصرت بعض هذه الأغاني في الإذاعة، فإنها تجد طريقها عبر الأفلام السينمائية، وأشرطة الكاسيت، وهذا النوع من الأغاني الذي سوقته الأفلام السينمائية وأشرطة

---

43 - د. عبد الباسط عبد المعطي، الإعلام وتزييف الوعي، القاهرة: دار الثقافة الجديدة 1979.

الكاسيت اشتهر من فرسانه أحمد عدوية وغيره كثير من المغنين الشباب الذي يسهمون في إفساد الذوق الفني.

وكما لاحظ باحث عربي على الأغاني المسيطرة في الإذاعات المصرية:

غلبة النمط الفردي على الأغاني وشيوع أغاني الحب والغرام المهزوم[44].

6-4- النقد الصحفي وكتاب الأعمدة:

إن الآراء النقدية التي نقرأها هنا وهناك، غالبا ما تحمل أشكالا من المجاملات أو التحامل، وهذا الشكل من التحيز نجده من خلال النقد للأعمال الإبداعية أدبا وفنونا تشكيلية.

وكذلك فإن الآراء التي يكتبها كتاب الأعمدة في المجالات المختلفة من سياسة واقتصاد وقضايا مجتمع غالبا ما تفتقر إلى الموضوعية والدقة العلمية والمعلومات الموثقة فيما يطرحونه من قضايا، وهذا يؤدي في المحصلة النهائية – إذا كان القارئ عاديا – إلى التسليم بما يقرأ باعتبار أن ما يقرأه من معلومات مصدرها موثوق به وتكون نتيجة تزييف وعي القارئ وتضليل المبدع وذلك يتحقق على مستويين.

أ) على مستوى تزييف وعي القارئ العادي فإن المعلومات التي يتلقاها والآراء لا تقبل التمحيص والتدقيق في مدى صحتها وصدقها، وتأخذ الكلمة مصداقيتها لكونها نشرت في صحيفة أو مجلة محترمة أو لكون كاتبها كاتبا مرموقا ومشهورا.

ب) على مستوى تضليل المبدع فإن الآراء النقدية التي يكتبها صحفيون تتسم بالذاتية والتسرع والانطباعات الشخصية، وغالبا ما يكونوا غير مؤهلين لتلك العملية النقدية. ويمكن أن تؤدي آراؤهم بالمبدعين – وخاصة المبتدئين منهم – إما إلى الغرور إذا كانت تكيل لهم الثناء في غير محله أو تؤدي بهم إلى النكوص والإحباط إذا كانت الآراء النقدية مثبطة.

---

44 - أنظر: د. صالح أبو أصبع، النشر العلمي أزمة نشر أم أزمة بحث، مجلة الناشر العربي – العدد السادس عشر – يناير 1986، وفيه إشارة إلى السرقات العلمية، ومن سخريات القدر أن تكون هذه المقالة التي تعرضت للسرقات العلمية أن تكون هي ذاتها موضعا للسطو عليها من قبل أستاذ جامعي.
وانظر مجلة الثقافة، الجامعة الأردنية، العدد 22 ، آب 1990م.
وانظر مجلة الثقافة، الجامعة الأردنية، العدد 26 صفحة 359.

4-7- ظاهرة السرقات العلمية:

من الأمور اللافتة للنظر قضية السرقات العلمية والأدبية والتي استشرت في الأوساط الأكاديمية والصحفية والأدبية، وخصوصا في الثمانينات من القرن العشرين وتزخر وسائل الإعلام المطبوعة من كتب وصحف ومجلات بالأعمال المسروقة والتي يقوم بالسطو على أصولها حملة ألقاب علمية، وهناك أمثلة كثيرة على كتاب سرقوا جهود الآخرين ونشروها في مجلات محترمة، أو نشروها في كتب، ويمكن تتبع الكثير من النماذج في حقول العلوم المختلفة[45]. ولا يخفى على أحد مدى الإساءة التي تحيق بالكلمة ومصداقيتها حينما تتعرض الأعمال الأدبية والعلمية إلى سطو بات يشبه الظاهرة.

4-8- الحداثة وما بعد الحداثة والمفاهيم المختلطة:

سارت ثورة الشعر الحديث منذ منتصف هذا القرن بخطوات سريعة، وقدم رواد الشعر الحر نماذج تحتذى، وبدأت ظواهر أدبية وفنية تزدهر، ولعل أبرزها ظهور الشعرالحر وانتشاره. وقد لمعت مجموعة من أسماء جيل الرواد مثل السياب والبياتي وفدوى طوقان وصلاح بعد الصبور وأدونيس أو الجيل الثاني اللاحق لهم مثل محمود درويش وعز الدين المناصرة والقاسم وأمل دنقل وغيرهم، وقد أفادت الحركة الأدبية عموما والشعرية الحديثة خصوصا من النماذج السائدة في الثقافة العربية، وخصوصا الإنجليزية والفرنسية، وأدت إلى بروز هذه الأنماط الأدبية التي سادت وما زالت تسود في مجال الشعر والرواية والمسرح، وأصبحت مفرداتهم اللغوية تتكرر لدى المقلدين من الشباب، وظهرت أشكال فنية تعبيرية مثل القصيدة النثرية والتي باتت تنشر جنبا إلى جنب مع القصيدة الشعرية، وأدى ذلك إلى عزوف القارئ العادي عن قراءة القصيدة الحرة والقصيدة النثرية معا، لأنه ببساطة لم يعد يدرك الفرق بينهما فقد اختلطت المفاهيم لدى النقاد، وأصر كتاب القصيدة النثرية على اعتبار أن ما يكتبونه شعرا وكانت النتيجة اختلاط المفاهيم، وإلى وجود جمهور قليل من القراء مرتبك، وإلى نماذج أمام الشباب تسمى شعرا لم يتعودوا في تدريبهم الفني على صورها ولا على إيقاعها. وأصبح عليهم أن يقرأوها ويستوعبوها بل ويقلدوها ... وهكذا فقد كان متوقعا أن تعطي الحداثة دفعا وإغناء مستمرا للحركة الأدبية إلا أنها أدت إلى افتقاد الحركة الأدبية دينامية الإبداع التي تتنافى مع التقليد كما أشار إلى ذلك برهان غليون حين قال: "ولكن أزمة النظرية الحداثية هذه لم تلبث حتى ظهرت عندما تحقق التطابق بين أشكال التعبير الفني العربي والعالمي .. وبعد أن كان معيار الجدة بالمقارنة مع التراث كافيا ليضفي قيمة على العمل الفني، أصبح من

---

[45] - غليون، سبق ذكره، ص 47.

الضروري أن يخضع هذا العمل إلى معايير الإبداع العالمية، وعندئذ زاد الشعور بأن الإنتاج الأدبي الحديث في العالم العربي يفتقد إلى الإبداع الفعلي والأصالة أي الطرافة وأنه رغم مسايرته للأشكال الفنية العالمية لم ينجح في أن يكون عالميا. وظهر أن الحداثة ليست كافية كي يكون للعمل الأدبي قيمة فنية أصيلة. وسبب ذلك في الواقع أن دينامية الإبداع تتنافى مع التقليد وتنبع مباشرة من القدرة على إطلاق الطاقات الدفينة والكامنة في نظام خيالي – رمزي تابع لكل ثقافة. وذلك بقدر ما تكون هذه الثقافة مجسدة وملخصة لتاريخ تطور الجماعة، وتراثها وتوازناتها ومشاريعها وطموحاتها وآمالها والامها[46].

ومع انتشار مفهوم ما بعد الحداثة وخصوصا في السبعينات من القرن العشرين فإن هذا المفهوم بدأ ينتشر بطيئا لدى المثقفين العربي، وبدأ الحديث بداية هامسا عن ما بعد الحداثة، وأخذ الصوت يعلو في التسعينات، دون أن يدرك الذي يستخدمون هذا المصطلح معناه الحقيقي ودون أن يدركوا أن المصطلح ليست هو تعبير عن ظاهرة فنية فحسب بل هو تعبير عن حالة اجتماعية، اقتصادية واتصالية يلعب عالم الاتصال والمعلومات دوره الأساسي في إنتاج ما بعد الحداثة.

4-9- وسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية واللغة:

تلعب وسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية دورا مهما في التأثير في اللغة ونموها واستعمالنا لها.

إذ تزودنا وسائل الإعلام بمصطلحات جديدة، وتدخل إلى قاموس حياتنا مفردات عديدة بعضها يفد إلينا من لغات أجنبية. كما تدخل المصطلحات إلى الحياة اليومية للمواطنين بدون أن يتحققوا من محتواها.

وتجهد بعض المؤسسات الثقافية وخاصة مجامع اللغة العربية في تعريب المصطلحات في مختلف المجالات بجهد عالمي منظم، إلا أن الجهود الفردية التي يقوم بها أكاديميون وإعلاميون تطغى على الجهود المؤسساتية المنظمة ووزارات الإعلام والثقافة والجامعات.

ويحتاج استخدام المصطلح وتعميمه إلى وسيلة إعلامية تعمل على نشره وعلى تعزيز استخدامه.

وحينما كانت قرارات المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط، ومجامع اللغة العربية ومعاجمها المتخصصة لا تلقى الرواج في أوساط الجامعات ولا بين

---

[46] - اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال، مصدر سبق ذكره، ص 195.

الكتاب والمثقفين ولا بين وسائل الإعلام، فإن السبيل الوحيد الذي يمكن أن يرسخها هو أن يتم اعتماد استخدامها في اللغة الأكاديمية واللغة الإعلامية وذلك أمر ميسور وهو يحتاج إلى قرارات سياسية وعلمية ملزمة. فلو طلبت المجلات الأكاديمية ممن ينشرون فيها استخدام المصطلحات المعربة كما أقرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب، ولو طلبت وزارات الإعلام من مؤسساتها الإعلامية وخاصة الإذاعة والتلفزيون استخدام تلك المصطلحات، فإننا سنجد فرصة الحياة لتلك المصطلحات ستصبح كبيرة بدلا من أن تظل مصطلحات محفوظة في خزائن الكتب بعيدة عن الاستخدام اليومي.

ولا يغيب عن بالنا الدور المهم الذي تلعبه وسائل الإعلام في التأثير في اللغة المحكية اليومية، هذا التأثير الذي بات يقرب بين اللهجات العربية، وصار يساعد في تكوين لغة وسطى بين اللغة الفصحى واللهجة اليومية، وهذه اللغة الجديدة أصبحت اليوم لغة الإعلام، وخصوصا مع وجود الفضائيات العربية التي باتت تقرب المسافات وتساعد في تذويب الفوارق بين اللهجات فالمغربي يشاهد الآن الفضائية الأردنية والسورية والمصرية، كما أن الإماراتي يمكنه أن يشاهدها. إن هذا أمر مهم في سياق اللغة والقدرة على متابعتها.

إن الحفاظ على العربية لا يعني عدم نموها ولكنه يعني حمايتها من تدهور مستواها وخصوصا في الأداء الإعلامي، الذي بات تأثيره طاغيا على لغة الناس، وصار ضروريا العمل على حماية اللغة العربية لضمان مستوى أدائها في الإعلام وخصوصا فلي الأداء المحكي في الإذاعة والتلفزيون.

فوسائل الإعلام تلون الكلمة وتكسبها معاني جديدة، وتدخل إلى قاموس اللغة مفردات ومصطلحات جديدة بعضها واضح الدلالات، والبعض الآخر يكتنفه الغموض.

10-4- وسائل الإعلام والتأثير في الوعي بخلق الصور النمطية وزرع قيم جديدة:

الصور النمطية: هي تلك الصور التي تنطبع في الأذهان عن أشخاص أو شعوب حاملة معها سمات موضوعة في قالب ذهني يحد من التفكير في تصور هؤلاء الأشخاص أو الشعب بصورة مخالفة للصورة المنطبعة في الذهن.

وتقوم وسائل الإعلام بدور مهم في صنع هذه الصور النمطية، من خلال عرض صورة لشخصية ما كالمعلم، الشيخ، الشرطي، الفنان، العامل، الفلاح الخ، وهذه الصور تحمل سمات يتم تكرارها في وسائل الاتصال المختلفة، مما يؤدي إلى

رسوخ هذه السمات عن تلك الشخصيات، وكذلك يتم صنع الصور النمطية عن الشعوب مثل الصورة التي رسمها الإعلام الغربي عن الفلسطينيين كإرهابيين.

كانت صورة المعلم تحتفظ بمكانة تليق بدوره الإنساني المتميز.. ولكن ما هو السبب الذي أدى إلى هبوط مكانته وزعزعتها في المجتمع؟ هل هو العامل الاقتصادي؟ أعني هل تدني مستوى دخله هو الذي قاد إلى هذا الموضع؟

بلا شك أن هذا عامل لا يمكن تجاهله، ولكن نظرة فاحصة إلى الدور الذي لعبته وسائل الإعلام الجماهيري في خلق صورة نمطية عن المدرس والإساءة إليه في السينما وفي المسرح والتلفزيون، يمكن أن تشرح لنا جانبا من هذه المسألة. وعلى سبيل المثال مسرحية مثل مسرحية مدرسة المشاغبين، والتي نقلتها تلفزيونات الوطن العربي، وتم استنساخ أشرطة فيديو عنها أصبحت في متناول الجمهور وشاهدها ملايين الأطفال العرب فقد أثرت سلبيا في نظرة الجمهور إلى المعلم، وما زالت وسائل الإعلام تبث إلينا صور نمطية لشخصيات أساسية في المجتمع وتقدمها بصورة هزلية مثل شخصية العسكري والشرطي والشيخ، وتبث كذلك قيما جديدة باتت تؤثر في الأفراد وخصوصا الأطفال واليافعين، وأقل ما يمكن أن توصف بها هذه الصور أنها صور مشوهة لا تعكس الحقيقة، ولا تقدم المثل الذي يجب أن يحتذى.

من خلال ما استعرضناه هنا يمكننا أن نلاحظ أن التعرض المستمر لتحريف الواقع الذي تقدمه وسائل الإعلام عبر الكلمة والصورة سيؤدي إلى أن ينمو الناس مع قيم واتجاهات ومعتقدات مزيفة غير واقعية، ويقوم العامل الاقتصادي – المعلن كمصدر دخل وعامل السيطرة – السياسية، في التحكم بالوسائل الإعلامية ورسائلها المزيفة من أجل تحقيق منافع أولئك المتحكمين بوسائل الإعلام اقتصاديا وسياسيا.

خامسا: خاتمة

في التقرير المهم الذي أصدرته المنظمة العربية للثقافة والعلوم والآداب "إليكسو" عام 1987 جاء أن مهمة العملية الإعلامية العربية: تنسجم مع ما طرحته اليونسكو من رؤية لمفهوم النظام الإعلامي العالمي الجديد والذي يرى أن مهمة العملية الإعلامية تشمل مختلف جوانب الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والعلمية، والتعليمية، والروحية، فضلا عن المساهمة في بناء شخصية الفرد والذاتية القومية، والاهتمام بالقضايا الوطنية، وبالمفاهيم المعاصرة كحقوق الإنسان، ومقاومة

الإمبريالية والعنصرية والتأكيد على ضرورة المشاركة في بناء الحضارة الإنسانية، وتعميق التفاهم والتعاون بين الشعوب والدعوة إلى سيادة العدل والسلام[47].

وقد دعت اللجنة الحكومات العربية والوزارات العربية المختصة إلى الأخذ بمجموعة من التوصيات في مجالات السياسة الإعلامية وحق الاتصال والتكامل والتعاون وفي مجال الثقافة والتربية والعلوم، وفي مجال المعلومات والمعلوماتية.

ومن أهم التوصيات التي تعنينا هنا في مجال الإعلام والثقافة وصلتها بالمصداقية ما يلي[48]:

1- التأكيد على احترام حق الاتصال في كل قطر عربي وبين البلدان العربية، واعتباره حقا أساسيا من حقوق الفرد والجماعة وإيجاد الظروف المناسبة والمناخ الملائم ليتسنى للفرد والجماعة ممارسته.
2- العمل على إيجاد توزيع متوازن لوسائل الإعلام والاتصال داخل القطر الواحد، من حيث إنشائها أو إيصالها أو شبكاتها، يسد حاجة الوضع الجغرافي والسكاني، وحاجة الأقليات الدينية والعرقية والقومية، والثقافات المختلفة، والمستويات الاجتماعية المتباينة، بغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية.
3- التأكيد على أن ممارسة حق الاتصال ترتبط ارتباط وثيقا بحرية الفرد والجماعة.
4- التأكيد على أن حرية العمل الإعلامي هي الضمان الأول لفاعليته ومصداقيته، وتتكامل في هذا الإطار الحرية والمسئولية، ومن بين مقتضياتها حماية العاملين بالإعلام، وتوفير القدر المناسب لهم من الضمانات التي تكفل استمرارهم في عملهم، وعدم حرمانهم من العمل الإعلامي، وإعطائهم التعويضات التي تتناسب مع حاجة مسؤوليتهم.
5- تجنب طغيان عامل الربح على النشاط الإعلامي والاتصالي سواء كان حكوميا أم خاصا، وتهيئة الظروف المناسبة لممارسة هذا النشاط في إطار المهمات الأساسية للنظام العربي الجديد للإعلام والاتصال.
6- إعطاء قضية التدفق الإعلامي بين الأقطار العربية الأولوية التي تتناسب مع أهميتها البالغة، والعمل على إزالة العوائق التي تعترض طريقها، مع الأخذ

---

47 - المصدر نفسه ص ص 194 – 202.

48 - اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال في الوطن العربي، الإعلام العربي حاضرا ومستقبلا، نحو نظام جديد للإعلام والاتصال، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

في نظر الاعتبار أن التدفق يتضمن المنتجات الإعلامية والخبرات البشرية العربية العاملة في مجال الإعلام.

7- الحرص على ألا تؤدي الخلافات السياسية بين بعض الأقطار العربية إلى وقف قنوات الاتصال بينها أو تقليلها، نظرا لكون الإعلام والاتصال من الحقوق الإنسانية الأساسية التي ينبغي الحفاظ عليها وتوفيرها لكل مواطن عربي.

8- إعادة النظر في قواعد الرقابة ووسائلها المعمول بها في الأقطار العربية المختلفة، على الأخص بالنسبة للمواد العامة الواردة من الأقطار العربية الأخرى، بحيث لا تعيق التدفق أو تعطل وصول المواد الإعلامية في الوقت المناسب.

9- الاعتناء باللغة العربية وتطويرها وتبسيطها وتوسيع استخدامها على حساب اللهجات المحلية، واستكمال مراحل التعريب، حفاظا على ثقافة الأمة العربية وذاتيتها القومية، خاصة وأن اللغة العربية هي المقوم الأقوى في خصائص الأمة واستمراريتها.

10- الدعوة إلى قيام تنسيق وتكامل بين وسائل الإعلام ووسائل الثقافة في كل قطر وعلى نطاق الوطن العربي، بحيث تكمل وسائل الإعلام المهمات الثقافية المطروحة، وأن يراعى تخطيط مركزي لهذا التكامل، تجنبا لازدواجية العمل، ووصولا إلى تعزيز الذاتية الثقافية وتعميقها وشموليتها.

11- دعوة وسائل الإعلام إلى تبسيط العلوم وعرضها لتكون مفهومة لدى أوسع الجماهير، وأن تهتم بنشر آخر المبتكرات العلمية والتطور العلمي وآفاقه المقبلة.

12- دعوة وسائل الإعلام ومؤسسات التربية إلى قيام تنسيق بينها، مبنيا على خطة شاملة، وبرامج تنفيذية، بما يحقق تكامل عمل كل منها مع عمل الأخرى ودعوة المؤسسات التربوية التعليمية إلى مزيد من الاستفادة من إمكانيات وسائل الإعلام واستخدامها في نجاح العملية التربوية والتعليمية.

الظرف العربي الراهن وتأثيره في الثقافة والإعلام:

مع نهاية القرن العشرين بدا الواقع العربي – على مستوى رسمي وشعبي – واقعا ممزقا فيه التناحر السياسي الذي ينعكس على الواقع الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والإعلامي في الوطن العربي. وفي إطار واقع الإقليمية الذي يتعزز يوميا ومن ورائها تعلو أسوار العزلة الثقافية.

وتشهد وسائل الإعلام – حاليا – حربا كلامية تستند إلى مصالح قطرية ضيقة ومن خلال مواقف قسمت العرب إلى عربين، عرب يقفون مع ... وعرب يقفون ضد ... وهذا الواقع يجعل المواطن العربي يقف باحثا عن الحقيقة.

وفي ظل ظروف العولمة، حيث لم يعد هناك مجال للكيانات الصغيرة، وإنما للتجمعات الكبيرة، فإن تحديات المستقبل تفرض على شعوب الأمة العربية وقادتها السعي إلى التضامن ووحدة الصف العربي لتكوين وحدة إقليمية قادرة على العيش في ظل عالم لا يتسع للضعفاء وللأمم المفككة.

ويقف المرء متسائلا، كيف يمكن أن تتحقق تلك المسؤوليات والالتزامات التي اقترحها خبراء الاتصال العربي كي نقدم إعلاما صادقا مسؤولا ملتزما بقضايا الجماهير العربية.

إن الواقع العربي الآن هو واقع نكوص وتراجع وتمزق، وستظل قضية المصداقية قائمة مع هذا الواقع الذي نعيشه، وندرك تماما بأن الالتزام بالثوابت في مجال الثقافة والإعلام، والنضال من أجل الالتزام بالثوابت المتمثلة بالحرية واصدق والأصالة وحق الاتصال، إنما تمثل شرطا أساسيا للنهوض القومي، وعلى الرغم مما نراه من قتامة الواقع، إلا أننا ندرك بأن المستقبل هو للأمة العربية وأن أصالة الثقافة العربية تجعلها قادرة على تجاوز المحن في القرن الحادي والعشرين.

المراجع وكتب مختارة:

أولا باللغة العربية:

1- ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.
2- ابن رشيق، كتاب العمدة.
3- ابن طباطبا، عيار الشعر.
4- أبو أصبع، د. صالح، قضايا إعلامية، دبي: دار البيان 1988.
5- باسكوم، وليم وهريسكوفتز ملفيل، محرران، ترجمة عبد الملك الناشف الثقافة الأفريقية، دراسات في عناصر الاستمرار والتغير، صيدا: بيروت: المكتبة العصرية، 1966.
6- الحاتمي، الرسالة الحاتمية.
7- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء.
8- حجازي، د. مصطفى، وآخرون، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة، الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية.
9- الدائم د. عبد الله، في سبيل ثقافة عربية ذاتية، الثقافة العربية والتراث، بيروت: دار الآداب، 1983.
10-رشتي، د. جيهان ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة: دار الفكر العربي.
11-شاهين، د. فؤاد، علم الاجتماع ومفهوم الثقافة، مجلة الفكر العربي، العدد 14 السنة 2 آذار – نيسان 1980.
12-عباس، د. إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط 2، بيروت: دار الثقافة 1978.
13-عبد الرحمن، د. عواطف، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984.
14-عبد المعطي، د. عبد الباسط، الإعلام وتزييف الوعي، القاهرة : دار الثقافة الجديدة، 1979.
15-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة.
16-فياض توفيق، محرر التكامل بين أجهزة الإعلام وأجهزة الثقافة في الوطن العربي، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1984.
17-قدامة بن جعفر، نقد الشعر.

18-لبيب، سعد، دراسات في العمل التلفزيوني العربي، بغداد: مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي، 1984.
19-اللجنة العربية لدراسة قضايا الإعلام والاتصال في الوطن العربي، الإعلام العربي حاضرا ومستقبلا، نحو نظام جديد للإعلام والاتصال، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.
20-لوفير، هنري، ترجمة مصطفى صالح، اللسان والمجتمع، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1983.
21-ماكبرايد شون ورفاقه، أصوات متعددة وعالم واحد، الاتصال والمجتمع اليوم وغدا – تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981.
22-مان نكيكار د. ر، ترجمة فائق فهيم، تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، 1402 هـ 1982.
23-المرزوقي شرح الحماسة.
24-مرقس إلياس، العقلانية والتقدم، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية 1992.
25-مصطفى، د. شاكر، عالم الثقافة المتخلفة (عالم الفكر، المجلد التاسع عشر، العدد الأول أبريل – مايو – يونيو 1988.
26-فلحوط، د. صابر، وسجاد الغازي، الاتحاد العام للمحامين العرب، تأسيسه، مؤتمراته، قراراته، الاتحاد العام للصحفيين العرب 1982.
27-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مؤتمر الوزراء والمسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي، الدور الثالث، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1981.
28-النقاش، فريدة، حول التبعية الثقافية والإعلامية وإمكانيات الخروج منها، مجلة آداب ونقد، العدد السابق، السنة الأولى، سبتمبر 1984.
29-النويهي، د. محمد، وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصال الجماهيري، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1966 ، 1967.
30-هاشم، د. عبد الهادي، نحو ثقافة عربية أصيلة، محاضرات الموسم الثقافي الخامس، الكويت: مطبعة الكويت، 1959.
31-واثينفو، نغوجي، ترجمة سعدي يوسف، تصفية استعمار العقل، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1987.
32-اليونسكو، لفيف من خبراء اليونسكو، التنمية الثقافية، تجارب إقليمية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983.

ثانيا: باللغة الإنجليزية:

الفصل الثالث

الإعلام العربي المشترك

(التحديات وآفاق المستقبل)

الفصل الثالث

الإعلام العربي المشترك

(التحديات وآفاق المستقبل)

1- كلمة أولى

قدمت انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني منذ نهاية عام 1987 في الأرض المحتلة للعالم أجمع أنموذج المقاومة والتحدي، وعطت أنباء هذه الانتفاضة وكالات الأنباء العالمية .. لتصبح حجارة الأطفال من أبلغ أدوات الإعلام في عالم يحترم عالم القوة وتصبح شجاعة فتيان فلسطين في انتفاضتهم الأخيرة رسالة اتصالية[49]. في وقت بدأ العالم الغربي يتجاهل الدور الفلسطيني ويضيق الخناق إعلاميا على القضية العربية، ويظهر التحيز الكامل للإعلام الغربي مع الكيان الصهيوني. ولا غرر أن نجد صحيفة أمريكية مرموقة تكتب عن انتفاضة الأرض المحتلة باعتبارها صوتا فلسطينيا يريد أن يسمع ريجان وجورباتشوف في لقاء القمة بواشنطن أن الشعب الفلسطيني يقاوم الاحتلال الذي يستمر في الضفة والقطاع[50]. يقول جوزيف هارش Joseph Harsch لقد برز في الشرق الأوسط اشتعال المقاومة العربية للحكم الإسرائيلي في قطاع غزة والضفة الغربية، إن الانتفاضة في اشتعالها جديدة ومختلفة[51].

وقدمت انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني فرصة لامتحان الإعلام العربي وتستدعي من الإعلاميين وقفة جادة لمناقشة واقع الإعلام العربي المشترك والتحديات التي تواجهه وبخاصة أن قضية فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية وحولها تثار دوما أهم القضايا الإعلامية.

إنه لمن نافلة القول إن الإعلام في عالم اليوم أصبح الصوت القوي للشعوب للتعبير عن قضاياها، وأصبح كذلك وسيلة الاتصال الدولي بتعزيز التفاهم بين الشعوب.

---

[49] - بخصوص اعتبار العنف كوسيلة اتصال انظر على سبيل المثال:

1- Alex Schmid & Janny de Craaf: Violence as communication (London & Beverky Gukks. Sage publication 1982.

[50] - The Christian science monitor December 21 – 27 1987.

[51] - Ibid.

إن للإعلام وظائفه واستخداماته المتعددة، ومن هذه الوظائف الأخبار والمعلومات والتعليم والتعبئة وخلق الرأي العام والترفيه والتواصل بين الحكومة والشعب ووظيفة الرقيب العمومي.

وفي الوطن العربي فإن وسائل الإعلام تقع عليها مسؤوليات كبيرة.

وتلعب وسائل الاتصال الجماهيري دورا تحريضيا لتعبئة الشعب نحو الوحدة الوطنية، والالتزام بالقضايا القومية، والمساهمة في نشاطات التنمية الوطنية، وكذلك تقوم وسائل الإعلام بدورها في تزويد الجمهور بالمعلومات، وبالخدمات، وبتشكيل وعي الناس. وكذلك تلعب كإحدى الوسائل التربوية والتعليمية العامة، إذ بإمكانها إدخال قيم جديدة، وتعديل اتجاهات الناس، وتغيير سلوكهم، وهي أداة سياسية في مجال العلاقات الدولية لا تقل أثرا عن النشاطين الدبلوماسي والعسكري.

إن هذا كله يستدعي منا وقفة أمام الإعلام العربي المشترك وتفحصا لمسؤولياته في ظل العمل العربي المشترك وفي ظل الحاجة الماسة إلى فعاليات إعلامية مشتركة على المستوى القومي والمستوى الدولي، ولا يوجد نشاط إنساني في الوطن العربي تواجهه التحديات مثلما يواجه الإعلام العربي، فطبيعة الإعلام كنشاط اتصالي من حيث وظائفه وأهدافه وتأثيراته ونتائجه تجعل الإعلام العربي أمام مسئوليات كبيرة تواجه تحديات أكبر، وبخاص إذا انتقل الإعلام إلى مخاطبة الرأي العام الغربي الذي تلوثه آلة الاتصال الجماهيري وتشوه صورة الإنسان العربي لديه.

يعاني الوطن العربي من مشكلات عديدة من بينها مشكلة الأمية التي تعتبر من أعلى النسب في العالم إذ أشارت إحصائيات صدرت عن مؤتمر التربية الدولي في جنيف إلى أن ما يزيد على ربع البالغين من سكان العالم يعانون من ضعف القدرة على القراءة والكتابة وأن نسبة الأميين في العالم العربي تفوق أية منطقة أخرى. وأظهرت إحصائيات تضمنتها دراسة لمنظمة اليونسكو طرحت أمام وفود المؤتمر أن ما يزيد على نصف البالغين في العالم العربي غير متعلمين، وبينت الإحصائيات أن 30% من النساء العربيات حرمن من التعليم وأن ثلاث نساء من بين كل عشر بإمكانهن القراءة والكتابة مقارنة مع 58% من البالغين من الذكور [52].

ويعاني الوطن العربي من التخلف في المجالات الاقتصادية والزراعية والتكنولوجية التي تتمثل في أشكال التبعية، تجعل بلادنا العربية من أكبر المستوردين لأنواع السلع المصنعة والغذائية، والمعلوماتية بالإضافة إلى المعاناة من المشكلات السياسية الناجمة عن الاحتلال الصهيوني لفلسطين وحرب الخليج، والحروب العربية –

---

[52] - جريدة الخليج، الشارقة 1986/12/4م.

والتمزق السياسي الذي يشهد في أيامنا هذه ذروته مما يجعل التضامن العربي في ظل الجامعة العربية موضع تساؤل؟

2- الإعلام العربي المشترك:

ولقد درج كثير من الدارسين إلى تناول الإعلام العربي المشترك من زاوية تكاد تكون متقاربة، إذ أن معظم دراساتهم تقدم توصيفا لواقع المؤسسات الإعلامية العربية المشتركة وأنشطتها ومواثيقها وهي تميل في منهجها الوصفي إلى الابتعاد عن التحليل لواقع العملية الإعلامية العربية المشتركة[53].

ولن نقفز في دراستنا هذه عن تلك الدراسات، ولكننا نعتبر أن التعرض لمثل هذا التوصيف لواقع العمل الإعلامي العربي المشترك يشكل خلفية أساسية لتحليل العملية الإعلامية العربية في مستواها المشترك. ولهذا فإننا سنعمد في دراستنا هذه إلى معالجة هذا الموضوع من خلال ثلاثة محاور رئيسة، وهي: أ) الواقع. ب) التحديات. حـ) أفاق المستقبل.

واقع الإعلام العربي المشترك:

قبل الخوض في واقع الإعلام العربي المشترك فإن ذلك يحتاج إلى تحديد مفهوم الإعلام العربي المشترك والذي يعني "كل نشاط اتصالي تشترك فيه دولتان عربيتان أو أكثر من الدول العربية أو عدة وسائل اتصالية ملائمة في ظروف معنية، سواء كان ذلك على مستوى محلي أو إقليمي أو قومي أو دولي".

وتعريفنا هذا يفترض ما يلي:

1- وجود متصل عبارة عن مؤسسة أو تعاون بين مؤسستين تمثلان دولتين عربيتين أو أكثر.
2- وجود هدف محدد يعي المتصلون أبعاده.

---

[53] - انظر على سبيل المثال ما يلي:
- عبد الخبير محمود عطا، الوظيفة الاتصالية لجامعة الدول العربية، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، 1977.
- د. محمد على العويني، الإعلام العربي، المؤسسات المضمون الوسائل، الجمهور الأثر، الدعاية المضادة، القاهرة ، عالم الكتب 1979م.
- د. راسم محمد الجمال، الإعلام العربي المشترك، دراسات في الإعلام الدولي العربي ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1985م.
- سليم الباقي، الإعلام العربي المشترك من خلال جامعة الدول العربية ، المجلة العربية للإدارة ، المجلد 1، العدد 1 1977م، ص ص 4 – 17.
- سليم الباقي، مصدر سبق ذكره، ص 7.

3- وجود رسالة تم تصميمها وإعدادها وإرسالها بأسلوب تعاوني مشترك يتلاءم مع الهدف ويناسب الجمهور المتلقي.
4- وجود مستويات متعددة من الجماهير كهدف للعملية الاتصالية، سواء كانت العملية محلية، أو إقليمية، أو عربية، أو دولية.
5- استخدام الوسيلة الاتصالية الملائمة.
6- تأثير الرسالة.
7- الظروف أو البيئة التي تتم فيها العملية الاتصالية.

ويوضح هذا التعريف الذي نقترحه عناصر العملية الاتصالية التي نراها ضرورية لتحقيق اكتمال العملية الاتصالية وتعريفنا هذا يختلف عن تعريف د. راسم الجمال الذي يرى أن الإعلام العربي المشترك هو:

"الوظيفة الإعلامية التي تمارسها جامعة الدول العربية باسم، ونيابة عن، وبالاشتراك مع الأقطار العربية، وتحت إشرافها لصالح الوطن العربي في مجموعة[54].

وندرك أن هذا التعريف يضيق مفهوم الإعلام العربي المشترك ليجعله محصورا في النشاط الإعلامي لجامعة الدول العربية بما تعانيه من قدرات محدودة، وهذا التعريف لا يفي العملية الاتصالية حقها من حيث إبراز جميع عناصرها.

ومن خلال تعريفنا المقترح فإننا سوف نقوم بتحليل بواقع الإعلام العربي المشترك.

1- المتصل في الإعلام العربي المشترك.

تقوم أكثر من جهة عربية في ممارسة دور المتصل، وتلعب جامعة الدول العربية أهم دور اتصالي عربي مشترك، من خلال العديد من الأجهزة المختصة بالعمل الإعلامي المشترك. وهذه الأجهزة كما أوردها سليم اليافي الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية لشؤون الإعلام تتمثل فيما يلي:

1. مجلس وزراء الإعلام العرب.
2. ويقرر السياسات الإعلامية العربي وخطة التحرك الإعلامي كما يقرر الميزانيات.
3. اللجنة الدائمة للإعلام العربي.
4. وتتكون من رؤساء أجهزة الإعلام في الدول الأعضاء أو من ينوب عنهم، وهي تضع التخطيط العام لسياسة الإعلام العربي، وتوجيه أعمال المكتب الدائم والإدارة المركزية للإعلام.

---

54 - سليم الباقي، مصدر سبق ذكره، ص 7.

5. المكتب الدائم للدعوة العربية.
6. ويعتبر ممثلا للجنة الدائمة ويقوم بالتنسيق بين جهاز الإعلام في الجامعة، ووزارات الإعلام في الدول الأعضاء.
7. الإدارة العامة للإعلام.
8. وهي الجهاز المركزي في الأمانة العامة المنوط به تنفيذ المشروعات بالاشتراك مع
9. مكاتب الجامعة في الخارج.
10. وعددها 21 مكتبا موزعة في آسيا وأوروبا وأفريقيا.
11. اللجان الإعلامية ومجالس السفراء العرب.
12. وقد تكونت هذه المجالس، وعددها مائة مجلس بعد حرب رمضان، وهي تتشكل من السفراء العرب في العواصم الأجنبية، ويرأسها عميد السلك الدبلوماسي العربي.
13. صندوق الدعوة العربية.
14. وهو صندوق تساهم فيه الدول الأعضاء للصرف وتمويل المشروعات الإعلامية.
15. الصندوق الخاص للإعلام.

وهو صندوق قرره مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط واعتمد له 30 مليونا من الدولارات[55].

وبالإضافة إلى أجهزة جامعة الدول العربية يقوم بالإعلام العربي المشترك أحيانا أخرى أجهزة إعلامية عربية من أكثر من دولة عربية، مثل اشتراك وزارات الإعلام في قطرين أو أكثر في برنامج إعلامي، أو قيام شركات إعلامية مشتركة بين قطر أو أكثر، مثل هذه الأجهزة الإعلامية المشتركة تقوم عادة بأنشطة مختلفة مثل إقامة ندوات عالمية مشتركة مثل الندوة التي أقيمت بباريس عام 1984 بالمشاركة بين دولة الإمارات ودولة قطر، والتي نظمتها اللجنة الدولية للعلاقات الإعلامية لدول الخليج العربي، ومثل الشركة الليبية الكويتية التي أنتجت فيلم الرسالة، ومثل الشركة الليبية التونسية للنشر المعروفة باسم الدار العربية للكتاب، ومثل المؤسسات ذات التمويل العربي مثل مؤسسة الدراسات الفلسطينية والتي تسهم في نشر الكتب والمجلات التي تخدم القضايا العربية إعلاميا، ومعهد العالم العربي بفرنسا وإدارة الإعلام بمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول وجهاز تلفزيون الخليج وغيرها من المؤسسات العربية المشتركة.

وعلى الرغم مما يمكن أن تقوم به هذه المؤسسات الاتصالية من خدمات على المستوى القومي وبخاصة أن هذه المشاريع تقدم خدمات ذات مستوى جيد من الرسائل الإعلامية.

---

55 -

إن مؤسسة الإنتاج البرامجي لدول الخليج العربي، التي تأسست عام 1976م تضم سبع دول باعتبارها مؤسسة إقليمية خليجية والتي أنتجت مجموعة من البرامج رفيعة المستوى مثل (افتح يا سمسم) وبرنامج (قف) وبرنامج (الكشاف) وبرنامج (سلامتك)، وغيرها .. لم تلق برامجها الحماس المتوقع من كثير من البلدان العربية غير المشاركة في الإنتاج. *

وقدم لنا مشروع القمر الصناعي العربي نموذجا للأعمال العربية المشتركة التي تقوم على أهداف عظيمة وتبدأ بحماس شديد إلا أنها ما تفتأ أن يعتريها الفتور، أنشئت مؤسسة القمر الصناعي العربي للاتصالات (عرب سات) عام 1976 وقد أطلق أو قمر صناعي لها في: 8 فبراير 1985، وأطلق القمر الصناعي الثاني في 17 يونيو 1985.

وكان الأمل في أن يصبح القمر الصناعي إحدى الوسائل الرئيسة في تدعيم التعاون الإعلامي العربي وتعزيز فعالية الإعلام العربي المشترك. وعلى الرغم من أن تعرفة استخدام القطاع العربي رخيصة جدا[56]. إذ تبلغ 8 دولارات فقط للدقيقة الواحدة للإرسال 4 دولارات للاستقبال إلا أن استخدام القمر الصناعي بلغ أدنى درجات الاستخدام إذ أن استخدامه من قبل 13 دولة عربية لا يتجاوز 32 دقيقة إرسال و115 دقيقة استقبال، وشكى أول مدير عام المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية آنذاك؛ بأنه على الرغم من وجود القناة العربية الجماعية والتي صممت لالتقاط البرامج التلفزيونية في أية بقعة في الوطن العربي، والتي أنشئت بهدف نقل البرامج الثقافية والتربوية والتعليمية إلى المواطن في الجهات النائية إلا أنه لم يتم الاستفادة من إمكانيات هذه القناة[57].

وكما يوفر القمر الصناعي العربي وسيلة مهمة في تدعيم الإعلام العربي المشترك في مجال الاتصال الدولي، حيث كان من المتوقع بقيام الشبكة الفضائية العربية استخدام القمر الصناعي العربي في التبادل الإخباري من خلال الشبكة الإخبارية العربية مما يسهم في سد ثغرة التدفق الإخباري بين الشمال والجنوب[58].

إن فشل المؤسسات الإعلامية العربية المشتركة أو عجزها، أو تكبيلها عن تأدية واجباتها تجعل من القرارات العربية في مجال العمل الإعلامي المشترك ليست بأكثر من

---

* لقد عرض برنامج افتح يا سمسم على التلفزيون المصري بسعر مغر، فلم تقبل مديرة التلفزيون عرضه، وعرض على المديرة أن يقدم بالمجان، ورفضت كذلك، وكان تفسير مديرة التلفزيون آنذاك لسبب اعتراضها عن هذا البرنامج الهادف أنا لا تستطيع أن تعرض هذا البرنامج والأطفال يلبسون الزي العربي ولهجتهم لها أثرها في لغة الممثلين.

[56] - انظر اللقاء مع مدير عام المؤسسة العربية للاتصالات، مجلة تلفزيون الخليج، مجلد 7 ع ص 2 – 3 أ:توبر 1986 – يناير 1987م.

[57] - المصدر نفسه.

[58] - انظر سعد لبيب (القمر الصناعي العربي وآثاره على العلاقات العربية، مجلة الإذاعات العربية، ع 5 سنة 1985 – ص 56 – 58.

صيغ بيانية ، تفتقد، في أغلب الأحيان، إلى مصداقيتها نظرا لأنها لا تجد مجالات لتطبيقها.

إن مراجعة أي قارئ لنصوص قرارات وتوصيات اللجان العربية الإعلامية المشترك مثل اللجنة الدائمة للإعلام العربي، أو مراجعة لقرارات مجلس وزراء الإعلام العرب، يلحظ فيها كثرة القرارات والتوجهات التي لو طبقت لحققت الكثير من الأهداف[59].

فكثير من الجهود الإعلامية المتميزة في مجال العمل الإعلامي العربي المشترك تعاني الآن من الضمور في الموازنات المعتمدة لها، وهذا يؤدي إلى تقليص أنشطتها وشل فعاليتها، وعلى الرغم من إدراك أولى الأمر لأهمية الإعلام، في خدمة القضايا القومية إلا أن ذلك لم يؤد في واقع الأمر إلى تنفيذ الخطط الإعلامية المقترحة، ذلك أن الخلافات العربية السياسية والأيديولوجية بين الأنظمة العربية مازالت تسيطر على

[59] - انظر على سبيل المثال: قرارات وتوجيهات مجلس وزراء الإعلام العربي، مجلة الإذاعات العربية العدد 5 ، السنة 1985م.
- كذلك انظر قرارات مجلس وزراء الإعلان العرب في دورته العادية الثانية والعشرين ، مجلة الإذاعات العربية، العدد 4 ، السنة 1987م.

السلوك السياسي والسلوك الإعلامي العربي، ويفرض نفسه على أشكال التعاون الإعلامي على المستوى الإقليمي والمستوى القومي والمستوى الدولي.

إن إدراك أهمية الإعلام كوسيلة مهمة في تحقيق الأهداف القومية يجب أن يأخذ أولوية لدى القيادات العربية، فالإعلام من ناحية عملية هو أقل الأدوات تكلفة لتحقيق المصالح العربية، وإذا كانت السياسة تسعى دوما إلى تنفيذ أهدافها محليا وعربيا ودوليا – من خلال قنوات وأدوات مختلفة سواء كانت من خلال القوة الاقتصادية أو الدبلوماسية أو القوة العسكرية – فلا شك أن الإعلام يستطيع أن يخدم العمل السياسي بتكلفة أقل من غيره من الأدوات، بشرط أن يعد له إعدادا جيدا وتوفر له الموارد البشرية والمادية اللازمة.

3- واقع الإعلام العربي والتحديات.

لا يغيب عن بالنا أن الإعلام العربي المشترك، ظل دوما ينقل معه أمراض الإعلام العربي القطري، والذي يتوجه دوما في مخاطبة الرأي العام المحلي والخارجي بازدواجية ملفتة للانتباه.

وبينما نتوقع من الإعلام العربي الخارجي المشترك أن يكون مكملا وامتدادا طبيعيا للوظيفة الاتصالية للمؤسسات الإعلامية العربية المشتركة، ولنشاط الجامعة العربية ومكانتها الإعلامية في الخارج، إلا أنه أيضا يجب أن يكون هذا الإعلام المشترك امتدادا للأنشطة الإعلامية للدول العربية، وهذا يفترض أن الرسالة الإعلامية التي توجهها مؤسسة إعلامية عربي مشتركة يجب ألا تتناقض مع رسالة إعلامية من دولة عربية أخرى، خاصة في الرسائل ذات الطبيعة القومية.

وكثيرا ما يختلط الأمر فيما يتعلق بالرسالة الإعلامية الموجهة للخارج أو للداخل، ويتصور البعض أن ضرورة التفريق بين الإعلام الداخلي والإعلام الخارجي يعني أساسا الاختلاف في مضمون الرسالة فحسب .. ومن ثم قد يجد المتابع أن الرسالة التي تبث في الداخل حول مسألة ما .. تناقضها رسالة أخرى حول القضية نفسها ثم بثها في الخارج .. إن العالم أصبح قرية كونية على رأي ماكلوهان. وهذا يعني أن هذه الازدواجية في الخطاب الإعلامي ستؤدي إلى فقدان الثقة بأية كلمة عربية تقال داخل الوطن العربي، حيث يعتبر الإعلام مجرد بيان لغوي للاستهلاك المحلي.

إن التفريق بين الإعلام العربي المحلي والإعلام العربي الخارجي يجب أن يقوم ليس على أساس وجود حقيقتين .. بل دائما هناك حقيقة. ولكن يجب أن يختلف أسلوب تقديمها نظرا لاختلاف الجمهور، واختلاف الأهداف المرتبطة بالعملية الاتصالية.

يهدف الإعلام العربي الداخلي في العادة إلى تدعيم علاقة الولاء لدى المواطنين وإدماجهم في خطط التنمية الوطنية وتنمية الشعور الوطني، إلا أن الإعلام العربي الخارجي يهدف إلى خلق تعاطف لدى الجمهور الأجنبي من خلال علاقة المصلحة ويقظة

الضمير الإنساني، ولهذا فإن التفرقة بين نمطي الإعلام العربي المحلي والإعلام العربي الخارجي ضرورية.

ويتجسد واقع الإعلام العربي المشترك في جملة من الظواهر السلبية تتمثل فيما يلي:

1- الإعلام العربي المشترك إعلام غير مدروس: ينقصه التخطيط وإعداد الحملات الإعلامية المتتابعة التي تستطيع استقطاب الجمهور والمحافظة عليه من خلال سياسة النفس الطويل.
2- إن الإعلام العربي المشترك إعلام غير متخصص: فهو يخلط في جمهوره بين الجمهور العام وبين النخبة. وبينما يطمح الإعلاميون العرب الوصول إلى الرأي العام، فإنهم يخاطبون الرأي العام وقادة الرأي باللغة العربية نفسها وبالأسلوب نفسه ولا شك أن توجيه الرسائل المتخصصة لجمهور خاص سيزيد من إمكانية نجاح العملية الاتصالية.
3- الإعلام العربي إعلام غير مثابر: فالإعلام العربي المشترك إعلام موسمي يطرح القضايا ولا يتابعها، وتقام الندوات الإعلامية ولا يؤخذ بتوصياتها.
4- الإعلام العربي إعلام غير ديمقراطي يقوم على مبدأ الخوف: فهو إعلام يركز محليا على الإعلام الأمني وهو إعلام لا يثق بإعلامييه، ولذا يسود تقييد الحريات ويلعب الرقيب دورا كبيرا في السيطرة على مضمون الرسالة الإعلامية، ولذا فإن مبدأ حق التعبير الذي أقرته الدساتير العربية وأقره

مجلس الجامعة سنة 1978 في ميثاق الشرف الإعلامي بمادته الأولى يظل هذا المبدأ حبرا على ورق وقد جاء في المادة الأولى من هذا الميثاق:

يقوم الإعلام على حقين: حق التعبير وحق الاطلاع، وهو: يكمن بالتالي في صلب كل نشاط إنمائي على صعيد المعرفة والثقافة والتربية ولذلك يتعين عليه أن يعمل على تأكيد القيم الدينية والأخلاقية الثابتة، والمثل العليا المتراكمة في التراث البشري، وأن ينشد الحقيقة المجردة في خدمة الحق والخير، وأن يسعى إلى شد الأواصر وتعميق التفاهم والتفاعل والتبادل ماديا ومعنويا في المجتمع العربي والدولي، المادة الأولى: ميثاق الشرف الإعلامي العربي.

5- الإعلام العربي المشترك إعلام مبعثر: وعلى الرغم من أهن هناك بعض الأنشطة الإعلامية المشتركة إلا أن الجهود العربية في المجالات الإعلامية وبخاصة في الإعلام العربي الخارجي هي جهود مبعثرة لا تقدم جهدا واحدا مشتركا فيه نوع من الاتساق والتكامل والتنسيق.

وهذا السلبية كان يمكن تفاديها لو تم الالتزام بالمادة الثانية من ميثاق الشرف الإعلامي العربي والتي تنص على:

أن وسائل الإعلام العربي تحرص على مبدأ التضامن العربي في كل ما تقدمه للرأي العام في الداخل والخارج، وتسهم بإمكاناتها جميعا في تدعيم التفاهم والتعاون بين الدول العربية، وتتجنب نشر كل ما من شأنه الإساءة إلى التضامن العربي، وتمتنع عن توجيه الحملات ذات الطابع الشخصي، المادة الخامسة: ميثاق الشرف الإعلامي سنة 1978.

6- الإعلام العربي إعلام لا يعتمد مبدأ إيراد الحقائق: فبعض الرسائل الإعلامية العربية المحلية والخارجية رسائل غير صحيحة: ولا تعتمد إيراد الحقائق كاملة، وبعضها يعتمد إيراد نصف الحقيقة مما يجعل المرء يشعر أحيانا بتناقض الرسالة الإعلامية العربية وبزيفها، وعلى الرغم من أن ميثاق العمل الإعلامي العربي، وجميع نصوص القوانين والمواثيق والاتفاقيات المنظمة للإعلام تطالب الصدق والالتزام بتقديم الحقيقة خالصة إلى الإنسان العربي إلا أن هذا ما زال مطلبا بعيد المنال، وكان الميثاق العربي قد حدد مسؤوليات الإعلام العربي كما يلي:

تتحمل وسائل الإعلام العربي مسؤولية خاصة تجاه الإنسان العربي، وهي تلتزم بأن تقدم له الحقيقة الخالصة الهادفة إلى خدمة قضاياه، وأن تعمل على تكامل شخصيته القومية، وإنمائها فكريا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا أو إظهار حقوقه وحرياته الأساسية، وترسيخ إيمانه بالقيم الروحية والمبادئ الخلقية الأصيلة، وعلى تربية الشباب على احترام حقوق الإنسان، والاعتداد بشخصيته القومية، وتنمية حس الإنسان بواجباته تجاه مجتمعه ووطنه وأمته العربية، المادة الثالثة: ميثاق العمل الإعلامي العربي سنة 1978.

7- الإعلام العربي إعلام نمطي تقليدي: سواء في مخاطبته الجمهور في الداخل أو في مخاطبته للرأي العام الأجنبي، ولكي يتكسر آثار النمطية فإن الإعلام العربي يحتاج إلى ثلاثة شروط أولية: توفير مناخ الحرية وثانيها: توفير الإمكانيات المادية، وثالثهما: تأمين ظروف الإبداع وتسهيل فرص العطاء والابتكار للإعلاميين.

لقد لاحظ الشاذلي القليبي الأمين العام لجامعة الدول العربية السابق هذه المشكلة وذلك في خطابه أمام مجلس وزراء الإعلام العرب يوم 1985/7/2م بتونس حينما قال:

كيف نصنع أمة عصرية متحركة ومتطورة بمعزل عن هذه الوسائل الجديدة للإعلام والنوعية "هل يكفينا في ذلك تكرار قوالب تقليدية اعتدنا اجترارها في المناسبات، عندما نسير إلى روابط اللغة والتاريخ والحضارة والدين؟ هذه لا شك أسس مهمة

تؤلف أرضية فريدة قل أن حظيت بمثلها مجموعة من الشعوب في العالم، ولكن لتصبح فاعلة، لا بد من تحريكها في مجالات الحاضر وآفاق المستقبل. ولا أقدر على إظهار هذه الأبعاد الفاعلة من الوسائل السمعية والبصرية التي يختص بها عصرنا والتي لم تحسن لحد الآن مجتمعاتنا العربية استثمارها لصالح تنميتها الداخلية، ولخدمة أواصر التضامن والتكافل بينها[60].

8- الإعلام العربي المشترك إعلام فقير: على الرغم من معظم الدول العربية النفطية وغير النفطية تنفق أموالا طائلة على مشاريعها الدعائية في الداخل والخارج إلا أنها بخيلة في الإنفاق على المشاريع الإعلامية العربية المشتركة والتي أقرتها الجامعة العربية ومجلس وزراء الإعلام العربي وغيرها وتعاني دوما المشاريع الإعلامية العربية المشتركة من مشكلة التمويل أو العجز في ميزانيتها.
9- الإعلام العربي المشترك تعوزه الخبرة: على الرغم من وجود خبرات إعلامية عربية قديرة إلا أن المؤسسات الإعلامية العربية المشتركة تفتقد إلى وجود هذه الخبرات التي تشرف وتنفذ على العمل العربي المشترك محليا وعربيا. إذ كانت الترشيحات للعمل في المؤسسات العربية المشتركة – ومن ضمنها الجامعة العربية – هي ترشيحات تخضع للجنسية وهي تتبع ترشيحات الأقطار، وهي في الغالب لأهل الثقة أو الحظوة بدلا من أهل ا لخبرة والعلم.

3-1- التحديات من خلال الواقع العربي.

مع وجود هذه المظاهر يواجه الإعلام العربي العديد من القضايا، وتشكل بالنسبة له عوامل تحد لمهنته الإعلامية ورسالتها.

فعلى المستوى العربي نجد أن أول هذه القضايا يتمثل في الإقليمية حيث تشكل الإقليمية في مواجهة المصالح القومية تحديا أساسيا يحول دون نجاح العمل الإعلامي العربي المشترك ويعيق مسيرة هذا العمل الإعلامي، ومع وجود الإقليمية وتعزيزها نجد أن العديد من الأمور تؤثر في مسيرة العمل الإعلامي العربي المشترك وتوجهاته، فعلى سبيل المثال تختلف المواقف العربية من الصراع العربي – الإسرائيلي وخاصة فيما يتعلق بقضية التسوية واتفاقية أسلو وكذلك المواقف العربية من حرب الخليج.

وكذلك فإن الإعلام العربي يواجه تحديات التنمية، وإذا كان البعض ينظر إلى أن التنمية يمكن أن تتحقق قطريا إلا أن التجارب الإنمائية العربية على امتداد نحو ربع قرن أو أكثر أكدت أن التنمية القطرية تنمية عرجاء، على الرغم من توفيرها بعض مظاهر الرخاء وتأمين البنى الأساسية – خاصة في المجتمعات النفطية – إلا أن التنميات القطرية ظلت عاجزة عن فك ارتباطها الاقتصادي وتبعيتها للغرب، ولذلك فإن تحقيق أولويات

---

[60] ـ الشاذلي القليبي، مسئوليات الإعلام العربي، مجلة الإذاعات العربية ، العدد 5 ، السنة 1985م، ص 19 – 20.

الأمن القومي كالأمن الغذائي والأمن المائي ما زال حلما بعيد المنال بالنسبة للدول العربية.

لقد عرج الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية على هذه القضايا وأكد على أنها تشكل التحديات الأساسية للإعلام العربي المحلي والخارجي وهذا ما حداه أن يطرح هذه المسؤوليات أمام وزراء العمل لتصبح تساؤلا يحتاج إلى إجابة من صناع القرار الإعلامي ومنفذيه، يقول الشاذلي القليبي:

وهذه القضايا يمكن للإعلامن العربي أن يضطلع فيها بمسؤوليات جسام، إن سلبا أو إيجابا، حسب المنحى الذي ينحوه، وحسب الوعي القومي الذي يظهره، والنضح الذي يرتقي إليه في إدراك مصالح إمتنا، في خصوص حق مجتمعاتنا في أن يكون لها إعلام واع وناضج وشمولي، وفي خصوص مساهمة الإعلام العربي في تطوير مجتمعاتنا، باعتبار الإعلام أحد أجهزة التنمية، وفي خصوص خدمة قضايانا العربي على الساحة الدولية، فإنه لنا الحق أن نتسائل هل أن الإعلام العربي يضطلع برسالته الكاملة في مواجهة هذه التحديات المختلفة، على الوجه الذي تمليه كل المواثيق العربية[61].

3-2- التحديات الخارجية:

لا مندوحة من القول أن الإعلام العربي يواجه تحديات خارجية لا تقل أهمية عن التحديات التي تواجه الإعلاميين العرب على مستوى عربي فالعالم الخارجي عالم ليس مكونا من الأصدقاء، إنه عالم تحكمه المصالح وتحكمه كذلك علاقات تاريخية وثقافية، أنتجت أنماطا من الصور المشوهة، والعلاقات المرتابة، والسلوك المتعصب والمتحيز، ولذا فإن الحديث عن التحديات الخارجية للإعلام العربي المشترك تتمثل بما يلي:

أ – نحن والغرب.

ب- نحن وشعوب العالم الثالث.

حـ- نحن ودوك المعسكر الاشتراكي المنهار.

3-2-1- نحن والغرب:

لعل من أهم الأمور التي يمكنها أن تشغل بال المخططين الإعلاميين العرب عند مخاطبة الرأي العام الغربي تلك الصور المشوهة التي تغمر السوق الإعلامية الغربية، والصور المتنوعة للتضليل الإعلامي الذي تمارسه آليات الإعلام الغربي.

---

[61] - المصدر نفسه، ص ص 10 – 20.

يرى محمد حسنين هيكل أن جذور تشويه صورة العربي في وسائل الإعلام الغربية ترجع إلى أسباب تاريخية نتيجة عدم الثقة والخوف المتبادلين بين العرب وأوروبا، نتيجة نزاعات رئيسة مثل الإسلام والإمبراطورية الرمانية الشرقية، والصليبيين والصراع على السيطرة على خطوط التجارة، ونتج عن ذلك علاقات بين العرب والغرب امتازت بحساسيات اقتصادية وعسكرية ودينية وعرقية وثقافية[62].

وقد رأى هيكل أن ت شويهات صورة العربي في العالم الغربي قد أسهم العرب في خلقها، وهي تتمثل فيما يلي:

1- الظواهر السلبية المرافقة لعملية التنمية.
2- صورة الشيخ البليونير والتصرفات الخاطئة لعدد من الأثرياء العرب.
3- عدم قدرة العرب على فهم القضية والأسلوب الصحيح لتقديم صورة صحيحة عن أنفسهم[63].

ويمكن للمتتبع لتشويه الصورة العربية في الخارج أن يرى مجموعة من القضايا التي تشكل مصادر تشويه الصورة العربية في وسائل الاتصال وهي كذلك مصادر التضليل الإعلامي الغربي ضد العرب.

وهذه المصادر لتشويه صورة الشخصية العربية تتمثل فيما يلي:

1- العرب والنفط والثروة النفطية.
2- العرب وعداؤهم للكيان الصهيوني.
3- العرب مصدر الإرهاب في العالم.
4- العرب وتعصبهم الديني والطائفي.

يقول أريك رولو الصحفي الفرنسي اليهودي الشهير:

أعترف بالتحيز ذلك أننا معشر الصحافيين متحيزون بطريقة أو بأخرى[64].

لقد عمل هذا التحيز دورا في صنع أشكال متعددة للصورة النمطية للإنسان العربي، يتحدث جاك شاهين في كتابه عرب التلفزيون The TV Arab ، عن

---

62 - محمد حسنين هيكل، الصورة العربية في وسائل الإعلام الغربية: كيف يمكن تحسينها، في كتاب، الإعلام الغربي والعرب، أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية لندن، 1979م. دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الإعلام والثقافة، ص 26.
63 - المصدر نفسه، ص ص 265 – 266.
64 - أريك رولو مفاهيم خاطئة في وسائل الإعلام الغربي والعرب، (مصدر سبق ذكره).

أشكال متعددة للصورة النمطية وهي التي يوظفها كتاب التلفزيون الأمريكي في كتاباتهم، وهي غير حقيقية، وتتمثل بما يلي:

1- أن العرب يشترون أمريكا.
2- أن الأوبك مرادفة للعرب.
3- أن الإيرانيين عرب.
4- أن جميع العرب مسلمون.
5- أن العرب يسترقون البيض وحكامهم غير متحضرين.
6- أن جميع الفلسطينيين إرهابيون.
7- النزاع العربي الداخلي.
8- العرب هم أعداء العالم[65].

ومن خلال مراجعة للوسائل الإعلامية الغربية وعلى الأخص الأمريكية يمكننا متابعة عناصر التحديات للإعلام العربي في الخارج وها هي بعضها:

3-2-2- العرب والنفط والثروة: الصورة الشوهة:

أشار جاك جاهين في كتابه المذكور بأن الصورة النمطية للعرب في أمريكا أنهم يشترون أمريكيا، وأن منظمة الأوبك هي منظمة عربية، وهاتان الصورتان تكملان بعضهما البعض، وقد أشار وليد خدوري إلى أنه "نتيجة النفوذ الهائل لوسائل الإعلام الغربية على شعوبها وبقية شعوب العالم فإن الأمر هنا لم يعد يقتصر فقط على ماهية الصورة التي تنقلها هذه المؤسسات عن العرب ولكن أيضا، ومع مرور الزمن، أصبح تراكم معلوماتها يشكل خطرا حقيقيا على الأمنين السياسي والاقتصادي، ويمكن تلمس ذلك بشكل جلي عند تغطية الموضوعات العربية عموما. والقضية الفلسطينية وشؤون النفط والطاقة على وجه الخصوص[66]."

وأوضح خدوري أنماطا من الحملات المعادية التي شنتها وسائل الإعلام الغربية ضد منظمة الأوبك وأقطارها والأقطار العربية بصورة خاصة ويمكن تلخيص عناصر الحملة الإعلامية كما أوردها خدوري في النقاط التالية:

1- الربط المباشر ما بين الأوبك والشعارات والرموز السلبية والممقوتة في المجتمعات الغربية والتي تساعد على تكوين رأي عام ضدها مثل استخدام تعبير الكارتل والمجموعة الاحتكارية وتكرار ربط هذه التعبيرات بالأوبك يكرس

---

[65]- Jack Shaheen: The TV. Arab, (bowling green, ohin: bowling green state univ popular: 1984, pp. 13 – 20.

[66] - وليد خوري، الطاقة العربية في الإعلام الغربي، محاضرة في الدورة الرابعة في أساسيات صناعة النفط والغاز للإعلاميين النفطيين، الكويت ص 10 – 30 ، 1985/11/12م.

الصورة لدى الرأي العام وصانعي القرارات بأن هذه المجموعة من الدول هدفها الابتزاز ومصادرة الأموال والموارد بأساليب ملتوية.

2- اتهام منظمة أوبك بأنها وراء التضخم والكساد الاقتصادي في الأقطار الصناعية الغربية بسبب زيادة أسعار النفط الخام في السبعينات ولذا قام رجال الإعلام والسياسة الغربيون بتضليل الرأي العام حول خطورة دول الأوبك في رفع معدلات التضخم، وهذا التضليل كان يبحث عن كبش فداء أجنبي لإلقاء الأزمات الاقتصادية على كاهله وكذلك تعبئة الرأي العام الغربي يهدف إلى تنفيذ سياسات اقتصادية واستراتيجية لترشيد الاستهلاك والحفاظ على الطاقة، وتقليل الاعتماد على النمط.

3- توجيه الجمهور الغربي نحو تكوين أوهام خاطئة عن الطاقة مما أدى إلى خلق انطباعات محددة عن النفط وأصحابه، ودفع إلى نشوء أنماط جديدة لاستهلاك الطاقة.

ومن أبزر الأوهام ترسيخ أن الأوبك هي منظمة عربية، وأن العربية هم وحدهم الذين ينتجون النفط وأن أي حدث نفطي ذو علاقة مباشرة بالعرب.

4- وضع معالم الشخصية العربية في الأدبيات والمؤسسات الغربية في صورة نمطية تشوه حضارتها وثقافتها.

وهذه الصورة النمطية هي نتيجة حتمية لمحاولة الغرب على إبقاء صورة العربي في صورة نمطية جامدة هي محصلة تراكمية لهجوم قديم موجه ضد العرب ويتم تكريس هذه الصورة بتشبيه العربي بالفقير الوسخ والسلطان السمين وربطه بالحريم والجواري والمتاجرة بالعبيد والإرهاب الدولي.

5- انحسرت في بداية الثمانينات تغطية أخبار الأوبك وتغيرت لهجة المخاطبة نتيجة لتغيرات السوق النفطية العالمية فبعد أن كان الأوبك هي المارد أصبحت أقطار الأوبك في حالة فوضى ومحنة دائمة ومثقلة بالديون وممزقة وأصبحت وسائل الإعلام المتزنة تركز على قرارات منظمة الأوبك التي تتحدى السيادة الوطنية والأمن القومي أو تضارب مصالح الدول أو المشاكل التي لا تجد حلولا أو التشهير بوزراء المنظمة[67].

إن المقومات السالفة للحملة الإعلامية الغربية فيما يتعلق بالنفط العربي ومنظمة الأوبك تشكل عناصر أساسية للتحدي المستمر للإعلام العربي المشترك في الخارج. وتستمر الحملة الإعلامية الغربية لتجعل من العرب أصحاب ثروات خيالية ينفقونها بلا حساب وعلى الرغم من أن الثروة العربية كما يرى هيكل ثروة متواضعة إذ أن العائدات

---

[67] - وليد خوري، المصدر نفسه، ص ص 9 – 23.

النفطية السنوية الإجمالية لمجموع دول الأوبك العربي وغير العربي تصل إلى حوالي 167 بليون دولار وهذا يساوي الدخل القومي لإيطاليا بينما لا يكاد دخل الدول العربية يساوي دخل هولندا على مصادر لا تنضب[68]. وهذا الرقم حينما كانت أسعار النفط مرتفعة وكمية الإنتاج كبيرة، وتضاءل الإنتاج والمداخيل كثيرا الآن بل أصبح عدد من الدول النفطية العربية بعد حرب الخليج مدينا.

وفي إطار التشهير بالعرب جرب في الولايات المتحدة سلسلة من المؤامرات السياسية والإعلامية التي حاولت تشويه صورة الإنسان العربي، وهذا ما عرف بـ ABSCAM وهي فضائح ربط بصورة الشيخ العربي الراشي للسياسيين الأمريكيين .. فقد قام عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI بالاعتماد على الصورة النمطية للعرب كركيزة يعتمدون عليها لرشوة بعض الساسة الأمريكيين متخفين بالزي العربي باعتبارهم شيوخا عربا.

ويقول روزننتال M. Rosenthal المدير التنفيذي لجريدة النيويورك تايمز أنه لن يعجبني إذا قام رجال مكتب التحقيقات الفدرالي بعمل Jews Scan فقد اختير العرب لأن وسائل الإعلام تتهمهم من بين أشياء أخرى بأنهم يشترون أمريكا، بينما العرب هم أقل المستثمرين بالقياس إلى الألمان والبريطانيين والكنديين والسويسريين واليابانيين[69].

ولقد كانت شخصية العربي الذي سيشتري أمريكا مصدرا ثريا للرسوم الساخرة، وعلى سبيل المثال تم توزيع رسم كاريكاتيري لمارليت في: 321 صحيفة أمريكية، وكان هذا الرسم عبارة عن ثلاثة شخصيات عربية أحدهم يعزف ويغنون معا:

هذه الأرض أرضك .. هذه الأرض أرضي من كاليفورنيا إلى جزر نيويورك[70].

وكما يقول هارولد بيتي Harold Piety إننا غالبا ما نجد أن الكاريكاتيرات البسيطة والوقحة والقاسية للعالم العربي في الرسوم الساخرة في صفحات المقالات التحريرية.

حيث تمثل الكاريكاتيرات حالة خاصة، ولكنها تقاسي من طريقة المبالغة للمسألة الرئيسة للمعالجة الأمريكية في الصفحة التحريرية للصراع العربي في الشرق الأوسط[71].

---

[68] - هيكل مصدر سابق ذكره ص 362.

[69]- Jack Saheen: Abscam: Arabia phobia in America (Washington : American Arab anti – discrimination committee).

[70]- Ibid.

هذا ولم تشر وسائل الإعلام الغربية إلى ما تقدمه الدول النفطية من معونات للدول الفقيرة .. سواء كانت في مجال التعاول العربي – العربي أو العربي – الأفريقي أو العربي – الإسلامي، وبتفحص ما أورده المراغي حلو المساعدات التي تجاهلتها وسائل الإعلام الغربي نجد أنه قد بلغ إجمالي المعونات ما بين مارس 74 – 1977 حوالي 5 مليارات دولار سنويا، وأخذ الرقم يتصاعد حتى وصل إلى الذروة، إذ بلغ 9.6 مليار دولار عام 1980 ثم عادت المساعدات لتصل إلى 5.5 مليار دولار عام 1983 لقد كانت مساعدات الأوبك تعادل 30% من إجمالي المساعدات الدولية وإذ كانت تمثل 7% من إجمالي الناتج القومي الكويتي، و 8% من الناتج القومي السعودي، و 12% من الناتج القومي للإمارات، و 16% من قطر وقد أعطت الدول العربية بمنظمة أوبك 8.5% من ناتجها القومي عام 1975م. وفي عام 1983م تراجعت النسبة إلى 3%[72]. وهي نسبة لت تبلغ ربعها الدول الغنية مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا وهولندا وغيرها.

3-2-3- العرب والكيان الصهيوني:

من التحديات التي تواجه الإعلام العربي المشترك في الخارج ذلك الموقف الغربي المنحاز لإسرائيل والذي يعتبرها كرسول حضاري وديمقراطي في غابة من التخلف والديكتاتورية، وإسرائيل دولة تمثل الحمل البريء الذي نال من الاضطهاد النازي. وهذه الصورة سائدة إلى اليوم في وسائل الإعلام الغربية مستغلة شاعرا سيئا لتغطية الانحياز إلى إسرائيل. ويقول أحد كتاب جريدة الواشنطن بوست "نجحت إسرائيل في علاقاتها العامة على تصوير نفسها على أنها نتاج الديمقراطية في بحر من الدكتاتوريات والدول المتخلفة. وكذلك كحاجز أمام الشيوعية، وهذا هو مظهر التعاطف الطبيعي لليهود لا يمكن إنكاره في الصحافة الأمريكية[73].

والموقف ذاته يتجسد في وسائل الإعلام الغربية الأوروبية، وتقف الصحافة وفي ألمانيا الغربية موقفا مدعما للكيان الصهيوني، وهو يرسخ المفاهيم الخاطئة نفسها والصور المشوهة عن العرب في مقابل الصورة المشرقة لإسرائيل.

ويقول د. سامي مسلم: وقد قارنت صحافة ألمانيا الغربية على الصعيد السياسي بين الدور الذي تلعبه دول الشرق الأوسط ودور الدول الأوروبية، معتبرة إسرائيل "بلد ديمقراطي" الواقف إلى جانب الغرب، بينما تقف الأقطار العربية إلى جانب الاتحاد السوفيتي .. وقد ذهبت إلى أبعد من هذا في مقارنة للمجابهة بين الإسرائيليين والعرب مع

71- Harold Piety: "Zioist Bias on American editorial pages" in split vision: Arab portrayal in the American media: Edmund ghareen. (ed) (Washington D.C. institute of middle eastern and Aferican affaris 1977, p. 145.

72 - انظر محمود المراغي، رحلة المعونات في زمن العجز (مجلة العربي العدد 330 مايو 1986م) ص ص 52 – 53.

73- Edmund Ghareen op. cit. p. 12.

المجابهة بين الألمان والروس، أي مع السوفيات أي مع الشيوعية، والروس هم أعداء الألمان في ح ربين عالميتين، حتى وبعد قيام دولة ألمانيا الاتحادية أيضا يؤيدون العرب أعداء إسرائيل الذين يتعاطف الألمان معهم ويؤيدونهم[74].

ولقد استطاعت آلة الدعاية الصهيونية في الغرب أن تقدم مجموعة من الصور التي ما زالت تشكل تحديا كبيرا للإعلام العربي في العالم الغربي وهذه بعض من التصورات التي استطاعت وسائل الإعلام ترسيخها والتي تتمثل فيما يلي:

1- تغيرت صورة اليهودي شيلوك التاجر والمرابي، وتغيرت صورته كجبان وغير مقاتل وحاولت الدعاية أن تركز على صورة داوو مقابل جولييات العرب.
2- إن العربي مقاتل ضعيف وجبان.
3- الإسرائيلي جندي ممتاز وبطل.
4- الإسرائيليون هو الذين يؤيدون الغرب، ويحمون مصالحهم في المنطقة في مواجهة الخطر السوفيتي.
5- إقناع الغرب بوجهة النظر الإسرائيلية بأن الفلسطينيون لا يشكلون أمة ولا يحتاجون ولا يستحقوا دولة، ففلسطين أرض بلا شعب.
6- إن إسرائيل هل الديمقراطية الوحيدة في المنطقة.
7- إن إسرائيل هي تحقيق لنبوءة الماضي وهي: نبوءة أرض الميعاد وربطها بالعقيدة المسيحية والأسس الفلسفية والدينية المشتركة.
8- إن إسرائيل بلد مسالم في بحر من الأعداء الذين يطمعون في إلقائها في البحر. وهي بلد ضحية من ضحايا العداء للسامية، ومن ضحايا الهولوكوست في الحرب العالمية الثانية[75].

وليس غريبا أن نجد السيناتور هنري جاكسون يقدم تقريره إلى رئيس لجنة التسليح بمجلس الشيوخ يقول فيه:

هذه البلد (الولايات المتحدة) وإسرائيل اللتان يتهدد أمنهما بالأزمة الحالية في المنطقة مرتبطتان بقيم مشتركة وروابط ثقافية وتراث أخلاقي وديني مشترك. لقد شاركت

---

[74] - سامي مسلم، صورة العرب في صحافة ألمانيا الغربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1980، ص 30.

[75]- Michael Suleiman "perception of the middle east in American News magazines in, Arabs in American: myths & realities baha. Abu- Labab & Faith Xeadey (eds) (Wilmette, III, the medina univ. press international: 1975, pp. 29 – 36.

- وكذلك انظر محمد عبد العزيز ربيع توجهات الإعلام الصهيوني على الساحة الأمريكية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلد 15 ، 1987/3/1، ص ص 265 – 268.

- مجدي حماد ، إعداد الإعلام الصهيوني ، أطروحات ومواقف. (تونس، المنظمة العربية للتربية الثقافة والعلوم 1986م).

الولايات المتحدة بفعالية في المساعدة في خلق دولة إسرائيل. ومنذ تأسيسها فإن شعب هذه الأمة الناشئة حاز على إعجاب الغالبية العظمى من الأمريكيين لشجاعتهم التي أظهروها في الوقوف بثبات أمام عدوانية جيرانهم[76].

ومثل هذا التصور نجده عند الرئيس ريغان تمثل في خطابه 6 سبتمبر 1984 أمام الجمعية العامة بناي – بريث الصهيونية[77].

وكما لعبت الصهيونية العالمية وإعلامها في الغرب على اختلاق أكذوبة الهولوكست واللعب على وتر العداء للسامية لكل منتقد للصهيونية وللسياسة الإسرائيلية، وما زالت قضية خرافة إبادة ست ملايين يهودي تمثل وسيلة ابتزاز سياسي وإعلامي واقتصادي تقوم به آلة الإعلام الصهيونية في الغرب، والجميع تابع قضية روجيه جارودي في فرنسا والذي شكل بالأدلة في مسألة الهولوكست وحجمها.

وحول خرافة إبادة ستة ملايين يهودي بأفران الغاز خلال الحرب العالمية الثانية، قال الدكتور شكري صالح زكي في محاضرة ألقاها بأبو ظبي: إن ذلك كان أكذوبة تبناها الغرب لتبرير تدمير المدن الألمانية وزرع الكيان الصهيوني في فلسطين وقد استند شكري صالح في تفنيد الخرافة إلى كتاب **"هل مات ستة ملايين؟ الحقيقة أخيرا"** لمؤلفه هارود الأستاذ بجامعة لندن.

وقد أكد المؤلف على نقطة مهمة للغاية وهي أنه: وعلى الرغم من وقوع آلاف الأطنان من وثائق الحرس الهتلري والبوليس السياسي وأوراق ووثائق وزارات الحرب والداخلية والخارجية والمخابرات السياسية والعسكرية بتشكيلاتها كافة في أيدي الحلفاء فلم يستطع أحد من العثور على وثيقة واحدة تتضمن أمرا بإبادة اليهود أو تتضمن ولو إشارة إلى هذا الموضوع بأي شكل من الأشكال[78].

وقد رافق هذا الموقف تحيز وسائل الإعلام لإسرائيل حيث أصحبت تغطيتها للشرق الأوسط تغطية مختارة يتلقاها – على سبيل المثال – الأمريكيون بدرجة كبيرة من التقبل إذ أصبحوا يثقون بالوسائل الإعلامية بعدما فقدوا الإيمان بقادتهم[79].

---

[76] - Jamil Jeries: images and policies in senate debites on middle eastern issues. 1976, pp. 11.

[77] - محمد عبد العزيز ربيع، المصدر سبق ذكره، ص 277.

[78] - جريدة الخليج (الشارقة) 1987/3/23م – كذلك انظر يوسف الحسن "أوراق من واشنطن"، الخليج، 1987/5/5م.

كذلك انظر (غرف الغاز والأفران النازية حقيقة أم خيال)، ترجمة صباح كنعان، جريدة الخليج، 1987/5/12م.

[79]- Alfred Lilienthal : The Zionist connection: What pricw peace? New York: middle east perspective inc. 1978, p. 271.

وهذا التحيز كما يرى ألفرد ليلنتال Liliental يرجع إلى عدة أسباب متنوعة: الضغوط الدينية – العرقية للمجتمع اليهويد القوي واللوبي الذي يمارس من خلال الإعلان وطرق أخرى، وكذلك الاتجاه الغربي العام الذي يجد تعاطفا مع شعب ذي ثقافة غربية مثل الإسرائيليين، بينما ينظرون في الوقت ذاته بعين الريبة تجاه الشعوب غير الغربية، والشعور المسيحي الدائم والحالي نحو الإبادة الجماعية النازية[80].

وفي حديث حول السيطرة الصهيونية ينقل لنا اللورد كريستوفر ماهيو حواره مع السيناتور الأمريكي فولبرايت فيقول:

"خلال السبعينات تحدثت عن الفلسطينيين في بعض الاجتماعات الصعبة في الولايات المتحدة، وبعد أحد هذه الاجتماعات جاء إلي السيناتور فولبرايت الذي كان آنذاك رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، وقال لي يا مستر ميهيو، إنني أوافق على 80% مما قلته ولا يهمني أن أقوله أنا نفسي، ولكنني لا أعرف أيا من زملائي في مجلس الشيوخ ممن يمكن أن يجرؤ على أن يقول: إن الناخبين لا يهمون، إلا إذا كانت دائرتك الانتخابية في الساحل الشرقي، ولكن إذا تحدثنا كما تتحدث أنت، فإن وسائل الإعلام ستتحول ضدنا بشأن كل أوجه نشاطاتنا، وأعتقد أن أغلبية زملائي في مجلس الشيوخ تحصل على نسبة حاسمة من أموال حملاتها الانتخابية من اللوبي اليهودي[81].

ولا يخفى على المتابعين مدى الهيمنة الصهيونية على وسائل الإعلام في الولايات المتحدة، فإن عدد العاملين منهم في وسائل الإعلام الأمريكية بالنسبة لعدد السكان غير متوازن، بالإضافة إلى خشية الصحفيين المسيحيين من الاتهام بعدائهم للسامية، وخوف الشخص غير اليهودي من فقدان شعبيته، وكما أن جمعيات الضغط اليهودي تلعب دورا في التأثير في الصحفيين ليتبنوا وجهات نظر إسرائيل[82].

ولا شك أن هذا الموقف يزيد من عبء المواجهة الإعلامية العربية الخارجية، وعلى الرغم من وجود بعض الأصوات النزيهة والصادقة والمتعاطفة مع القضايا العربية، إلا أن ضخامة المواجهة تجعلها دوما في موقف ضعيف وموقف الدفاع عن النفس، وهنا

---

[80]- Ibid. pp. 271 – 272.

[81]- Lilinthal Op cit. p. 272.

[82] - في هذا المجال يكفي أن نشير إلى بعض الأسماء ومن بينها يهود ضد الصهيونية أمثال الكاتب الشهير الفريد ليلنتال ومن كتبه المشهورة ثمن إسرائيل وأحدثها كتاب The Zionist connection، والحاخام اليهودي الأمريكي المربيرجر Elmer Berger وكذل رجال الكونغرس والمثقفون والصحفيون والساسة من جميع أنحاء العالم وخصوصا في المعسكر الغربي، ويكفي أن نراجع كتاب بول فندلي Paul Findly المعنون "إنهم تجرأوا على الكلام، They dare to speak out" وهو يتحدث عن مواجهات شخصيات أمريكية مومموقة اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة.

تكمن أهمية دور الإعلام العربي والساسة العرب في تدعيم مواقف هؤلاء الذين يحملون لواء قضايانا[83].

وفي مقال عن ميرودخ في مجلة التايم كتبت: "هوليوود تهمس حول محاولة لورد الصحافة بناء شبكة تلفزيونية رابعة".

وفي هذا المقال، أوضحت المجلة كيف أصبح روبرت ميردوخ وهو يهودي أسترالي، أحدث قيصر للفيديو في أمريكا، حيث اشترى استديوهات فوكس للقرن العشرين للسينما والتلفزيون، وكذلك اشترى ست محطات تلفزيونية ببليون ونصف بليون دولار من سلسلة متروميديا[84]. بالإضافة إلى الصحف التي اشتراها في بريطانيا.

3-2-3- العرب والإرهاب:

يواجه الإعلام العربي صورة العربي الإرهابي في وسائل الإعلام الغربية وأصبحت أسطورة مكافحة الإرهاب العربي الموهوم (واستخدام التضليل الإعلامي للجماهير) ذريعة للأنشطة والقرارات السياسية والاقتصادية الأوروبية والأمريكية ضد العرب[85].

ولهذا فإن المستهدف من الحملات الإعلامية والسياسية الأوروبية والأمريكية العرب أنفسهم وليس الإرهاب، وهكذا يتم تشويه النضال الفلسطيني ويتم وسم الفلسطيني المقاتل بالإرهاب ولعل من الأمور الملفتة للانتباه بهذا الشأن عدة مواقف:

أولها: الاعتداء الأمريكي ضد ليبيا.

ثانيهما: الموقف الأوربي – الأمريكي من سوريا بعد القضية المعروفة بقضية نزار هنداوي[86].

ثالثها: القرار الأمريكي بشأن إقفال مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن وكذلك إقفال مكاتبها في الأمم المتحدة.

---

[83] -

[84]- The Time magazine: 11/11/1985.

[85] - انظر في ذلك جون مارتن، الحكومات الأوربية وتضليل الرأي العام (جريدة الاتحاد 1988/11/15).

[86] - انظر فؤاد زيدان "مسرحية هنداوي" في حرب النفس الطويل، جريدة الخليج 1986/11/15م.

رابعا: قضية لوكربي واتهام ليبيا بتفجير الطائرة.

وقد طالب العرب في المحافل الدولية وفي مناسبات عديدة بتحديد مفهوم الإرهاب والتفريق بين الإرهاب وبني الكفاح المسلح من أجل التحرير الوطني[87]. وكلن صوتهم ظل مجرد صوت يضيع صداه في أروقة المحافل الدولية.

ونجد أن صورة الإنسان الإرهابي العربي هي الصورة المفضلة في الوسائل الإعلامية، وهي – كما يقول إدوارد سعيد – تكفي لتجعل الإنسان العربي يجذب

الانتباه وهكذا، فإن كان العربي يحتل مكانا تكفي لجذب الانتباه، فإن يحتله كقيمة سلبية، فهو يعاني كمخرب لوجود إسرائيل والغرب أو في نظرة أخرى للشيء ذاته، كعقبة أمكن تجاوزها لخلق إسرائيل عام 1948[88].

وتتعزز هذه الصورة بشخصية العربي الذي يمتلك سلاح النفط ليهدد به الحضارة الغربية، وهكذا يأخذ تصوير العربي بامتلاكه النفط بعدا إرهابيا يتحدى الحضارة الإنسانية بكاملها ولذا يصبح مشروعا أمام آلة الحرب الأمريكية، والغربية تدخلها في شؤون العرب بل واحتلال منابع نفطهم يقول إدوارد سعيد بهذا الشأن: وإلى جانب عدائه للصهيونية، فإن العربي مزود بالنفط وتلك خصيصة سلبية أخرى. إذ أن غالبية المسارد المقدمة عن النفط العربي تساوي بين المقاطعة النفطية في 1973 – 1974 التي أفادت منها بشكل رئيس شركات النفط الغربية ونخبة عربية حاكمة صغيرة، وبين غياب أية مؤهلات أخلاقية عربية لامتلاك مثل هذا الاحتياطي النفطي الهائل، والسؤال الذي يطرح في الأعم الأغلب، دون أي من التحسينات الاستبدالية اللبقة المعتادة، هو لماذا يمتلك بشر كهؤلاء العرب حق إبقاء العالم المتطور (الحر ، الديمقراطي ، الأخلاقي) مهددا؟ ومن أسئلة كهذه ينبع الاقتراح المتكرر بأن تقوم قوات الجيش البحرية الأمريكية بغزو حقول النفط العربية[89].

5-2-3- العرب والتعصب الديني والطائفي:

لا شك بأن ما تقدمه وسائل الإعلام الغربية من صور مشوهة عن الإسلام والمسلمين يكرس صورا سلبية لدى الإنسان الغربي عن شخصية الإنسان العربي والمسلم.

ويرى إدوارد مورتايمر Edward Mortimer:"والنتيجة بأن الجمهور الغربي بدلا من أن يبدأ في الفهم والتعاطف مع مختلف الشعوب المسلمة، فإنه يثبت رؤية لهم بأنهم

---

[87] - جريدة البيان، دبي، 1987/10/31م.
[88] - إدوارد سعيد – الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية 1981م، ص 286.
[89] - المصدر السابق نفسه، ص 287.

همجيون غامضون غير عقلانيين وسلوكهم محكوم بقانون أخلاقي بدائي وسري، وغير مؤهلين للمشاعر الإنسانية العادية[90].

ولقد انعكست صورة التشويه للإسلام والمسلمين – والعرب هم خير من يمثله في الآلة الإعلامية الغربية – في دراسات المستشرقين ودراسات الأكاديميين. ويمثل برنارد لويس أحد الثقاة – لدى الغرب – في التاريخ الإسلامي نموذجا لعدم النزاهة والتشويه المغرض للإسلام ولأهله وينتقد إدوارد سعيد في كتابه الشهير الاستشراق، وهذا الموقف بقوله:

"وغرض لويس التماحكي، لا البحثي، هو أن يظهر هنا وفي أماكن أخرى أن الإسلام عقائدية لا سامية، لا دين فقط، وهو يواجه بعض الصعوبة المنطقية في محاولته تأكيد أن الإسلام ظاهرة جماهيرية مخيفة، وأنه في الوقت نفسه ليس شعبيا بصورة أصيلة صادقة". ولكن هذه المشكلة لا تعيقه طويلا وكما تظهر الصورة المعدولة الثانية للنادرة المتميزة التي يرويها فإنه يتابع ليعلن أن الإسلام ظاهرة قطيعية أو جماهيرية لا عقلانية، تسيطر على المسلمين بالشبوب الانفعالي والغريزة، والأحقاد الجارفة، والغرض من عرضه كله أن يخيف جمهوره، أن يجعله يرفض أبدا أن يتنازل عن قدر بوصة للإسلام، وتبعا للويس، فإن الإسلام لا يتطور، كما لا يتطور المسلمون، بل أنهم كائنون وحسب، وينبغي أن يراقبوا بسبب ذلك الجوهر الصافي فيهم (تبعا للويس) الذي يشتمل على كراهية عريقة متجذرة للمسيحيين واليهود. ولويس في كل مكان يكبح جماح نفسه ويمتنع عن إصدار تقريرات مثيرة كهذه صراحة، وهو حريص على أن يقول دائما أن المسلمين طبعا ليسوا لا ساميين بالطريقة التي كان عليها النازيون، غير أن دينهم يمكن بسهولة بالغة أن يسلم نفسه للاسامية، وأنه (في الواقع) قد فعل ذلك. وكذا هي الحال بالإشارة إلى العنصرية العرقية، والعبودية، والشرور الأخرى "الغربية" نوعا[91].

وقد انعكست هذه الصورة على الطريقة التي بها يتم تقديم الإسلام في الغرب إذ يقدم الإسلام دوما على أنه تهديد للغرب وللحضارة الغربية[92]. وكما يرى إدوارد سعيد أنه:

"أضحى الإسلام يشبه إجماع (قميص عثمان) لأي شيء لا يعجبنا من أنماط العالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ... وهكذا يقدم الإسلام لليمين على أنه

يمثل البربرية وبالنسبة لليسار يمثل ديمقراطية العصور الوسطى وبالنسبة للوسط فإنه دخيل بلاد طعم[93].

---

[90]- Edward Morimer. Islam and the western journalism (the middle east journal, vol. 35 autumn No. 4, 1981, p. 475.

[91] - إدوارد سعيد، الاستشراق، سبق ذكره، ص 414 – 415.

[92] - Ibid . XV.

ولا يفوتنا هنا أن ننوه بأن الجماعات الإسلامية (التي تعرف بالأصولية) وما تقدمه من أيديولوجية قتالية وممارسة العنف في الجزائر ومصر، وأفغانستان كرست الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين.

وهذا الموقف من الإسلام وأهله .. يمثل أكبر التحديات التي تواجه العرب وإعلامهم في الخارج.

3-3- نحن والأصدقاء: شعوب العالم الثالث وشعوب المعسكر الشرقي المنهار:

لا شك أن العرب يجدون من دول شعوب العالم الثالث وشعوب أوروبا الشرقية كل العون والتأييد في مختلف القضايا التي تطرحها المجموعة العربية في المحافل الدولية.

ونعرف أن دول العالم الثالث وخاصة الدول الأفريقية والإسلامية ودول أوروبا الشرقية كانت قد قطعت علاقاتها مع الكيان الصهيوني، وكذلك قامت تلك الدول بالإسهام في دخول منظمة التحرير الفلسطينية إلى الأمم المتحدة كمراقب ومن خلال دعم تلك الدول استطاعت استصدار القرار التاريخي بشأن اعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية، بالإضافة إلى القرارات الأخرى التي أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية.

ولا غرر أن النظر إلى هذه المواقف الإيجابية لدول العالم الثالث الأفريقية والآسيوية ودول عدم الانحياز ودول أوروبا الشرقية كلها مواقف تدعم الرسالة الإعلامية العربية المشتركة ولكنها في الوقت ذاته تحمل العرب مسؤوليات جمة – فقد يكون من السهل اكتساب الأصدقاء ولكن من الأصعب أن نحتفظ بهم.

إن العالم مجموعة متداخلة من المصالح التي تعلو وتنخفض، وليس الحق وحدة كفيل بالاحتفاظ بالأصدقاء، إن أصدقاء العرب لهم مصالحهم أيضا، وهذه المصالح تستدعي منا النظر في مواقفنا من هؤلاء الأصدقاء بحيث يمكننا تدعيم

العلاقات معهم ليس من خلال المشاعر، ولكن بارتباط مصالحنا مع مصالحهم إن إسرائيل تحاول النفاذ الآن إلى أفريقيا كما حاولت التسلل إلى آسيا – على سبيل المثال سيريلانكا – وهذا الدور الجديد لإسرائيل يستلزم من العرب حركة سياسية واقتصادية وإعلامية نشطة بحيث تستطيع دعم الأصدقاء وتطوير علاقتنا معهم بدلا من أن نخسرها دولة إثر دولة. إن خير الأمثلة التي يمكننا الحديث عنها الآن هو طبيعة العلاقات العربية – الأفريقية، وعلى الرغم مما يربط العرب والأفارقة من علاقات تاريخية واقتصادية

---

[93] - إدوارد سعيد، المصدر نفسه

وثقافية[94]. إلا أن هذه العلاقات تصبح مجالا رحبا للتخريب إذا لم يحسن تطويرها ولم يتم تطويق محاولات التشويه وإساءة الفهم لطبيعة هذه العلاقات.

في كتابه المعنون "علاقات أفريقية الدولية: دبلوماسية التبعية والتغيير"، يقدم علي مزروعي صورة للإحباطات التي أصابت الأفارقة مع العرب وخاصة في المجال الاقتصادي ويقول:

"التضامن لم يكن بدون توترات فقد توقع بعض الأفارقة السود مكافأة خاصة من العرب بعد أن يقطعوا علاقاتهم بإسرائيل، وعندما فشلت تخفيض أسعار النفط بالنسبة للأفارقة كانت هناك إحباطات، وفي يونيو 1974م في نيروبي كان هناك اقتراح في المجلس التشريعي لشرق أفريقيا يحث دول شرق أفريقيا لتحويل مجرى النيل بعد ذلك يمكنهم بيع الماء للعرب في مقايضة مع براميل النفط[95].

ويعقب مزروعي بقوله: "إنه ولم يتحقق أحد من المجلس بأن أية محاولة لتحويل نهر النيل ستكون إعلان الحرب على السودان ومصر، إذ أنه لا يتوقع أن تقبل مصر والسودان أن يموت شعباهما عطشا وجوعا، هذا بالإضافة إلى أن مصر والسودان المتضررتين ليس لديهما نفط بيعانه[96]. وأن الأفارقة طالبوا بمثمن قطع علاقاتهم مع إسرائيل بينما الثمن قام العرب بدفعه سلفا وذلك من خلال قطع علاقاتهم مع جنوب أفريقيا والأنظمة العنصرية فليها ودعمهم المتصل لحركات التحرير في أفريقيا[97].

ولا ريب أن ما يطرحه مزروعي يشير إلى أمرين مهمين:

أولهما: أنه من خلال سوء الفهم والنية والجهل معا يمكن أن ينقلب الأصدقاء إلى أعداء.

ثانيهما: أن تبديد سوء الفهم والنية والجهل يمكن أن يتم من خلال الوعي والنية المخلصة واستخدام المعلومات المتوافرة والحقيقة، والتي نادرا ما يجيد إعلاميونا استخدامها.

وعلى سبيل المثال – وكما أشرنا سابقا – فإن الموقف الكيني المذكور يمكن إجلاء فحواه ليس فحسب بالطريقة التي قام بها مزروعي – وهي ناجحة – ولكن بوضع

---

94 - انظر صالح أبو أصبع – الإعلام والتنمية ، نموذج مقترح للاتصال العربي الأفريقي، دبي: مؤسسة البيان 1985م.

95- Ali Mazrui: Africa's international relations: The diplomacy of deependancy & change. London : Heinemans: west ciew press 977. p. 145.

96- Ibid, p. 146.

97- Ibid. pp. 146 -147.

مقارنات لمدى إسهامات الدول العربية النفطية في المساعدات للدول الأفريقية ودول العالم الثالث، وهذه الإسهامات التي لو حسبت بناء على الدخل القومي الكلي لمجموع الدول العربية لارتفع ليصل إلى نسبة مرتفعة جدا لا مجال لمقارنة مساعدات أمريكا وأوروبا بها.

إن الأمر اللازم مواجهته الآن ليس كسب الأصدقاء بمقدار ما نحن بحاجة إلى المحافظة على الأصدقاء. وبخاصة بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد واتفاق أوسلو ووادي عربة. وبعد أن أصبحت لأكثر من بلد عربي علاقات مع إسرائيل.

إن الإعلام العربي بحاجة إلى مواجهة صريحة لجملة التحديات التي تجابهه في معسكر الأصدقاء كما هي تواجهه في معسكر اللاأصدقاء والأعداء – وهذا ينطبق كذلك على الأصدقاء والمتعاطفين مع القضية العربية في المعسكر الغربي أولئك الذين وقفوا في وجه اللوبي الصهيوني.

4- آفاق المستقبل:

من خلال الواقع ومعطياته تجلو لنا صورة المستقبل للإعلام العربي. فهذا الواقع يتمثل فيما يلي:

1- إعلام عربي لاثنتين وعشرين دولة تتجاذبها المصالح القطرية والاتجاهات المذهبية والسياسية المختلفة.
2- الإعلام عربي لمؤسسات مشتركة تمثل تلك الدول بشكل إقليمي أو قومي وتعوزها الإمكانيات المادية والبشرية والاستراتيجية الواضحة المعالم وبعيدة المدى[98].
3- إعلام عربي يعاني من أوجه قصور متعددة في مجال التطبيق العلمي.
4- تحديات داخلية تواجه المجتمع العربي والإنسان العربي على كافة الأصعدة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وإعلاميا.
5- تحديات خارجية تواجهنا في معسكر اللاأصدقاء والأعداء في المعسكر الغربي وخاصة في الولايات المتحدة وبريطانيا بالإضافة إلى الصراع الرئيس مع الكيان الصهيوني.

---

[98] - انظر د. محمد مصالحة "الاستراتيجية الإعلامية في مقررات القمة العربية"، مجلة شؤون عربية، عدد 37 مارس 1984م ص 93، حيث يرى د. مصالحة أنه لم يتم التوجه نحو وضع استراتيجية للعمل الإعلامي العربي المشترك إلا في فبراير عام 1982، حيث تم وضع منطلقات للعمل العربي المشترك على الساحات الدولية، وهذه المنطلقات مجموعة من مبادئ عامة للعمل الإعلامي تتصل بأهدافه وموضوعاته ووسائله ومجالات عمله. ص 93 – 94.

6- تحديات خارجية تواجهنا في معسكر الأصدقاء وحيث تصبح مسؤولية الاحتفاظ بهم أصعب من اكتساب أصدقاء جدد لقضايانا.

من خلال هذا الواقع ومعطياته ننظر إلى آفاق المستقبل الذي يتحدد في هدف أساسي يرتبط بمقررات القمة العربية وهو اعتبار الإعلام قوة رديفة للعمل السياسي والاقتصادي، إذ جاء في أول قمة عربية عقدت في يناير 1964م اعتبار الإعلام أحد الأسلحة الأساسية لمواجهة الخطر الإسرائيلي ويأتي دوره بعد الجوانب السياسية والاقتصادية.

ولكي ينجح الإعلام العربي لتحقيق أهدافه، فإنه رهين في اقتدراه على مجابهة التحديات التي تجابهه فالتحديات السياسية تحتاج إلى وعي لدى الإعلاميين يدركون به أبعاد الصراع العربي – الإسرائيلي وأخطاره وخصوصا في ظل معاهدات السلام ويدركون من هم الأصدقاء ومن هم الأعداء، ويدركون مدى الأخطار التي يفرزها الواقع الإقليمي والصراعات المحلية والإقليمية بالمنطقة، وهذا الوعي إذا لم يرافقه التزام قومي بقضايا الوطن والمواطنين يصبح ترفا فكريا.

وإذا لم تتوافر مناخات الديمقراطية الحرية الفكرية والفردية في المجتمع فإن ظروف توافر صناعة إعلامية ناجحة يصبح أملا مفقودا، ذلك أن تقدم المجتمعات يقاس بمدى الحرية الممنوحة للأفراد، وبمدى تقبل هؤلاء الأفراد لتحمل المسؤولية.

إن محاولة اجتياز التحديات أو على الأقل التعامل معها بمنطق يستطيع أن يروضها – يستدعي منا التعامل مع عناصر عملية الاتصال بحيث تصبح أكثر فاعلية وقدرة على الإسهام في عملية اتصالية ناجحة.

فنحن بحاجة إلى المتصل (الإعلامي) الخبير الذي يعرف كيف يصمم رسالة ذات تأثير مستخدما إمكانيات العلم في تصميم الرسالة، وهذا المتصل يجب أن تكون لديه مواصفات عديدة، من بينها الثقافة مع الالتزام كي يستطيع مواجهة التحديات، هذا الإعلامي الذي يجب أن تكون لديه المعرفة بنظريات الإعلام وتأثيراته، وخبرة في معرفة جمهوره، وبالأسلوب الأمثل لمخاطبته، ومعرفة التوقيت الأنسب للوصول إليه.

وأما الرسالة فيجب أن تكون ذات مضمون وشكل قادرين على استثارة الجمهور واستقطابه، وأما الوسيلة فإننا يجب أن ندرك أن لكل وسيلة خصائصها، فالصحيفة ليس كالكتاب، وليست كالتلفزيون وإذا كان لكل وسيلة جمهورها، فإن درجة المصداقية ودرجة التأثير لكل وسيلة ستختلف عن الأخرى.

إننا نتوقع من وسائل الإعلام أن تقوم بمجموعة من المهمات التي بناء عليها يتم تحديد مستقبل الإعلام العربي ونجاحه وهي:

1- يمكن أن تقوم بتوسيع دائرة الحوار حول مجموعة من القضايا السياسية.
2- يمكنها أن تؤثر في الاتجاهات وتمهد إلى تقبل الجماهير لاتجاهات جديدة أو تغيرها، وإن كان ذلك يستغرق وقتا طويلا.
3- تغيير آفاق الناس حول مسائل وأناس وثقافات لم يسمع بها الجمهور ولم يقابلوها.
4- تركيز انتباه الناس على مسائل محددة وترتيب الأولويات لديهم.
5- تغذية أفنية الاتصال الشخصي وتعزيز نفوذها، وخصوصا الجاليات العربية، والطلبة والسياح.

تحقق الوظائف الست تلك الفاعلية المناسبة لوسائل الإعلام ... وقد أمست الحاجة إلى إعلام عربي مؤثر من أولويات العمل العربي المشترك ولذا فإن الإعلام العربي بحاجة إلى أن يلعب الأدوار السالفة من أجل هدف واضح وهو كسب الأصدقاء وتحييد الأعداء ويتمثل هذا الهدف بمجموعة من العناصر وهي:

أ) تحسين صورة الإنسان العربي في الخارج.
ب) تركيز الانتباه على القضايا العربية والتعاطف معها.
ج) خلق اتجاهات رأي عام مناصر لقضايانا.

ولكي تصبح هذه العناصر ممكنة فإن تحقيقها كهدف للعملية الاتصالية يتمثل فيما يلي:

أولا: تحديد الجهات المسؤولة عن الاتصال (من هو المتصل؟).

ثانيا: تحديد المشكلات الحقيقية والحيوية التي يجب أن يعرضها الإعلام العربي (ما هي الرسالة؟).

ثالثا: تحديد الوسائل الملائمة لتوصيل الرسالة من خلالها. (ما هي الوسيلة أو الوسائل؟).

رابعا: تحديد نوعية وخصائص الجمهور الذي يخاطبه المتصل (من هم المتلقون والمستقبلون للرسائل؟).

خامسا: فهم الظروف التي تتم بها عملية الاتصال (أي سيق يتم به الاتصال؟).

إن التعامل مع أركان العملية الاتصالية يستدعي عملا إعلاميا عربيا مشتركا يتجاوز الواقع الحالي .. ولكي يتحقق ذلك فإنه يستدعي تحقيق بعض الشروط الموضوعية التالية:

1- قرار سياسي عربي ترافقه إرادة تنفيذية للتنسيق والتخطيط والتنفيذ المشترك للمشاريع الإعلامية العربية المشتركة.
2- خطط إعلامية واضحة طويلة المدى وأخرى قصيرة المدى تكون منارا لتوجيه الإعلاميين ومؤشرات لتحقيق الأهداف من خلال حملات إعلامية شاملة.
3- توفير الكوادر الإعلامية المدربة ذات الخبرة والكفاءة، والمسلحة بالوعي بالقضايا القومية والمشكلات الدولية.
4- توفير التنسيق بين الأجهزة الإعلامية والسياسية العربية محليا وقوميا ودوليا.
5- توفير الميزانيات الملائمة لتمويل المشاريع الإعلامية مما يوفر توظيف أفضل الكوادر الإعلامية، واستخدام أحدث أنواع التكنولوجيا الاتصالية.
6- توفير مناخ الحرية مما يساعد على الإبداع ويؤمن للإعلاميين حرية الوصول إلى المعلومات والاستفادة منها وتوظيفها بدون حرج.
7- توفير المعلومات المسبقة لإعداد الحملات والخطط الإعلامية وذلك من خلال البحوث والدراسات التي تتناول الظاهرة الإعلامية.
8- الاستغلال الأمثل للقنوات الفضائية وشبكات الإنترنت وذلك بتوجيه قنوات فضائية مشتركة للجمهور الدولي يخاطبهم بلغة علمية رصينة، بتقنية عالية جذابة واستغلال أمثل لمواقع على الإنترنت باللغات العالمية وخصوصا الإنجليزية والأسبانية والفرنسية.
9- تحديد أولويات العمل الإعلامي العربي المشترك، ولا سيما تحديد المشكلات الحقيقية التي يجب مخاطبة الجماهير حولها وخصوصا القضايا التالية:
أ) الصراع العربي – الإسرائيلي.
ب) الحضارة العربية الإسلامية.
ج) النفط والثروة العربية.
د) الشخصية العربية والصور النمطية المصاحبة لها.
ه) قضايا التنمية في الوطن العربي.
و) الوحدة العربية.

ولعل توفير تلك الشروط سيسهم إسهاما عمليا في رفع كفاءة الإعلام العربي وسيزيد من فعاليته.

كلمة أخيرة:

أبرزنا في الصفحات السابقة صورة عن واقع الإعلام العربي المشترك وضخامة التحديات التي تواجهه وقد أضحى الإعلام قوة عقائدية اجتماعية وسياسية واقتصادية، ولذا فإن الاستفادة من قوة الإعلام تحتاج إلى مراعاة مجموعة من العناصر وهي ذات صلة

قوية بنظريات تأثير وسائل الإعلام، وهي ترتبط بما أسميته بمبدأ الاصطياد[99]. الذي ينظر إلى وسائل الإعلام كقوة كامنة يمكن أن تتحقق فعاليتها القصوى عند مراعاة مجموعة من التغيرات وهي تتمثل فيما يلي:

1- مراعاة الزمن، وهنا يمكننا الحديث عن ثلاثة أنواع من الزمن:
أ) المدة التي تستغرقها العملية.
ب) التوقيت الذي يتم فيه الاتصال.
ت) التواقيت وهو يعني تزامن الرسالة مع حدث ما، أو ظرف مناسب للعملية الاتصالية.
2- استخدام مبدأ المحاصرة والشمولية: كلما استطاعت وسائل الإعلام محاصرة الجمهور المستهدف فإنها تضيق عليه فرصة الإفلات من الرسالة الإعلامية وتزيد إمكانية نجاح الرسالة الإعلامية.
3- الاستكشاف: كلما استطاع الباحث الحصول على معلومات مسبقة عن الجمهور ونوعيته واستخداماته وعاداته الاتصالية كلما استطاع أن يصمم رسائل أكثر ملاءمة للجمهور وتقوم البحوث الإعلامية بتحقيق مهمة جمع المعلومات الاستكشافية.
4- التراكم – والتكرار: تركم الرسائل الإعلامية لدى الجمهور بأساليب مختلفة تسهم في محاصرة الجمهور وتسهم في تدعيم فهم الرسالة وتثبيتها لدى الجمهور وكما أن التكرار للرسالة الواحدة على مرات متعددة يسهم في تحقيق المحاصرة ويزيد من فرصة اطلاع الجمهور على الرسالة وعلى فهمها له.
5- التدريب: المتصل المدرب كالصياد الماهر المدرب، ولذلك فإن التدريب يؤدي إلى تحقيق أفضل النتائج.
6- الانسجام: إذا قام المتصلون بإعداد رسائل يؤمنون بها وتنسجم مع قناعاتهم وانتماءاتهم الفكرية والاجتماعية ستكون فرصة نجاحهم أكثر.
7- المرونة: إن سرعة التأقلم والمرونة في التعامل مع الجمهور من خلال رجع الصدى الفوري للرسائل يؤدي على المساهمة في نجاح العملية الاتصالية وكما أن مرونة الصياد في مناورة فريسته تؤدي إلى نجاحه كذلك الحال مع المتصل وجمهوره.

---

[99] - انظر في ذلك: صالح أبو أصبع "مبدأ الاصطياد مشروع عربي لنظرية تأثير وسائل الإعلام، في كتاب الاتصال الجماهيري ".

كذلك انظر بحثنا مع د. محمود عجاوي، "دور وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية في ت أصيل مفهوم العون الذاتي لمحو الأمية وتعليم الكبار"، في البحث المقدم لحلقة بحث تأصيل مفهوم العون الذاتي المنعقدة بجامعة الإمارات، نوفمبر 1987، بإشراف جامعة الإمارات وجهاز تعليم الكبار.

8- المنافسة: عامل مهم في جذب الجمهور وإذا كان صياد يستطيع أن يجذب إليه صيده بطعم أكثر أو ذي مذاق أفضل من منافسه كذلك فإن المنافسة بين وسائل الإعلام تؤدي إلى وسيلة تقوم بجذب جمهور وسيلة أخرى.
9- نوعية الحافز المثير: والمردود بالنسبة للمرسل والمتلقي فإن نوع الحافز وقوته بالنسبة للمرسل يؤدي إلى التزام منه وحماس في تأدية رسالته.

وكذلك فإن نوع الحافز وقوته بالنسبة للمتلقي تؤدي إلى تأثير متوقع ينسجم مع الذي به يستطيع الحافز أن يثير التلقين ولذا فإننا نتوقع أن استجابة الجمهور تتأثر بالمدى الذي تحققه الرسائل الاتصالية من إشباعات للحاجات.

10-إن المزيد من الاستخدام الرشيد للتكنولوجيا المتقدمة يؤدي إلى قدر أكبر من الوصول إلى جمهور أكبر.
11-إن الاتصال المؤسساتي أكثر قدرة في الوصول إلى جمهور كبير من اتصال الأفراد فإذا كانت القاعدة:

بأن الصياد الفرد يعطينا صيدا قليلا

وأن الصيادين الجماعة يعطوننا صيدا كثيرا

كذلك فإن الاتصال عن طريق المؤسسات له قدرة كثيرة في الوصول إلى جمهور كبير.

ومن خلال هذا فإننا نتوقع فهما أفضل للعملية الاتصالية ولذا فإننا نوصي بما يلي:أولا: الاستفادة من الظروف الملائمة للبدء في حملات إعلامية مثل انتفاضة الأرض المحتلة المستمرة منذ ديسمبر 1987م، وكشف الإرهاب الصهيوني للرأي العام الغربي.

ثانيا: توخي الدقة في اختيار الشخصيات التي تقوم بتوصيل الرسالة بحيث تكون قادرة على توصيل الرسالة بشكل مقنع للرأي العام الغربي.

إذ أن التعامل مع وسائل الإعلام الغربية فن، ولعل من الأمور الملفتة للانتباه أن كثيرا من الزعماء العرب حينما يخاطبون الوسائل الإعلامية الأجنبية وخاصة التلفزيون يتحدثون بالإنجليزية بلغة غير سليمة ولكنه معوجة مما يعطي انطباعا سيئا عند المشاهد. ولعله من الضروري كذلك أن يتكلم الزعيم العربي بلغته مما يعطي انطباعا بأهميتها والثقة بها.

يتحدث اللورد كريستوفر ماهيو في كتابه أوان التغيير، عن تجربته بهذا الخصوص.

عن ياسر عرفات يقول:

"لقد عومل ياسر عرفات، شأنه شأن عبد الناصر، معاملة غير منصفة من وسائل الإعلام الغربية ولكنه بعكس عبد الناصر يجب أن يتحمل هو نفسه جزءا من الملامة. فعلى التلفزيون الغربي سيكون من الأفضل له أن يتحدث بالعربية مع مترجم، وأن يكيف مظهره الشخصي بصورة أقرب إلى توقعات الغربيين من رجل دولة محب للسلام[100].

ثالثا: إعداد أدلة إعلامية تكون في متناول أيدي العرب في الخارج لتوعينهم لمواجهة التشويه الإعلامي الغربي وتزييف الحقائق وهذا النوع من الأدلة يجب أن يعتمد على أسلوب لو سئلت في كذا، تكون إجابتك كذا.

رابعا: توظيف الجاليات العربية والإسلامية في شرح القضايا العربية ومناصرتها وكذلك الاهتمام بأبناء تلك الجاليات بتوعيتهم وإلحاقهم في معسكرات بالوطن الأم.

---

[100] ـ اللورد كريستوفر ماهيو : أوان التغيير

خامسا: الاهتمام بالسياح العرب واعتبارهم سفراء لبلادهم من خلال توعيتهم لدورهم القومي والإنساني حيثما يكونون.

سادسا: الوقوف بحزم أمام حملات التشويه مثلما فعلت إيران في مواجهة إيطاليا ومثلما فعلت مع أستراليا حينما طردت دبلوماسيين أستراليين احتجاجا على برنامج تلفزيوني[101].

سابعا: دعم القوى المناصرة للقضية الفلسطينية من المثقفين والكتاب والصحفيين وخاصة بشراء كتبهم وتوصيلها إلى المكتبات الجامعية، ومكتبات الأحياء في المدن والقرى.

ثامنا: القيام بأسابيع ثقافية عربية مشتركة تبرز الوجه الحضاري والوحدوي للأمة العربية.

تاسعا: عقد الندوات والمؤتمرات الدولية التي تشارك في دعم المواقف العربية وإجلاء الصورة العربية وتعميم نتائج تلك المؤتمرات مثل الندوة التي عقدت في لندن والأخرى التي عقدت في باريس حول الإعلام الغربي والعرب[102]. ومثل المؤتمر الدولي الذي عقد حول الإرهاب الدولي والذي أصدر إعلان جنيف حول مسألة الإرهاب[103].

عاشرا: المساهمة في المنابر الدولية بصوت موحد يبرز الوجه الوحدوي للأمة العربية في مواقفها من قضاياها وقضايا شعوب العالم.

---

[101] - جريدة الخليج، 1987/3/23م.
[102] - الخليج، 1987/4/28م.
[103] - انظر أعمال ندوة لندن، انظر أعمال ندوة باريس.

المصادر والمراجع
باللغة العربية

- محمود المراغي، رحلة المعونات في زمن العجز (مجلة العربي العدد 330 مايو 1986م) ص ص 52 – 53.
- فؤاد زيدان "مسرحية هنداوي" في حرب النفس الطويل، جريدة الخليج 1986/11/15م.
- إدوارد سعيد – الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية 1981م، ص 286.
- أريك رولو مفاهيم خاطئة في وسائل الإعلام الغربي والعرب، (مصدر سبق ذكره).
- الخليج، 1987/4/28م.
- الشاذلي القليبي، مسئوليات الإعلام العربي، مجلة الإذاعات العربية ، العدد 5 ، السنة 1985م، ص 19 – 20.
- اللورد كريستوفر ماهيو : أوان التغيير
- جريدة البيان، دبي، 1987/10/31م.
- جريدة الخليج (الشارقة) 1987/3/23م – كذلك انظر يوسف الحسن "أوراق من واشنطن"، الخليج، 1987/5/5م.
- جريدة الخليج، 1987/3/23م.
- جريدة الخليج، الشارقة 1986/12/4م.
- جون مارتن، الحكومات الأوربية وتضليل الرأي العام (جريدة الاتحاد 1988/11/15).
- د. راسم محمد الجمال، الإعلام العربي المشترك، دراسات في الإعلام الدولي العربي ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1985م.
- د. محمد على العويني، الإعلام العربي، المؤسسات المضمون الوسائل، الجمهور الأثر، الدعاية المضادة، القاهرة ، عالم الكتب 1979م.
- سامي مسلم، صورة العرب في صحافة ألمانيا الغربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1980، ص 30.
- سعد لبيب (القمر الصناعي العربي وآثاره على العلاقات العربية، مجلة الإذاعات العربية، ع 5 سنة 1985 – ص 56 – 58.
- سليم اليافي، الإعلام العربي المشترك من خلال جامعة الدول العربية ، المجلة العربية للإدارة ، المجلد 1، العدد 1 1977م، ص ص 4 – 17.
- صالح أبو أصبع – الإعلام والتنمية ، نموذج مقترح للاتصال العربي الأفريقي، دبي: مؤسسة البيان 1985م.

- صالح أبو أصبع ود. محمود عجاوي، "دور وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية في ت أصيل مفهوم العون الذاتي لمحو الأمية وتعليم الكبار"، في البحث المقدم لحلقة بحث تأصيل مفهوم العون الذاتي المنعقدة بجامعة الإمارات، نوفمبر 1987، بإشراف جامعة الإمارات وجهاز تعليم الكبار.

- صالح أبو أصبع "مبدأ الاصطياد مشروع عربي لنظرية تأثير وسائل الإعلام، في كتاب الاتصال الجماهيري ".
- صباح كنعان (غرف الغاز والأفران النازية حقيقة أم خيال)، ترجمة ، جريدة الخليج، 1987/5/12م.

- عبد الخبير محمود عطا، الوظيفة الاتصالية لجامعة الدول العربية، القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، 1977.
- قرارات مجلس وزراء الإعلان العرب في دورته العادية الثانية والعشرين ، مجلة الإذاعات العربية، العدد 4 ، السنة 1987م.
- قرارات وتوجيهات مجلس وزراء الإعلام العربي، مجلة الإذاعات العربية العدد 5 ، السنة 1985م.
- مجدي حماد ، إعداد الإعلام الصهيوني ، أطروحات ومواقف. (تونس، المنظمة العربية للتربية الثقافة والعلوم 1986م).
- مجلة تلفزيون الخليج، مجلد 7 ع ص 2 – 3 أ:توبر 1986 – يناير 1987م.
- محمد حسنين هيكل، الصورة العربية في وسائل الإعلام الغربية: كيف يمكن تحسينها، في كتاب، الإعلام الغربي والعرب، أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية لندن، 1979م. دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الإعلام والثقافة، ص 26.
- محمد عبد العزيز ربيع :توجهات الإعلام الصهيوني على الساحة الأمريكية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلد 15 ، 1987/3/1، ص ص 265 – 268.
- محمد عبد العزيز ربيع، المصدر سبق ذكره، ص 277.
- محمد مصالحة "الاستراتيجية الإعلامية في مقررات القمة العربية"، مجلة شؤون عربية، عدد 37 مارس 1984م ص 93،
- وليد خوري، الطاقة العربية في الإعلام الغربي، محاضرة في الدورة الرابعة في أساسيات صناعة النفط والغاز للإعلاميين النفطيين، الكويت ص 10 – 30 ، 1985/11/12م.

باللغة الإنجليزية

- Alex Schmid & Janny de Craaf: Violence as Communication (London & Beverly
-Jamil Jeries: Images and Policies in Senate Debates on middle eastern issues. 1976, pp. 11.
-The Christian science monitor December 21 – 27 1987.
-Alfred Lilienthal : The Zionist connection: What pricw peace? New York: middle east perspective inc. 1978, p. 271.
-Ali Mazrui: Africa's international relations: The Diplomacy of Dependency & Change. London : Heinemans: West View press 977. p. 145.
-Edward Morimer. Islam and the Western Journalism (the middle east journal, vol. 35 autumn No. 4, 1981, p. 475.
Gukks. Sage publication 1982.

-Harold Piety: "Zionists Bias on American Editorial Pages" in Split Vision: Arab Portrayal in the American Media: Edmund Ghareen. (ed) (Washington D.C. Institute of Middle Eastern and African Affairs 1977, p. 145.
-Jack Shaheen: Abscam: Arabia Phobia in America (Washington : American Arab anti – discrimination committee).
-Jack Shaheen: The TV. Arab, (bowling green, Ohio: bowling green state univ popular: 1984, pp. 13 – 20.
-Michael Suleiman "perception of the middle east in American News magazines in, Arabs in American: myths & realities baha. Abu-Laban & Faith Xeadey (eds) (Wilmette, III, the Medina Univ. press international: 1975, pp. 29 – 36.
-The Time magazine: 11/11/1985.

الفصل الرابع

التنمية الشاملة في الوطن العربي
والدور الاتصالي المفقود

الفصل الرابع

التنمية الشاملة في الوطن العربي

والدور الاتصالي المفقود

الفصل الرابع

التنمية الشاملة في الوطن العربي

والدور الاتصالي المفقود

الفصل الرابع

التنمية الشاملة في الوطن العربي

والدور الاتصالي المفقود

1- مقدمة

التنمية العربية مشروع لم يكتمل، ومعه تنعقد الآمال على مستوى قطري وقومي وأقليمي، ومنذ أن أخذت التنمية من خلال خططها الخمسية أو العشرية في العديد من الأقطار العربية دورها في التنفيذ، فإن مراجعتها تصبح ضرورة للتعرف على بعض جوانب القصور فيها. ولذا فإن هذه الدراسة تستهدف التعرف على: الأبعاد النظرية للتنمية والتي سادت خلال العقدين الخامس والسادس من هذا القرن ثم استعراض أربعة نماذج تنموية عربية من خلال خططها التنمية الخمسية وهي السعودية والأردن وليبيا وعمان وهي تمثل تنوعا في تجارب التنمية من حيث منطلقاتها الفكرية وأنظمة حكمها واختلاف مواردها وطبيعة علاقاتها الإقليمية والقومية والدولية. وبعد ذلك سنقوم هذه التجارب من خلال رؤية نقدية قدمها دارسو التنمية العربية وهم يبحثون عن سبيل إلى تنمية عربية مستقلة، بانتهاج أسلوب عربي للتنمية. ولأن الاتصال يعتبر عاملا حيويا في مختلف مناشط الحياة فإن هذه الدراسة تهدف إلى إيضاح كيف أهملت خطط التنمية العربية الاتصال كنشاط أساسي ومكمل ومساهم في عملية التنمية.

ولهذا فإن هذه الدراسة تبرز أهم جوانب القصور في التنمية وما سميناه بغياب الحلقات الخمس التالية في خطط التنمية وهي:

1. غياب الرؤية الشاملة لتفاعل الأنظمة الكلية والفرعية في العمل التنموي.
2. غياب الرؤية التفاعلية لأبعاد التنمية الإقليمية والقومية والدولية في التنمية.
3. غياب التركز على المعوقات المجتمعية وخصوصية الهوية الثقافية العربية.
4. غياب الاستراتيجية التنموية المتكاملة والتخطيط طويل الأجل للتنمية.
5. غياب دور الاتصال المساهم في التنمية.

وتقدم الدراسة في خاتمتها نموذجا للاتصال التنموي والأنظمة المتفاعلة، كنموذج مقترح لدور الاتصال في ظل تعقيد العملية التنموية.

2- مراجعة الأدبيات

أصبحت التنمية شعارا أخاذا ينادي به المخططون والاقتصاديون والسياسيون وعلماء الاجتماعي والاتصال. ومع منتصف القرن الحالي لم يأخذ شعار ما من العناية والترداد في المحافل القومية والإقليمية والدولية، مثلما نال مصطلح التنمية من عناية. لقد أصبح هذا الشعار – المصطلح ... أسلوب محببا لدى الدول المختلفة، التي هي في مرحلة دون النمو، لاجتياز عالم التخلف واللحاق بركب الدول المتقدمة.

إن التنمية كشعار هي أكثر من ذلك، إنها مصطلح يطلق على عملية معقدة لتدل على (عملية واعية مدروسة ومخطط لها، تتم بالإنسان ومن أجله بهدف الانتقال بالمجتمع بشرا ومؤسسات وهياكل إلى وضع أفضل، يحقق له التقدم والأمن والرخاء والمشاركة والاستقلالية سواء أكان في المجالات الاقتصادية أم السياسية أم الثقافية أم الاجتماعية أم في غيرها من المجالات)[104].

وهكذا تصبح التنمية وسيلة وغاية: هي وسيلة لتجاوز التخلف الذي هو ليس مجرد تأخر زمني – كما يرد د. إسماعيل صبري عبد الله[105] – بل يرجع أيضا إلى التبعية التي انبثقت نتيجة عوامل خارجية – كالاستعمار – وعوامل أخرى داخلية مكنت التبعية من ترسيخ جذورها بل الدفع عنها، وهي غاية يتحقق معها الرفاهية والتقدم.

لقد شهد العالم منذ الحرب العالمية الثانية مناهج مختلفة للتنمية، وقد حددها ستوكويل والدول (Stockwell & waldol) بالمناهج التالية – المنهج السيكولوجي، والمنهج المثالي النزعة، والمنهج الانتشاري، ونظرية التبعية والمنهج المجتمعي[106]، ونجد المنهج السيكولوجي يركز على التنمية الاقتصادية من منظور مدى حضور أو غياب بعض الخصائص الشخصية العامة والحالة النفسية الداخلية التي تميز مجتمعا ما. وهكذا فإن هذا المنهج يعزو القصور في التنمية في مجتمع ما إلى عدم وجود عدد كاف من الخصائص بالنسبة للأفراد، وهذه الخصائص ينظر إليها على اعتبار أنها أساسية لحدوث التنمية، ومن هؤلاء الذين نظروا إلى التنمية من هذا المنطلق ماك كليلان McClelland الذي رأى أن "الحاجة إلى الإنجاز" يمكن اعتبارها رغبة الفرد

في النجاح، ليس فقط للحصول على الاعتراف والإثابة مما يحققه له النجاح، بل للحصول على شعور داخلي بالرضا الذاتي من إنجاز شيء ما. وكذلك رأى هاجن Hagen في كتابة "في نظرية التغير الاجتماعي" أن من أهم الخصائص للشخصية الفردية المرافقة للتنمية الاقتصادية والحاجة إلى الإنجاز والحاجة إلى الاستقلالية الذاتية –

---

[104] - د. صالح أبو إصبع "وسائل الإعلام والتنمية في دولة الإمارات العربية المتحدة (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية بالعدد 27 يوليو 1976) ص156.

[105] - د. إسماعيل صبري عبد الله: "نظرات في تجربة تخطيط التنمية في الوطن العربي والعالم الثالث" في كتاب التنمية العربية الواقع الراهن والمستقبل (بيروت: مركز دراسات الوحدة، 1984) ص201.

[106] - Stockwell, G.G. and N.A. ladlaw: Third world Development: Problems and Prospecls. (Chicago: Neleon Hall Publishers. 1981) PP.5-23.

بالاعتماد على النفس والثقة بها – والحاجة إلى النظام. وقد رأى هاجن أن المشكلة الرئيسة التي تواجه المجتمعات التقليدية تميزها بني اجتماعية على عكس ما يحتاجه النمو الاقتصادية، إذ أن الشخصية التي تنتج هي شخصية تتميز بعدم الثقة في الذات، وبمستوى مرتفع من القلق عند مواجهة تحد لموقف جديد. ولذا فإنه رأى أن التنمية تحتاج إلى شخصية ابتكارية تتناقض مع الشخصية السلطوية، وهي تمتاز بالخيال الابتكار والثقة بالذات والرضا في مواجهة المشاكل وحلها والإحساس بالواجب والمسئولية.

أما المنهج المثالي فإنه يقوم بتقسيم المجتمعات إلى مجموعات مختلفة على أساس مجموعة من الخصائص التي تشير إلى مراحل مختلفة من التنمية. ويتم تصنيفها بناء على مجموعة من المؤشرات مثل متوسط دخل الفرد السنوي، ومستوى استهلاك الطاقة فيه أو نسبة وفيات الأطفال. وهو عمليا يضع النمط الغربي كمثال للتقدم والتنمية. وهذا المنهج يحدد المجتمعات على أنها مجتعات متقدمة (متطورة) أو مجتمعات تحت النمو (متخلفة) بناء على ثلاثة أسس.

- فيما إذا كانت الإثابة أو الهيبة يتم تحديدها بناء على قاعدة من الإنجاز أو النسب.
- فيما إذا كان المعيار المستخدم لتقييم موضوع اجتماعي هو عالمي أو خاص.
- ج) وفيما إذا كانت الأدوار الاجتماعية من ناحية وظيفية محددة أو متسببة.

وبناء على هذا النموذج فإن عملية التنمية الاقتصادية ترتبط بانتقال المجتمع بعيدا من موقعه بين المجتمعات ذات البنية التقليدية، والتي تمتاز بأنها تقوم على قواعد النسب وخصوصية المعيار الاجتماعي، وتسبب الأدوار الاجتماعية. وذلك

للانتقال به إلى بنية اجتماعية حديثة تمتاز بالإنجاز والعالمية والأدوار الاجتماعية المحددة، وهذا النموذج كما وصفه هوسليتز Hosellitz عرقي لأنه يطلب من شعوب العالم الثالث أن تصبح مثل الغرب.

وكذلك نجد روستو W. W. Rostou في كتابه "مراحل النمو الاقتصادي" يحدد خمس مراحل للنمو الاقتصادي متتابعة كما يلي:

1. مرحلة المجتمع التقليدي.
2. المرحلة السابقة للانتقال، وذلك في الوقت الذي فيه تبدأ القيم والممارسات التقليدية بالانهيار وهي مرحلة التهيؤ للإنطلاق.
3. والمرحلة الثالثة هي مرحلة الانطلاق وذلك يكون حين يصير النمو الاقتصادي منجزا.

4. مرحلة التوجه إلى النضوج المتميز بنمو اقتصادي متكامل في ظل نظام دولي كبير.
5. المرحلة الأخيرة وهي الدخول في طور الاستهلاك الجماهيري الكبير.

أما الاتجاه الانتشاري فهو يعني العملية التي بها يتم تبني المجتمعات المتخلفة موضوعا أو آخر مما يعزز تنميتها. وهذا الاتجاه يرى أن المجتمعات المتخلفة ينقصها فائض رأس المال اللازم للاستثمار في برامج التنمية، وكذلك امتلاكها مستوى تقنيا منخفضا، مما يمنع توظيف أقصى الإمكانيات البشرية والموارد الطبيعية، وكذلك وجود بينة اجتماعية تتصف بالمحافظة، والانتساب والخصوصية. ويرى هذا الاتجاه أن التنمية تتحقق من خلال الإعانات والقروض من الدول المتقدمة، وتبنى تلك المجتمعات طرق الإنتاج الزراعي والصناعي في الدول المتقدمة، وكذلك بتبني قيم واتجاهات ونماذج السلوك الأجنبية، وكذلك البنى الاجتماعية كما في الأمم الصناعية الحضرية المتقدمة في الغرب.

أما نظرية التبعية، فإنها ترى أن وضع التخلف في دول العالم الثالث يعود إلى الأسباب التاريخية لتنمية الدول الصناعية. لقد تمت تنمية الدول الصناعية على

حساب دول العالم الثالث باستغلال مواردها. وترى النظرية بأن المشكلة في دول العالم الثالث تنبع من حقيقة أن المجتمعات التقليدية قد دمرها الاحتكاك بالقوى الاستعمارية، ومن ثم فإن طرائق الحياة التقليدية فيها قد أفسدت، ومواردها الاقتصادية صودرت، ولهذا نرى أن دول العالم الثالث قد فرض عليها علاقات تبعية مع القوى الاستعمارية والأمبريالية والأمبريالية الجديدة. وكان من الذين نادوا بهذه النظرية أندرية فرانك Frank.

والمنهاج الأخيرة هو المنهج المجتمعي. وهذا الاتجاه يدمج بعض الخصائص من مجموعة من المناهج السابقة ويرى أن مشكلة المجتمعات المتخلفة ذات أبعاد اقتصادية وديمغرافية وثقافية اجتماعية. ورغم أنه ينتبه إلى أهمية الأبعاد الثقافية والاجتماعية في عملية التنمية إلا أنه أشار إلى أن القيم التقليدية في تلك المجتمعات غالبا ما تعزز تفاقم أبعاد المشكلات الاقتصادية والديمغرافية.

أن النماذج الغربية في التنمية أثبتت فشلها في تقديم النموذج لبلدان العالم. وفشل هذه النماذج في تنمية العالم الثالث – كما يرى د. نادر فرجاني – يرجع إلى أن "النموذج معيب في الجوهر، وبمعنى أنه حتى بالنسبة للغرب المصنع لا يقدم هذا النموذج أي جنة أرضية. لقد بهتت الأنماط الثقافية لبلدان الغرب في ثقافة واحدة تقريبا تقوم على الاستهلاك والتسلح. وإن كان النموذج الغربي قد نجح في توفير الرخاء المادي للناس في البلدان الغربية المصنعة، إلا أن ذلك استتبع آثارا مدمرة في المجالات البيئية والاجتماعية

والنفسانية. أما بالنسبة لبلدان العالم الثالث، فالنموذج كان غير متطابق، وبالتالي قاصر معرفيا مما يجعله غير صالح للتطبيق في بلدن العالم الثالث"[107].

وعلى الرغم من الفوارق الاجتماعية والسياسية والثقافية و النفسية بين المجتمعات الغربية ومجتمعات العالم الثالث. فإن أوروبا والولايات المتحدة صدرت نظرياتها التنموية كأساس للتنمية في بلدان العالم الثالث وحاولت تلك البلدان أن تفرض نماذجها التنموية على دون العالم الثالث، عبر مؤسسات اقتصادية ضخمة، لتكريس مصالحها التي هي في حقيقتها معادية للعالم الثالث[108].

إن تلك النظريات التي انبثقت عن رؤية مركزية عنصرية جاءت لتخدم مصالح مبدعيها ودولهم، ومما استدعى إلى مراجعة لنماذج التنمية بعد أن اتضح أن خصوصية الأوضاع في مجتمعات دول العالم الثالث تحتاج إلى خصوصية في معالجة التنمية فيها.

وقد شعر العديد من الباحثين العرب بعدم الثقة بالفكر التنموي الغربي، والذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية القائم على رؤية غربية، وأصبح من الضروري الاستفادة من فشل نماذج التنمية الغربية في الوطن العربي، تلك النماذج التي تضع أمامنا مسئولية استقرائها "لا كوصفة إذا ما طبقناها أفلحنا، وإن لم نطبقها فشلنا" بل كمنظور تاريخي يتيح لنا استشفاف التجربة التاريخية لدول سبقتنا في مضمار التنمية ... "لنخرج بمنهج تحليلي لنسلطه كالضوء الكاشف على واقعنا وتاريخنا، وتحاول من خلاله دراسة العوامل التي ما زالت تكبل الوطن العربي في واقع التخلف والتعرف على هذه العوامل يمكننا من استنباط أصول الوسائل لتحقيق أهدافنا في نمط تنموية مستقل يحقق للأغلبية من شعبنا العربي حياة أفضل، لا على المستوى المادي والاقتصادي فحسب، بل أيضا على المستوى الثقافي"[109].

ولهذا أضحى واضحا منذ السبعينات أن طريقا جديدا للتنمية يجب أن يشق، بحيث يكون قادرا على استيعاب مجمل المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية، والمتغيرات التي ترتبط بعملية التنمية من متغيرات اقتصادية وبشرية وثقافية ومجتمعية وتكنولوجية. وكان باحثو دول العالم الثالث هم الذين حاولوا أن يشقوا هذا الطريق. ولهذا كانوا هم المنافحين الآن عن البحث عن نظام اقتصادي جديد في العالم، وكذلك كانوا هم المطالبين بنظام اتصالي عالمي جديد.

ولهذا رأى بعض الباحثين سقوط ما أسموه "بوثنية النماذج الغربية" في التنمية ويصبح الطريق أمام العرب مفتوحا لانتهاج سبيل تنموي عربي خاص بهم إذ إنه:

---

107 - د. نادر فرجاني: "عن غياب التنمية في الوطن العربي، في كتاب التنمية العربية الواقع الراهن والمستقبل. (سبق ذكره) ص48.
108 - المصدر نفسه ص50.
109 - د. نادية رمسيس: "النظرية الغربية والتنمية العربية" في المصدر السابق ص191.

"ليس أمام العرب، وهم في مفترق الطرق، نموذج للتنمية معد سلفا في جملته وتفاصيله بحيث يقتصر الاجتهاد على دراسته بعناية وتطبيقه بكفاءة. ليس ثمة كتاب "وصفات العلاج السيل التي يمكن أن يسلكها أي مجتمع في نضاله، من أجل التنمية والتقدم الحضاري، وصعوبة الحكم السابق على مدى صلاحية أي سبيل منه دون اختبار كفاءته، في ضوء النتائج المستقبلية التي يمكن أن يفضي إليها في الأمد الطويل. وليس الاختيار قاصرا، كما ساد في أذهان البعض حتى وقت قريب، على اختيار بين نماذج سبق تجربتها ونجاحها في حالات تاريخية معينة، ولا هو محكوم فحسب بعوامل أيديولوجية وطبقية كما كان يبدو أحيانا.

إن كلا من تجارب النمو المختلفة، هي نتاج ظروف تاريخية وموضوعية، محددة يصعب أن تكرر. وهي ترتبط إلى جانب الاختيار السياسي بمدى النمو السباق، والعلاقة مع العالم الخارج، والموارد المادية والبشرية المتاحة، وحجم الدولة ومدى تنوع مواردها إلى جانب طبيعة الحضارة السائدة والأصول التاريخية لها والسمات المميزة لها[110].

سبق أن أشرنا إلى أن العديد من الباحثين العرب يرون أن النماذج الغربية السالفة ونماذج الغرب في التنمية ليست صالحة لأن تكون نهجا للتنمية العربية ونجد أن الانتقادات لتلك النماذج ركزت على ضرورة إتباع منهج قومي في التنمية، وكان ذلك من خلال نقد للتجارب الإقليمية/ القطرية ويقول د. محمود الحمصي في هذا المجال: [111]

"لقد جرى في الماضي تصميم خطط التنمية العربية على أساس منطلقات قطرية. لا تكاد تراعي سوى المعطيات والمتغيرات الاقتصادية الخاصة بالقطر صاحب الخطة وحده، كما يتضح ذلك بصورة خاصة في استراتيجيات معظم الخطط، .... وقد لا يكون في الأمر ضير لو أن كل واحد من الأقطار العربية يستطيع بمفرده أن يحقق لنفسه حالة نهوضه اقتصادي متكامل في أركانه وفي تنوع تراكيبه الهيكلية: الزراعة والصناعة والتقنية وسواها".

ويخلص إلى أن المتطلبات التكنولوجية والتسويقية والاستيعابية الواسعة أكبر من حجم أي قطر مما حدى بالدولة الصناعية العريقة إلى التكتل من أجل مواصلة التطور والنمو. وهو يرى أن التنميات العربية التي قامت في الماضي على الأساس القطري وحده، قد أفضت إلى نتائج لم تلب إلى قليلا من المطامح المنشودة منها، ولها فهذا يرى أن الاختيار الأجدى من حالات الانكفاء القطري" بمنطلقاتها الإنمائية الضيقة المرامى مكانيا والمحدودة زمانيا، هو "الاختيار القومي" للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بمداها الطويل.

---

[110] - د. سعد الدين إبراهيم ورفاقه: صور المستقبل العربية. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1982) ص147.

[111] - د. محمود الحمصي: خطط التنمية العربية واتجاهاتها التكاملية والتنافرية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ط2، 1980) ص339-341.

وهذا الاختيار القومي لا يتنافى مع المساعي القطرية للتنمية وذلك بهدف توسيع نطاق الاكتفاء الغربي الجماعي.

إن التساؤل الرئيس الآن هو هل هناك نهج عربي جديد للتنمية؟ وإذا كان ذلك، فما هو ذلك المنهج؟ وما مدى استفادتنا من التجارب الأخرى لشعوب العالم وخصوصا التجربة اليابانية التي شقت طريقها نحو التقدم، مع المحافظة والارتباط بقيم المجتمع وتقاليده؟.

إن الإجابة على هذه الأسئلة حرية بالمناقشة وتستحق الإجابة.

3- أربع تجارب تنموية عربية.

قبل الخوض في الحديث عن نهج تنموي جديد فإنه من العملي أن نستعرض بعض التجارب التنموية العربية من خلال خططها التنموية، وقد اختيرت هذه التجارب الأربع لأنها تمثل توجهات سياسية مختلفة، ودولها ذات إمكانيات مادية متباينة وذات سياسات اقتصادية متنوعة. وهذه الدول الأربع هي السعودية والأردن وليبيا وعمان وتقدم لنا خطط التنمية الخمسية في كل من هذه الدول تصورا لرؤى هذه الدول للتنمية بأبعادها الاقتاصادية والاجتماعية، وسوف نناقش هذه التجارب من خلال أهدافها وأبعادها، ودور الاتصال فيها.

أولا: خطة التنمية السعودية – خطة التنمية الرابعة 1405 – 1410 هـ:

جاء في مقدمة خطة التنمية تحديد لأبرز سمات نوعية التنمية وأبعادها، والتي تقوم على أساس الاسترشاد بالقيم الإسلامية وتعاليم الدين الحنيف. واستطاعت التنمية أن تتم في شكل فريد من حيث قصر الوقت والعمق والشمول، ومع تفادي سلبيات التنمية التي عانى منها أكثر الدول النامية. واستندت السعودية في تحقيق أهدافها المبادرات الفردية والقيم الإسلامية، والحرية الاقتصادية وسياسة الاقتصاد المفتوح.

واشتملت أهداف التنمية الشاملة أبعادا ثلاثة:

أ) البعد الاقتصادي، وذلك بتنمية التجهيزات الأساسية والصناعات الأساسية والزراعة.

ب) البعد الاجتماعي، وتناول رغبات أفراد الشعب السعودي وطموحاتهم وإمكانياتهم. فتوسعت فرص التعليم المجاني بمراحله كافة وتوفرت إمكانيات التدريب والمرافق الصحية المجانية والخدمات الاجتماعية، والإسكان.

جـ) البعد التنظيمي، وذلك بإدخال تغييرات أساسية على التنظيم الإداري واللوائح والأنظمة[112].

أهداف خطة التنمية الرابعة 1405 – 1410 هـ:

1. المحافظة على القيم الإسلامية وتطبيق شريعة الله ونشرها.
2. الدفاع عن الدين والوطن والمحافظة على الأمن والاستقرار الاجتماعي للبلاد.
3. تكوين المواطن العامل المنتج وتحديد مكافآته وفقا لعمله.
4. تنمية القوى البشرية ورفع كفاءتها لتخدم جميع القطاعات.
5. دفع الحركة الثقافية إلى المستوى الذي يجعلها تساير التطور في المملكة.
6. تخفيف الاعتماد على إنتاج وتصير البترول الخام باعتباره مصدرا رئيسا للدخل الوطني.
7. تغيير البنية الاقتصادية بتنويع القاعدة الإنتاجية بالتركيز على الصناعة والزراعة.
8. تنمية الثروة المعدية وتشجيع استكشافها واستثمارها.
9. التركيز على التنمية النوعية بتحسين وتطوير آداء ما تم إنجازه من منافع وتجهيزات.
10. إكمال التجهيزات الأساسية اللازمة لتحقيق التنمية الشاملة.
11. تحقيق التكامل الاقتصادي والاجتماعي بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي[113].

تغيير بنية الاقتصاد السعودي

تركيز الخطة على تغيير بنية الاقتصاد الوطني وتأخذ في حسبانها الفرص الجديدة والسوق الموسعة والتي ستتعزز بزيادة الروابط والعلاقات التعاونية بين دول مجلس التعاون الخليجي التي تمثل أعلى قوة شرائية للفرد في العالم، مع وجود فرصة

لتطوير التنسيق والتكامل بين هذه الدول. وتعمل كذلك السعودية على توسعه دائرة نشاطها مع بلدان مجلس التعاون الخليجي ومع الدول العربية والأقطار الإسلامية ودول العالم الثالث.

وتركز الخطة على تنويع القاعدة الاقتصادية ومن ضمن ذلك الاستعاضة الجزئية عن تصدير الزيت الخام وإحلال معادل أخرى قابلة للتصدير، والتركيز على إنتاج المواد المصنعة من المواد المشتقة من الزيت والتنويع في الصناعات الهيدركربونية.[114]

---

[112] - وزارة التخطيط، خطة التنمية السعودية الرابعة 1405-1410-1410هـ، ص37.
[113] - المصدر نفسه، ص75.
[114] - المصدر نفسه، ص77-78.

مشكلات وحلول

تطرح وخطة التنمية الرابعة مجموعة من القضايا التي برزت في الخطة الثانية للتنمية والتي تحتاج إلى دراسة وإيجاد الحلول المناسبة لها أثناء تنفيذ خطة التنمية الرابعة. ومن هذه القضايا:

1. قضايا الإعلانات التي تخدم المستهلكين المزارعين: والتي تحتاج إلى تخصيص نسبها من خلال ترشيدها وذلك لكبح جماح التضخم وتقليله، والتقليل من هذه الموارد أو الإفراط في النفقات الرأسمالية ومراجعة نظام الإعانات يتضمن أبعادا تتعلق بالكفاءة الاقتصادي.
2. قضايا القوى البشرية والعمالة: والتي تتمثل بارتفاع نسبة العمال الأجانب من مجمل القوى العاملة، وذلك يتطلب استيعاب السوق المزيد من العمالة السعودية.

ولتحقيق هذا الهدف، لابد من تحقيق زيادة في الإنتاجية، وأن تكون الدوافع عالية لدى السعوديين، وأن تتجاوب أنظمة التعاليم والتدريب مع احتياجات سوق العمل، وأن تعطي السعودة مفهوما عمليا على المستويات كافة. ومن الضروري أن يصبح التعليم ملائما لاحتياجات القطاع الخاص لمختلف المهارات، وكذلك إتاحة فرصة العمل للنساء[115].

3. القضايا الخاصة بالتعليم: وتتمثل بعض القضايا المتعلقة بالتعليم العام مثل الخسارة الناتجة عن ظاهرة التسرب من الصفوف الأولى. والخسارة الناتجة عن ظاهرة الرسوب، وكذلك الاهتمام بالقيادات التعليمية ودورها

وكذلك هناك القضايا المتعلقة بالتعليم العالي، المتمثلة بالتوسع في مؤسسات التعليم العالي، التي قبلت بالتضحية بالجوانب النوعية، نتيجة للزيادة المضطردة في عدد الطلاب وهذا النمو السريع أدى إلى نقص الكفاءة.

وكذلك القضايا المتعلقة بمستوى مراكز التدريب المهني.

4. القضايا المتعلقة بالسكان والتي تتمثل بوجود نقص في المساكن ذات النوعية الجيدة في بعض المناطق الريفية وبوجود فائض منها في المدن الرئيسة.
5. القضايا الخاصة بالتقنية، وخاصة ما رافق استخدام التقنية من نقص في القاعدة الفنية التقنية وخصوصا الخدمات الإنتاجية المتمثلة في التصليح والصيانة ذات النوعية العالية والتكثيف الآلي.
6. القضايا المرتبطة بدعم الزراعة.

---

115 ـ المصدر نفسه، ص82-83.

7. قضايا تنمية المياه واستعمالاتها.
8. القضايا الصحية، مثل توفير القوى البشرية لتشغيل المرافق الصحية، وتقديم خدمة صحية عالية المستوى للمواطنين. وصعوبة تشغيل المستشفيات بكامل طاقاتها. وزيادة الطلب على الخدمات الصحية الخاصة بالطفولة.
9. القضايا الاجتماعية، والتي نتجت عن التغير السريع في المجتمع، وأحدثت جملة من التغيرات السكانية والاجتماعية مثل – تركز السكان بصورة كبيرة في المراكز الرئيسة والمدن الكبيرة – وزيادة العمالة الأجنبية ذات الثقافة غير العربية.

- تعرض غالبية السعوديين بصورة مباشرة أو غير مباشرة للعديد من الثقافات والعادات والتقاليد الأجنبية بسبب السفر أو وسائل الإعلام.

- تحسن المستوى المادي المعيشي.

- انتشار التعليم.

- ظهور هياكل وظيفية تتطلب مهارات معينة وتعتمد على الكفاءة الشخصية، ولم يعد للعلاقات المختلفة التي كانت سائدة في الماضي دورها.
- زيادة استيراد التقنية واستخدامها.
- حدوث تغييرات في نمط الأنشطة الترفيهية وقضاء الفراغ.
- تغيرت المواقف تجاه المهن وتغير التسلسل في أهمية المهن المختلفة.
- تفاوتت مستويات المساهمة في عملية التنمية.

وتتمثل الآن التحديات في الاستخدام الإبداعي للتقنية، ودمجها بالثقافة والتأكيد على أهمية العمل بشكل عام واليدوي والفني بشكل خاص، وكذلك النظرة إلى أوقات الفراغ ليصبح فرصة لاكتساب الثقافة الشخصية والإثراء العقلي والفكري. وهنا يواجه المسئولون عن الثقافة والفكر تحديات لإيجاد نهضة ثقافية تثري الحياة الفكرية والفنية[116].

السياسات المقترحة في الخطة لمواجهة التحديات المستقبلية المرتبطة بالتغيرات الاجتماعية والثقافية: تتمثل فيما يلي:

1. قيام الجهات الحكومية كافة بتقدير الآثار الاجتماعية لبرامجها ومشروعاتها بجانب المضامين الاجتماعية بعيدة المدى لسياستها.
2. حث وسائل الإعلام للتشجيع على مناقشة الموضوعات الثقافية، وإعطاء الأولويات لمنجزات الفنانين والكتاب والشعراء السعوديين.

---

[116] - المصدر نفسه، ص81-94.

3. تشجيع القطاع الخاص على رعاية الأنشطة الثقافية والمطبوعات والاستثمار في المرافق الترفيهية المفيدة.
4. مواصلة وزارة التخطيط الاهتمام بالجوانب الاجتماعية للتخطيط التنموي، والثقافي ومتابعة ذلك لدى الجهات المعنية.
5. قيام الجهات الحكومية المعنية بزيادة توفير المرافق والأنشطة الثقافية.
6. إعطاء الجهات المسئولية عن التعليم والتدريب اهتماما خاصا لفهم التقنية والتقنيات المتطورة من قبل المواطنين[117].

استراتيجية التنمية للأجهزة الثقافية والإعلامية ورعاية الشباب تحدد الخطة أن الأجهزة الثقافية والإعلامية ورعاية الشباب تسهم في التنمية الوطنية بالعمل على رفع المستويات الثقافية، لتمكين الأفراد والمجتمع من مواكبة التطور الذي تشهده السعودية. وتشجيع هذه الأجهزة على نشر الثقافة عن طريق تشجيع التأليف الأدبي وتحسين نوعية برامج الإذاعة والتلفزيون، وتقديم الدعم لتنمية قدرات الشباب، وكذلك توفير المعلومات لتنمية الوعي بأهداف خطط التنمية ومتطلباتها لدى المواطن السعودي، وتسهم هذه الأنشطة في الدفاع عن الاستقرار الاجتماعي للمملكة. وتتلخص أهداف استراتيجية التنمية الثقافية والإعلامية ورعاية الشباب فيما يلي:

1. الإسهام في تعزيز الكيان الأسري، والمشاركة في تربية الناشئة. وتنميتهم بما يتفق والأسس الإسلامية والتراث الثقافي، ويتضمن ذلك تنمية النواحي الخلقية والفنية والفكرية والاجتماعية والبدنية للشباب.
2. توسيع نطاق تغطية الخدمات الإعلامية ورفع مستوى الجودة النوعية لمحتوياتها بحيث تتفق مع المبادئ والأسس الثقافية للمملكة.

ومن السياسات التي ستساعد على تحقيق ذلك زيادة الإعداد المحلي لمختلف البرامج الإذاعية والتلفزيون والمطبوعات التي تسهم في الحياة الدينية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية ورعاية الأنشطة الثقافية وتعزيزها لحماية الجوانب الملموسة للتراث الوطني وإبرازها[118].

ثانيا: خطة التنمية الأردنية 1986 – 1990

خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الخمسية الثالثة:

تتسم خطة التنمية الأردنية بأنها تنظر إلى عملية التنمية باعتبارها جزءا من الأمن القومي، إذ كما جاء في مقدمة الملك حسين لمشروع الخطة:

---

117 - المصدر نفسه، ص94-95.
118 - المصدر نفسه، ص313.

"ينطلق الأردن من القناعة بأن التكامل العربي والعمل العربي المشترك هو الإطار الذي يمكننا من تعزيز قدراتنا والمحافظة على قدسية ترابنا. فالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأردن هي امتداد لاستراتيجية الدفاع عن الأمة العربية الهادفة إلى بناء الوطن القوى والمواطن المعطاء المنتج، وهي جزء من الجهود العربية الجماعية لتحقيق الأمن الغذائي لسكان هذا الوطن وتعزيز استقلاله الاقتصادي"[119].

البعد القومي في الخطة

تحدد خطة التنمية الأردنية آفاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بعيدة المدى بأنها تتجاوز والطموحات والجهود التنمية المحلية، إذ تتفاعل وتتأثر بالمستجدات بالمتغيرات الاقتصادية والسياسية في الدول العربية المجاورة. ولذا فإن التنمية بعيدة المدى تأخذ في اعتبارها تفاعلات الاقتصاد الأردني بالاقتصاديات العربية، ومن خلال البعد القومي الذي يستدعي توثيق أواصر العلاقات الاقتصادية والاجتماعية مع الدول العربية، تحقيقا لأهداف التكامل الاقتصادي العربي، وتحقيق الأمن الغذائي العربي، وتكثيف الجهد العربي المشترك، للحد من التبعية الغذائية، والسيطرة على الانكشاف الاقتصادي المتزايد الذي يعاني منه الوطن العربي[120].

تصورات التنمية المستقبلية

البعد الاقتصادي

يمكن تلخيص أهداف خطة التنمية الاقتصادية الأردنية في الاتجاهات التالية:

1. تحقيق نمو اقتصادي يفوق معدل النمو السكاني.
2. تحقيق مزيد من الاستقرار في النشاط الاقتصادي والحيلولة دون حدوث تقلبات حادة في معدلات الأداء الاقتصادي. وذلك بإحداث تغير هيكلي في بنية قطاعات الخدمات وخاصة قطاعات الإنتاج السلعي، واكتمال البنية التحتية للخدمات.
3. تعميق الارتباط بين القطاعات الاقتصادية المختلفة، وتطوير إنتاج السلع الرأسمالية بحيث تصبح الصناعة المحلية القطاع الرائد في الاقتصاد الوطني.

---

[119] - خطة التنمية الأردنية 1986-1990 (المقدمة).

[120] - المصدر نفسه، ص79.

4. تحقيق التميز بكفاءة القوى العاملة الأردنية مهنيا وإداريا، بالتدريب واستيعاب المعرفة الفنية المتجددة.
5. تحسين صورة تمويل الاستثمار بحيث يمكن بحلول عام 2000 تحقيق درجة عالية من التمويل الذاتي للاستثمار[121].

البعد الاجتماعي

ستتركز جهود التنمية الاجتماعية في المجالات التالية:

1. تحقيق العدالة الاجتماعية لجميع مناطق المملكة بما يضمن إحداث توازن جغرافي في توزيع الخدمات الاجتماعية والاقتصادية.
2. تطوير مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البادية باستغلال ثرواتها الطبيعية وتعميرها من خلال إنشاء البنى التحتية.
3. تطوير وتعميم الخدمات الصحية ورفع كفاءتها. وترسيخ مفاهيم الطب الوقائي والعناية الأولية وزيادة الوعي الصحي عند المواطنين.
4. توسيع وتطوير الخدمات التعليمية بحيث يتحقق محو ا لأمية محوا كاملا في حلول عام 2000، والتحسن في نوعية المناهج والأساليب وتحسين المرافق المساندة وتطوير قدرات المعلمين وتأهليهم.
5. توسيع خدمات الاتصالات المختلفة والتي ترتبط بالدور التنموي الذي سيلعبه الأردن على المستوى العربي خلال فترة التسعينات. وتستدعي الطموحات التنموية الاستمرارية في توسيع قدرة الأردن على استيعاب وسائل الاتصال الحديثة ونقل المعلومات وشبكات الحاسوب والبريد الإلكتروني بحيث تصبح في متناول الجميع.
6. توفير السكن المناسب للمواطنين كافة وخاصة ذوي الدخل المحدود وتزويد جميع المناطق السكنية بالمياه والكهرباء والمجاري وجميع الخدمات.

الأبعاد الرئيسة لمتابعة تنفيذ الخطة الإنمائية:

1. إدخال التخطيط الإقليمي كمصدر رئيس في العملية التخطيطية، وذلك بتخصيص جزء ثالث في الخطة يتضمن خططا لجميع أقاليم المملكة تبين خصائصها ومشكلاتها وواقع التنمية وعناصر وإمكانات التطوير فيها.
2. تكثيف وتوسيع المشاركة الشعبية في العملية التخطيطية في مراحلها المتعددة وإسهامها فعملية صنع القرار، وتحديد الأولويات ومتابعة تنفيذ مشاريع وبرامج التنمية، وينبع الاهتمام بالمشاركة الشعبية من منطق أن الإنسان هو وسيلتها في

[121] - المصدر نفسه، ص79-80.

مشاركته في العملية التخطيطية، وتقديم جهدة بما يتناسب مع قدرته، وهدفها بأن يشارك بثمار مكاسب التنمية في توفير العمل والدخل المناسب.

3. تنظيم عملية المتابعة من خلال بناء نظام متابعة متكامل يوفر المعلومات والبيانات الأساسية التي تساعد على التقييم المستمر لإنجازات الخطط. وهذا يستدعي إدخال عامل المرونة والتحديث المستمر على الخطط الخمسية في ضوء الأحداث السياسية والاقتصادية في المنطقة، وأهمية استيعاب أثر التطورات الاقتصادية غير المتوقعة، وتوجهها نحو تحقيق الأهداف المرجوة، وهذا يستلزم نظام متابعة يعتمد على بناء شبكة متكاملة للمعلومات تستخدم الحاسب الآلي[122].

الاتصال في خطة التنمية الأردنية

في عجالة وعمومية تقدم الخطة دور الإعلام الأردني، والذي تمثل في تعزيز الوحدة الوطنية، وتعميق معاني الاعتزاز الوطني، وعرض الجذور الحضارية والإنجازات والمساهمات في المسيرة الإنسانية. وتعزيز الإيمان بالله وحب الناس وخدمة المجتمع، وفي تعزيز القيم الإيجابية في المجتمع ونقد القيم السلبية، وفي نشر الثقافة بين المواطنين، ومساعدة المدرسة والجماعة، وتنمية المواهب والعبقريات ا لأدبية والفنية، والاهتمام بالفنون والآداب والمسرح، ونشر الإنتاج المحلي في هذه الحقول. ودعم صمود الأهل في الأرض المحتلة، وربط المواطنين بأحداث الوطن الأم، وتوضيح السياسات الحكومية في الحقول المختلفة بهدف حشد التأييد الشعبي وراءها ونقل آراء المواطنين من خلال النقد الموضوعي لهذه السياسات. [123]

أهداف الخطة في مجال الإعلام

تتخلص أهداف الخطة في مجال الإعلام في النقاط التالية:

1. تكثيف النشاط الإعلامي المحلي بامتداده الفعلي إلى أنحاء المملكة كافة وتواجده المستمر هناك، بإنشاء الإستديوهات الإذاعية والتلفزيونية الإخبارية في المحافظات.
2. تأهيل وتدريب ورفع كفاءة العاملين في حقل الإعلام، وذلك بإنشاء مراكز للتدريب والاستفادة من المؤتمرات والندوات العلمية.
3. تقوية التنسيق والتعاون بين مختلف الأجهزة الإعلامية، والقطاعات الأخرى من زراعية وصناعية وتعليمية. والقيام بالتعاون مع الجامعات الأردنية ومراكز البحث بإعداد الدراسات الإعلامية وقياس الرأي العام.

---

[122] - المصدر نفسه، ص120-121.
[123] - المصدر نفسه، ص305.

4. تعديل بعض القوانين السارية كقانون المطبوعات في ضوء التحديد الواضح لآفاق حرية التغيير والنقد. ووضع تشريع حكومي متكامل في حقل الإعلان، ينظم عمله ويكفل للأردن حقه في الأموال المرصودة للإعلان عن البضائع المستوردة[124].

مشكلات العمل الإعلامي الأردني

تشير الخطة إلى بعض المشكلات التي تواجه الإعلام الأردني:

1. نقص الكوادر الفنية المتخصصة وتسرب الكفاءات وضعف التدريب والتأهيل.
2. انخفاض مستوى الإنتاج المحلي وتراجعه أمام سيطرة البرامج المستوردة على الرغم من غلبة طابع التسلية والضحالة على معظمها.
3. ضعف التنسيق بين الأجهزة الإعلامية من جهة، والمؤسسات والوزارات والدوائر الحكومية من جهة أخرى، إضافة إلى عدم توفير المعلومات الدقيقة لدى هذه المؤسسات من نشاطاتها، أو بطء تزويد وسائل الإعلام بها مما يؤدي إلى عرقلة المسيرة الإعلامية وتفتيت جهودها.
4. عدم معرفة بعض المسئولين أو الجهات من خارج الأسرة الإعلامية بطبيعة وطريقة عمل وإمكانات أجهزة الإعلام. إضافة إلى اختلاف المدارس الإعلامية لدى مسئولي الإعلام المختلفين، مما يعكس الاضطراب على المسيرة الإعلامية[125].

ثالثا: التنمية في ليبيا

خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي 1981 – 1985:

تحدد الخطة الملامح الأساسية الاستراتيجية لخطة التحول والتي تتمثل فيما يلي:

1. مواصلة تكثيف الجهود الإنمائية لتحقيق التحول الاقتصادي والاجتماعي، ويتركز ذلك بتحقيق أعلى معدل نمو ممكن، في القطاعين الإنتاجيين الرئيسين، وهما قطاع الصناعة التحويلية، وقطاع الزراعة، بغية بناء القاعدة الإنتاجية السليمة للاقتصاد الوطني والإسراع في تنويع الهيكل الاقتصادي، وإعطاء أولوية لزيادة كفاءة إنتاجية عوامل الإنتاج. وذلك بالتركيز على التنمية الرأسية، التي تعني التحسينات النوعية على الأداء الاقتصادي برفع كفاءة الإنتاج وزيادة إنتاجية عوامل الإنتاج.
2. تخفيض الإنتاج من النفط الخام إلى الحد اللازم لتمويل برامج ومشروعات التحول.

---

[124] - المصدر نفسه، ص306-307.
[125] - المصدر نفسه، ص306.

3. تكثيف تنمية الموارد البشرية وزيادة إسهام الليبيين في التحول، وذلك بإعطاء نفس الأولوية للاستثمار في رأس المال البشري بالمقارنة بالاستثمار في رأس المال المادي.
4. تحقيق مزيد من التحسن في مستوى الاستهلاك الفردي وتحسين مستوى المعيشة وعدالة توزيع الدخول، وتحقيق تنمية مكانية أكثر توازنا.
5. وضع وتطبيق سياسة فعالة لتنمية العلوم والتقنية في المستقبل وحماية وتحسين البيئة[126].

استراتيجية القطاعات الاقتصادية والاجتماعية وأهدافها

تنظر الخطة إلى القطاعات الاقتصادية والاجتماعية باعتبارها أجزاء متكاملة تعتمد على بعضها البعض، ولذا وضعت استراتيجيات التحول القطاعية في هذه الخطة بناء على العوامل التالية:

أ) الدور المحدد لكل قطاع في عملية التحول الشاملة على المدى الطويل والمتوسط.

ب) الاستراتيجيات والأهداف بعيدة المدى للقطاعات، كما تم استنتاجه في الدراسة الأولية لاستراتيجية التحول بعيد المدى 1980 – 2000م.

جـ) الإمكانيات الطبيعية والبشرية ومعوقات عملية التحول للقطاع.

د) مستوى الأداء والإنجاز ونواحي المقصور في كل قطاع خلال فترة الخطة 76 – 1980م والدروس المستفادة من تنفيذها[127].

ويتطلب تحقيق السياسات البديلة لإنجاز النمو الاقتصادي والاجتماعي مما يلي:

أولا: ضرورة استغلال الموارد النفطية بكل حرص وفعالية، وإطالة مدة بقائها لكي تسمح لعملية التصنيع ببلوغ مستوى عال يمكنها أن تحل محل النفط كمصدر للادخار والإيرادات.

ثانيا: ينبغي السير في بناء الصناعة المتقدمة بأسرع خطى ممكنة مع الأخذ في الاعتبار أنه لا يمكن لقطاع الصناعة أن يقوم بدوره كبديل لقطاع النفط وكمحرك النمو

---

[126] - اللجنة الشعبية العامة للتخطيط – الجماهيرية الليبية، (خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي، 1981-1985)، الجزء الأول والجزء الثاني ص55-62.
[127] - المصدر نفسه، ص63.

الاقتصادي، إلا إذا كان مستوى أدائه وإنجازه فعالا، وإن منتجاته قادرة على المنافسة في الأسواق العالمية[128].

وقد ركزت الخطة على الاهتمام بقطاع الزراعة مما يتطلب مستوى الإنتاج الزراعي وزيادة القدرة الإنتاجية في هذا القطاع، وتقليل درجة الاعتماد المرتفعة على الواردات من السلع الغذائية الرئيسية، وذلك يشكل أحد العناصر الرئيسية في الاستراتيجية الشاملة الطويلة والمتوسطة المدى على حد سواء، حيث يستهدف تحقيق زيادة في الإنتاج الزراعي قدرها نحو 43 % عن مستواه في عام 1980 وذلك خلال الفترة 80 – 1985م، أي بمعدل نمو سنوي مركب قدرة نحو 7.4 % سنويا[129].

وقد أولت الخطة قطاع التعليم عناية خاصة، وذلك أن النقص في العناصر الإدارية المهنية المدربة وذات الخبرة، وفي المدرسين والفنيين والعمال المهرة وغيرهم، يشكل أحد المعوقات الأساسية التي تعرقل عملية التحول. وتتمثل الاستراتيجية في هذا القطاع في توجيه التعليم والتدريب، ليخدم احتياجات التحول، في إطار الأولويات التي تهدف إلى توفير العنصر الوطني الواعي والقادر على أداء دوره في الوصول إلى مرحلة التحول الشاملة[130].

الإعلام في استراتيجية القطاعات

سوف نعرض في استراتيجية القطاعات المختلفة إلى أهم عناصر تلك الاستراتيجيات التي تستلزم الاتصال بفاعلية كي تتحقق الأهداف المرجوة.

أ) قطاع الاستصلاح الزراعي وتعمير الأراضي

من العناصر العامة في استراتيجية التحول والتي تستلزم دورا هاما للاتصال العناصر التالية:

1. الحصر الشديد في استغلال موارد المياه وزيادته عن طريق الاستعمال الاقتصادي والرشيد له.
2. التركيز على التوسع الرأسي بجانب التوسع الأفقي في زيادة الإنتاج الزراعي.
3. العمل على تكوين المزارع المنتج بتكثيف نشاط التدريب والإرشاد وتقديم الحوافز، بحيث تكون الأرض لمن يفلحها، وبحيث يؤدي المزارع دوره ويستفيد من الخدمات والمعونات البيئية المقدمة له.

---

[128] - المصدر نفسه، ص64.
[129] - المصدر نفسه، ص64.
[130] - المصدر نفسه، ص65.

4. ربط المؤسسات والمعاهد العلمية الزراعية بالناحية التطبيقية العملية، بحيث تساهم في الإنتاج الزراعي وفي توعية وإرشاد المزارعين وتكييف مناهجها بما يتمشى مع الظروف البيئية والمحلية.
5. توفير اليد العاملة اللازمة للزراعة، وتكثيف الحملات التطوعية في أعمال التشجير وجني المحاصيل وغيرها من النشاطات الأخرى.
6. العمل بكل الوسائل على زيادة إنتاجية عناصر الإنتاج الزراعي كافة.
7. تدعيم خدمات الإرشاد الزراعي، ورسم سياسة فعالة للتسويق. بتوسيع نطاق خدمات الإرشاد الزراعي، وإعادة تنظيمها، بحيث تشمل وحدات صغيرة متنقلة مجهزة بالعناصر والمعدات اللازمة لإرشاد المزارعين، إلى الطرق الحديثة للزراعة، وتوجيههم وحثهم على القيام بدورهم المطلوب في زيادة الإنتاج.
8. تكثيف التعليم والتدريب الزراعي عن طريق تنظيم دورات تدريبية قصيرة تشتمل على تطبيق مختلف الوسائل الفنية والمهارات في الإنتاج الزراعي والتوسع في إنشاء المعاهد الزراعية لتوفير العناصر الفنية اللازمة لتنفيذ خطة التحول الطموحة في قطاع الزراعة، وإعادة تنظيم ودعم البحوث الزراعية[131].

ب) قطاع الصحة

بالإضافة إلى العناية بتوفير الخدمات العلاجية والأدوية والارتفاع بنسبة الهيئات الطبية الليبية وزيادة عدد الأسرة في المستشفيات، فإن هناك مجموعة من الأهداف والتي يلعب الاتصال دورا أساسيا فيها وهي:

- إعطاء الأولوية للرعاية الأساسية: وأن تشتمل خدماتها على التدابير الصحية كافة المتعلقة بالجانب الوقائي والعلاجي وإعادة التأهيل بجانب تنمية المجتمع وذلك بنشر التغذية الصحية، وتوفير المياه الصالحة، وإيجاد نظام صرف صحي للتخلص من الفضلات ورعاية الأمومة والطفولة والعلاج اللازم للأمراض، والتحصين والتعليم،والوقاية والقضاء على الأمراض المتوطنة، أو الإرشاد والتثقيف الصحي.
- التثقيف والإرشاد الصحي: الاهتمام بتعليم وتثقيف الجماهير وإعطاء ذلك أولوية خاصة. وسيكون الدور الأساسي في هذا المجال للمهني الطبي الثائر، بجانب استخدام الوسائل السمعية والبصرية، بعد إدخال تعديلات جذرية عليها، لتصبح معبرة عن واقع المجتمع، وعلى أن يراعى فيها الوضوح والبساطة لتصل إلى الجماهير كافة.
- الاهتمام بالبحث العلمي التطبيقي: الاهتمام بالبحوث الصحية التطبيقية بغرض توفير المعلومات اللازمة لتخطيط وإدارة الخدمات الصحية، واستخدامها كأداة لتحديد ومعرفة الوسائل المؤثرة في الصحة العامة، بما يمكن أن تشمله من دراسات نفسية وعلمية عن سلوك الفرد، بالنسبة لمفهومه عن الصحة. ودراسة المشاكل الصحية

---

131 - المصدر نفسه، ص66-68.

التي يتميز بها المجتمع والجوانب الصحية للبيئة (كالسكن وأماكن العمل)، فضلا عن الأساليب المناسبة لتوعية وتثقيف الجماهير وتقصي مدى تقلبهم لتدابير الصحة الوقائية.

- الإسراع في تنمية القوى المنتجة: الطبية والطبية المساعدة: إن الإعداد وتدريب القوى البشرية أهمية كبرى في أسلوب ومستوى تأدية الخدمات الصحية، ومواجهة النقص الكبير في القوى المنتجة الليبية في مختلف التخصصات[132].

استراتيجية قطاع التعليم

وتهدف إلى إدخال التحسينات الهيكلية والنوعية اللازمة، مع استمرار التوسع في مختلف المراحل من حيث الكم، بحيث يلبي التعليم هدفين أساسيين أحدهما إشباع احتياجات الفرد والعمل على تنمية شخصيته، والثاني الوصول بالمجتمع إلى ما يسعى إليه من تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية بتوفير القوى المنتجة المدربة والمؤهلة اللازمة.

وتتمثل أهم عناصر استراتيجية قطاع التعليم فيما يلي:

1. إعادة النظر في النظام التعليمي واستحداث بنية تعليمية جديدة تتفق واحتياجات المجتمع، وتضمن تكامل مسئولية المؤسسة التعليمية مع مسئولية الأسرة والمسجد، وتهدف إلى التخصص المبكر، وإحلال الثانويات المتخصصة بدلا من الثانويات العامة.
2. التركيز على تحسين نوعية التعليم وتوفير الإمكانيات المادية والفنية والبشرية لمؤسسات التعليم والتدريب، بما يتمشى ومستلزمات العصر الذي تتطور فيه المعرفة والعلم والتقنية تطورا سريعا.
3. استيعاب جميع من هم في سن مرحلة الإلزام لتحقيق الإلزام حتى نهاية المرحلة الإعدادية.
4. الاستمرار في بذل الجهود لتنمية التعليم الفني، وتنويعه وتطويره والارتفاع بمستواه، وربط الدراسة النظرية بمجال التدريب العملي.
5. تطوير المبنى المدرسي بما يلبي احتياجات العملية التعليمية والتربوية مع الاستفادة بنتائج الدراسات والبحوث في هذا المجال.
6. الاستمرار في بذل الجهود في برامج محو الأمية وتعليم الكبار والأخذ بمفهوم التعليم المستمر.
7. تعمل الجامعات على توفير العلم لقطاعات كبيرة من الجماهير الليبية عن طريق برامج الجامعة المفتوحة وترسيخ هذا البلد وتوفير الوسائل لجعله في متناول الجماهير.

---

[132] - المصدر نفسه، ص211-213.

8. التوسع في التعليم بعد الدرجة الجامعية الأولى في الجامعات والمعاهد الليبية مع الاستمرار في إيفاد البعثات الخارجية وخاصة في التخصصات التي لا تتوفر محليا[133].

وقد حددت الخطة مجموعة من الأهداف النوعية للتعليم في مجالات رياض الأطفال ومرحلة الإلزام وما فوق الإلزام في التعليم الثانوي العام والمعاهد الفنية والجامعة ومحو الأمية وتعليم الكبار والآثار[134].

وقد لقيت مشكلة الأمية عناية خاصة، وإشارة واضحة إلى دور الإعلام في توعية الناس بخطورتها، وذلك عن طريق الاستعانة بوسائل الإعلام لتوعية المواطنين إلى خطورة مشكلة الأمية وحجمها في الوقت نفسه للمساهمة الفعالة في تعليم الأميين القراءة والكتابة ومبادئ الحساب بأحدث الوسائل والطرق[135].

قطاع الإعلام والثقافة.

تتلخص أهداف واستراتيجيات قطاع الإعلام والثقافة فيما يلي:

1. العمل على جعل أجهزة الإعلام الشعبي المعبر عن المجتمع ككل، وأداة لتحقيق وترسيخ أهداف الثورة الشعبية وفق المنطلقات الأساسية لثورة الفاتح.
2. تحقيق أهداف الثورة الثقافية في خلق وعي ثقافي وفكري عربي، معبر عن طموحات الأمة العربية ودورها التاريخي في الإبداع الحضاري، مدعم عن طموحات الأمة العربية ودورها التاريخي في الإبداع الحضاري، مدعم بالقيم الروحية الأصيلة وثمرات المعرفة الإنسانية.
3. الاستمرار في العمل على حشد الجهود الشعبية، لتحقيق أهداف التحول الاقتصادي والاجتماعي، وتنسيق الجهود التي تبذلها مختلف الجهات، لكي تؤدي رسالتها الإعلامية والثقافية في تعاون وانسجام.
4. تدعيم الأجهزة الإعلامية والثقافية بالإمكانيات كافة التي تحتاجها، والعمل على تطويرها، والارتفاع بمستواها، وتحقيق الإشراف السليم عليها، لكي تصبح أدوات خلاقة ووسائل حية في تحقيق الثورة الثقافية، وحتى تؤدي دورها الإيجابي في إعداد الأجيال الصاعدة إعدادا قوميا سليما[136].

دور الإعلام في خطة التنمية الليبية

---

133 - المصدر نفسه، ص2، ص165-167.
134 - المصدر نفسه، ج2، ص168-192.
135 - المصدر نفسه، ج2، ص192.
136 - المصدر نفسه، ج2، ص197.

يساهم قطاع الإعلام والثقافة بدور إيجابي في تنمية الوعي الوطني للجماهير ويساعد في الارتقاء بمستوى فكرهم، وثقافتهم، وتعميق إحساسهم بالمسئولية، وتعبئة الطاقات والخبرات كافة، لتحقيق الخير والرفاهية للمجتمع، وإزالة المعوقات التي قد تقف عائقا في سبيل التحول الاقتصادي والاجتماعي. كما يساهم في التعريف بمنجزات خطط التحول المختلفة، ومواكبة التحولات التي تحدث في المجتمع، وإيصال الخبر العربي الليبي بالكلمة والصورة في أقصر وقت إلى وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم، والتصدي للإعلام المعادي[137].

رابعا: التنمية في سلطنة عمان

خطة التنمية الخمسية الثانية 1981 – 1985

تستند أهداف وسياسات التنمية الاقتصادية طويلة الأجل في سلطنة عمان إلى القرار الصادر في الخطة الخمسية الأولى وتتلخص هذه الاستراتيجية طويلة الأجل فيما يلي:

1. العمل على تنمية مصادر جديدة للدخل القومي تقف إلى جوار الإيرادات النفطية وتحل محلها في المستقبل.
2. زيادة نسبة الاستثمار الموجهة إلى المشروعات المغلة للدخل وخصوصا في مجالات الصناعة والتعديل والزراعة والأسماك.
3. توزيع الاستثمارات على مختلف مناطق البلاد، وسائر أهلها، وحتى يزول التفاوت في مستوى المعيشة بين مختلف المناطق.
4. دعم وتنمية المراكز السكانية الحالية، والمحافظة عليها من خطر الهجرات الجماعية إلى مراكز التجمع السكنية والكثيفة، والمحافظة على البيئة.
5. الاهتمام بموارد المياه، باعتبارها عنصرا حيويا لازما لاستمرار النشاط الاقتصادي ونموه.
6. الاهتمام بتنمية الموارد البشرية المحلية، حتى نتمكن من القيام بدورها كاملا في الاقتصادي الوطني.
7. استكمال هياكل البنية الأساسية.
8. دعم النشاط التجاري، وإزالة صعوبات النقل والتخزين، ومختلف العوائق التي تنتقص من إكمال الأسواق التجارية.
9. استكمال مقومات قيام اقتصاد وطني حر، يرتكز على نشاط القطاع الخاص، على أساس المنافسة الحرة البعيدة عن الاحتكار.
10. رفع كفاءة الجهاز الإداري للدولة[138].

---

[137] - المصدر نفسه، ج3، ص196.
[138] - مجلس التنمية – سلطنة عمان (خطة التنمية الخمسية الثالثة 1981-1985). ص22-33.

الأهداف والسياسات القصيرة الأجل للخطة الخمسية الثانية

تركز الأهداف بشكل رئيس على الجوانب الاقتصادية، فمن بين أثنى عشر هدفا نجد أن هناك ثمانية أهداف اقتصادية، ترمي إلى زيادة طاقة الاقتصاد الوطني، وتحقيق التوازن المالي للدولة، والحد من التضخم،وزيادة الأنشطة الإنتاجية الخاصة بالزراعة والأسماك والصناعة والتعدين والحرف التقليدية، وكذلك زيادة الاستثمار وزيادة معدل نمو إجمالي الإنتاج المحلي.

بالإضافة إلى هذه الأهداف الاقتصادية، نجد أربعة أهداف أخرى تتمثل بتوسيع مد شبكة المرافق والخدمات في مختلف أنحاء البلاد، والتوسع في إنشاء المساكن الشعبية، والتوسع في إنشاء مراكز التدريب المهني، باعتبارها عنصرا أساسيا في تنمية القوى العاملة المحلية، وأخيرا إعطاء الأولوية لبرامج تنمية موارد المياه الطبيعية لأغراض الري والزراعة[139].

الاتصال والتنمية في خطة التنمية العمانية:

لم تحدد الخطة عند حديثها عن قطاع الإعلام والثقافة والدين مسؤوليات الإعلام ولا عن المشروعات الإعلامية ذات الصبغة التنموية، وكل ما عنيت به الخطة هو الإشارة إلى خدمات الإعلام المتمثلة بالإذاعة والتلفزيون وإصدار المطبوعات الإعلامية وتوزيعها في الداخل والخارج والإشارة إلى المشروعات الإعلامية في الخطة الخمسية الثانية المتمثلة في:

1- زيادة طاقة استوديوهات الإذاعة في كل من العاصمة وصلالة.
2- إنشاء محطات لتقوية البث الإذاعي والتلفزيوني.
3- إنشاء محطة تقوية الإرسال التلفزيوني في البيعة، وتوسيع خدمات الإرسال التلفزيوني في محافظة مسندم[140].

وهكذا لم تعن الخطة على الإطلاق بالدور الذي يمكن أن يلعبه الاتصال في تدعيم خطة التنمية والتي يمكن أن يطلق عليها باسم التنمية الاقتصادية، نظرا لتركيزها على الجانب الاقتصادي الذي طغى على الجوانب الأخرى، وخصوصا أن التنمية الاجتماعية البشرية الثقافية لم يلقيا من العناية ما تستحقانه.

التنمية العمانية .. في إطارها الإقليمي والعربي

---

[139] - المصدر نفسه، ص34-37.
[140] - المصدر نفسه، ص139-141.

كان واضحا أن خطة التنمية العمانية تركز رؤيتها على البعد القطري للتنمية وتنظر إلى التنمية المحلية في عمان بمعزل تام عن بعدها الإقليمي (إطار دول الخليج العربية)، أو في إطارها القومي على المستوى العربي.

4- ملاحظات حول خطط التنمية العربية:

يلاحظ في خطط التنمية الأربع السابقة ما يلي:

1- تتناول خطط التنمية السعودية والأردنية والليبية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية بشيء من التفصيل في حين أن الخطة العمانية تركز على الجانب الاقتصادي فيها.
2- تأخذ الخطة الأردنية في حسابها البعد القومي للتنمية واعتبرته كامتداد لاستراتيجية الدفاع عن الأمة العربية، وذلك بهدف الحد من التبعية، وهكذا يأخذ البعدان القومي والدولي دورهما في التنمية الأردنية، بينما نجد أن خطة التنمية السعودية أخذت في حسبانها البعد القطري (السعودية) والبعد الإقليمي (دول مجلس التعاون لدول الخليج)، ولا يأخذ البعد الدولي مجاله في التنمية كعامل أساسي يؤثر فيها، ولذا فإن الفكاك من آثار التبعية لم يعالج مباشرة، وإن كانت الخطة طموحة باعتبارها خطة شاملة تعمل على الحد من الاعتماد على السوق الخارجي بتنويع القاعدة الاقتصادية.

ويلاحظ كذلك أن الخطتين الليبية والعمانية كانتا قطريتين تماما في توجهاتهما الإنمائية مع مخاطر هذا التوجه.

3- تم التركيز في خطط التنمية الأربع على تنمية وسائل الاتصال الجماهيري من حيث الأجهزة والمعدات، وكان الانتباه إلى دمج الاتصال باعتباره جزءا من عملية التنمية ضئيلا:

فعلى الرغم من أن الخطة السعودية اقترحت حث وسائل الإعلام لتشجيع مناقشة الموضوعات الثقافية، وكذلك توفير المعلومات لتنمية الوعي بأهداف خطط التنمية ومتطلباتها إلا أنها تقترح دورا فعالا مندمجا مع خطة التنمية، ولا يعطي الاتصال دوره الفعال والمؤثر في خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الطموحة في السعودية.

وأما الخطة الأردنية فإنها تحدد مجموعة من الأدوار التي يمكن أن يؤديها مثل تعزيز الوحدة الوطنية، وعرض الإنجازات وتعزيز القيم، ونشر الثقافة وتوضيح السياسات الحكومية وتقترح الخطة تكثيف وتوسيع المشاركة الشعبية في العملية التخطيطية في مراحلها المتعددة، وإسهاما في عملية صنع القرار، وهذا يستدعي اتصالا فعالا هو جوهر الاتصال التنموي، الذي يحقق اتصالا ذا اتجاهين من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل. ومع أن الخطة تبرز مشكلات العمل الإعلامي والتي من بينها ضعف التنسيق بين الأجهزة الإعلامية من جهة، والمؤسسات والوزارات من جهة أخرى إلا أن واضعي السياسة والمخططين لم يبرزوا في هذه الخطة الدور الاتصالي المخطط، والذي يجب أن يكون جزءا أساسيا لمساندة التنمية.

وأما الاتصال في خطة التنمية الليبية فيمكن القول إنه أكثر بروزا في خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي، إذ تبرز إشارات إلى أهمية ذلك في القطاعات المختلفة مثل قطاع الزراعة وقطاع الصحة، وقطاع التعليم، وخاصة مشكلة الأمية، وكذلك يتحدد من خلال أهداف واستراتيجية قطاع الإعلام والثقافة، لحشد الجهود الشعبية لتحقيق أهداف التحول الاقتصادي والاجتماعي، ولكن هذا التوجه لم يتحقق من خلال استراتيجية إعلامية تنموية واضحة المعالم، بحيث يتضح فيها دور الاتصال في القطاعات المختلفة من خلال رؤية واضحة للأدوار التي يمكن أن يقوم بها الاتصال في تلك القطاعات.

أما الخطة العمانية فلم تعن على الإطلاق بالدور الذي يمكن أن يؤديه الاتصال في تدعيم الخطة وركزت فقط على تنمية معدات الإذاعة والتلفزيون فقط.

4- تكاد تلتقي خطط التنمية في الأهداف والاجتماعية من حيث خطوطها العريضة في خطط التنمية السعودية والليبية والأردنية، وهو كمؤشر يدل على أن هموم الإنسان العربي واحدة وتطلعاته واحدة.

5- تنبهت الخطة السعودية إلى معيقات التنمية من خلال تجربتها في الخطط التنموية الثلاث السابقة، ونبهت إلى بعض المشكلات التي واجهتها وتواجهها وقد تنبهت إلى نقطة هامة تمثل التحدي التكنولوجي، ولذا طالبت بالاستخدام الإبداعي للتقنية ودمجها بالثقافة.

6- تنبهت الخطة الليبية إلى دور الإعلام في إعداد الأجيال الصاعدة إعدادا قوميا.
7- أهملت الخطط دور الاتصال الدولي في التأثير على العملية التنموية وما يمكن أن تمارسه من خلق اتجاهات وقيم جديدة وتضليل إعلامي يخدم مصالح الدول الأجنبية، في الخطة الليبية جاءت عنه إشارة عابرة فقط، حينما رأت الخطة أن من إسهامات قطاع الإعلام والثقافة أن يقوم بالتصدي للإعلام المعادي ودون تحديد لمستويات الإعلام المعادي أهو دولي أو قومي، أو إقليمي؟!.
8- تنبهت الخطة الليبيبة إلى الخطة طويلة الأجل والتي تمثلت بخطة لسنة 2000م.

5- نحو نهج عربي جديد للتنمية:

شهدت في فترة السبعينات والثمانينات في الوطن العربي ازدهارا كبيرا في نمو أدبيات التنمية العربية، وعلى الرغم من اختلاف المدارس الفكرية لدراسي التنمية إلا أننا يمكن أن نلحظ توجهاتهم التي تسعى إلى ضرورة تطوير نهج جديد للتنمية العربية. وقد تنوعت إسهامات الباحثين في مجال التنمية بدءا من النقد للتوجهات والمدارس الغربية في التنمية، ومرورا بالبحث عن صيغ جديدة لاستراتيجيات التنمية العربية، أو التركيز على بعض الجوانب المفقودة في التنميات العربية.

ولذا فقد اعتبر البعض زوال قدسية نماذج التنمية الغربية إيجابيا. إذ يفتح المجال للتفكير الخلاق، والبحث الموضوعي في الظروف السائدة واختيار أفضل السبل لتحقيق التنمية بالإنسان العربي ومن أجله مع المحافظة على الهوية الحضارية للأمة العربية، ولكن ذلك يعني في الوقت نفسه أهمية اختيار مدى صلاحية السبل المختلفة والدروب المتشعبة141.

لقد ركزت الدارسات التنموية العربية على ضرورة التخلص من التبعية، وما يستتبعها من ضرورة توافر التنمية المستقلة، وكذلك ركزت على ضرورة التكامل العربي والعمل من أجل تنمية قومية شاملة وكذلك قامت بعض هذه الدراسات بانتقاد الخطط التنموية الإقليمية بحثا عن سبل تحقيق التنمية المستقلة.

ويمكننا أن نشير إلى أن قصور التنمية العربية وسبل تحقيق تنمية مستقلة عربية تعود إلى غياب الحلقات التالية أو بعضها في الخطط التنموية العربية:

1- غيار الرؤية الشاملة لتفاعل الأنظمة الكلية والفرعية في العمل التنموي.
2- غياب الرؤية التفاعلية لأبعاد التنمية الإقليمية والقومية والدولية في التنمية.
3- غياب التركيز على المعيقات المجتمعية وخصوصية الهوية الثقافية العربية.
4- غياب الاستراتيجية التنموية المتكاملة والتخطيط الدقيق والطويل الأجل للتنمية.

---

[141] - إبراهيم سعد الدين – ورفاقه، صور المستقبل العربي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1982) ص150.

5- غياب دور الاتصال المساهم في التنمية.

إن دراسة هذه الحلقات المفقودة أو الواهنة في سلسلة العمل التنموي سوف تنير الدرب إلى البحث عن عناصر التنمية العربية المستقلة وترشدنا إلى سبلها.

ولذا فإن الانتقادات لخطط التنميات العربية ضرورية ونحن نسعى إلى العثور على الصيغة المثلى والعملية للتنمية العربية. وفي هذا الإزاء يشير باحث إلى أهمية النقد للعملية التنموية فيقول:

"وقد تكون إثارتنا لبعض التساؤلات حول المظاهر والمؤشرات غير صحيحة التي رافقت عملية التنمية العربية خلال السبعينات مدعاة لمزيد من التأمل والتفكير. فالقضية الجوهرية ليست الاختيار بين نموذج "التنمية المنغلقة" في مواجهة نموذج التنمية المنفتحة على الخارج، وإنما الأهم من كل هذه المقارنات الخارجية والسطحية هو تحديد ماهية عملية التنمية. فالتناقض الحقيقي ليس بين الانفتاح والانغلاق، كما يصوره البعض، وما هو بين عملية التنمية المستقلة ذاتية التوجه وبين عملية التنمية التي تكرس التخلف والتبعية للخارج، فارتفاع حجم الواردات وارتفاع حجم المديونية الخارجية قد يتحول لعناصر قوة، وليس عناصر ضعف، لو أحسن توجيهه لخدمة التنمية والإسراع بمعدلات التراكم، وقد يتحول إلى عامل نقمة ومصدر من مصادر الاختناق وتعثر عمليات التنمية في المستقبل إذا ما ذهبت هذه الواردات والقروض الخارجية إلى بالوعة الاستهلاك الخاص الترفي، والإنفاق العام غير المنتج[142].

التنمية والحلقات المفقودة:

أولا: غياب الرؤية الشاملة لتفاعل الأنظمة الكلية والأنظمة الفرعية في العمل التنموي:

يرى ميندوزا Mendoza ونابولي، Napolli أن النظام يتكون من مجموعة من الأجزاء التي تعتمد على بعضها البعض وتتفاعل معا، لأجل أداء وظيفة أو مجموعة من الوظائف، وهذه الأجزاء تشكل معا وحدة كلية وهي أعظم من أن تكون مجموع أجزائها،

---

[142] - د. محمود عبد الفضيل: النفط والمشكلات المعاصرة، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة 1978)، ص101.

وهي أعظم لأنها تشتمل على تفاعلات بين هذه الأجزاء، كما أنها تشتمل على تفاعل بين أجزائها ذاتها[143].

وبناء على هذا التعريف يصبح الكون نظاما وله مجموعة أنظمة فرعية، ويصبح المجتمع الدولي نظاما كليا وله أنظمة فرعية مكونة من الدول، وكل دولة هي نظام ولها أنظمة فرعية، وكل مجتمع نظام له أنظمة فرعية.

وكما يرى ميندوزا ونابولي فإن كل مجتمع يحتوي على أنظمة فرعية متنوعة، مثل النظام السياسي والاقتصادي والديني والتعليمي، والتي لها صلة ببعضها البعض، إذ أن بينها اعتمادية متبادلة[144].

والأنظمة قد تكون مفتوحة – أي أنها تتفاعل مع البيئة – إذ تتلقى المدخلات من خارج النظام، مما ينتج مخرجاته التي تؤثر في البيئة. والأنظمة قد تكون مغلقة، وهي التي تكون معزولة، وليس لديها تفاعلات مهمة مع البيئة[145].

ولهذا حينما نتحدث عن التنمية من الضروري أن ننظر إلى المجتمع باعتباره نظاما فرعيا، ينتمي إلى نظم كلية أشمل مثل النظام القومي – بالانتماء إلى الأمة العربية – ومثل النظام الإنساني بالانتماء إلى المجتمع الدولي. وكذلك يجب النظر إلى أن النظام الاجتماعي له مجموعة من الأنظمة الفرعية المتفاعلة، وذلك لأن النظام هو عناصر متفاعلة، تؤدي وظيفة أو مجموعة وظائف. وحيث يكون النظام فرعيا لوحدة أكبر، وعند مناقشة الأركان الداخلية أو المقارنة لمثل هذه الوحدة فإننا نشير إليها بأنها نظام، وعندما نناقشها بعلاقتها مع وحدة أكبر هي جزء منها فإننا نسميها آنذاك نظاما فرعيا، وحينما نتحدث عن مستويات الأنظمة من حيث تسلسلها (هيراركية الأنظمة) فإن ذلك يرتبط بعلاقاتها من حيث السلطة، ومدى الوظائف واشتمالها على العضوية أو مداها الجغرافي[146].

وفي قلب مفهوم الأنظمة الكلية والأنظمة الفرعية يتجسد مفهوم التفاعل والنظام الاجتماعي، ويرى تالكوت بارسونز Talcott Parosns أن النظام الاجتماعي يتكون من مجموعة من الأشخاص الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض في موقف له – على الأقل – جانب مادي أو بيئي، وهم أشخاص تحفزهم النزعة نحو اكتمال الإشباع لديهم، وعلاقاتهم بمواقفهم تتضمن بعضهم البعض، ويتم تحديد هذه العلاقة وتحقيقها عن طريق نظام له بيئة

[143] - Manuel G. Nenaza & Vince Napoil: Systems of Man: An Introduction to Social Science (Lexington, Mass: D.C. Heath & Co. 1937)P.20.
[144] - Ibid.P.31.
[145] - Ibid,PP.22.
[146] - Ibid, P.32.

ثقافية ورموز مشتركة[147]. وهذا التفاعل الاجتماعي لا يتحقق إلا بالاتصال الذي يشرحه جورج ميد George Meed كما يلي:

بأن التفاعل الاجتماعي يتضمن بالضرورة تقديم تلميحات وهي دعوات للاستجابة، وذلك بصيغة الإشارات والرموز واللغة، وتتطلب هذه التلميحات استجابات ويتصور الآخرون المعاني من خلال هذه التلميحات، والتي هي استجابة أو استجابات ملائمة لتلميحات محددة، ومن ثم فإن التفاعل الاجتماعي هو اتصال المعاني من خلال سلوك يبتدئ بالاتصال وسلوك يستجيب للاتصال[148].

ولو حاولنا النظر إلى خطط التنمية العربية، فإنها تفتقد النظرة إلى عملية التنمية من خلال رؤية تفاعلية للأنظمة.

فهي تنظر إلى عملية التنمية باعتبارها قطاعات .. وكل قطاع يقوم بوضع خطته بمعزل عن القطاعات الأخرى. فوزارة الصحة تضع خطتها بدون أن يكون هناك تفاعل مع أنظمة فرعية أخرى ذات صلة وثيقة بها مثل وزارة الإعلام ووزارة التربية ووزارة الشؤون الاجتماعية، وهكذا يحدث الخلل في هذه الخطط والتي تفتقد على سبيل المثال الرؤية الواعية لتفاعل الأنظمة الفرعية التي لو أخذ في الاعتبار أهمية تفاعلاتها في إطار التنمية لكان للاتصال دوره الفعال فيها.

ثانيا: غياب الروية التفاعلية لأبعاد التنمية الإقليمية والقومية والدولية:

إن القصور الذي شاب التنمية العربية في تعاملها مع الأبعاد الإقليمية والدولية هو قصور في رؤية دور هذه الأنظمة في التنمية، وتنسحب هذه الرؤية القاصرة على رؤية الأنظمة المجتمعية وأهمية مكوناتها من أنظمة كلية وأنظمة فرعية، وتفاعلات هذه الأنظمة مما يؤثر في العملية التنموية كما أشرنا سابقا.

وتركز معظم التنميات العربية على البعد القطري المحلي للتنمية، وغالبا ما تتجاهل البعد الإقليمي أو تشير إشارات إنشائية إليه مثل مجلس التعاون الخليجي – أو المغرب العربي الكبير، وكذلك لا يأخذ البعد القومي على مستوى الوطن العربي أهميته في العمل التنموي – اللهم إلا من خلال الإشارة إلى السوق العربية المشتركة الغائبة، أو العمل المشترك المفقود، ويضاف إلى ذلك تجاهل المحيط الدولي وتأثيراته في خلق تنمية تابعة تصادر القرارات الوطنية أو تجهضها. لقد كتب عادل حسين:

---

147 - Talcott Parsons: The Social System (Glencoce, Illinois free Press. 1951) PP,5-6.

148 - George Mead in Alvin Boskoff: Theory in American Sociology (New York): Crowell 1976).P.63.

"إن الاستقلال الاقتصادي والتنمية الاقتصادية المستقلة، يعنيان أن يوجه الجهد التنموي بقرارات من الداخل، وبهدف إشباع الحاجات الأساسية للمواطنين، التي لا تحدد وفق مستوى القدرة الاقتصادية فقط، ولكن تتحدد وتتشكل وفق المفاهيم والقيم الحضارية الحاكمة أيضا. إن التنمية الاقتصادية المستقلة – بهذا المضمون – هي المكون الاقتصادي الملائم لمشروع الاستقلال الحضاري، وهذا ما يمكننا من التعامل مع الأسواق الدولية من موقع يقترب تدريجيا من الندية، تماما كما يمكننا الاستقلال الحضاري من التفاعلي مع الحضارات الأخرى بندية، إلا أن هذا الهدف (التنمية المستقلة) هو بالتحديد ما يعجز عنه أي قطر عربي على حدة، سواء كان هذا بسبب التشوه الكامن في كل هيكل، أم بسبب النقص الموضوعي في الموارد الطبيعية والبشرية اللازمة للجهد التنموي الشامل، والمحقق للاعتماد على النفس في إشباع الحاجات المتنوعة. فضلا عن أن مشروع التنمية المستقلة يلقى حربا من كل القوى المسيطرة على النظام الدولي بدرجة أو أخرى، ولا ننسى إسرائيل. وهذه المواجهة لا يتمكن قطر عربي وحده على خوضها حربا ومناورة، طبعا التنمية بالأسلوب الاشتراكي لا تحتاج إلى العمق العربي، إذ أن لها في الخارج من يحميها.

ولكي لا تختلط الأمور، نؤكد علمنا أن التنمية المستقلة في عالم اليوم تتطلب بالضرورة جهدا مكثفا، أي دفعة كبيرة، ومعدلات نمو مرتفعة واستقلالها في القرار ينتزع في صراع دم ضد القوى الحاكمة للنظام الدولي. ويتطلب هذا – كأي حرب- إدارة مركزية لمجمل العمليات المتشابكة، والسريعة التغير، ويترجم هذا في مجال التنظيم الاقتصادي بسيطرة قطاع الدولة والتخطيط المركزي"[149].

هل يمكن تحقيق التنمية في ظل هذا التعقيد من العلاقات الدولية وأشكال السيطرة على النظام الدولي، إن من أزمات التنمية هذا الارتباط بالنظام العالمي مما دعا إلى التفكير بفك الارتباط بالنظام العالمي وفك الارتباط هذا يعني كما يعرفه سمير أمين بأنه يعني إقامة منظومة من المعايير لقياس عقلنة الخيارات الاقتصادية تعتمد على مفهوم لقانون القيمة يقوم بدوره على أسس وطنية ويكون له قياس العقلنة الاقتصادية الناتجة عن هيمنة قانون القيمة الرأسمالي الفاعل على صعيد عالمي[150].

لقد ظل هاجس التنمية القطرية له الأولوية عند الأنظمة العربية مع إحساس بعضها أن التنمية القطرية يمكن أن تتعارض مع التنمية القومية، متناسبة أو جاهلة بأن حدود التنمية القطرية وقيودها لا يمكن تجاوزها بدون التفاعل مع الإطار القومي للتنمية الذي يعززها ويحميها. ويرد د. يوسف الصايغ أن التنميات القطرية والقومية العربية

---

149 - عادل حسين: نحو فكر عربي جديد: الناصرية والتنمية والديمقراطية (القاهرة- دار المستقبل العربي- 1985)- ص85.
150 - د. سمير أمين، أزمة المجتمع العربي، بيروت: دار المستقبل العربي 1985)- ص29.

ممكنتـان معـا وأنهمـا تتفـاعلا طـردا وعكسـيا تغـذي إحـداهما الأخـرى وتـدعمها وتـدفع بمسيرتها[151].

ولـم يكـن هـذا البعـد التفـاعلي بـين التنميـة القطريـة والتنميـة القوميـة واضـحا لـدى الكيانـات القطريـة فـي توجهاتهـا الإنمائيـة. وكـان مـن نتيجتـه زيـادة فـي التجزئـة، وزيـادة فـي التبعيـة للخـارج، وزيـادة فـي الاكتفـاء القطـري أمـلا بتحقيـق الاكتفـاء الـذاتي القطـري والـذي عزز الظاهرة الانعزالية الإنمائية كما يسميها د. محمود الحمصي والذي يفسرها بقوله:

"ولكـن الـذي حصـل فعـلا هـو أن التنميـة القطريـة، فـي مختلـف الأقطـار العربيـة لـم تجـر حسب تلك الافتراضات والتوقعات المفرطـة فـي التبسيط والتفـاؤل معـا. فقد استمرت التنميات القطرية تجري بمعزل عن بعضها، تحكمها ظروف التجزئـة، حيث يمثل كل قطر بمفرده كيانا اقتصاديا له مركز اتخاذ قرارات خاص به، يتولى جميع أمـوره، بمـا فـي ذلـك أمر توجيه التنميـة الاقتصـادية والاجتماعيـة. وكل مركـز منهـا حـريص علـى مبـدأ السـيادة الوطنية وعلى مبادئ الحماية وحق الانفراد بإقامة الحواجز الجمركية والقيود الأخرى، مع نزوع مفرط نحـو "الاكتفـاء الـذاتي القطـري" الموصـوم بتبعيـة متزايـدة للخـارج، ولعـل مـن بـين الأمـور التـي عـززت ظـاهرة "الانعزاليـة" لـدى الأقطـار العربيـة هـي أن التنميـة قـد صـارت تجري على أساس خطط ومناهج تتولى صياغتها أجهزة الدولة في كل قطر علـى انفـراد. وبشـيوع مـذهب التخطـيط للتنميـة لـدى أكثريـة الأقطـار العربيـة، صـارت قضـية التكامل والوحدة الاقتصادية رهينة لاتجاهات ومرامي خطط التنميات القطرية بالذات[152].

وأما تجاهل البعد الدولي في أهمية العملية التنموية فقد قاد إلى التبعية والتي جعلت العالم الآن ينقسم إلى دول المركز ودول الأطراف. وفـي سباق البعـد الـدولي كـان لا بـد أن ننظـر إلـى الواقـع الـدولي نظـرة موضـوعية، فالعـالم مـن حولنـا ينقسـم اسـتراتيجيا للعـرب فحينما نتحدث عن دول العالم الإسلامي والدول الإفريقية – على سبيل المثـال- فإنهـا تمثـل عمقا يمكن أن يسهم في دعم العمل التنموي من خلال علاقـات متكافئـة فيهـا منفعـة متبادلـة ومصـالح مشـتركة، بينمـا تقـوم دول المعسـكر الغربـي علـى علاقـات تحكمهـا مصـلحتها – الخاصـة- وهي علاقات غير متكافئة علاقة المركز بالتابع، وعلاقة المستغل (كسـر الغـين) بالمستغل (فتح الغين).

ولـهذا نجـد أن التبعيـة الاقتصـادية والثقافيـة والإعلاميـة ذات أبعـاد صـارخة تشـكو منها دول العالم الثالث – والدول العربيـة مـن بينهـا- ولـم يكـن غريبـا أن تنـادي هـذه الـدول بنظـام اقتصـادي جديـد، وبنظـام إعلامـي جديـد، كـي يضـمنها لهـذه الـدول اسـتقلالية تحقـق شروطا أفضل لتنمية مواردها وثقافاتها.

---

[151] - د. يوسف صـايغ: استراتيجية التنميـة فـي العـالم العربـي فـي كتـاب السـكان والتغيـر فـي الشـرق الأوسـط، (بغـداد- الأكـوا 1985)- ص57.

[152] - د. محمـود الحمصـي: خطـط التنميـة العربيـة واتجاهاتهـا التكامليـة والتنافريـة (بيـروت: مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة 1980)- ص122-123.

إن نظرة واقعية لطبيعة علاقاتنا بالمعسكر الغربي والمعسكر الشرقي ودول العالم الثالث يجب أن تتسم برؤية واقعية وتاريخية في آن واحد حتى ندرك أبعاد التنمية الشاملة وسبيل تحقيقها بما يضمن إنجازها تنمية مستقلة تحقق للإنسان العربي طموحاته التي توفر له الأمن الاقتصادي والغذائي والثقافي وتضمن له كرامته الإنسانية وتوفر له سبل الإبداع والمشاركة.

ثالثا- غياب التركيز على المعيقات المجتمعية وخصوصية الهوية الثقافية العربية

إن التنمية عملية تفاعلية ديناميكية تتم في إطار مجتمعي له خصائصه التي يتسم بها. أحيانا تكون الخصائص تسهل عملية التغير، وبعضها الآخر يعيقها... وهكذا تصبح خصوصية الهوية الثقافية العربية من العناصر الهامة التي تؤثر في عملية التنمية سلبا وإيجابا. وعملية التغيير ليست هي مجرد نقل أفكار أو انتشارها كما رأت المدرسة الانتشارية من أعلى إلى أسفل. إنما هي عملية تفاعلية تأخذ في حسبانها العوامل المجتمعية من أسلوب تنشئة وثقافة وأيديولوجية سائدة واتجاهات نحو العمل وغيرها. ولهذا كانت التجربة الغربية في التنمية ليست هي المثال الذي يجب أن يحتذى، ولكن فيها عبر ودروس نستخلصها منها، إن التخلص من التبعية يعني عند البعض الاستفادة من دروس التجارب التنموية الغربية، وهذا ما حدى بإسماعيل صبري عبد الله إلى تبني الدروس المستفادة من التجربة الغربية والتي تتمثل بما يلي:

أولا: التنمية الشاملة عملية تطور تضرب جذورها في كل جوانب الحياة، وتفضي إلى مولد حضارة جديدة، أو مرحلة جديدة من مراحل التطور الحضاري، بكل ما يميزها من قيم وعادات وسلوك، وأساليب إنتاج، وأوضاع اجتماعية، ونظم سياسية، وتقدم علمي، وتجدد أدبي وفني... إلخ.

ثانيا: للتنمية أساس مادي وآخر فكري، والتنمية هي ثمرة التفاعل المستمر بينهما بحيث يغذي كل منهما الآخر ويقوي حركته. فمناهج العلم ومكتشفاته خلقت الجو المواتي للاختراع.

ثالثا: التنمية لا تستعار وإنما هي في الأساس عملية إبداع.

رابعا: مولد حضارة جديدة أو تجديد شباب حضارة عريقة، جهد يفوق طاقات أي قطر، فهو ظاهرة "قاري" من حيث الاتساع الجغرافي والإسهام البشري، وهذا ما يؤكده تاريخ أوروبا. فقد أسهمت شعوب القارة جميعا. وامتدادها الحضاري في أمريكا الشمالية بالفكر والممارسة في بناء الحضارة المعاصرة.

خامسا: المحتوى التقني الاقتصادي للحضارة الغربية الذي يبهر الناس لم يكن متصورا بدون استيلاء الأوروبيين على موارد الشعوب الأخرى، الموارد الأرضية (أمريكا الشمالية وأستراليا.. إلخ) والموارد البشرية (الرقيق الأفريقي والعمل في المناجم

والمزارع في المستعمرات) والطبيعية (الموارد الأولية والطاقة). أما الثورة الصناعية في ذاتها فلا تكفي لتفسير كل شيء، كذلك لا يحل التصنيع بذاته كل المعضلات[153].

ومن خلال هذه الدروس يتوصل الكتاب إلى أن التنمية الشاملة تعني في حالة العرب: حركة إحياء حضاري ترد للمجتمع العربي قدرته على التجدد ذاتيا وتفتح أمامه آفاق الإبداع. ولا يتأتى هذا إلا بتحرير الإنسان العربي والموارد العربية. وتحرير الإنسان العربي من الفاقة والعوز والجهل. تحرير العقل العربي من السلفية المتحجرة التي ترفض الاجتهاد والتجديد، أي تنكر على حضارتنا جوهر الحياة لكل حضارة ألا وهو التجدد المستمر ومسايرة مصالح الجماعة في عالم يتغير بوتائر سريعة. وتحرير العقل العربية كذلك من الاتباعية وما تولده من تبعية لكل أو أجل ما نتعلمه من الدول الصناعية المتقدمة. وتحرير الموارد العربية من صنوف السيطرة الخارجية والاستئثار الداخلي. بهذا وليس بأقل منه يمكن أن نصل إلى إسهام جديد في الحضارة البشرية أخذ عن غيرنا ولكن لا يكتفي بمحاكاتهم، ويبني على أفضل ما في التراث دون انغلاق عليه أو انكفاء على الماضي، وعندئذ نقيم مجتمعا حديثا بكل معاني الحداثة ولكنه بالضرورة مختلف عن المجتمع الغربي[154].

ولقد تحدث الباحثون عن سقوط نماذج التنمية السابقة، واعتبرها البعض أنها ظاهرة إيجابية إذ تفتح المجال للتكفير الخلاق والبحث الموضوعي في الظروف السائدة واختيار أفضل السبل لتحقيق التنمية بالإنسان العربي ومن أجله مع المحافظة على الهوية الحضارية للأمة العربية.

ولهذا كانت الحاجة ماسة إلى طرح ما أشير إليه بالتنمية البديلة أو التنمية الأخرى والتي تهدف إلى الوفاء بالحاجات الأساسية للإنسان، والرفع المستمر لمستوى معيشته، وتفجير كامل طاقاته وتطوير شخصيته، وإطلاق قدراته الإبداعية، وتتم عن طريق مشاركة الإنسان في عملية التنمية، مشاركة ديمقراطية، يكون هو محدد أهدافها وأدائها في الوقت نفسه؟ [155].

وكانت أسباب تلك المراجعة والبحث عن صيغة جدية متعددة من بينها أهمية المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع كما أشار إلى ذلك د. إبراهيم سعد الدين ورفاقه بقولهم: إن إخفاق التنمية المفروضة من أعلى، والتي أهملت الهوية الحضارية للشعوب النامية، واعتبرت الحضارة الغربية النموذج الوحيد الجدير بالمحاكاة والاتباع، قد أدى إلى مراجعات فكرية لمعنى ومفهوم الحضارة، تأكد من خلالها فساد الادعاء، أن الغرب وحده هو الذي يحمل مشعل "الحضارة"... وإن حضارته وحدها، تتضمن من القيم والاتجاهات

---

153 - إسماعيل صبري عبد الله: "التنمية الاقتصادية العربية – إطارها الدولي ومداها العربي" في كتاب: دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية – الطبعة الثالثة 1985) ص54-55.

154 - إسماعيل صبري عبد الله، المصدر نفسه.

155 - د. إبراهيم سعد الدين ورفاقه، صور المستقل العربي (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 1982) ص148.

ما هو ضروري للتقدم الاقتصادي والاجتماعي.. وأكدت الاتجاهات الحديثة في أدبيات التنمية، على أهمية المحافظة على الهوية الحضارية لمختلف الشعوب، لضمان المشاركة الإيجابية للجماهير الواسعة في عمليات التغيير والتحرير المطلوبة. وإن أغلب الحضارات، تتضمن عناصر إيجابية يمكن الاحتفاظ بها وتطويرها بما يناسب الأوضاع المتغيرة، ربما يسمح بالجمع بين الأصالة والتجدد، دون تحطيم الشخصية الذاتية للمجتمع، بل على العكس بتطويرها وتعميقها[156].

وقد ركز بعض الباحثين على جوانب أساسية لإنجاز التنمية، قد تحدث د. علي الكواري عن التنمية الشاملة في منطقة الخليج العربي، واعتبر أن الهدف العاجل لاستراتيجية التنمية والتكامل في المنطقة يتمثل في توفير البيئة الملائمة لتنمية ثقافية اجتماعية مستمرة، في إطار الاستراتيجية العربية للتنمية الثقافية والتنمية الاجتماعية. واعتبر الكواري أن هذين الجانبين الحاسمين من جوانب التنمية الشاملة يمثلان أكثر جوانبها حاجة إلى الوقت، ويتطلب تصاعد عمليتهما توفير المناخ، وتهيئة البيئة القادرة على تفهم متطلباتهما، واستيعاب أهمية التغيرات والتفاعلات التي يحدثانها على النطاق الجماهيري الواسع.

ولعل هذه الطبيعة الخاصة بالتنمية الثقافية الاجتماعية باعتبارها الجانب المتعلق بتفكير الإنسان وحسه وسلوكه، تحد من طموح هذه الاستراتيجية المرحلية وتحجم هدفها الاستراتيجي العاجل في توفير الشروط التي تسمح بتنمية ثقافية اجتماعية مستمرة.

وتتمثل أهم هذه الشروط في تهيئة البيئة التي تسمح بالتنوير الفكري، توفير الشروط التي تسمح بالتجانس السكاني والتماسك الاجتماعي، تغير متعلقات العمل الاجتماعي وتوجهات العمل الثقافي، إدارة عملية التنمية الثقافية والاجتماعية، تأكيد دور الإعلام في التنمية وإصلاح أجهزته[157].

ونلحظ هنا عناية قل أن نجدها عند الباحثين الآخرين في التنبيه إلى ضرورة توفير شروط ملائمة للتنمية وخاصة التأكيد على دور الإعلام في التنمية الذي يعطي لوسائل الإعلام دورها الذي تستحقه في عملية التنمية، ويشير إلى أهمية التنمية الثقافية والاجتماعية وما يتطلبه ذلك من ضرورة توفير المناخ والبيئة الاجتماعية لأحداث التغيرات والتفاعلات في المجتمع.

رابعا: غياب الاستراتيجية التنموية المتكاملة والتخطيط الدقيق وطويل الأجل

---

156 - المصدر نفسه، ص148-149.

157 - د. علي خليفة الكواري: نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة (بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية 1982) ص107.

يؤكد دارسو قضايا التنمية العربية ونقادها أن جوانب القصور في خطط التنمية التي تؤدي إلى فشلها، تتبع في بعض منها إلى غياب التخطيط والتي يجب أن تشتمل كما يرى د. يوسف الصايغ على ما يلي:

أ) تحديد أغراضها الكبرى والتي حدد مهامها الاقتصادية بالعناصر العشرة التالية:

1- رفع مستوى الأداء والنمو من جانبه الاقتصادي المحض.
2- رفع مستوى الموارد البشرية والقوى العاملة كهدف وأداة معا.
3- تكبير حجم العمالة المجزية.
4- السعي نحو التوازن الاقتصادي والاجتماعي قطريا وقوميا.
5- تدعيم العلم والبحث وتوطين التكنولوجيا.
6- صياغة سياسات الموارد الطبيعية وخاصة النفطية، لتكون أكثر التصاقا بالمصالح القطرية القومية.
7- الاندماج الاقتصادي العربي.
8- دعم الأمن القومي في جميع أوجه وإقامة قاعدة اقتصادية صلبة للدفاع والأمن.
9- الخلاص من التبعية الاقتصادية ورفع درجة الاعتماد القومي على النفس.
10- المساهمة بإقامة النظام الاقتصادي العالمي الجديد.

ب) تحديد الوسائل المتاحة إلى مادية وبشرية ثم معنوية ومؤسسية بشكل ديناميكي فعال.

ج) تحديد الاستراتيجية التنموية العربية وذلك يتم من خلال التعرف على العوامل المحركة في الاستراتيجية وتحديد أولوياتها ونمط التحرك الذي يعني كيفية الربط بين تلك العوامل والأولويات وكيفية تحرك الاستراتيجية لتحقيق أهداف التنمية.

وتتمثل العوامل المحركة في الاستراتيجية الموقف العربي الإيجابي من مسألة التنمية القومية وتوجه القيادات القطرية في التنمية، ووجود مقدار مقبول من الحركية الاجتماعية ومن القلق من حالة التخلف على نطاق واسع لدى المجتمع.

وتشمل أولويات هذه الاستراتيجية تنمية القوى البشرية، وتطوير التكنولوجيا الملائمة والنهضة الريفية والزراعية، والاهتمام بالتصنيع الأساسي، وتطوير المواصلات قطريا وقوميا، وإنشاء المؤسسات الضرورية للتخطيط والمتابعة، وتطوير القطاع الهيدركاربوني.

وأما تحرك الاستراتيجية فإنه يكمن في إرادة السلطة السياسية والإرادة الشعبية وقلقها من حالة التخلف، ثم بعدها لا بد من توافر قدرة الجماهير على تأمين الاستمرار في التحرك ووجود الرغبة القومية للتعاون المتجهة نحو التكامل والاندماج[158]. أن مراجعة لخطط التنمية العربية خلال العقدين الماضيين يرينا كيف أن خطط التنمية شابها عدم وجود استراتيجية متكاملة العناصر، وهي كما رأينا في الخطط التي استعرضناها في بداية الدراسة افتقدت إلى الكثير من العناصر الأساسية لوضع استراتيجية تنموية عربية سليمة، ففيما يتعلق بأغراض التنمية فإننا نجد أن العناصر العشرة الأساسية لم تنل جميعها ما تستحقه من عناية إذ تم التركيز على بعض هذه الأغراض ولكن معظمها كان هامشيا بالنسبة لاستراتيجيات التنمية العربية.

وقد رافق ذلك بروز اتجاهات تنمية عربية متنافرة أحيانا ومتنافسة أحيانا أخرى. وقد تعزز ذلك بتدعيم النزعات الإقليمية (القطرية) والتي أصبحت تنظر إلى أن مصالحها تكون بتحقيق الاكتفاء الذاتي عبر التنمية القطرية. وهذا ما دعا د. محمود الحمصي إلى أن يشخص هذا الواقع بالحديث عن فشل الخطط التنموية العربية ذات الرؤية القصيرة المدى حيث يقول:

"إن خطط التنمية العربية مفتقرة إلى اتجاهات مواتية للتكامل، بل هي عامرة بالاتجاهات المضادة له ومثقلة أيضا بالاتجاهات المؤدية إلى مزيد من التبعية لمراكز القوى الاقتصادية العالمية، فالنزوع المغالي نحو تحقيق اكتفاء ذاتي قطري قد جاء محصورا في أنواع خفيفة من الصناعات، أدى إلى تكرار قيامها في عدد متزايد من الأقطار العربية إلى أن صارت عنصرا منافيا للتكامل الاقتصادي الجماعي. وكذا التوجه التصديري أدى إلى قيام صناعات من شأنها مضاعفة التبعية للخارج مثلما يؤدي تماثلها إلى احتدام تنافس الصادرات العربية في الأسواق العالمية. وبات السعي إلى التنسيقي الإنمائي لا يستهدف التكامل بقدر ما يبتغي التخفيف من التنافس في الأسواق الخارجية[159].

ويرجع ذلك حسب تعبيره لأن التنميات القطرية العربية قد جرى التخطيط لها بمعزل عن بعضها البعض إذ يمكن أن تحمل خليطا من مختلف أنواع الاتجاهات ذات المرامي التكميلية وذات المرامي التنافسية والحيادية معا[160].

إن هذا يعود في أساسه إلى رؤية قصيرة النظر، تعتمد على خطط قصيرة المدى أو متوسط المدى في أحسن الأحوال. والخطط التنموية العربية معظمها خطط خمسية (انظر الخطط التي استعرضناها في مدخل القسم الثاني من هذا الكتاب). وباستثناء الإشارة إلى خطة طويلة الأمد حتى عام 2000 في خطة التنمية الليبية، فإن خطط التنمية العربية

---

158 - د. يوسف الصايغ، مصدر سبق ذكره.

159 - د. محمود الحمصي، مصدر سبق ذكره، ص166.

160 - المصدر نفسه، ص124.

هي خطط توضع بعد قرب انتهاء الخطة الجاري تنفيذها مما يؤدي إلى ارتجال وسرعة في إعداد الخطة الجديدة وهذا يؤدي إلى:

"إن كل قطر يجهل ما سوف تكون عليه اتجاهات التنمية المقبلة، سواء لديه أو لدى أقرانه من الأقطار العربية الأخرى، التي بدورها تجهل النوايا الإنمائية لدى بعضها بعضا. وعلى هذا المنوال يكون الجهل بالنوايا بعيدة المدى جهلا متبادلا وشاملا. وفي ظل هكذا حالة، يصبح متعذرا على أي قطر أن يرسم لنفسه مسارا إنمائيا طويل الأمد، على أساس متكامل مع المسارات الإنمائية المناظرة لدى الأقطار العربية الأخرى[161].

هذا وعاني التخطيط للتنمية كذلك من بعض المثالب الأخرى التي أشار إليها محمود الحمصي ومن بينها أن الخطط العربية تعتمد على مشروعات يتم اقتراحها سلفا بطريقة منفصلة عن مجرى العملية العربية تعتمد على مشروعات يتم اقتراحها سلفا بطريقة منفصلة عن مجرى العملية التخطيطية. وكذلك المبالغة في صياغة الأهداف الإنمائية مما يؤدي إلى قيام انفصام الطموحات والواقع[162].

خامسا: غياب دور الاتصال المساهم في التنمية

يركز الدارسون للإعلام والتنمية، على الدور الذي يمكن أن تلعبه وسائل الإعلام في تحقيق التنمية، وتركز الرؤية هذه على وسائل الإعلام الجماهيري، متجاهلة وسائل الاتصال الأخرى، التي تأخذ دورها الفاعل في العملية التنموية،

ونخص بالذكر الاتصال الشخصي والاتصال الجمعي. وتتجاهل أشكال الاتصال التقليدية ومراكزها مثل دور المسجد والمقاهي والمجالس وغيرها. وبالمقابل تتجاهل خطط التنمية دور الاتصال المساهم في التنمية وإن كانت تعني في أحسن الأحوال بتنمية وسائل الاتصال بدون الأخذ في الاعتبار أدوارها المرتقبة، كما اتضح ذلك في خطط التنمية للدول الأربع التي ناقشناها سابقا.

وعلى سبيل المثال كانت العناية كبيرة باسترداد تكنولوجيا الاتصال مما أدى إلى نتائج غير مرغوبة، إذ تراكمت الآلات والمعدات التي لا تعمل بكامل طاقتها، ولا تستثمر في العمل إلا لفترة من عمرها الافتراضي لضعف أعداد الكوادر الذين يشغلونها، ولسوء تدريبها. وهذا يؤدي إلى حلقة جديدة من الاستيراد لمعدات أخرى. وهو المزيد من الهدر في الإنفاق[163].

---

161 - المصدر نفسه، ص129.

162 - المصدر نفسه، ص125-126.

163 - د. محمد ناجي جوهر: "دور الإعلام في التنمية القومية – محاولة لفهم جديد" (حوليات الإعلام- جامعة بغداد (2) 1982) ص130.

ونظرا لغياب الرؤية الواعية لأهمية الاتصال في خطط التنمية فإن التنسيق بين واضعي الخطط التنموية والإعلاميين مفقودة، إذ إنه "لا يوجد تنسيق شامل ومتكامل بين واضعي خطط التنمية العربية والمشرفين على تنفيذها من جهة، وبين وسائل الإعلام والاتصال العربية والعاملين بها من جهة أخرى، فمن المفروض أن تكون وسائل الإعلام والاتصال وسيلة بيد واضعي الخطة ومنفذيها، تستخدم لتقوم بعمليات الإعلام والتوعية والحوار والتقييم، قبيل وضع الخطة وأثناء تنفيذها وبعد التنفيذ. ويلاحظ أن المشرفين على الخطة لا يعطون أهمية جادة لوسائل الإعلام والاتصال. ولا يؤمنون كثيرا بقضية الحوار حول الخطة، ولا بآراء الجماهير فيها، مع أن هذه الجماهير هي التي تنفذها. وهي التي تؤدي إلى إنجاحها أو إفشالها في حالات كثيرة ولذلك يبقى الانفصال قائما بين مسار الخطة ومسار الإعلام المتعلق بها، ولا يتجاوز الإعلام التنموي بعض المبادرات في هذه المناسبة أو تلك وحول هذا الجانب أو ذاك من جوانب خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية[164].

إن إدراك أهمية الاتصال التنموي وتأثيراته تكاد أن تكون مفقودة لدى صناع السياسة ومخططي التنمية، وهذه ظاهرة عامة ليست في الوطن العربي فحسب، بل يشترك فيها دول العالم الثالث كله. ويتحدث ويليام ميلودي MELODY عن هذه المشكلة إذ يقول:

"لسوء الحظ كان المحللون وصناع السياسة، ومخططو التنمية يعرفون القليل عن تأثيرات أنواع محددة للاتصال الممتد على التنمية لأي دولة، في أي حلقة من حلقات تطورها، وكذلك فإن توسع أنواع المحددات لتسهيلات الاتصال، والخدمات أو الفرص، على أساس من الإخلاص فقط، هي في أحسن الأحوال سياسية مجازفة.

إن المشكلة الأساسية تكمن في أن دور الاتصال في التنمية لم يتم جعله كعملية مندمجة في خطط التنمية، فلم يتم بعد تطوير العلاقات بين قطاع الاتصال والقطاعات الأخرى في المجتمع، وكذلك فإن إسهامات أنظمة الاتصال على المدى القصير والمدى البعيد لم يتم قياسها، ولم تقيم الطرق البديلة لاندماج الاتصال في خطط التنمية القومية. إن إسهامات الاتصال في التنمية في الماضي والحاضر والإسهامات الممكنة لا يمكن مقارنتها بفعالية بالنسبة للقطاعات الأخرى في المجتمع. ومن ثم فليس من المعروف كيف يجب أن يقيم الاتصال في قرارات الحكومة القويمة وذلك عند تخصيص الموارد"[165].

---

[164] - ياسين شكر – وحسين العودات، الفعاليات الإعلامية العربية والتنمية (مجلة الدراسات الإعلامية، العددان 30-31 سبتمبر (أيلول) 1983) ص132-133.

[165] - Willam Melody: "the Rolo of communication in Development Planning "in Rahim & Middloton (eds) Prespectives in Communication Pollcy and Planning (Honolulu East-West Center 1977,) PP.26-27.

ولقد ظلت النظرة الموضوعية إلى دور الاتصال في التنمية هي الشغل الشاغل للإعلاميين، أما باحثو التنمية العرب – بأوجهها السياسية والاقتصادية والاجتماعية- فإن تركيزهم على هذا الدور كان باهتا، ولكننا لا نعدم من أن نجد بعض الباحثين الذي ينظرون إلى أن تأثير الإعلام لا يقل عن تأثير التربية والتعليم أو تأثير نظام الحوافز في المجتمع كما يرى د. علي خليفة الكواري والذي يحدد دور الإعلام كما يلي:

"لا بد أن يكون للإعلام دور إيجابي في التنمية ووظيفة اجتماعية محددة لا بد أن يؤديها. إن الوظيفة الراهنة للإعلام، والتي لا تتعدى التسلية وتجميل الصورة الرسمية، لا بد أن يعاد النظر فيها، ولا بد أن يوظف الإعلام من أجل رفع المستوى الثقافي، وتغيير العادات الضارة، وبلورة نسق إيجابي للقيم الاجتماعية، وتوجيه الإنسان نحو الإنتاج، وإتاحة وسائل النمو الذاتي، وربط الفرد بمشكلات مجتمعه، وحماية ثقافته، وصيانة مقومات هويته العربية الإسلامية، من غزو ما يتم اختياره وتقديمه من الثقافة الغربية الرديئة والمعادية أحيانا، فضلا عن توعية الإنسان بالمتغيرات المعاصرة، وتبصيره بالتحديات المحيطة به[166].

وأوجه الانتقاد هذه التي يوجهها الكواري إلى دور وسائل الإعلام هي التي حدت بحمدي قنديل على اعتبار الإعلام العربي أنه لا أساس له من الصحة، إعلام زائف وإعلاني وتلقيني، وهو رسالة من جانب واحد، من المركز إلى الأطراف، والصفوة إلى العامة، من الحكام إلى المحكومين، ولذا فإنه يميز بينه وبين الإعلام الحقيقي – البديل- والذي يرى أنه: "رسالة في اتجاهين وحوار بين طرفين. والاتصال لا يمكن أن نقيمه بعدد الأجهزة، الاتصال ليس كما من المعدات، وإنما هو رسالة ودعوة ومشاورة ومشاركة. ليس مباهاة بالكيلووات والميجاهرتز والشاشة الملونة والتلفزيون الرقمي وأقمار الإذاعة المباشرة وعدد الأستديوهات والمطابع ونسبة أجهزة الاستقبال لعدد السكان. الاتصال بمدى مساهمة الجماهير في الإنتاج الإعلامي، يقاس بتغلغل شبكات الاتصالات في الريف، يقاس بمدى نجاح الرسالة الإعلامية في الارتقاء بالذوق العام والمستوى الثقافي والمعرفة العلمية، يقاس بمضمون البرنامج الإذاعي ومضمون الفيلم السينمائي ومضمون الصحيفة والكتاب. ولا يقاس أبدا بالأعداد ولا بالأرقام"[167].

وقد رأى بعض الباحثين أن هذا الاتصال يجب أن يشتمل على أربعة عناصر:

1- أن يكون حاجة إنسانية يماثل في أهميته الحاجات الأساسية الأخرى. ولذا فأن يكون للإنسان حق في أن يعلم الآخرين وأن يحاط بالمعلومات هو أحد حقوق الإنسان يمارس ذلك فرديا وجماعيا.

---

166 - د. علي خليفة الكواري، نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة. (بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية) ص112.

167 - حمدي قنديل، "التعاون الدولي من أهل الإعلام الإنمائي: مأساة الأرقام ومشروعات خاسرة للبيع". من كتاب "ندوة الإعلام من أجل التنمية والتعمير" الرياض: الصندوق العربي للإنماء- والمركز الوطني للمعلومات المالية- 1984- ص274.

2- إن الاتصال نابع من البيئة الثقافية والسياسية والاقتصادية والتاريخية، ولذا تنشأ بني تنظيمية اتصالية مختلفة باختلاف المجتمعات.
3- إن الاتصال وجه من أوجه العملية التربوية، فالمسئولية الاجتماعية لأجهزة الاتصال الجماهيري مسؤولية عظمى. وهي قادرة على أن تنقل المعلومات الصحيحة أو تحرفها. وتكشف الحقائق الهامة أو تخفيها. وتفسر الأحداث على نحو إيجابي أو سلبي.

4- إن الاتصال ينطوي على حقوق وواجبات. ولما كانت وسائل الاتصال الجماهيري تقوم في حقيقة الأمر بخدمة عامة، فلا بد لها أن تؤدي واجبها ملتزمة بالمسؤولية الاجتماعية والقانونية التي تعكس الإجماع الذي ارتضته الأمة. وليست هناك حقوق دون أن تقابلها واجبات، ولا حرية بلا مسؤولية[168].

إذا كانت العناصر السالفة هي جوهر النشاط الاتصالي – أو هكذا يجب أن تكون- فإن الاتصال بهذا المفهوم يصبح عنصرا أساسيا من عناصر العملية التنموية. ولذا يجب النظر إليه في إطار تفاعل الأنظمة (الذي أشرنا إليه سابقا في تمهيد القسم الأول) مما يستدعي أن ندنو أكثر من محاولة فهم دور الاتصال وموقعه بين عملية التفاعل المجتمعية والدولية.

6- نحو نموذج للاتصال التنموي

كنا قد اقترحنا نموذجا أسميناه نموذج الاندماج التبادلي للاتصال التنموي[169]، وعناصر هذا النموذج تشتمل على مجموعة من المتغيرات:

أ) متغيرات اتصالية مثل المرسل والرسالة والوسيلة والمتلقي ورجع الصدى.. إلخ.

ب) متغيرات مرتبطة ببيئة الاتصال كالثقافة والتنشئة الاجتماعية والشخصية والسياسة والاقتصاد والأيديولوجيا والقيادة والتكنولوجيا والبنى التحتية.

وكان هذا النموذج معنويا بشكل أساسي بإبراز عملية الاتصال وتدفقه في سياق حملة إعلامية تنموية.

---

168 - المصدر نفسه: اقتبسه عن
Somavis, J.,: "The Democratization of Communication Form Minority Social Monology to Majority Social Representation Development Dialogue, 2, 1981.

169 - د. صالح أبو أصبع: الإعلام والتنمية: نموذج مقترح للاتصال التنموي (دبي: مؤسسة البيات 1985)، ص109-135.

والنموذج يأخذ في اعتباره ذلك التفاعل التبادلي بين تلك المتغيرات التي أشرنا إليها ويطالب بضرورة إدماج تلك العناصر وإدراك تفاعلاتها المتبادلة[170].

وأما النموذج الذي تقدمه فإنه بمقدار ما يلتقي مع عناصر النموذج ذاك من خلال تفاعلاتها، إلا أنه يختلف عنه في أنه معني أساسا بإبراز الاتصال، وأشكال تفاعلاته والحاجات التي يلبيها في إطار السياق المجتمعي، ومدى علاقة هذا السياق بالبيئة الأوسع، الإقليمية، والقومية، والدولية. وتنبع ضرورة تقديم هذا النموج من واقع ما قدمناه في عرضنا لقضايا التنمية وحلقاتها المفقودة. وذلك يتمثل في النقاط التالية:

1- تخلط خطط التنمية العربية من إعطاء الاتصال دوره الفاعل في العملية التنموية.

2- تخلو خطط التنمية من إدراك التفاعل بين الأنظمة الكلية والفرعية وما ينتج عنه في هذا المضمار من عدم التنسيق والإدماج بين التخطيط لمشاريع التنمية وتنفيذها، من جهة وبين الاتصال من جهة أخرى. ولذا فالنظر إليها في سياق تكاملي يصبح ضرورة.

3- يتمثل الاتصال العنصر الأساسي الذي يجسد التفاعلي بين الأنظمة الكلية والفرعية فهو وسيلة للتفاعل بين الأنظمة المختلفة وهو مظهر له أيضا.

ولهذه الأسباب فإن إبراز الاتصال كمحور أساسي للتفاعل المجتمعي يصبح ضرورة. ولعل ذلك يلفت نظر القائمين على التنمية والمخططين لها إلى أن يصبح الاتصال عنصرا أساسيا، لا يمكن فصله عن خطط التنمية وسياساتها، لكي يتخطى الواقع المرير بتجاهل الاتصال في تلك الخطط والسياسات.

لقد شخص ويليام ميلودي Melody هذا الواقع حين قال:

"في الوقت الحاضر، إن علم الاتصال في موقف محبط، الاتصال لا يمكن فصله عن التنمية، ولكن القليل معروف حول كيف لخطط التنمية أو سياساتها يجب أن تعترف بهذه الخاصية غير القابلة للفصل – فالاتصال هو جزء أساسي لنظام تدعيم الحياة للأمة والمجتمع يمكن أن تربط بالفعل في الاتصال. ولهذا فالحلول – أو على الأقل بعضها- لعدد غير محدد من مشكلات المجتمع يعتقد بأنها توج في الاتصال"[171].

إن النموذج المقترح يأخذ في الاعتبار تلك الملاحظات التي أشار إليها ميلودي فالاتصال يقع في قلب النموذج ويعتبره جزءا أساسيا لنظام تدعيم الحياة للأمة والمجتمع

---

170 - المصدر نفسه.

171 - William Neloby op. Cit. P.26.

والنموذج يوضح طبيعة العلاقات المتداخلة في المجتمع المحدود (القطر) والإطار الإقليمي والإطار القومي والمجتمع الدولي بشكل عام (انظر الشكل رقم "1").

عناصر النموذج

يتكون النموذج من ثلاثة مكونات أساسية هي:

أولا: المحيط الذي يتم به الاتصال بتفاعلاته المختلفة: تفاعلاته القطرية في حدود الدولة. وتفاعلاته الإقليمية في حدود إقليم يشتمل مجموعة من الدول ذات المصالح والأهداف المشتركة والعمل المشترك- على سبيل المثال دول مجلس التعاون/ دول المغرب العربي- وتفاعلاته القومية التي تشمل في إطار العالم وما يفرضه عن علاقات دولية بين شعوب صديقة وحليفة وعدوة ومحايدة.

إن هذه البيئات الأربع. لها تأثيراتها وتفاعلاتها في الوطن العربي. ويأخذ الاتصال شكلا أكثر بروزا وتأثيرا من خلال تدفق الاتصال من مجتمع ما إلى المجتمع المقصود بالعملية التنموية، أو من خلال المستويات الأخرى إقليميا أو قوميا أو دوليا، حيث تؤثر المصالح والأهداف في أسلوب الاتصال وشكله ومحتواه ووسائله وتقنياته وأيديولوجيته مما يفرض تفاعلات لا بد أن تؤثر في الاتصال التنموي سلبا وإيجابا. وكان بالإمكان إبراز كل مستوى من هذه المستويات بمحيط منفصل، المحيط القطري فالإقليمي فالقومي فالدولي إلا أن طبيعة التفاعلات بين هذه المستويات جعلتنا نضعها كمحيط واحد متفاعل (انظر الشكل رقم "1").

ثانيا: النظام الاجتماعي بأهدافه وأنظمته الفرعية: وهو يشكل نظاما كليا في إطار القطر، والذي له مجموعة من الأهداف مثل أداء المهمة، والذي يؤدي وظائف التعاون والمنافسة وصنع القرار، وكذلك هناك هدف التكيف والتوائم البيئي والذي ينتج عنه نظام التغيير والذي يحققه التنمية والابتكار والتحديث، وهناك مهمة تعزيز الثقافة ومن خلالها تتم التنشئة الاجتماعية عن طريق الأسرة والأقران ووسائل الاتصال والمؤسسات التعليمية والدينية، وهناك مهمة التنسيق والاندماج التي تعمل على حل الصراع في المجتمع والتي لها علاقات متداخلة[172].

ويصف جودوين شو Chu بعضا من هذه العلاقات المتداخلة عند حيثه عن الحفاظ على النظام فيقول:

---

172 - تمت الاستفادة من العناصر التي ذكرها جودين شو Godwin Chu في مقالته:

Godwin C, Chu "Communication Technology and Social Organization: A Systomic Perpee in Instituational Exploration Communication Technology (eds) Godwin Chue et. Tive. Of Effects" al., (Honolulu, Hawaii, East West Center 1978) pp.13-38.

وكذلك من العناصر التي ذكرها إنسل Encel في مقالته التالية:

S. Encel Technology Change & Social Change: The case of communication in Institutional Exploration in Communication Technology: Edited by Godwin Chu, syed Rahim & D.L. Kineaid (Honolulu, Hawaii East-West Center 1976)PP.39.

"يعتمد الحفاظ على النظام الاجتماعي على رغبة الأفراد في بقائهم كأعضاء في النظام وعلى مشاركتهم في أداء المهمات وكذلك أداء الأدوار الاجتماعية الأخرى. وأحد العناصر المهمة هو – إلى حد ما- نظام التخصيص، والذي عن طريقه يتم توزيع ثمرات أداء المهمة على الأفراد، على شكل جزاء مادي أو اعتراف رمزي. ومثل نظام التخصيص هذا، سيكون أساسيا لتستمر مشاركة الأفراد كأعضاء في النظام، وعلى أية حال، ومن أجل أن يحافظ النظام الاجتماعي على نصيبه من الصلابة والحزم، فإنه لا يستطيع أن يعتمد فحسب على نظام التخصيص الذي يفشل عادة في إرضاء كل عضو، ولذا لا بد أن يكون هناك نظام القيمة (القيم). والذي ينتج عنه درجات مرضية من ارتباط الأفراد بالنظام، وهكذا فإنهم يرغبون في تدعيم النظام، وذلك ليس كوسيلة لبقاء الجماعة بل كهدف في حد ذاته، إذ إنهم يجب أن يشعروا بأنهم يرغبون في الانتماء إلى النظام أكثر من اعتباره نفعيا لبقائهم كأعضاء في "النظام"[173].

لو دققنا النظر في هذه الأهداف نجدها ترتبط بصلة وثيقة بالأنظمة الفرعية للنظام الاجتماعي التي تشكل عمليا قاعدة البقاء الاجتماعي – وهو يعني أساسا نظام الأسرة في المجتمع- بجوانبه المادية والفكرية والتكنولوجية والبشرية- ويرتبط بالبناء الاجتماعي كذلك التفاعل مع الثقافة التي تمثلها أنظمة الإعلام والتربية والتعليم، والتفاعل مع نمط الشخصية (الأفراد سواء أكانوا عاديين أم قادة)، ثم مع أنظم العقيدة أو الأيدلوجية (سياسية أو العقيدة الدينية)، وكذلك التفاعل مع نظام السياسة ونظام الاقتصاد، والتكنولوجيا والبنى التحتية التي هي تفاعل ونتاج مادي للعناصر السالفة.

ويمكننا النظر إلى هذه الأنظمة الفرعية في تفاعلاتها لتحقيق هدف التنسيق والاندماج في المجتمع وذلك لحل الصراع أو الصراعات في المجتمع، والتي غالبا ما تنتج عن عجز في التنظيم الاجتماعي، أو تنتج عن أن طاقة النظام الاجتماعي لا تستطيع تحقيق حاجات الإنسان. هذا بالإضافة إلى عوامل الصراع الخارجي للنظام الاجتماعي في علاقاته بالأنظمة الاجتماعية، في البيئة الأوسع، مثل الضغوط الخارجية التي يمكن أن تؤثر في انسجام الدولة الداخلي، ولذا لا بد أن يكون في المجتمع ميكانزمات ملائمة لتخفيف التوتر بين أعضائه قبل أن يصل إلى مرحلة الصراع ليسهم هذا في الحفاظ في النظام الاجتماعي أو على تقدمه[174]. وهنا تلعب وسائل الإعلام دورا هاما لأنها تسهم في التعريف بحاجات الأفراد، والحفاظ على بقاء الجماعة، وتلعب دورا أساسيا في تخفيف التوتر وتماسك المجتمع والتفافها حول هدف عام، وتكمن أهمية تفاعل الأنظمة وتكاملها وعلاقاتها وتأثيراتها المتبادلة سواء أكانت دولية أم قومية أم قطرية في مسالة مثل حل الصراع في المجتمع.

---

[173] - Chu. Op. Cit. PP.27-28.
[174] - Chu. Op. Cit. PP.28.

وأما الأمة العربية وهي تواجه قضية التجزئة، وتواجه الكيان الإسرائيلي في قلب الأمة العربية، تقف أمام تحديات تفرض عليها صراعا يؤثر في عملية التنمية، ويجعل الاتصال بالتالي في جوانبه مسخرا لمسائل ترتبط بمعالجة هذه التحديات. ومراجع لصحافة الوطن العربي ووسائل إعلامه المختلفة، تجعل المرء يدرك كم تشغل قضية فلسطين وقضية التجزئة من مساحة ووقت في وسائل الإعلام وكم يواجه الإعلام العربي من تحديات.

ثالثا: عناصر التفاعل وأهدافه وأدواته

النظام الاجتماعي – باعتباره نظاما كليا يشتمل على أنظمة فرعية، وباعتباره نظاما فرعيا لأنظمة كلية أكبر- لا يحقق وجود وأهدافه إلا من خلال التفاعل الذي يشكل الاتصال جوهره ووسيلته. وهذا التفاعل يتم أولا بهدف تحقيق الحاجات والطلبات التي تتمثل أساسا بعنصرين وهما حاجات الأفراد والحفاظ على بقاء الجماعة وأشكال هذه الحاجات[175]. وتتمثل الحاجات بما يلي:

1- حركة الناس البدنية والتي تتطلب توجها من خلال نظام الاتصالات.
2- التفاعل بين الأشخاص الذي تفرضه الحياة الاجتماعية.
3- التنشئة الاجتماعية.
4- تخزين المعلومات واسترجاعها.
5- التسلية والترفيه.
6- السلوك الجماعي والذي يتمثل بأشكال مختلفة مثل الأنشطة السياسية واتصال القادة بالجمهور، الصلاة في المساجد، وارتياد النوادي والمقاهي.
7- وأخيرا الأنشطة المتسقة مثل الأنشطة التي تتم عبر المؤسسات والشركات والمنظمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والمهنية.
8- وأخيرا الأنشطة المنسقة مثل الأنشطة التي تتم عبر المؤسسات والشركات والمنظمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والمهنية.

هذه الحاجات الثماني التي يقوم بها المرء لا يمكن تحقيقها إلا عبر الاتصال الذي يأخذ أشكالا مختلفة. مثل الاتصال الشخصي (من شخص إلى شخص) والاتصال الجماهيري (المؤلف، والدعائي للجمهور، ومؤسسة إلى الجمهور) والاتصال الدولي (دولة إلى شعب دولة أخرى). والاتصال مع الآلة (مستخدم الآلة- استخدام الكمبيوتر) والاتصال بين الجماعات.

الاتصال وسائله وأشكاله ووظائفه

وتتم أشكال الاتصال من خلال استخدام مختلفة لتوصيل الرسالة سواء أكانت الكلام أو اللغة المكتوبة أو الإشارات الرمزية والصوت والصورة. أو باستخدام آلات ووسائل تنقل تلك الرسائل مثل البرق والهاتف والفيلم والتسجيلات والراديو والتلفزيون والصحافة والكمبيوتر. ويمكن استخدام أكثر من صيغة من الصيغ السالفة في عملية الاتصال.

---

[175] - Encel Op. Cit. PP. 43-44.

ويكمن دور الاتصال التنموي من خلال وظائف عمليات الاتصال المرتبطة بهدف التكيف والتوائم البيئي للمجتمع الذي يتحقق من خلال نظام التغيير لإنجاز التنمية والابتكار والتحديث. وهذه الوظائف تتمثل فيما يلي:

1- المعلومات: إذ يمكن لوسائل الاتصال أن تقوم بتوفير المعلومات للجمهور عن بيئتها المحلية والخارجية، وتوفير معلومات ترتبط مباشرة ببرامج التنمية.

2- لوسائل الاتصال دورها في التعليم: سواء أكان ذلك بإسناد العملية التعليمية الرسمية أو بتقديم برامج لتعلمي الكبار أو محو الأمية، أو التعليم المستمر للناس.

3- الإقناع: يقوم الاتصال التنموي بدور هام في إقناع الجمهور من خلال استمالات منطقية للمساهمة في البرامج التنموية ضمن حملات مخطط لها جيدا بحيث تتوافر فيها شروط عناصر النجاح.

4- التحريك: يمكن لوسائل الإعلام أن تستحث الجمهور وتحرك قدراته نحو إنجاز أهداف محددة من خلال استمالات عاطفية للإسهام في برامج التنمية.

5- الرقابة: دور الرقابة هام في العمل التنموي لأن هذه الوظيفة الاتصالية

تمكن وسائل الإعلام من أن تفتح الأعين على جوانب التوفيق أو التقصير في عمليات التنمية، وهذا الدور يجب ألا يقتصر على كشف الجوانب السلبية لعمليات التنمية، بكشفها وتحاشيها، بل عليه أيضا إبراز جوانبها الإيجابية حتى يتم تعزيزها..

6- الترفيه: يهمل العديد من دارسي الإعلام أهمية الدور الترفيهي في العملية التنموية مع أن له جانبا هاما للإسهام في التنمية إذ يحقق الأهداف التالية:

أ) تخفيف توتر الناس مما يساعدهم على التحلل من متاعبهم ليكونوا أكثر أقدرة على العطاء.

ب) تسريب قيم تنموية ونماذج للاحتذاء من خلال الرسائل الترفيهية. تساعد على دعم العمل التنموي.

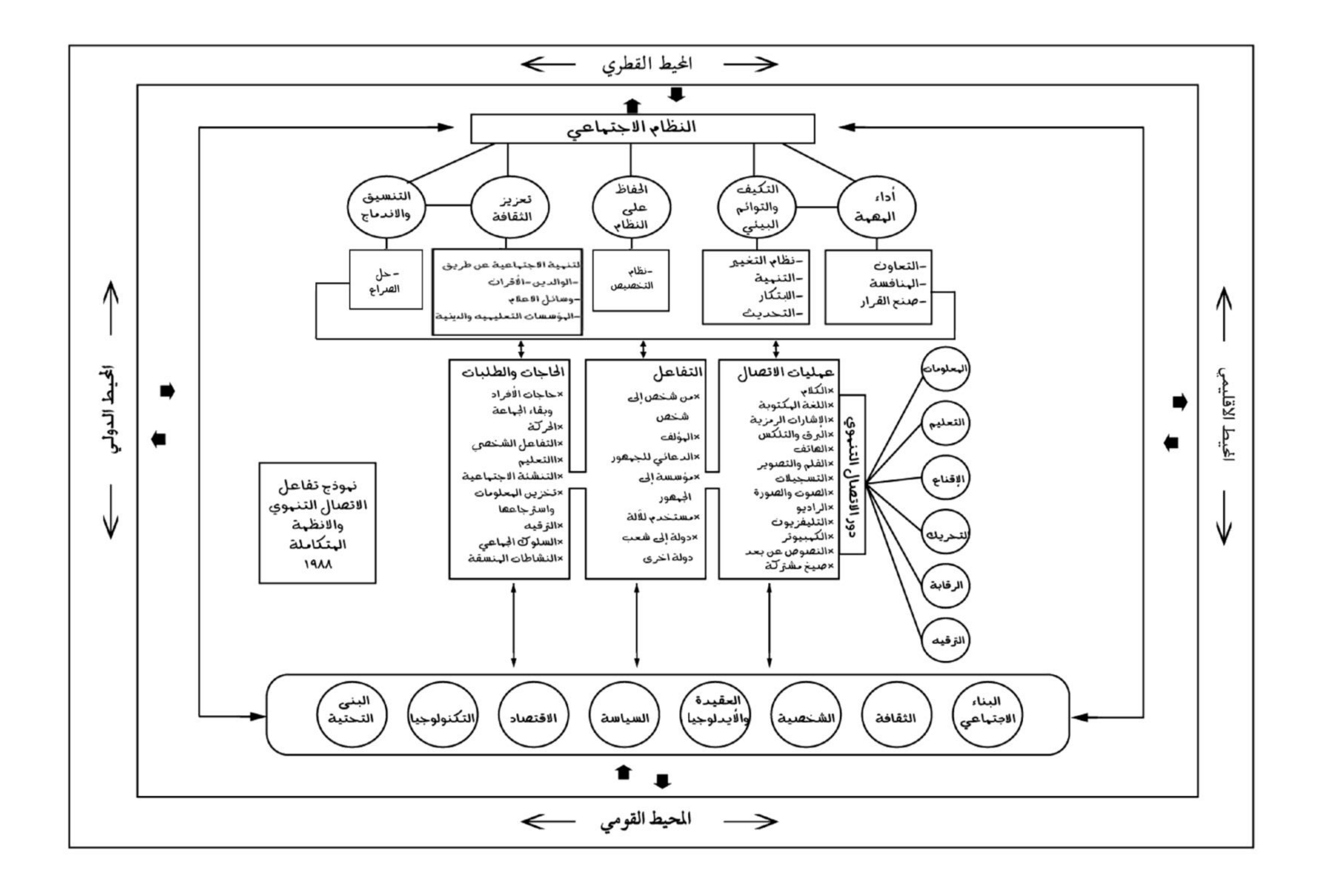
جـ) المحاولة على الحفاظ على جمهور الوسيلة الإعلامية بدلا من تسربه إلى الوسائل المنافسة، ويميل الجمهور إلى البحث عن الترفيه في الوسائل الإعلامية، أكثر من ميله إلى الموضوعات الجادة، ومن بينها قد تكون البرامج التنموية.

يمكن استخدام هذه الوظائف الاتصالية لتدعيم برامج التنمية، ولكن نشر أو بث الرسالة الإعلامية التنموية إلى الجمهور شيء وتلقيه لها واستجابة لما تهدف إليه شيء آخر.

ولتحقيق رسالة إعلامية تنموية ناجحة فإنها يجب أن تقوم على مراعاة ما أسميناه، بمبدأ الاصطياد[176] والذي فيه نرى أن الأصل في وسائل الإعلام برامج أن تكون ذات قوة كامنة. ويتم انطلاق هذه القوة باستخدام بمبدأ الصيد الوفير يحتاج إلى صياد ماهر، وطعم مناسب، ووسيلة مناسبة للاصطياد، وكذلك اختيار البيئة المناسبة من حيث المكان والزمان، كذلك فإن وسائل الإعلام يمكن أن تحقق فعاليتها القصوى بتحقيق مجموعة من العوامل المرتبطة بما يلي:

1- بالمتصل وما يمتلكه من خبرة وفهم للجمهور وإعداد الرسالة المناسبة.
2- لرسالة الملائمة لنوعية الجمهور والقادة بأسلوبها ومضمونها على اجتذابه.
3- استخدام الوسيلة المناسبة.
4- معرفة خصائص الجمهور واهتماماتهم واستخداماتهم للوسائل الإعلامية والعوامل الانتقائية المؤثرة في سلوكهم الاتصالي.
5- تحديد الهدف تحديدا دقيقا.
6- التشويش الذي يمكن أن يؤثر في الرسالة سواء أكان معنويا أم لفظيا أم مرتبطا بالوسيلة.
7- البيئة التي يتم الاتصال في سياقها سواء أكانت البيئة الاجتماعية أم السياسية أم الثقافية وسواء أكانت البيئة محلية أم إقليمية أم دولية.

176 - د. صالح أبو إصبع: "دور وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية في تأصيل مفهوم العوم الذاتي في مجال محو الأمية ونحو الكبار" (منشور ضمن كتاب قضايا إعلامية (دبي: مؤسسة البيان، 1988)



المحيط القطري
النظام الاجتماعي
التنسيق والاندماج
تعزيز الثقافة
الحفاظ على النظام
التكيف والتوائم البيئي
أداء المهمة
-حل الصراع
التنمية الاجتماعية عن طريق
-الوالدين -الأقران
-وسائل الاعلام
-المؤسسات التعليمية والدينية
-نظام التخصص
-نظام التغيير
-التنمية
-الابتكار
-التحديث
-التعاون
-المنافسة
-صنع القرار
الحاجات والطلبات
×حاجات الأفراد وبقاء الجماعة
×الحركة
×التفاعل الشخصي
×التعليم
×التنشئة الاجتماعية
×تخزين المعلومات واسترجاعها
×الترفيه
×السلوك الجماعي
×النشاطات المنسقة
التفاعل
×من شخص إلى شخص
×المؤلف
×الدعائي للجمهور
×مؤسسة إلى الجمهور
×مستخدم للآلة
×دولة إلى شعب دولة اخرى
عمليات الاتصال
×الكلام
×اللغة المكتوبة
×الإشارات الرمزية
×البرق والتلكس
×الهاتف
×الفلم والتصوير
×التسجيلات
×الصوت والصورة
×الراديو
×التليفزيون
×الكمبيوتر
×النصوص عن بعد
×صيغ مشتركة
دور الاتصال التنموي
المعلومات
التعليم
الإقناع
التحريك
الرقابة
الترفيه
نموذج تفاعل الاتصال التنموي والانظمة المتكاملة ١٩٨٨
المحيط الدولي
المحيط الاقليمي
البنى التحتية
التكنولوجيا
الاقتصاد
السياسة
العقيدة والأيدلوجيا
الشخصية
الثقافة
البناء الاجتماعي
المحيط القومي

إن ما قدمناه من رؤية لموقع الاتصال كنشاط أساسي للتفاعل في المجتمع يفرض علينا أن يأخذ الاتصال دوره في عملية التنمية. وخصوصا أن مراجعة لخطط التنمية العربية ترينا أن الاتصال فيها هامشي ولا يؤخذ بالجدية التي تساوي وظائفه.

فالإعلام العربي – على سبيل المثال- يلعب دورا دعائيا وترفيهيا أكثر من أي شيء آخر. ولو قارنا بين ما يقدم من برامج رياضية في التلفزيونات العربية وما يقدم من برامج تنموية لوجدنا الواقع مفجعا. ناهيك عن طبيعة البرامج التنموية ومضامينها وأشكالها الفنية التي تقدم بأساليب لا تمتلك عناصر الجاذبية للجمهور. ولا شك أن فهمنا للاتصال وتأثيراته يعتمد اعتمادا أساسيا على مجموعة ما يمتلكه أي مجتمع من تراث، ويعتمد كذلك على طبيعة الأنظمة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وعلى مدى إمكانيات أنظمة الاتصال وديمقراطيتها، وعلى مدى استقلالية الأنظمة الاتصالية والثقافية في المجتمع. ولأن، مشروع التنمية في الوطن العربي مشروع تغيير مشروع حضاري شامل للمجتمع، فإن دور الاتصال يجب أن يكون في هذا المستوى تعبيرا وفعالية.

7- الخاتمة:

التحديات والمستقبل:

كان من أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة غياب الحلقات الخمس التالية في خطط التنمية العربية.

1- غياب الرؤية الشاملة لتفاعل الأنظمة الكلية والفرعية في العمل التنموي.
2- غياب الرؤية التفاعلية لأبعاد التنمية في محيطها الإقليمي والقومي والدولي.
3- غياب التركيز على المعيقات المجتمعية وما تشمله من خصوصية الهوية الثقافي العربي كأساس لتنمية مستقلة وبديلة.
4- غياب دور الاتصال الفعال والمساهم في إنجاز التنمية.

ولا شك أن منطق الأرقام في الوطن العربي يفرض الآن أكثر من أي وقت مضى السعي من أجل تنمية عربية شاملة ذات أبعاد قومية تسعى إلى تحقيق التكامل والاندماج على مستوى الوطن العربي.

وتشير التقديرات إلى أن عدد سكان الوطن العربي عام 1985 قد بلغ ما بين 187-192 مليون نسمة، وأنه سيبلغ عام 2000 ما بين 280-310 مليون نسمة، وأن معدل النمو السكاني يبلغ 3.34% وهو من أعلى المعدلات في العالم وتشير الإحصائيات كذلك إلى أن نمو المعدلات الحالية للتعليم في الوطن العربي وحتى نهاية القرن العشرين سوف تؤدي إلى تعجز في تعميم التعليم الابتدائي، وأن معدل أمية الكبار عام 2000 لن يقل عن (40.2%) وكذلك فيما يتعلق بالزراعة فإنه يتم استغلال (52%) فقط من

الأراضي الصالحة للزراعة[177]. وبلغت نسبة المديونية العربية حتى نهاية عام 1987 نحو (156) مليار دولار حسب إحصائية قدمها الأمين العام المساعد للجماعة العربية للشئون الاقتصادية[178]، وفي إحصائية أوردها الأمين العام لاتحاد الصناعات الغذائية العربية تقول إن إجمالي الواردات من الأغذية في الوطن العربي هو (30) مليار دولا وسترتفع خلال أحد عشر عاما إلى مائة دولار وأن العرب يستوردون (20%) من قمح العالم و(78%) من صادرات المواشي و(25%) من صادرات البيض[179].

هذا الواقع يؤكد ضخامة التحديات التي ستواجه الإنسان العربي في المستقبل القريب، إن حلم التنمية القطري في مختلف أقطار الوطن العربي فشف في تحقيق ما تصبوا إليه تلك الأقطار من اكتفاء ذاتي تفضحه الأرقام التي ذكرناها. ولعل الانفتاح الذي شهدته البلدان العربية، وبعض إنجازات التنمية – ومن ضمنها التوسع في الخدمات الإعلامية- استطاعت أن تبني البنى الأساسية فيها – وخاصة في الدول النفطية- ولكنها في المقابل فتحت شهيتهم على الاستهلاك".[180]

1- شهية الحكومات على استهلاك السلاح وامتلاك أحدث أنواع الأسلحة والتي لا تستخدم ومع التقادم تصبح مجرد آلات صدئة تحتاج دوما إلى التجديد وإلى ابتلاع جزء كبير من الميزانيات العامة.

وعلى الرغم من أهمية التسليح، لأن العرب في حاجة إليه لتحقيق الأمن لمواجهة أعدائهم وخاصة العدو الصهيوني، إلا أنه إذا لم تكن هناك إرادة عربية ونية لاستخدام السلاح للتحرير يصبح التسليح هدرًا لإمكانيات التنمية التي كان بالإمكان تحاشيها لو صدق العزم لديهم، إذ إن التحرير ليس مستحيلا، وكما أشار أمير الكويت في 88/11/22 لدى تفقده لقاعدتين جويتين بالكويت إلى أنه "لو كان المسؤولون العرب عملوا بجد ومثابرة وصدقوا في وعودهم لتحررت فلسطين".

وإذا كان الأمن ضروريا للأفراد والمؤسسات والمجتمع إلا أن الواقع العربي كما يراه جاسم السعدون فيه: "الأمن الفردي والقطري والقومي مستباح رغم كثرة اتفاقاته والتغني به وهدر الموارد في الصرف على أجهزة الأمن ونفقات التسليح"[181]. إن قضية الأمن القومي تدخل في صلب عملية التنمية. ولذا فإن وضعها في مكانها المناسب من حيث التطبيق لا القول تختصر المسافات في إنجاز التنمية الشاملة.

---

[177] -جريدة البيان (دبي)- 1987/12/7.
[178] - جريدة البيان (دبي)- 1987/11/27.
[179] - جريدة الخليج (الشارقة) 1988/12/18.
[180] - جريدة القبس (الكويت)- 1988/11/22.
[181] - جريدة الوطن (الكويت)- 1988/9/10.

2- شهية الشعوب على الاستهلاك سواء أكان استهلاك المواد الغذائية أو استهلاك المواد الترفيهن وحيث أصبح الإنسان مجرد وحش فاغر فاه لالتهام كل ما تنتجه دول الغرب سواء أكان المرء بحاجة إلى السلعة، أم لمجرد مجاراة الموضة، ومتابعة ما يستخدم من مبتكرات وموديلات، وسواء أكان ذلك في السيارات أو التلفزيونات أو الإناث أو الملابس أو غيرها.

ولا شك أن هذا لا ينطبق على كل طبقات الشعب، فهناك الفئات المحرومة – خصوصا في الدول غير النفطية- والتي تعيش دون خطر الفقر ولا تقدم لها وسائل الإعلام وإعلاناتها سوى إغراءات لا تستطيع معها إلا الحصول على الإحباط، لعدم قدرة امتلاك ما يعلن عنه.

إن وسائل الإعلام ساهمت وتساهم في تفح شهية الناس على الاستهلاك لذا فإنها ترفع تطلعاتهم. ولو تابعنا أي محصلة تلفزيون عربية تذيع الإعلانات لوجدنا إنها تحث على الاستهلاك وخصوصا المواد الكمالية مثل العطور والكريمات والسيارات والشيكولاتة بالإضافة إلى العديد من الإعلانات من أنواع الحليب والزينة والشاي والقوة والمشروبات الغازية والتنزيلات وغيرها[182].

إن الأرقام التي ذكرناها حول الاستيراد في الوطن العربي مفجعة وكذلك فإن أرقام المديونيات العربية، ونسبة زيادة السكان في الوطن العربي كلها تستلزم نظرة أكثر جدية للأخذ بمفهوم التنمية الشاملة على مستوى قومي، بحيث تستهدف تحقيق نهج تنموي مستقل يحقق للإنسان العربي كرامته وأمنه ورفاهيته وحريته.

ولا شك أن المطالبة بتبني نظرة أكثر واقعية وعلمية في منهجها للتخطيط الطويل الأجل، بناء على استراتيجية قومية تأخذ في اعتبارها الأهداف الواضحة، والإمكانيات المتاحة والمستقبلية، وتأخذ في اعتبارها الوسائل التي تحققها، والمعيقات التي تواجهها. ذلك كله سيؤدي بلا شك إلى إنجاز خطوات على طريق التقدم واجتياز عتبات التخلف والتحرر من التبعية. ونجاح المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية، ونجاح في بناء الإنسان العربي.

إن حلم التخلص من التبعية لا يعني فرض عزلة على الوطن العربي فنظرتنا إلى تفاعل الأنظمة تستدعي الأخذ في الاعتبار أن الأنظمة المفتوحة هي التي تقوم على مبدأ التفاعل. وإذا كان النظام الاقتصادي العالمي يكرس التبعية لصالح دول العالم الغربي الغني والمعسكر الاشتراكي، فإنه يكرس تفوقهما وتدفق اتصالهما وسيطرتهما على

---

182 - بمراجعة لإعلانات يوم واحد وهو 1988/11/2 في تلفزيون دبي كان مجموع الإعلانات سبعين دقيقة موزعة على إعلانات حول نفس المواد المذكورة أعلاه، وتبلغ نسبة هذه الإعلانات من إجمالي الإرسال اليومي حوالي (14.8%) وبالمقابل لا نجد برامج تنموية تصل إلى ربع هذه النسبة.

الإعلام الدولي، وعلى مضامين الإعلام في أقطار العالم، مما يعزز سيطرة القيم الغربية ويخدم مصالحها.

ولهذا فإن الدعوات إلى نظام اقتصادي عالمي جديد وإلى نظام اتصالي جديد تنسج مع فكرة التحرر واستقلالية التنمية العربية في إطار تفاعل يضمن الهوية القومية.

وهنا يلعب الاتصال دوره في التفاعلات في ظل مبدأ الأنظمة ويصبح من الضرورة إدماج الاتصال باعتباره عنصرا أساسيا في عملية التخطيط للتنمية وعملية تنفيذ خططها ومراجعة إنجازاتها.

إن الاتصال هو أداة التفاعل في المجتمعات وبدونها لا يمكن أن تتحقق اجتماعية هذه المجتمعات ولا يمكن أن تنجز أنشطتها بكفاءة، وكلما كان الاتصال ناجحا في الوصول إلى جمهور، كان النشاط الذي يعبر عنه ناجحا. فالعملية التعليمية، والعملية الاقتصادية والعملية السياسية تحتاج إلى اتصال ناجح بل وبدون الاتصال تصبح الحياة غير ممكنة.

المصادر والمراجع

1. **إبراهيم سعد الدين – ورفاقه، صور المستقبل العربي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1982) ص150.**
2. **إبراهيم سعد الدين ورفاقه، صور المستقل العربي (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 1982) ص148.**
3. **إسماعيل صبري عبد الله: "التنمية الاقتصادية العربية – إطارها الدولي ومداها العربي" في كتاب: دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية – الطبعة الثالثة 1985) ص54-55.**
4. **إسماعيل صبري عبد الله: "نظرات في تجربة تخطيط التنمية في الوطن العربي والعالم الثالث" في كتاب التنمية العربية الواقع الراهن والمستقبل (بيروت: مركز دراسات الوحدة، 1984) ص201.**
5. **جريدة البيان (دبي)- 1987/11/27.**
6. **جريدة البيان (دبي)- 1987/12/7.**
7. **جريدة الخليج (الشارقة) 1988/12/18.**

8. جريدة القبس (الكويت)- 1988/11/22.
9. جريدة الوطن (الكويت)- 1988/9/10.
10. حمدي قنديل، "التعاون الدولي من أهل الإعلام الإنمائي: مأساة الأرقام ومشروعات خاسرة للبيع". من كتاب "ندوة الإعلام من أجل التنمية والتعمير" الرياض: الصندوق العربي للإنماء- والمركز الوطني للمعلومات المالية- 1984- ص274.
11. سعد الدين إبراهيم ورفاقه: صور المستقبل العربية. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1982) ص147.
12. سمير أمين، أزمة المجتمع العربي، بيروت: دار المستقبل العربي 1985)- ص29.
13. صالح أبو إصبع "وسائل الإعلام والتنمية في دولة الإمارات العربية المتحدة (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية بالعدد 27 يوليو 1976) ص156.
14. صالح أبو إصبع: "دور وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية في تأصيل مفهوم العوم الذاتي في مجال محو الأمية ونحو الكبار" (منشور ضمن كتاب قضايا إعلامية (دبي: مؤسسة البيان، 1988)
15. صالح أبو أصبع: الإعلام والتنمية: نموذج مقترح للاتصال التنموي (دبي: مؤسسة البيات 1985)، ص109-135.
16. عادل حسين: نحو فكر عربي جديد: الناصرية والتنمية والديمقراطية (القاهرة- دار المستقبل العربي- 1985)- ص85.
17. علي خليفة الكواري: نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة (بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية 1982) ص107.
18. علي خليفة الكواري، نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة. (بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية) ص112.
19. اللجنة الشعبية العامة للتخطيط – الجماهيرية الليبية، (خطة التحول الاقتصادي والاجتماعي، 1981-1985)، الجزء الأول والجزء الثاني ص55-62.
20. مجلس التنمية – سلطنة عمان (خطة التنمية الخمسية الثالثة 1981-1985). ص22-33.
21. محمد ناجي جوهر: "دور الإعلام في التنمية القومية – محاولة لفهم جديد" (حوليات الإعلام- جامعة بغداد (2) 1982) ص130.
22. محمود الحمصي: خطط التنمية العربية واتجاهاتها التكاملية والتنافرية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ط2، 1980)
23. محمود عبد الفضيل: النفط والمشكلات المعاصرة، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة 1978)، ص101.
24. نادر فرجاني: "عن غياب التنمية في الوطن العربي، في كتاب التنمية العربية الواقع الراهن والمستقبل. (سبق ذكره) ص48.
25. وزارة التخطيط، خطة التنمية السعودية الرابعة 1405-1410-1410هـ، ص37.
26. ياسين شكر – وحسين العودات، الفعاليات الإعلامية العربية والتنمية (مجلة الدراسات الإعلامية، العددان 30-31 سبتمبر (أيلول) 1983) ص132-133.
27. يوسف صايغ: استراتيجية التنمية في العالم العربي في كتاب السكان والتغير في الشرق الأوسط، (بغداد- الأكوا 1985)- ص57.

28. George Mead in Alvin Boskoff: Theory in American Sociology (New York): Crowell 1976).P.63.

29. Godwin C, Chu "Communication Technology and Social Organization: A Systomic Perpee in Instituational Exploration Communication Technology (eds) Godwin Chue et. Tive. Of Effects" al., (Honolulu, Hawaii, East West Center 1978) pp.13-38.
30. Manuel G. Nenaza & Vince Napoil: Systems of Man: An Introduction to Social Science (Lexington, Mass: D.C. Heath & Co. 1937)P.20.
31. S. Encel Technology Change & Social Change: The case of communication in Institutional Exploration in Communication Technology: Edited by Godwin Chu, syed Rahim & D.L. Kineaid (Honolulu, Hawaii East-West Center 1976)PP.39.

S –

omavis, J.,: "The Democratization of Communication Form Minority Social Monology to Majority Social Representation Development Dialogue, 2, 1981.

32. Stockwell, G.G. and N.A. ladlaw: Third world Development: Problems and Prospecls. (Chicago: Neleon Hall Publishers. 1981) PP.5-23.
33. Talcott Parsons: The Social System (Glencoce, Illinois free Press. 1951) PP,5-6.
34. Willam Melody: "the Rolo of communication in Development Planning "in Rahim & Middloton (eds) Prespectives in Communication Pollcy and Planning (Honolulu East-West Center 1977,) PP.26-27.

الفصل الخامس

المثقفون العرب ووسائل الإعلام

في ظل التحديات الراهنة

الفصل الخامس

المثقفون العرب ووسائل الإعلام

في ظل التحديات الراهنة

في السبعينات من القرن برز حلم كبير عند شعوب العالم الثالث وكانت مظاهره تتمثل في حلم له بعدين رئيسين:

نظام اقتصادي عالمي جديد ونظام إعلامي دولي جديد.

وقد حمل هذان البعدان معهما أملا في تحقيق العدل والإنصاف والتوازن، ولم يخطر في بال أولئك الاقتصاديين والسياسيين والإعلاميين صورة لمستقبل العالم في تسعينات هذا القرن، ولا كان في بالهم ولا في بال أي متنبئ أن يقول ما هي صورة النظام السياسي العالمي الجديد التي يمكن أن تكون.

ما طالبت به أغلبية شعوب العالم في السبعينات وفي الثمانينات من ضرورة إيجاد نظام عالمي جديد في المجالات السياسية والاقتصادية والإعلامية كافة، وجد آنذاك استجابات قوية في المحافل الدولية وعلى الخصوص في اليونسكو.

وكان إعلان اليونسكو 1977 قد طالب بتأسيس توازن جديد وتبادل أعظم في تدفق المعلومات، ورأى هذا الإعلان أنه من الضروري تصحيح تدفق المعلومات كميا ونوعيا من وإلى الدول النامية. وصدر بعد ذلك في الثمانينات الدراسة المعروفة التي أعدها فريق من اليونسكو على رأسهم ماكبرايد وكان عنوانها "أصوات متعددة وعالم واحد". وأكدت هذه الدراسة على حرية الاتصال وتدفقه وتوازنه.

وجسدت هذه الدراسة حلم وأمل الإنسانية في إعلام حر ومتوازن وكانت كل تلك الطموحات مشروعة في ظل نظام قائم على توازن القوى الدولية، وحالما سقط الاتحاد السوفيتي. واستفردت أمريكا بقيادة العالم كله، تغيرت معه صورة الأولويات والطموحات التي كانت شعوب العالم تطالب بها.

لقد كان الانتصار الأمريكي قد تحقق عمليا قبل الانهيار الاتحاد السوفيتي، ولا شك أن الآلة الإعلامية الأمريكية وسيطرتها على تدفق المعلومات وصناعتها وعلى الاتصال الدولي بشكل عام كانت قد أنجزت أهداف السياسة الأمريكية قبل أن يتحقق الانهيار الكامل في المعسكر الاشتراكي.

والآن يحق لنا أن نتساءل: أن يقف المثقفون العرب من قضاياهم في ظل التحديات الراهنة؟

في هذا الفصل سوف أركز الحديث على جانب مهم وهو "دور المثقف العربي في مجال الإعلامي في ظل التحديات الراهنة".

وقبل الخوض في طبيعة هذه العلاقات وتأثيرها في المثقف، أود أن أشير بإلماحة سريعة إلى علاقة المثقف ببيئته من خلال التعرف على علاقة المثقفين بالسلطة وعلاقة المثقفين بالجمهور وعلاقات المثقفين بالقضايا الحية الراهنة وعلاقة المثقفين بالقضايا الطارئة.

1- علاقة المثقف العربي بالسلطة: بدأت في السنوات الأخيرة في الوطن العربي تمتد لحضور بين المثقفين والسلطة، وإذا كان البعض قد رفع شعار تجسير الفجوة بين السلطة والمثقفين إلا أن الحقيقة أن هذا التجسير لم يكن حركة متوازنة من الطرفين لتجسير الفجوة. وإنما كان اقترانا من المثقفين من السلطة أحيانا مهادنة، وأحيانا أخرى، استسلاما وكان لذلك أسبابه التي يرتبط بأسلوب السلطة في الإغراء أو القمع أو المحاربة في لقمة العيش.

وبات المثقف العربي أسير همومه الإقليمية الضيقة، ولا يخرج في معالجة القضايا التي تواجه أمته العربية إلا بمقدار ما تسمح به "السلطة".

2- علاقة المثقفين بالجمهور: كلما اقترب المثقف من السلطة كلما ابتعد عن هموم الجمهور، ولكما أصبح همّه ذاتيا، والمثقف العربي مبتلى بالذاتية المفرطة والتي تفضل الخاص على العام.

3- المثقفون والقضايا الحيّة الأساسية: منذ منتصف هذا القرن والمثقفون العرب يعيشون في دوامة قضايا حيّة تمس الوطن والمواطن، تتمثل هذه القضايا الملحة فيما يلي: قضية فلسطين وهمّها القومي، الوحدة العربية، حقوق الإنسان، والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، التنمية. الفقر، والأمة.

وقد تذبذت الاهتمامات بهذه القضايا وتراجعت الأولويات ودرجة التزام المثقفين بها أو في معالجتها.

4- علاقة المثقفين العرب بالأحداث الطارئة: تواجه الأمة العربية العديد من القضايا الطائرة التي تحتاج إلى مواقف واستجابات فورية سريعة تكون قادرة على

التعبير عن هموم الجماهير وقادرة على قيادتها، ولكن المتتبع للأمور يرى كيف أن استجابات المثقفين العرب باتت بطيئة – وأحيانا مفقودة- تجاه القضايا القومية التي

تواجههم، ولعلنا نتذكر سلسلة من الأحداث الطارئة ونتساءل من سرعة ومستوى استجابة المثقفين العرب لهذه التحديات مثل الاجتياح الصهيوني عام 1982 للبنان، الاعتداء الأمريكي على ليبيا عام 1986، حرب الخليج الأخيرة- وحصار العراق المستمر، قضية لوكربي وحصار ليبيا 1991، ضم جزيرة أبي موسى رسميا إلى إيران 1992، المبعدون الفلسطينيون إلى مرج الزهور في جنوب لبنان 1992، وغيرها الكثير مما يعزز استغراق المثقف بهمومه الذاتية وفي أحسن الأحوال استغراقه في همومه القطرية.

المثقفون العرب ووسائل الإعلام

المثقفون العرب ووسائل الإعلام

إن هذه العلاقات الأربع التي تحدثنا عنها تجد انعكاساتها الإيجابية أو السلبية في وسائل الإعلام، ويتوقع المراقبون أو الدارسون أن يجدوا مواقف المثقفين العرب موثقة عبر وسائل الإعلام، وهذا يحتاج منا أن نتفهم دور وسائل الإعلام في تزييف الحقائق وتزييف الوعي لدى المواطن والمثقف. ويحتاج منا إلى تفهم لأسلوب المثقفين في التعامل مع وسائل الإعلام، ثم نصل إلى مسؤوليات المثقف الإعلامية في ظل التحديات الراهنة.

أ) دور وسائل الإعلام في تزييف الحقائق وتزييف الوعي

لوسائل الإعلام مهمات أساسية تتمثل في نقل ونشر الأفكار والمعلومات. ولأن معظم وسائل الإعلام في الوطن العربي تسيطر عليها الأنظمة أو تسيطر عليها فئات ذات مصالح مرتبطة بهذه الأنظمة، فإن من مصالحها الحد من نشر المعلومات وتداولها ونشر الأفكار المختلفة والحوار حولها. وتتستر في ذلك تحت شعار حماية الثقافة (الوطنية- القطرية) وضرورة الالتزام بالخصوصية الثقافية وحماية التعليم والتراث وغير ذلك من الشعارات وهذا الأسلوب يؤدي إلى أن يلعب الرقيب الخارجي والرقيب الذاتي – الكاتب نفسه- دورا أساسيا في وضع الخطوط الحمر التي لا يمكن

تجاوزها عند الحديث عن القضايا الحية الأساسية التي تحدثنا عنها. ولذا فإن أي مراقب لوسائل الإعلام الجماهيري يمكن أن يلحظ الدور الترفيهي المتميز لهذه الوسائل، ويلاحظ كذلك حجم ما يقدم من برامج أجنبية في التلفاز تؤدي بالمواطن إلى السلبية والانعزال، وإلى خلق أنماط من السلوك غريبة في المجتمعات العربية، وأن تقديم نماذج غربية تمثل التفوق الأسطوري تخلق ثقافة الاغتراب والعزلة وتسهم إسهاما كبيرا في صنع النمط الاستهلاكي كسلوك مهم عند الناس، ولا شك أن هناك مجموعة من الأساليب التي تزيف بها وسائل الإعلام الحقيقة، وكما استوردنا معدات وسائل الاتصال الجماهيري فإننا استوردنا كذلك معها أنماط تزيفية للحقيقة تلك التي تحدث عنها الباحث الأمريكي دانييل بورستين حينما أشار إلى ما سماه بالأحداث المختلفة التي تعرضها وسائل الإعلام

وتأخذ صيغة مقبولة بالنسبة للجمهور تمتلك المصداقية، وهي تتمثل بالصيغ التالية والتي باتت مستخدمة في وسائل إعلامنا:

1- المقابلات الصحفية والمؤتمرات: التي يعقدها المسؤولون والتي باتت طريقة جديدة لفبركة الأخبار.

2- البرامج السياسية المنظمة: التي تستضيف السياسيين وهي أشبه بالمؤتمرات الصحفية.

3- البيانات الإخبارية: التي تصدرها الجهات المختلفة، تحت اسم الناطق الصحفي أو الناطق الإعلامي، سواء أكانت تتعلق بأمور سياسية أو ثقافية أو اقتصادية، أو نقابية وهذه البيانات هي أخبار مطبوخة مسبقا وجاهزة عند الحاجة.

4- الإعلانات: وما تحمله في طياتها من معلومات وعناصر جذب متنوعة تعتمد على القوة العاطفية والقوة المنطقية الإقطاعية وفي الغالب ما تحمل الإعلانات كلمات غامضة مراوغة في معانيها تعتمد على الخداع والتمويه وتحمل أحيانا بعض الحقيقة لكنها لا تعبر عن حقيقة ما تعلن.

5- فن صنع النجوم في عالم الثقافة والأدب والفن: إن ما نلاحظه من كتابات في مختلف الصحف العربية وفي برامج التلفزيون تعمد أحيانا إلى صنع النجوم أو إضفاء لمعان على بعضها وذلك يرتبط بمجموعة من المصالح والمجاملات التي تفتقر إلى الموضوعية.

وهذا يشمل على سبيل المثال المتابعات النقدية للإصدارات الجديدة، أو المعارف الفنية، أو الأعمال الدرامية المسرحية أو السينمائية أو التلفزيونية وهذا ما يؤدي إلى تزييف وعي القارئ العادي إذ إنه لا يدقق كثيرا في المعلومات التي يتلقاها وتأخذ الكلمة مصداقيتها في أحيان كثيرة لمجرد نشرها في صحيفة أو مجلة محترمة.

6- خلق الصور النمطية: تلعب وسائل الإعلام دورا مهما في خلق الصور النمطية التي تنطبع في الأذهان عن الأشخاص أو الشعوب بحيث تصبح هذه الصور ثابتة في الأذهان ومن الصعب تغييرها.

ولعل المتتبع للسينما والتلفزيون العربي. يدرك إلى أي مدى أساءت هاتان الوسيلتان إلى شخصية المعلم في المجتمع العربي.

ب) المثقفون والتعامل مع وسائل الإعلام

يلعب المثقفون دورا مزدوجا مع وسائل الإعلام، فهم مستهلكون لما تقدمه وسائل الإعلام وهم أيضا منتجون لمضامينها.

وفي هذا الإطار لا بد من التفريق بين ثلاثة أنواع من الثقافات:

* النوع الأول: ما يعرف باسم الثقافة الراقية أو ثقافة النخبة وهي تتمثل بشكل أساسي بمنتجات الكتب الدراسية والأدبية والفنية والأعمال الفنية الراقية التي أنتجت للنخبة المتعلقة.

* النوع الثاني: الثقافة الشعبية وهي التي يصنعها الشعب وتعتبر من موروثاته الثقافية وتتسم بالتلقائية وتنمو من القاعدة.

* النوع الثالث: الثقافة الجماهيرية وهي تستمد مضمونها من المزاوجة بين الثقافة الراقية والثقافة الشعبية، وهي التي تقدمها لنا وسائل الاتصال الجماهيري المقروءة والمسموعة والمرئية.

وحيث باتت الثقافة الجماهيرية تسيطر على حياتنا، وباتت تفرض نفسها وتأثيراتها على كل من الثقافتين الراقية والشعبية، فإن مسؤوليات المثقف العربي نحو التحديات تتطلب تعاملا جادا مع وسائل الإعلام وذلك من خلال:

- تحديد التحديات التي يواجهها المثقف العربي على مستوى الوطن العربي، كي يتعامل معها، ويعبر عنها، ويعرف كيف يواجهها.

- ثم توضيح أسلوب تعامله إعلاميا بحيث يتوفر المناخ الملائم لذلك.

المثقفون العرب والتحديات

يواجه المثقفون العرب، بل تجابه الأمة العربية كلها، جملة من التحديات التي تؤثر في كيانها وتقدمها. وعلى الرغم من أن هذه التحديات كبيرة وعديدة إلا أننا نشير إليها بناء على أولوياتها وهذه التحديات تتمثل بما يلي:

1- التجزئة وتكريس الكيانات القطرية ككيانات بديلة للكيان القومي.
2- الاحتلالات للأراضي العربية، مما يجعل الوطن العربي في مواجهة غاصبي هذه الأجزاء مثل فلسطين والجولان وجنوب لبنان وغيرها.
3- التخلف وما يحمله من مظاهر الجهل والفقر والمرض.
4- التبعية الاقتصادية وعدم القدرة على استغلال الثروات استغلالا نافعا للأمة.

5- الافتقار إلى تحقيق الحريات الأساسية للإنسان، ناهيك عن تحقيق الديمقراطية كفلسفة تحقق المشاركة الشعبية في السياسة والحكم.

6- الاستلاب الثقافي كمظهر من مظاهر الهيمنة الثقافية والإعلامية الغربية، التي أخذت تتضح أبعادها من خلال ما بات يُعرف باسم الاستعمار الإلكتروني الثقافي وما يحققه من تبعية ثقافية.

7- افتقار الدولة في إدارتها إلى اعتماد مبدأ المؤسسات وسيادة المجتمع بدلا من أن تكون دولة محسوبيات وتقوم على مبدأ أهل الثقة بدلا من أهل الكفاءة والخبرة.

المثقف العربي ودوره في المجال الإعلامي

أشرنا إلى أن المثقف العربي هو منتج ومستهلك لمضمون وسائل الإعلام، ومن هنا فإن دوره ينجم عن هذا الواقع، فهو يكتب لوسائل الإعلام، ويقرأ أو يسمع أو

يشاهد ما تقدمه وسائل الإعلام. وكلا الدورين يحتاجان منه إلى التزام بثوابت الثقافة، وتحتاج منه أن يعبر عن التحديات سواء فيما يكتب أو يعبر أو يبدع.

ولكي يكون دوره في المجال الإعلامي فإنه لا بد أن ينتهج ما يلي:

1- التفتح والحوار: وذلك بأن يكون مستعدا لتلقي الآراء المختلفة، سواء اتفق معها أو اختلف، ومن ثم يكون قادرا وقابلا لأن يفتح الحوار حولها بصدر رحب.

2- النقد والنقد الذاتي: على المثقف أن يمتلك القدرة والاستعداد لإبداء آرائه بصراحة، وانتقاد ما يراه ضروريا من أجل مجابهة التحديات التي تحدثنا عنها.

وعليه أيضا أن يمتلك الجرأة لممارسة النقد الذاتي حينما يدرك أن مواقفه أو أفكاره لم تكن صائبة.

3- الشجاعة الأدبية والتعبير عن الرأي: إن النقد والنقد الذاتي لا يمكن أن يتحققا إذا لم يمتلك المثقف الشجاعة الأدبية والقدرة على التعبير عن الرأي مع تحمل للمسؤولية.

4- الموضوعية والأمانة العلمية: إن من أهم مستلزمات التعبير أن يلتزم المثقف بالصدق والأمانة العلمية، والقدرة على عرض جوانب القضايا التي يطرحها بتجرد من المصالح الذاتية، وبعيدا عن التحيز والهوى، والالتزام بالحقيقة والموضوعية مهما كان ثمن ذلك الالتزام.

وها نحن ندخل القرن الحادي والعشرين الذي تتشكل فيه بوادر عالم جديد، فيه تقترب المسافات أكثر وتزداد هيمنة الاتصال وقدراته أكثر فأكثر، وتزداد فيه الهوة بين

الشعوب في مجالات التكنولوجيا والرفاه والديمقراطية، وتوفير متطلبات الإنسان في المعرفة والعلوم والتعامل مع البيئة. وهذه تحديات تزداد يوما إثر يوم، ومعها تزداد مسؤوليات المثقف العربي نحو مجتمعه، وتصبح مسؤولياته أعظم في التعامل مع وسائل الإعلام.

الفصل السادس

التلفزيون والتربية الموازية للأطفال

الفصل السادس

التلفزيون والتربية الموازية للأطفال

ملخص

يهدف هذا الفصل إلى التعرف على الدور الذي يلعبه التلفزيون باعتباره إحدى المؤسسات الإعلامية في تربية الطفل خارج المدرسة، ومن أجل ذلك فإن هذه الدراسة سوف تتعرض في البدء لتحديد بعض المفاهيم الأساسية ، وإبراز الصلة بين المؤسسات الإعلامية والتربية، وتحديد الجوانب الايجابية والسلبية للدور التربوي لوسائل الإعلام للأطفال ما قبل المدرسة، وسوف نركز على دور التلفزيون في التأثير في الطفل خارج المدرسة.

1. مدخل

نسعى هنا إلى تحديد العلاقة بين التلفزيون وتربية الطفل خارج المدرسة. ويفتر العنوان المقترح دورا في أن تربية الأطفال وهذه التربية قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية ، ومن أجل تحقيق ذلك فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة بما يلي :

1. أي المؤسسات الإعلامية الأكثر أهمية في لعب دور التربية الموازية ؟
2. ما هو الدور الذي يلعبه التلفزيون في تربية الطفل أهو ايجابي أم سلبي أم كلاهما؟
3. ما المقصود بالطفولة وما هي مراحلها وما هي الحاجات التي يمكن أن يلبيها التلفزيون لها؟
4. ما المقصود بالطفولة وما هي مراحلها وما هي الحاجات التي يمكن أن يلبيها التلفزيون لها ؟
5. هل هناك رؤية مستقبلية لما يمكن أن تقدمه وسائل الإعلام للتربية الموازية ؟
6. أي نمط من التربية يمكن أن تخلقه وسائل الإعلام ؟

2. المؤسسات الإعلامية : التلفزيون نموذجا

وتعني بها هنا المؤسسات المسئولة عن وسائل الاتصال الجماهيري وهي تشمل الإذاعة والتلفزيون والصحف ودور النشر ووكالات الإعلان والعلاقات العامة.

والمتابع لما تنتجه وسائل الإعلام سيدرك أن أكثر المؤسسات الإعلامية تأثيرا في الطفل هما التلفزيون ودور النشر. وبينما تقوم دور النشر العالمية بإصدار الكتب التعليمية والتربوية وقصص للأطفال والمعلومات الأساسية لطفل ما قبل المدرسة، إلا أنها في الوطن العربي نادرا ما تهتم بإصدار الكتب التي تهم طفل ما قبل المدرسة ، على الرغم من أهمية مثل تلك الإصدار في مساعدة الوالدين في تنشئة طفلهما ومساعدته في التهيئة لدخول المدرسة ، إلا أن دور النشر التي تهتم بإصدار الكتب التي تحتاجها رياض الأطفال ويحتاجها الوالدان لمساعدتهما في طفل ما قبل المدرسة تكاد تكون نادرة، وتكون أكثر ندرة الكتب التي يمكن أن تكون في متناول الطفل أو التي تساعد المعلمة أو الوالدين.

أما أهم المؤسسات الإعلامية التي تعنينا هنا فهي التلفزيون وذلك نظرا لعاملين أولهما الفترة الطويلة التي يقضيها طفل ما قبل المدرسة في المشاهدة والتي قد لا تقل عن أربع ساعات يوميا، وثانيهما : تأثير التلفزيون في الطفل ، والذي رصدته لنا العديد من الدراسات وخصوصا في الغرب.

ولذا فإن دراستنا هنا ستركز على التلفزيون باعتباره نموذجا للوسائل الإعلامية المشاركة في تربية طفل ما قبل المدرسة.

3. طفل مرحلة ما قبل المدرسة

يرى أريكسون Arixon في نظريته حول النمو النفسي ثماني مراحل لحياة الإنسان:

1. الرضاعة Infancy
2. الطفولة المبكرة Early Childhood
3. عمر اللعب Play Age
4. عمر المدرسة School Age
5. المراهقة Adolescence
6. الرشد المبكر Young Aduthood
7. الرشد Adut hood
8. النضج Maturity (Perkins 1975: P.241)

ويعنينا هنا في هذه الدراسة المرحلتين الثانية والثالثة ، إذ تمثلان مرحلة طفل ما قبل المدرسة . وهذه المرحلة تمتد من عامين إلى سبعة أعوام. ويرى بيركنز Perkins مرحلة الطفولة المبكرة هي من عمر سنتين أو ثلاث إلى عمر خمس سنوات، وهي فترة من النمو المستقر وذات نشاط عضلي كبيرة، ودور استكشافي من خلال الخيال، يتوازى مع اللعب مع رفاق العمر ، والتماهي مع الكبار ، وهي فترة من التنشئة الاجتماعية المركز لتلبية الحاجات والتوقعات لحياته في المدرسة، باعتبارها مؤسسات ثقافية مختلفة عن البيت (Ibid:302)

ويجدر بنا أن نتعرف على بعض خصائص هذه المرحلة التي يمكن أن تؤثر فيها وسائل الإعلام وخصوصا التليفزيون .

فهذه المرحلة تتمثل بالبحث عن استقلالية في مواجهة العيب والشك، ويتم ذلك من خلال السيطرة على البيئة ، أو خضوع استقلالية الفرد لإرادة الآخرين، كما تتمثل بالمبادرة في مواجهة الشعور بالذنب، ذلك أن النشاط لدى الطفل وحب الاستطلاع والخيال في اللعب قد لا يتسق مع توقعات البالغين بما يخلق الذنب عنده (المصدر نفسه P:241)

وتتميز هذه المرحلة كما يرى بياجيه Pigat بنمو المعرفة متمثلة بنمو اللغة والنمو السريع للمفاهيم لدى الطفل (المصدر نفسه P:343) .

وفي هذه المرحلة يكون الأطفال ممحورين على الذات very self centered، ولذلك فإن بروز الصراع بين الذات والتوقعات الثقافية من الأرجح أن تهدد الطفل ، ويتوقع طفل الروضة والطفل الأول أن يرتبط ويتكيف مع أشخاص وجماعات ومؤسسات من خارج العائلة، ولذا فإن توافق الطفل مع قوانين المدرسة وتوقعاته يحبط رغباته في النشاط والاستقلالية (perkins 277)

تتسم مرحلة الطفولة البكرة بكثرة الحركة والفردية والاستقلالية ، إنها المرحلة التي يزداد فيها بصورة ملحة طلب الآخرين من الطفل خضوعه للتوقعات الثقافية، وتظهر استقلاليته المتزايدة في قدرته على الابتعاد عن أمه، دون ضيق واشتراكه مع أقرانه في اللعب بألعاب متشابهة.

ويعمل الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة على نمو عضلاتهم الكبيرة، والتحكم بأجسامهم عن طريق اللعب بالمكعبات واستعمال الأقلام الملونة التي تعلمهم التحكم بعضلاتهم.

أما في سن الرابعة والخمسين فيقوم الأطفال بالمهمات التطويرية التالية:

1. تعلم الارتباط عاطفيا بأشخاص خارج نطاق الأسرة.
2. تعلم مفاهيم الخطأ والصواب التي تؤدي إلى نمو الضمير.
3. تطور وتعديل المفاهيم الاجتماعية والمادية.
4. إدراك الاختلافات بين الجنسين.
5. نمو الاحتشام الجنسي.

تسيطر العمليات الإدراكية في مرحلة الطفولة المبكرة على معظم مرحلة الفكر التحضيري، حيث تمنحهم قدرتهم المتزايدة على استعمال اللغة رموزا وإشارات للتجارب

المختلفة إلا أن الطفل في هذه المرحلة لا يستطيع فهم ثبوتية الأرقام والأحجام لأ، عمليات الفكر لديه يسيطر عليها إدراكه (المصدر نفسه P.433)

وتقدم نظرية " النمو المعرفي" للعالم السويسري جان بياجيه محاولة لزيادة فهمنا للنمو الإدراكي المعرفية عند الأطفال وهي تصف طبيعته وخصائص النمو الإدراكي المعرفي عن الأطفال . ويرى أن مراحل التطور تبدأ من الولادة وحتى فترة المراهقة وهي مرحلة الذكاء الحركي (منذ الولادة وحتى سنتين) ومرحلة الفكر التحضيري (من 2 إلى 7 سنوات) ومرحلة العمليات المادية الحسية (من 7 سنوات إلى 11 سنة) والعمليات الصورية الشكلية (من 11 سنة إلى 15سنة) .

ويعتقد بياجيه أن النمو الإدراكي يتم حين تتواكب التراكيب الإدراكية في العقل التي تسمى Scheme وتستعمل للتنظيم والتكيف مع البيئة المدركة، وتتغير هذه التراكيب عن طريق الاستيعاب، ودمج المعلومات الإدراكية الحسية الجديدة في التركيب الإدراكي الحسي الموجود ، عن طريق التكيف هو عبارة عن تكوين Scheme جديد تندمج المعلومات الإدراكية الحسية، التي لا تندمج مع التركيب

الموجود (المصدر نفسه P.433) ومن خلال هذا التوصيف لمرحلة الطفولة المبكرة يمكننا أن نستخلص أهم العناصر التي تميز مرحلة الطفولة المبكرة التي تعنينا هنا والتي يمكن أن يكون للتلفزيون دوره في التأثير فيها ايجابا أو سلبا وهذه العناصر هي :

1. الفردية واستقلالية الطفل في مواجهة خضوعه للآخرين.
2. الاستكشاف والخيال.
3. اللعب والنشاط العضلي الكبير (كثرة الحركة) .
4. نمو المعرفة، اللغة والمفاهيم (العملية الإدراكية)
5. تطور تعديل المفاهيم الاجتماعية والمادية بالخطأ والصواب.
6. تعلم الارتباط عاطفيا بأشخاص خارج نطاق الأسرة.

وهكذا يمكننا تلخيص مجموعة من الحاجات الأساسية للطفولة المبكرة وهي تتمثل بما يلي :

1. الحاجات العاطفية.
2. الحاجات البدنية.
3. الحاجات (العقلية والمعرفية) .
4. الحاجات الاجتماعية .

وسوف نتعرف على هذه الحاجات بما يحققه التليفزيون .

4- التليفزيون والأطفال واللعب (دعو أطفالكم يلعبون) .

أشرنا إلى أن اللعب والنشاط العضلي (وكثرة الحركة) من ميزات الطفولة المبكرة، واللعب يحقق مجموعة من الإشباعات العاطفية حيث يتفاعل الطفل مع أقرانه ويسد حاجاته البدنية، التي تحتاج إلى الحركة والنشاط الذين يساعدان على النمو. ويحقق اللعب كذلك حاجات عقلية ومعرفية، باكتساب مهارات ولغة وتصورات وإدراكات جديدة في تفاعله مع الآخرين.

فاللعب كما يرى بيرس J.C Pearece ينمي الذكاء ويدمج طبيعتنا الثلاثية "العقلية والبدنية والعاطفية" ويهيئا لتعليم ارقى ، وأفكار خلاقة، وله دور في

تماسك البنيان الاجتماعي، ويساعدنا في التحضير، لأن نصبح والدين فاعلين حين يحين الوقت. اللعب هو القوة الكبيرة في المجتمع والحضارة ، وأن هبوط القدرة في العلب سيعكس نفسه في هبوط المجتمع ذاته (J.C.Pearce 1992:164).

ويرى بيرس Perace أن التخريب الذي يصنعه التليفزيون له علاقة ضئيلة بمضمونه ، إذ أن تخريبه عصبيا هو في الحقيقة قد خربنا وقد يكون ذلك التخريب أصعب من أن يتم إصلاحه وذلك يظهر من خلال :

1- حل التليفزيون محل رواية الحكايات في معظم البيوت، وقد حول التليفزيون الراديو من راوي قصص إلى صندوق موسيق، وحل كذلك محل المناقشات العائلية. ويأخذ وقتا أطول من القوت الذي كان الناس يقضونه مع الراديو قبل ظهور التليفزيون ، وبينا كان الراديو يساعد في إثارة الخيال، وساعد في تنشئة جيل كامل، فإن برامج التليفزيون أصبحت مفسدة بشكل مدهش بالتخريب.
2- حينما تشاهد العائلة التليفزيون نادرا ما يلعب الوالدان مع أطفالهم ، فالجميع يجلسون حوله، وحتى أن اللعب بين الأشقاء اختفى ، وهكذا فليس هناك إمكانية للعب ولتنمية خيال الطفل داخليا، ولعبة النينتدو لا يمكنها أن تحل محل اللعب الخلاق.
3- يقوم التليفزيون بتزويد الرضيع والطفل بفيضان من الصور في الوقت الذي من المفترض، أن يتعمل دماغه صنع الصور في داخله، وبينما كانت رواية الحكايات تزود الطفل بحافز يجلب معه استجابة للتخيل جاعلا ذلك شاملا جميع طبيعة البشرية الثلاثية، فإن التليفزيون يقوم بتزويد دماغ الطفل بالحافز والاستجابة باستجابات مزيفة، حيث يفترض أن يتعلم دماغ الطفل الاستجابة لحوافز الكلمات أو الموسيقى. وكنتيجة لذلك ، فإن المزاوجة بين الدماغ والبيئة يتم القضاء عليها، وينمو قليل من الصور الاستعارية (الخيالية) ويتم استدعاء قشرة ضئيلة من الدماغ في اللعب ، وينمو القليل من البنى الرمزية هذا إذا كانت أصلا سوف تجد

ونتيجة لذلك فإن عدم وجود مقدرة تخيلية داخلية للطفل سوف تترك دماغه غير مستخدم بشكل ملائم. ولذلك فإن الطفل الذي لا يستطيع التخيل فإنه لا يستطيع التعلم بشكل جيد، ولذا يشعر بأنه ضحية للبيئة.

وقد أظهرت الدراسات الحديثة بأن الأطفال غير الخياليين ، يميلون للعنف أكثر من الأطفال الخياليين، وذلك لأنهم لا يستطيعوا تخيل بديل مناسب عندما تواجههم المشكلات، أو معلومات حساسة يمكن أن تهددهم أو تهينهم ، أو عندما تصلهم معلومات غير سارة أو غير مجزية (J.V. Pearc 1992: 164-166).

وكما لاحظ هالوران بأنه تسترعي انتباهنا دوما الجوانب السلبية للتلفزيون أكثر من الجوانب الايجابية، ومن ثم نستمع دوما إلى اتهامات عديدة لهذه الوسيلة بأنه تعمل على هدم القيم، والتعود على الكسل وتسهم في عملة زيادة التوقعات ، وما يستتبعها من احباطات، ولا شك أن إلقاء تبعة كثير من الأمراض الاجتماعية على التليفزيون ليس في حقيقة الأمر سوى مشجب عليه مشاكلنا (هالوران 1979) .

جوانب ايجابية للتليفزيون

وما نريد التأكيد عليه أن التليفزيون وسلة لابد أن ننظر إليها باعتبارها عاملا ضمن عوامل أخرى، تشكل حياة الأفراد والمجتمعات سلبا وإيجابا. فأسلوب توظيف هذه الوسيلة هو الذي يحد دورها وفاعليتها. إلى جانب الأسرة و المدرسة والمؤسسات الدينية والاجتماعية والسياسية.

وتماما مثلما يمكن للأسرة الفاضلة التي تعني بتربية ابنها عناية خاصة، نتوقع أن يكون الطفل فاضلا كنتاج لهذه البيئة الصالحة، وما نتوقعه من أسرة سيئة أن تربى أطفالا سيئين . كذلك يمكن القول عن التليفزيون إن ما يقدمه من برامج وخاصة تلك الموجهة للطفل والتي يتوقع أن يشاهدها – يمكن أن تترك أثرها في الطفل بناء على محتواها فالتلفزيون ليس أكثر من وسيلة يمكن أن توظف بطريقة ايجابية أو سلبية.

وهكذا ننظر إلى التليفزيون على أنه عامل ضمن عوامل أخرى عديدة تؤثر في الأفراد والجماعات والمجتمعات ، وعلى أنه وسلة لها أثارها النافعة والضارة.

ومن الآثار النافعة التي يمكننا الإشارة إليها ما يلي :

1. زيادة الحصيلة اللغوية عند الأطفال ، وتعزيز استخدام اللغة الفصحى لديهم، وأي مراقب في البيت لأطفال الأسرة يلحظ استخدامات الطفل لمفردات ما كان له أن يعرفها لولا متابعات المسلسلات المدبلجة بالفصحى والبرامج التعليمية مثل (افتح ياسمسم) و(المناهل) وغيرها.
2. فتح آفاق جدية للتعرف على عوالم مختلفة لدى الطفل ، فهو يتابع مسلسلات عن حروب الفضاء، ويتابع معها صورا متحركة عن آلات وأجهزة معقدة ، تثير خياله وتشده إليها كما تنقله بعض البرامج إلى عوامل أخرى من التجارب خلال برامج عديدة عن البحار والمحيطات وعالم الحيوان، والشعوب الأخرى.
3. تفتح له الباب على مصراعيه أمام أنماط من السلوك والتجارب الايجابية التي يمكن أ، تكون نموذجا (للاحتذاء)
4. تكوين صور ذهنية عن العالم من حوله.
5. نقل التراث الاجتماعي والقيم الاجتماعية الحميدة عبر بعض المسلسلات والبرامج الخاصة.
6. توفير وسيلة تعليمية للطفل تقدم معلومات تسهل العملية التربوية في المدرسة مثل برنامج (افتح ياسمسم) و (سلامتك) و (وقف) و (المناهل) .
7. توفير وسيلة ترفيهية للطفل يمكنها أن تكون أحيانا أكثر فائدة أو أقل إيذاء من أنشطة أخرى يقضيها الطفل مع قرناء السوء.
8. الإسهام في تنشئة الطفل الاجتماعية والسياسية
9. الارتفاع بمستوى التذوق الفني والموسيقى لدى الأطفال (أبو أصبع 1995) .

ولا شك أن تحقيق هذه العوائد يتوقف بشكل أساسي على عدة عوامل منها بينها :

- تصميم البرامج الهادفة للأطفال بحيث تراعي أعمارهم وأذواقهم وتقديم برامجهم بشكل جذاب.
- استبعاد البرامج الغريبة التي تحمل قيما غربية وتعبر عن ثقافة أجنبية.
- ج) استبعاد البرامج التي تحتوي على العنف.
- د) مراعاة لجان تنسيق البرامج لتوقيف برامج الأطفال وبرامج الكبار بحيث لا يتم التداخل بينها.
- هـ) أن شرطا ألا يترك للأطفال حرية اختيار البرامج أو استخدام الفيديو كما يحلو لهم.

ولأننا ندرك أن شرط من الشروط السابقة لا يكاد يتحقق في المحطات التليفزيونية العربية، فإننا نضم صوتنا إلى صوت المنادين بخطورة تأثير التليفزيون في الطفل في الوطن العربي.

جوانب سلبية للتليفزيون

إن نظرة فاحصة إلى برامج الأطفال في التليفزيون التي قد تمتد إلى ساعتين يوميا في بعض المحطات. يريا أن أكثر من خمسين بالمائة منها مستوردة، وكثي من برامج الأطفال التي تنظر إليها على أنها مجرد رسوم متحركة أو أفلام خيالية ليست كذلك إذ نجد أن منظمة أمريكية تعني بتعقب العنف في التليفزيون قد صنفتها على أنها تمثل برامج ذات درجة عالية من العنف وكان أساس التصنيف لاحتساب العنف كما يلي :

- درجة قليلة من العنف (صفر -2) (مشهدان) في الساعة.

- بعض العنف (3-6) مشاهد في الساعة.

- أكثر من المتوسط في العنف (7-9) مشاهد في الساعة.

- درجة عالية من العنف (10- فأكثر) مشاهد في الساعة.

وكان من البرامج التي صنفت بأنها ذات درجة عالية من العنف ما يشاهده أطفالنا يوميا أمثال برامج :

توم وجيري، وبوباي وباتمان، وسكوبي دو ، ومن البرامج الدرامية الأجنبية التي شوهدت أو تشاهد:

فيجاس Vegas.
1. الشريف لوبو Lobo.
2. الرجل الأخضرIncridible Hulk.
3. المخبر الخصوصي ماجنوم
4. Hart to Hart
5. الجزيرة الخيالية Fantasy Island

وتستدعي منا هذه البرامج وغيرها وقفة تأمل لنرى ما هو تأثيرها في الأطفال ؟

ونحن نعلم أن طفلنا يشاهد العديد من هذه البرامج.

وفي كتاب صدر لجيرى ماندر Jerry Mander طالب فيه التخلص من التليفزيون وكتب يقول:

" إذا قررت التلفزيون فليس هناك خيار أخر سوى قبولك لسيل الصور الالكترونية التي ستأتيك :

1. أول تـأثير لهـا أن تخلـق موقفـا عقليـا سلبيا: إذ لـيس هنـاك مـن سبيل لإيقـاف هـذه الصورة.
2. يظهر أن المعلومات يتم استقبالها في مناطق اللاوعي في الدماغ أكثر من منـاطق الوعي التي يحتمل التفكير بها.

وكما وصف جاك السون Jack Elson مشاعره نحوها بأن الصور تنفذ من خلاله، أنها تذهب بعيدا داخله، تعبر وعيه في مستوى عميق من دماغه، كما لو أنها كانت أحلاما.

وكما يرى Mander أن مشاهدة التليفزيون يمكن أن تصنف كنوع من حلم اليقظة، باستثناء أنه حلم غريب من مكان بعيد، وهكذا فإن المشاهدة تلعب دورا ضد شاشة عقل الإنسان.

ولذا كانت مشاهدة التليفزيون تختلف جذريا عن عملية القراءة ، فالقراءة فيها نوع من المشاركة والرجع (Feed back) . أنها نوع من عملية تفاعلية. فحينما تقرأ بكون لك اختيار إعادة القراءة، والتفكير ، ووضع الخطوط تحت الأسطر، مما

يزيد إحساسك بالوعي بالمادة التي تقرأها. فالقراءة بفاعلية تخلق المعلومات التي نريد تثبيتها في عقلنا الواعي.

أما الصور في التليفزيون فإنها لا تتطلب شيئا من هذا النوع. أنها تتطلب أن تكون عيناك مفتوحة فالصور تنفذ وتسجل في الذاكرة سواء كانت حولها أم لا. أنها تنسكب داخلك كسائل في إناء.

ويتحدث الباحث الاسترالي Erik Peper عن الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون ويرى أن ردود أفعالهم تجاه الطوارئ بطيئة، لأنهم حينما يشاهدون التليفزيون يتدربون على عدم الردود على الأفعال. ولذا كان النظر إلى التليفزيون كوسيلة خطيرة لا يستوجب النظر إليه كوسيلة تعليمية فقط – حيث يتم الاستفادة منه كما هو حاصل في بعض المؤسسات التعليمية – بل لابد أن ننظر إليه باعتبارها مؤسسة إعلامية يمكنها أن تقوم بمهمة تعليمية، لا سيما أن الفرق كبير بين مناهج التعليم الرسمي وبين البرامج التي أنتجتها مؤسسات عربية أو أجنبية هدفها أساسا الربح المادي. ذلك أن القيم التي تمتلكها المؤسسات التعليمية تختلف عن المؤسسات التجارية . ويعلق سكوربنا على ذلك بقوله :

" فالمدرس الجيد والمدرسة الجيدة يعلمان الطالب أن يكون معافى، منكرا للذات ، ويعلمانه السيطرة على الذات والنشاط وأداء الواجبات والتعاون والمشاركة والتأكيد على الأهداف طويلة الأجل".

أما منتجات وسائل الإعلام التجارية فإنها تعلمه الانغماس بالذات والبحث عن الطريق الإعلام الأقصر إلى النجاح من خلال سحر الإنتاج التليفزيوني.

إن براج التليفزيون تعلمه أن يدين الضحية ويتعاطف مع المجرم، ويسخر من المدرس، ويهزأ بالآباء، وذلك كله ضد تعليمه. فماذا نتوقع من الأطفال أن يصدقوا..!! إنهم يمارسون ما تعلموه بغض النظر عن المصدر سواء أكان من المدرسة أم من التليفزيون أم من الأسرة ".

وفي تحقيق نشرته جريدة " الخليج " حول رجال الأمن في المسلسلات التليفزيونية .. كانت الصورة لرجل الأمن كما شخصها أحد رجال الأمن كالتالي بأن اشرطي العربي مهزوز والغربي أسطوري لا يقهر.

وكم من المسلسلات والأفلام أو المسرحيات التي شاهدها ويشاهدها الأطفال

تقدم لهم صورا مشوهة أو تقوم بمسخ شخصيات كثيرة للمدرسين ورجال الشركة وكم من المواقف والقيم الغربية والمستهجنة التي يشاهدها الأطفال يوميا.

تحدث ب. آلدريتش (P.Aldrich 1975) عن أربعة أنماط من التأثيرات السلبية للتليفزيون في سلوك الشباب والصغار التي تشمل :

1. الأفكار المحرقة عن الواقع.
2. مرض الثلاثين دقيقة.
3. تأثير المنزل الساخن.
4. توقع استمرار التسلية الاحترافية في جميع مناحي الحياة.

1. التأثير الأول : الأفكار المحرفة عن الواقع

وقد رأى أن هذه التأثيرات تشكل الدافع الرئيس لمعظم ما تقدمه وسائل الإعلام. وقد بين ذلك من خلال استجابة المرء للمسلسل المفضل لديه، فمن ناحية عاطفية يستجيب المرء للتمثيل وللقصة. ويعجب بالممثلين ويضحك على النكات (النجدة) ، ويشعر بالرضا عند الحل، ويترقب الحلقة التالية بلهفة. وبينما يختبر المرء كل تلك المشارع فإنه يتم تزويده بمعلومات – وهي في الغالب تأتي كتأثيرات خلقية – مثل المعلومات الجغرافية عن المدن والطبيعة والحكومة والقانون والتعليم.. إلخ.

وهذه المعلومات حقيقية محدودة ولكنها دقيقة وردود أفعال المرء لها تكون سطحية ويمكن تحديدها وفهمها بسهولة. وإذا نظرنا إلى المستوى الأعمق لاستعيابها وذلك إذا كان المرء لا يسأل عنها وإذا كان المرء طفلا يتقبل ما يتلقاه موافقا للحقائق الأصلية حول السلوك من اتجاهات وفلسفات وقيم وعقائد وأفكار السلوك.

ومن ثم فإن التعرض المستمر للواقع المحرف يجعل الناس يشبون على اتجاهات، وقيم ومعتقدات غير حقيقة، والتي يحاول العيش بها ، وحيث أن السلوك البشري محكوم عادة بالاتجاهات، والقيم الأهداف والمعتقدات، لذا فإن السلوك يعكس أساسا نظام الصواب أو الخطأ . إنه قانوني شخصي للسلوك الذي يحدد الأشياء مثل الأمان،

والنجاح ، والهيبة ، والوضع الاجتماعي، ولا سيطرة للمرء على تكوين اتجاهاته وقيمه ومعتقداته إذ أن المجتمع يفرضه عليه ، ولهذا يصبح لوسائل الإعلام قوة في السيطرة على الإنسان، وخاصة أولئك الذين ليس لديهم المقدرة على اختيار تحليلي واضح لكل تكل الأمور.

ويتمثل دور وسائل الإعلام بخصوص تشويه الواقع فيما يلي :

- تشويه الواقع بتبسيطه، أو تضخيمه، أو تجاهل القضايا المثيرة للجدال حول التغير الاجتماعي.
- تلعب دورا محافظا بخصوص الاتجاهات والقيم، والمعتقدات بطريقة مسطحة. ج
- تزويد الإنسان بعالم خيالي حيث تصبح أحلام المرء كأنها حقيقية.

التأثير الثاني: مرض الـ 30 دقيقة

ويقوم هذا التأثير على فكرة تستند إلى حل المشاكل بمدة بسيطة، سواء أكانت هذه المشاكل شخصية أو وطنية، أو دولية ، حيث يوجد دائما حل لكل مشكلة معقدة ، ومن ثم فإن التغيير النفسي (السيكولوجي) يمكن أن يتم بسهولة وبمحاولة واحدة.

ففي الأعمال الدرامية التي ترى كيف أن الحل يأتي دائما في الدقائق الأخيرة، وبدون بذلك الجهود يتم ذلك ويتغير الناس.

ومن أسوأ التأثيرات المتراكمة) مرض الـ 30 دقيقة) تعزيز فكرة النجاح الفوري. ومن ثم تصبح المعادلة النظرية لهذه المسألة كالتالي : مشكلة واحدة

محاولة = نجاح فوري.

وتصبح (معضلة) الثلاثين دقيقة مأساوية ، عندما ينمو الصغار مع وسائق الإعلام يوظفون هذه الأفكار السطحية دون أن يعرفوا عمق عواطفهم، ومن ثم يعملون على

العيش بناء عليها، ومثل هؤلاء لن ينجحوا بسبب مشكلاتهم العاطفية، لأنها تخضع للتغير السريع ، ولأن حل المشكلات المعقدة ليس سهلا تحقيقه.

3. التأثير الثالث: تأثير البيت الساخن

وهو يعني دفع الصغار إلى عالم النضج، بشكل أبكر مما يمكن أن يتحمله نموهم العاطفين ذلك لأن المشاعر ليست كالكهرباء بمكنها أن تسري في ثوان قليلة، ولا يعني حصوله على معلومات عن عالم النضج (عالم الكبار) مقدرتهم على استخدامها بحكمة. ولذا فإن تعلم الفرق بين التفكير والعاطفة هو أفضل السبل للسيطرة على تأثير البيت الساخن. بحي لا يسيطر هذا التأثير على المرء واكتساب هذا النوع من السيطرة يعطي المرء الحرية الحقيقية للاختيار.

ويدفع هذا التأثير المرء – إذا كان صغيرا – إلى التصرف على أنه كبير – وعلى العكس إذا كان المرء كبيرا فإنه يتصرف وكأنه صغير، مما يجعل الحياة صعبة بالنسبة للجميع.

4. التأثير الرابع : توقع الترفيه المحترف باستمرار في الحياة.

يتدفق يوميا الترفيه المحترف إلى حياتنا، وآخر املخترعات أشرطة الفيديو والمحطات التليفزيونية الفضائية والانترنت، مما يزيد المقدرة على تقييم الأداء في المعروض. ومع مرور القوت فإن المرء لا يتوقع فحسب أن يجد دائما الترفيه. بل يتوقعه ترفيها احترافيا ذات مستوى عال . ولذا فإن الطفل عندما يشاهد البرامج التعليمية مثل "افتح ياسمسم " و " المناهل " أو غيرهما . تقوم بوظيفة تعليمية تهئ الطفل إلى المدرسة وهو يتوقع الترفيه في المدرسة . وهذا يدعونا إلى التساؤل حول تأثيرها السلبي في تعامله مع المدرسة .

النافذة السحرية

كيف ينظر الناس إلى التليفزيون ؟ هذا سؤال جدير بالإجابة لأنه يحدد لنا الدور المتوقع للتليفزيون فنحن نعرف أن هناك من ينظر إلى التليفزيون باعتباره قطعة ضرورية لاستكمال أثاث المنزل، والبعض الآخر ينظر باعتباره فردا غريبا بين أفراد الأسرة ولكنه ضروري لمسامرتهم وتسليتهم. والترفيه عن أطفالهم ومجالستهم وهناك من ينظر إليه باعتباره مفسدا وهو من عمل الشيطان وهناك من يراه وسيلة تزود أطفالنا بالخبرات الضرورية والمعلومات التي تساعدهم في نموهم النفسي والعقلي.

أما علماء الاتصال والتربية وعلم النفس والاجتماع فإنهم ينظرون إليه نظرة موضوعية ترى أنه وسيلة اتصالية لها جوانبها الايجابية والسلبية في تقديم الخبرات التي يمكن أن يتلقاها الإنسان.

ولكن الطفل هو جمهور من نوع خاص وهو ذو طبيعة شديدة الحساسية ، وهو يتعامل مع التليفزيون باعتباره نافذة سحرية، تدخل إلى عوامل من الخيال والمغامرات والتجارب ، التي لا يختبرها حوله. وهو يدخل إلى عالم التليفزيون في الوقت الذب ليم كتمل بناء نموه النفسي والبدني والاجتماعي والفكري ، وهو يتابع التليفزيون بشغف واستغراق أحيانا، ويصل على معلومات ويشغل وقته معه ، فالتلفزيون قد غير طريقة حياة الأطفال التقليدية في قضاء وقت الفراغ في التزود بالمعلومات وفي الترفيه عن النفس وفي العلاقات العائلية.

الإدمان على التليفزيون والمشاهدة النقدية

إن اهتمامنا بتأثير التليفزيون في الطفل لاعتبار أساسي : إن مشاهدة التليفزيون أصبحت تستهلك من وقت الطفل أكثر من أي نشاط آخر، باستثناء النوم ، ولا عجب أن يطلق عليه البعض اسم جليس الطفل . ولا نعدو حقيقة إذا قلنا أطفالا عديدين في مجتمعاتها اليوم يجلسوا مع التليفزيون أكثر مما يجلسون مع والديهم.

وفي إحصائية أمريكية وجد بعض الباحثين أنه في المتوسط يوجد في البيت الأمريكي جهاز تلفزيون يعمل خمس ساعات ونصف ، ويشاهد المرء في المتوسط منذ الثانية من عمره حتى 65 سنة ما يعادل تسع سنوات طيلة حياته، وقبل تخرج العديد من تلاميذ الثانوية فإنهم يكونون قد شاهدوا ما يزيد عن عشرين ألف ساعة، وبالمقابل فإنهم يكونوا قد قضوا خمس عشر ألف ساعة في المدرسة.

لقد أوضحت دراسة أجرتها جمعية علم النفس العقلي في أوربا مؤخرا . أن مشاهدة التليفزيون تعد نوعا من الإدمان النفسي، فلقد أعطى لـ 184 مشاهد مداوم نقودا لكي يكفوا عن مشاهدة التليفزيون لمدة عام، فلم يستطع أي منهم أن يصمد لأكثر من خمسة أشهر، وذلك بسبب " المواطن الانسحاب" فقد زد التوتر والمشاجرة، والاعتداء البدني في العائلات التي تأثرت خلافاتها بالمشاهدة المستديمة.

إن فكرة أن يصبح الشخص مدمنا على التليفزيون تقود إلى طرح أسئلة تتضمن وضع الانغماس الذي يعيشه المرء في ظروف خاصة من غسيل الدماغ الذي قد تكون أثاره أو عدوانية ودية أو ايثارية أو أنانية.

يمتلك التليفزيون بما قدمه شكلا توقعيا من الاتصال هو ليس كالكتاب مثلا يقدم كلمة مطبوعة ولكنه يقدم لنا الواقع مصورا ومتحركا فهو يخاطب حاسة السمع والبصر من خلال أساليبه الفنية والتقنيات المتطورة.

إن التكنيكات التي تطورها التليفزيون التجاري والإعلان لديها المقدرة الهائلة على إغواء الأطفال لمشاهدة جميع البرامج، حتى تلك التي لا يريدون مشاهدتها، ومن ثم تقوم بسلب

أوقاتهم من حيث لا يشعرون. وإذا استسلمنا كأسر لمشادة التليفزيون دون أن نعلم أطفالنا كيف يشاهدون ومتى يشاهدون ، فإن المشاهدة ستكون ذات جوانب سلبية. فعلى الوالدين أن يعملا على تدريب أطفالهم على المشاهدة النقدية.

في دراسة قام بها s.Perter ورفاقه استغرقت عامين حول ماذا يشاهد الأطفال الصغار مع والديهم، فإن الدراسة وجدت بأن معظم برامج الأطفال تتم مشاهدتها دون صحبة الواليدن بينما معظم برامج الكبار تتم مشاهدته برفقتهم وقد وجدت هذه الدراسة بأن الأطفال الذين يشجعهم والدهم على المشاهدة فإنهم يشاهدون برامج أكثر معلوماتية, والأطفال الذين يقيدهم والدهم على ما يفضلونه من مشاهدة عادات وتوجيهات نحو التليفزيون تؤثر في مشاهدة الأطفال له سواء كان ذلك مع الوالدين أو بدونهم.

إن مسئولية أي مجتمع من المجتمعات تجاه أطفاله تتمثل بنوعين رئيسين من المسئوليات.

1. مسؤوليات محددة تجاه تزويدهم خاصة تساعدهم على النمو البدني والعقلي والنفسي نموا معافى لتحقق نضوجهم السليم. ذلك لأن الأطفال هم أغلى الموارد التي يجب حمايتها لأنها هي التي ستحقق مصالح وحاجات المجتمعات مستقبلا.
2. حماية خاصة للأطفال من انواع الاستغلال، وخاصة استغلال الكابر لهم ، ومن ثم فإن قوانين خاصة تحول دون مسؤولياتهم القانونية عن توقيع عقود اتفاقيات أو استخدامهم في العمل أو غير ذلك.

وهذا لا يتحقق بعزل الأطفال ، ولكنه يتم من خلال الحماية التي تقدمها الأرة والقانون له ، ومن خلال عمليات التنشئة الاجتماعية عبر المؤسسات المختلفة الأسرية والتعلمية ، والإعلامية ويلعب التليفزيون هنا دورا مهما في ذلك.

وحينما توجد بعض المؤسسات الرسمية مثل التليفزيون والتي – عن غير قصد تقوم بالإخلال بمسؤوليات المجتمع نحو أطفاله، فهو يمكن أن يرفع الصوت مدويا محذرا من خطورة التليفزيون ، وتكمن الخطورة في تنشئة الأطفال أحيانا من مشاهدة التليفزيون حين يتعرض الأطفال لعالم الكبار، وما فيه من صور للاستغلال والعنف والجريمة والجنس.

وحيث أن الشركات منتجة تلك البرامج متحررة من القيود الأخلاقية والقانونية نفسها المفروضة على المؤسسات التي تتعامل مع الأطفال مثل المدرسة والأسرة، فإن هذه الشركات لا يعنيها تماما سوى مصالح الاقتصادية، وفي أحيان أخرى لا يقصد هؤلاء المنتجون الإساءة إلى الطفل ، ولكن تعرض الأطفال لتلك البرامج الموضوعة علالم الكبار قد يساء فهمها من الصغار و الأطفال ، الذي يفهمون البرامج التليفزيونية بطريةق مختلفة عن عالم الكبار، إذ أنهم لا يستطيعون في أحوال كثيرة استنتاج العلاقات بني المشاهد التي يرونها ولا يستطيع كثر منهم ترتيب اللقطات لتفسير البرامج الدرامية ، ومن

ثم فإن تذكرهم للبرنـامج من جهة نوعية تكون أشبه بالشظايا ، فلا يستطيعون أن يبنوا العلاقات بين برامج الكبار.. ولا تتوقع منهم بلك أن يتخلصوا عبرة ، أو مغزى من مسلسل درامي يستطيع الكبير أن يتوصل إليه.

ونختصر القول أن هنالك مجموعة من السلبيات التي تحاصر أطفالنا من مشاهدتهم للتليفزيون وإدمانهم عليه :

أولا : أن مشاهدة التليفزيون تستهلك وقت الأطفال مما يؤثر في نشاطات أخرى أكثر أهمية مثل القراءة، واللعب ، والاستماع للراديو، والنوم والمناقشة وغيرها.

ثانيا : أن مشاهدة التليفزيون تسلب من الأطفال الوقت الذي كان يجب أن يخصص في اكتساب تجارب وخبرات مباشرة من الحياة.

ثالثا : إن النماذج التي تخلقها مشاهدة التليفزيون ليست نماذج تحتذي فمعظمها مبسط بهدف الملاءمة بين عنصري الربح والترفيه قبل كل شئ.

رابعا : أن الصور الذهنية التي تخلقها البرامج التلفزيونية يمكنها أن تترك صورا ذهينة مشوهة عن حقيقة العالم الخارجي

خامسا : إن التعرض لبرامج الكبار يؤدي إلى زوال الحدود بين ثقافة الكبار وثقافة الصغار مما يؤدي إلى اقتحام الأطفال عالم الكبار قبل الأوان ودون أن تتوافر لديهم أسباب الحماية والحصانة. فالأطفال يستوعبون مناظر ودور الكبار كما تصوره لهم تلك البرامج بدلا من الاطلاع على حقيقة العالم بطريقة طبيعية وتلقائية من خلا تجارب الحياة اليومية.

سادسا : نوعية استخدام اللغة وسوء استخدامها في التلفزيون تؤدي إلى سيادة لهجات محلية على حساب اللغة الفصحى.. ومع سوء استخدام اللغة ، فإن بعض التعابير تتردد على الألسنة وتصبح جزءا من حصيلة الطفل اللغوية.

سابعا : تؤثر في نوعية الذوق العام فيما يتعلق بتذوق الموسيقى والغناء فإن الأكثر ترددا يصبح أكثر ألفة ، وأكثر شعبية، وإن كان ذا مستوى فني هابط فسوف يؤثر في الذوق وتنمية .

ثامنا : إن التعرض لمشاهدة برامج العنف يشجع على سلوك العنف لدى الأطفال وهناك دلائل كثيرة من واقع أبحاث علمية على امتداد عشرات السنين تؤكد نتائجها على العلاقة الايجابية بين مشاهدة العنف في التلفزيون والسلوك العدواني ذلك.

- بتعليم المشاهدين أفعالا عدوانية غير معروفة

- وبتشجيع استخدام العدوان بطرق مختلفة
- وبتقليد السلوك العدواني

د) في بعض الظروف يمكن أن تعمل مشاهد العنف على تخفيض العدوانية واللسبب في ذلك القلق الذي يحدث نتيجة العدوانية، أكثر من كونه نتيجة للتطهير.

عاشرا : إن التلفزيون يكرس ظاهرة النجومية في المجتمع.. والتي يستتبعها تقليد النجم في الملبس والمشرب والعنف والحب والتدخين وغير ذلك.

حادي عشر : إن التلفزيون يعود الطفل على البلادة وانعدام رد الفعل فكما لاحظ ماندر:

"المرعب في التلفزيون إن المعلومات تنفذ ولكننا لا نقوم برد فعل تجاهها. أنها تنفذ مباشرة إلى أقنية الذاكرة، ومن المحتمل ، أن تقوم برد الفعل لها فيما بعد. ولكننا لا نعرف آنئذ لماذا نرد على الأفعال ؟ فحينما تشاهد التلفزيون فأنت تدرب نفسك على عدم ردك على الأفعال "

ثاني عشر : انحدار في مستوى التذكر والحد من الخيال والمقدرة على التعلم عند الأطفال .

ثالث عشر : تشجيع الروح الاستهلاكية لدى الطفل وخاصة في التلفزيونات التي يأخذ الإعلان منها حيزا كبيرا.. حيث تستهوي الإعلانات أفئدة الأطفال خاصة إذا قدمت بطريقة ملفتة للنظر وللسمع. ومع تكرارها فإن الطفل يتخيل أن كل هذه الحاجات املعلن عنها يمكن أن يحصل عليها.. ولنتخيل الضغوط التي يمكن أن تمارس على الأباء من أطفالهم المدللين للحصول على السلع المعلن عنها.

رابع عشر : ما يقال عن تأثير الإشعاعات التلفزيونية على الأطفال وكما جاء في دراسة " للصنداي تايمز " ، نقلت ملخصه جريدة الاتحاد الأسبوعي 2 فبراير 1984. "اتضح أن بعض الصور التي تتعاقب على الشاشة لها وميض قاتل فإذا صادفت الطفل وهو على مسافة لا تزيد على قدمين من الشاشة الصغيرة ، فقد يصاب بفقدان الوعي والشعور بالاختناق".

ونخلص من هذا إلى أن التلفزيون يؤثر في نظرة الإنسان إلى ما حوله وفي قيمه ويؤثر في قدرته على التمييز بين الحقيقة والخيال ويعزل بني الناس وبيئتهم ويقدم نماذج للاحتذاء في السلوك والمواقف واللغة.

إن خطورة التلفزيون ، تكمن في قانون اللائحة، الذي يعني أن الوسيلة الجديدة ستحل محل الأقدم منها، إذا كانت تؤدي وظائفها براحة أكبر، أو بطريقة أكثر إشباعا وإرضاء لحاجات الإنسان.

إن الخروج من هذا المأزق الإعلامي لا يمكن أن يتم بالمطالبة بإلغاء التلفزيون كما فعل البعض ولكن يتم بترشيد استخدامه.. وذلك لمراعاة ما يلي:

1. إنتاج برامج متخصصة للأطفال مراعية التنويع والتشويق : وذلك باستخدام مضامين مختلفة تخدم تنمية شخصية الطفل علميا، وتربويا ، ولغويا ، ونفسيا وباستخدام أساليب فنية تشد انتباهه.
2. مراعاة التوقيت في البرامج، بحيث لا تشمل الفترة قبل التاسعة مساء أيا من البرامج الدرامية التي تعرض أشكالا من النشاطات غير المرغوب فيها والتي قد يساء تفسيرها نم الأطفال مثل الابتزاز، والتهديد ، وأشكال العنف املختلفة، وتعاطي الخمور واملخدرات والسجن والجنس وسابق السيارات وغيرها.
3. أن تكون لغة البرامج للطفل هي اللغة الفصحى مع مراعاة مستويات العمر والمعجم اللغوي الملائم لكل فئة عمرية .
4. تشجيع أولياء الأمور الأسرة على أن يقضوا وقتا مع أطفالهم بدلا من أن يقضونه معه بالبحلقة في التلفزيون وليفرغ الوالدان وقتا لأطفالهم وليكن شعارهم " الوالدان جليس أفضل للطفل من التلفزيون ، واللعب أفضل من التلفزيون .. والقراءة أفضل من اللعب".
5. السيطرة على استخدام الفيديو وذلك موضوع آخر، ولكن يمكن اقتراح بعض الأمور التي تسهم في ترشيد استخدام هذه المحطة الداخلية في كل بيت

أ) إنشاء نواد للفيديو في مدارس والنوادي والجمعيات تشرف عليها وزارتا الإعلام والتعليم، بحيث تكون مكتبات علمية وثقافية وفنية تعود للأطفال على مشاهدة المادة المفيدة وتسهل لهم الاستفادة منها.

ب)توجيه أنظار أولياء الأمور إلى خطورة استخدام الأطفال للفيديو دون رقابة منهم.

ج) توفير مواد علمية وثقافية وفنية في محلات الفيديو بشكل إجباري. على سبيل المثال ، يمكن أن يفرض كل محل أن يكون لديه نسبة مئوية من جملة عناوينه عبارة عن برامج مختصة بالأطفال ذات المستوى العلمي والتربوي الهادف.

وهذا يسهل على أولياء الأمور ايجاد بدائل لأشرطة الأطفال العنيفة وغير الهادفة المتوافرة في الأسواق الآن وفي كل مكان.

6. تشجيع البحوث والدراسات بني فرق مشتركة من الباحثين في مجالات التربية وعلم النفس والاجتماع والإعلام والدراسة تأثيرات التلفزيون الايجابية والسلبية على الأطفال

الخاتمة

التلفزيون والطفل : نظرة مستقبلية

إن الطموح هو أن يكون التلفزيون نافذة تطل على آفاق رحبة تساعد () ينمو الطفل النفسي والعقلي وتساعد في إشباع حاجاته وتهيئته للمدرسة والحياة ونحن ندرك أن التلفزيون سلاح ذو حدين : فهو قد يؤدي إلى تزييف الوعي ، ويؤدي الاحباطات، ويعطل ملكة الخيال ويشجع الروح الاستهلاكية من خلال الإعلانات ويعزز الصور النمطية لديه، ويؤدي إلى النضج المبكر للأطفال، ويعزز روح العنف عندهم ولكن في المقابل يمكن أن يكون عاملات مساعدا في التنشئة الاجتماعية.

ويستطيع أن يغرس القيم الاجتماعية ويعزز شعور الانتماء الوطني والقومي ، ويمكن أن يزود الطفل بالمعلومات الجديدة التي من الصعب معاينتها مباشرة وكذلك يمكن أن يزيد في ثروته اللغوية، ويعلمه بعض أنماط السلوك الجيد وذلك كله يحتاج منا إلى مايلي :

أولا : أن يتم وضع فلسفة واضحة للتلفزيون في ما يتعلق ببرامج الطفل ومراحله المختلقف والتي تأخذ في الاعتبار فلسفة المجتمع، والحرص على تنشئة الطفل تنشئة سليمة نفسيا وفكريا وإعداده ليكون مهيئا للاندماج في المؤسسات المجتمعية المختلفة ومن بينها المدرسة .

ثانيا : أن نعود أطفالنا على المشاهدة الناقدة بمرافقة الكبار.

ثالثا : أن يتم السيطرة على ساعات المشاهدة وبحيث لا تصبح المشاهدة إدمانا يؤثر في أنشطة حيوية أخرى يحتاجها الطفل مثل اللعب أو الجلوس مع الأشقاء والوالدين والمسامرة ومثل رواية الحكايات التي يمكن أن تثير خيال الطفل وتنميه.

وكما قال اينشتاين :" إذا أردت أن يكون أطفالك المعيين أحك لهم الحكايات الخرافية وإذا أردت أن يكون أكثر ألمعية أحك لهم أيضا حكايات أكثر".

رابعا : أن يتم إعداد برامج للأطفال مشوقة تراعي المستويات العمرية لهم وحاجاتهم النفسية والعقلية . ويشارك في إعدادها خبراء من مجالات مختلفة كعلم النفس والتربية والاتصال والاجتماع، وتأخذ هذه البرامج في حسبانها

وتكنولوجيا الاتصال ، والاستفادة من إمكانياتها في إعداد برامج جذابة للأطفال، وخاصة أن تطور تكنولوجيا الاتصال في وقتنا ستؤدي إلى إنهاء عملية الفصل بين المدرسة والمنزل، وهذا مما سيجعل للعائلة دورا مهما يعيدا لها دورها القديم والرائد باعتبارها الوحدة الأساسية لتعليم الأبناء ، وسيصبح دور الوالدين هام في الرقابة على الاتصال الالكتروني ، ونحن نتابع الآن بشوق وقلق تجربة الإنترنت التي يستخدمها الكبار وستكون متاحة للأطفال ، ولسنا ندري ماذا ستقدم لنا غدا تقنية الاتصال ليفيد منها أطفال قبل المدرسة ولتكون وسيلة مساعدة لتربية موازية للمدرسة.

خامسا : أن يتم وضع معايير وتصنيفات للبرامج التي يتم عرضها للأطفال وبحيث يتم إرشاد أولياء الأمور إلى مدى ملائمة هذه البرامج لمختلف الأعمار وهذا أمر معروف في الغرب.

سادسا : القيام بمجموعة من الأبحاث العلمية التي تدرس دور التلفزيون في التنشئة وعلاقة العنف التلفزيوني بالسلوك العدواني، وتأثير التلفزيون في معرفة الأطفال وسلوكهم، وكذلك دراسة سلوك المشاهدين وعاداتهم أمام التلفزيون ، بالإضافة إلى دراسة استخدامات المشاهدة والإشباعات التي تحققها.

ويمكن من خلال هذه البحوث استخلاص العديد من النتائج التي يفيد منها التربويين والإعلاميون والآباء والأمهات ويفيد منها للتلفزيون في تخطيطه لبرامج الأطفال .

سابعا : حان الوقت لتأسيس الجمعية الوطنية للمستمعين والمشاهدين والتي تكون مهمتها رقابية وناقدة وموجهة لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، وتكون جمعية شعبية ، تتكون من المهتمين بتطوير خدمات الإذاعة والتلفزيون وتحمل مسئولياتها الاجتماعية.

وها نحن تطوى آخر صفحة ليبقى التساؤل قائما إلى أي مدى سيكون للمؤسسات الإعلامية وخصوصا مؤسسة التلفزيون دورها في التعليم الموازي للأطفال . أن الواقع الذي نراه الآن لا يبشر كثيرا ولكننا لا نفقد الأمل في أن يصبح للأطفال – وخصوصا أطفال مرحلة ما قبل المدرسة – البرامج الخاصة القادرة على اجتذابهم، والقادرة على تعزيز مقدراتهم ، وشحذ خيالهم ، وتزويدهم بالمعلومات ، والقيم، التي تساعدهم على الاندماج في مجتمع سليم معافى .

مصادر ومراجع مختارة

1- صالح أبو اصبع ، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة ، عمان ، دار آرام للدراسات والنشر.

2- جيمس هالوران أضواء على التلفاز وأثاره (مجلة اليونسكو العدد 214 مايو 1979)

3- جريدة الخليج (الشارقة) 7 مارس 1984

4- جريدة الاتحاد الأسيوي (ابو ظبي) 2 فبراير 1984

5- كازوهيكو جوتو وسائل الإعلام الجماهيري : الزمار الملون الجديد، مجلة اليونسكو العدد 214 ، مايو 1979".

6- Joseph Chilton Pearce. Evaluatoins End , Claiming the Potential of our Intelligence (San Francisco : Harper 1992).

7- National Colaltiontion on Television Violence (NCTV) News, vol 2 No 4 July –August 1981.

8- Jerry Mander : Four Arguments for the Elimination of Television (New Yourk Morrow Quill).

9- Particia Marks Green Field : Mind & Media (Cambridge : Harvard University press 1984)

10- Tannis Macbeth Williams, The Impact of Television (Orlando, Acadmeic press, Inc. 1986).

11- Wiegman, O. Kuttshreuter, M. and Baard, B" A longitudinal Study of The Effects of Television Viewing on Aggressive and Prosocial Behaviors ". Journal of Soc, - Psychal 1992 June, 31 (P.P) 174-164).

12- S. Peter, M. Fitch , Mj Hustion – AC, Wright – JC , & Fakins ISS. Television & Families : What Do Young children Watch with Their – Parents. Child Dev. 1991 Dec. 63(6) : 1409 -23

الفصل السابع

الهيمنة الثقافية وحقوق الاتصال

في أفريقيا

(رؤية لحقوق الإنسان والشعوب في الاتصال

في عصر الإعلام الإلكتروني)

الفصل السابع

الهيمنة الثقافية وحقوق الاتصال في أفريقيا

(رؤية لحقوق الإنسان والشعوب في الاتصال في عصر الإعلام الإلكتروني)

1-مدخل

يطوي العالم آخر صفحات تاريخ القرن العشرين ، هذا القرن الذي حمل معه الآلام والآمال ، في هذا القرن شهد العالم أشرس الحروب التي واجهتها البشرية ، حربا عالميتان . وتوجت الثانية باستخدام القنابل الذرية ، ليؤذن ذلك بعالم يعيش على حافة الانفجار في أية لحظة ، وشهد هذا القرن حروبا" صغيرة وأخرى كبيرة قطرية وإقليمية. وشهد هذا القرن كذلك اصطراع القوي العظمى وتكالبها على الدول الصغرى وعلى نهب ثرواتها واقتسامها لتكون في مجال نفوذ تلك القوي وتحت سيطرتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا" وإعلاميا . وشهد هذا القرن كذلك انبثاق آمال كبيرة للبشرية وللشعوب المقهورة في هذا الكون الفسيح.

في هذا القرن تحققت انجازات علمية مذهلة لتجعل حياة الإنسان أكثر سهولة وأرغد عيشا" وأكثر متعة ، فكانت الانجازات في مجال التصنيع والمجال الطبي والعلمي ، وفي مجال الاتصالات والمواصلات من سيارات وطائرات. وكان اختراع الراديو والتلفزيون والهاتف والكمبيوتر قد ساعد ويساعد في حياة أكثر يسرا" ، وأعظم سيطرة على الإنسان والمجتمعات. ولكن مع هذه المخترعات شهد العالم أيضا" سباق التسلح ليشهد العالم الصواريخ العابرة للقارات ، وأسلحة الدمار الشامل ، والسباق على غزو الفضاء. والصراع العلني والمستتر بين الدول الكبرى على الهمينة علي شعوب دول العالم الثالث ، والسيطرة على مقدراتها واقتسام ثرواتها.

وشهد هذا القرن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بزوغ الآمال للشعوب المقهورة في دول العالم الثالث ، ونهضت شعوب الجنوب المقهورة ، ولتنجز الاستقلال للعديد من دولها ، ولتحرر دولها من أشكال الاستعمار المباشر ، ومع حلول نهاية هذا القرن باتت أفريقيا مقسمة إلي أكثر من خمسين دولة ، ونشأت هذه الدول بحدودها الحالية بناء على الواقع الذي فرضه الاستعمار القديم الذي استعمرها ، وليترك وراءه إرثا" من حالات الصراع بين الدول المستقلة التي مزقت أبناء القبائل ، في دول عديدة تتناحر على الحدود ، وتتناحر القبائل في ما بينها ، ولتكون النتيجة مع نهاية القرن العشرين صورة قاتمة لشعوب الدول النامية ، ولتكون أكثر قتامة بالنسبة لأفريقيا التي حملت في الخمسينات والستينات الآمال العريضة لأبنائها ، ولكنها اكتشفت أن التنمية التي طمحت إلي تحقيقها

باتت بعيدة المنال ، وأنهكها الصراع الداخلي على السلطة والانقلابات العسكرية ، والفساد والظلم والمجاعات والفقر والديون الخارجية ، وانهارت المعايير الاجتماعية التقليدية في تلك المجتمعات ، وانتهكت حقوق الإنسان والشعوب في جميع المجالات ، ولعل حقوق الإنسان في الاتصال ، وحقوقه الثقافية ، وحقوق الهوية الثقافية الوطنية هي أكثر الحقوق انتهاكا لدي دول أفريقيا والعالم الثالث نتيجة للهيمنة الثقافية للدول الغربية ، وقد عزز هذا الواقع المرير ظهور أشكال جديدة من سيطرة المستعمر القديم على شعوب وبلدان هذه المنطقة.

لقد خرج الاستعمار القديم بعسكره وجنرالاته ولكنه بقى مهيمنا في جانبين، وهما أكثر أهمية وخطورة ، وهما الجانب الاقتصادي والجانب الثقافي (ومن خلال هذا يمكننا أن ندرك أن الهيمنة الاقتصادية والهيمنة الثقافية تجعلان قضية الحرية موضع تساؤل. وتجعل كذلك مسألة حقوق الإنسان والشعوب في مثل هذه الظروف مسألة فيها نظر. ذلك أن من لا يمتلك القدرة الاقتصادية سيكون رهينا لمن يمتلكها، وستصبح حقوق الإنسان أسيرة للظروف التي يمكنها أن توفر الأمن والأمان للمواطن.

ويمكن للمرء أن يدرك فداحة الواقع من خلال استعراض بعض الأرقام التي تنتج للمرء فهم الواقع الظالم الذي تعيشه دول العالم الثالث وأفريقيا على وجه الخصوص. وذلك من خلال مقارنة واقعها مع واقع الدول الصناعية وهي الدول المهيمنة على اقتصاد العالم، وعلى اتصالاته وإعلامه وثقافته وسنأخذ الأرقام التي أوردها تقرير التنمية البشرية لعام 1992 الذي نشره برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وسوف نقتبس فقط الأرقام التي تخص المتغيرات ذات الدلالة على واقع الاتصال والثقافة في أفريقيا، والتي لها تأثير مباشر في الثقافة، وممارسة الاتصال بشكل

فقد بلغ عدد سكان أفريقيا عام 1990 حوالي (624) مليون نسمة، وبلغ عدد الأمية بين الكبار في الدول الأفريقية جنوب الصحراء (155) مليونا وكان عدد الأطفال خارج المدارس الابتدائية والثانوية (80) مليون طفل ، وبلغ عدد السكان دون خط الفقر حوالي (60%) من السكان، وبلغ معدل الذين يجيدون القراءة والكتابة في أفريقيا جنوب الصحراء 51% وفي الدول العربية 58%، وأما معدل الالتحاق بالمدارس الابتدائية والثانوية في أفريقيا جنوب الصحراء 46% وفي الدول العربية 73% ونسبة المقيدين بالمرحلة الابتدائية بلغ 47 % من الأطفال والذين يكملون منهم المرحلة الابتدائية 63% والذين يكملون المرحلة الثانوية 41% وليصبح المقيدون بالمدارس الثانوية 17% ونسبة المقيدين في التعليم العالي 2%.

ويمثل الجدول رقم (1) مقارنة بين الأرقام البلدان الصناعية والنامية وأمريكا الشمالية والعالم فيما يتعلق باستخدام وسائل الاتصال لكل ألف نسمة.

	أجهزة الاستقبال	استقبال التليفزيون لكل	الهاتف	توزيع الصحف	الكتب المنشورة لكل

	الإذاعي لكل ألف نسمة	ألف نسمة			ألف نسمة
البلدان الصناعية	1008	493	466	337	49
البلدان النامية	173	51	26	43	
أمريكا الشمالية	2016	788	788	256	143
أفريقيا جنوب الصحراء	143	22	3	13	
العالم	369	153	127	142	

وتتمثل الفجوة الهائلة بين الشمال والجنوب كنسبة المئوية من متوسط الشمال كما يلي :
جدول (2) :

	أفريقيا جنوب الصحراء	الدول العربية	الشمال
معدل المقيدين بالتعليم العالي	5%	34%	100%
نسبة العلميين والفنيين	غير معروف	17%	100%
أجهزة الاستقبال الإذاعي	14%	23%	100%
توزيع الصحف المحلية	4%	12%	100%
أجهزة الهاتف	3%	12%	100%
القراءة والكتابة بين الكبار	53%	59%	100%
المقيدون في المدارس الابتدائية والثانوية	47%	76%	100%
معدل القراءة والكتابة	51%	58%	100%
المقيدون بالمدارس الابتدائية والثانوية	46%	73%	100%

2. حقوق الإنسان والشعوب في الاتصال

لقد كان الاتصال وسيظل هو النشاط الأهم في حياة الإنسان، من خلاله يتفاعل مع الآخرين، ويعبر عن أفكاره، وحاجاته، ومشاعره، وأحلامه، وبه يعبر عن شخصيته، وثقافته، وحريته ، وفكره، وهو نشاط يمكن أن تتجسد فيه معاني الكرامة الإنسانية وقيمها، ولذا كان هذا النشاط من أكثر الأنشطة خضوعا لمختلفة المعايير والضغوط والقوانين، والتي تشكل في جملتها تساؤلا أساسيا حول : إلى أي مدى يتم توفير حقوق الإنسان والشعوب في الاتصال ؟ وما هي الرؤية المستقبلية لمثل هذه الحقوق ؟

لقد اقر ميثاق الأمم المتحدة الحقوق التالية :

1- احترام حق جميع الشعوب في المشاركة في تبادل المعلومات على المستوى الدولي على أساس الإنصاف والعدل وتكامل المصالح.
2- حق كل دولة في استخدام مواردها الخاصة من المعلومات لحماية سيادتها والدفاع عن قيمتها السياسية والأخلاقية والثقافية واطلاع العالم على مصالحها وتطلعاتها.

3- احترام حق الجمهور والمجموعات الاثنية والاجتماعية والأفراد في الانتفاع بمصادر المعلومات والاشتراك على نحو فعال في عملية الاتصال.
4- الحق في احترام قيم الشعوب وحياة الإفراد الخاصة (المصمودي 1982 ص.ص 17-19).

- الحق والصدق : إن حق الإنسان في الاستفسار والحق في الحصول على المعلومات والحق في إبلاغ الآخرين ، جميعها ، حقوق تستلزم قول الحق وعدم إخفاء الحقيقة ، ومن خلال هذه الحقوق تتجسد مجموعة مبادئ أساسية تمثل حقوق الإنسان والشعوب في الاتصال وهي :

-مبدأ الحرية : الذي يعني حق الفرد في التعبير والاختيار بدون خوف وبدون ضغوط وحقه في معرفة الحقيقة والاطلاع على وجهات النظر المختلفة ، وهذا المبدأ يعني إلا يتم إخفاء الحقيقة عن الجمهور بحيث يصبح اختياره من بدائل متاحة ، ومن معلومات صادقة.

-احترام آراء الآخرين : إن حق المناقشة وحق الاختيار يستلزمان احترام الرأي الآخر والالتزام بآداب الحوار.

-احترام خصوصية الأفراد : إن للأفراد الحق في أن تكون لهم حياتهم الخاصة ، بحيث لا يتم اقتحامها وتجاوزها من قبل الإعلام و متطفلي وسائل الأعلام ، الذين يحالون اصطياد خصوصيات الأفراد وكشف أسرارهم مما يؤدي إلي تشويه سمعتهم وتجريحهم والإضرار بمصالحهم.

- **المساواة** : إن من حق الأفراد في المجتمع أن يلقوا معاملة تتصف بالمساواة مهما كانت أصولهم وأعراقهم وأعمارهم وجنسياتهم وجنسهم.
- **الإنصاف في تبادل المعلومات :** ويشتمل هذا المبدأ الأخلاقي علي تدفق حر للمعلومات وتوازن في عرض المعلومات وخصوصا" التوازن في تدفق المعلومات بين دول الشمال ودول الجنوب.
- **تحمل المسؤولية الاجتماعية :** لوسائل الإعلام وذلك بهدف حماية المجتمع وتعزيز قيمته.
- **الخصوصية الثقافية للشعوب :** إن كل أمة من أمم العالم لها هويتها الثقافية المتميزة التي يجب أن تصان وتعزز خصوصيتها.

وسائل الإعلام والحق في الاتصال

أكدت اللجنة الدولية لليونسكو لدراسة مشكلات الاتصال على حق الإنسان

في ما يلي :

أ) حق الاجتماع والحق في المناقشة والحق في المشاركة وما يتصل بذلك من حقوق تكوين الجمعيات .
ب) الحق في الاستفسار والحق في الحصول على معلومات والحق في إبلاغ الآخرين بالمعلومات وما يتصل بذلك من حقوق الإعلام.

ج) الحق في الثقافة أو الحق في الاختيار ، والحق في الحياة الخاصة ، وما يتصل بذلك من حقوق لا يمكن تحقيقها إلا من خلال توافر جملة ظروف ملائمة لانجازها ، مثل توافر المناخ الديمقراطي ، وتوفر المواد الضرورية التي تحقق الفرصة لاتصال بشري حر ، يتيح المجال للإفراد والمجتمعات الحصول على المعلومات ونشرها ، وتتيح لهم كذلك فرص الاختيار (ماكبرايد : 1981 ص.ص.356.356).

ومن خلال الحقوق التي أقرها ميثاق الأمم المتحدة ووثيقة اليونسكو ومن خلال الوظائف التي حددتها هذه الوثيقة يمكننا أن نتعرف على مجموعة من وظائف الاتصال.

4- وظائف الاتصال

تتمثل وظائف الاتصال كما أقرتها لجنة اليونسكو بما يلي :

1. **الإعلام : جمع** وتخزين ومعالجة ونشر المعلومات والإخبار والبيانات لفهم الظروف الشخصية والبيئية والقومية والدولية.
2. **التنشئة الاجتماعية :** وهي توفير رصيد مشترك من المعرفة يكفل مشاركة أعضاء المجتمع في الحياة العامة بوعي وتآزر.
3. **خلق الدوافع : دعم الأهداف المباشرة والثقافية** لكل مجتمع ، وتشجيع الاختيارات الشخصية ، ودعم أنشطة الإفراد والجماعات لتحقيق الأهداف.
4. الحوار والنقاش : بتوفير الحقائق اللازمة حول القضايا العامة ، وتوفير الأدلة لدعم الاهتمام والمشاركة الشعبية في الأمور المحلية والقومية والدولية.
5. التربية : بنشر المعرفة لتعزيز النمو الثقافي ، وتكوين شخصية الفرد ، واكتسابه للمهارات والقدرات اللازمة لمراحل العمر المختلفة.
6. النهوض الثقافي : وذلك بنشر الأعمال الثقافية والفنية للمحافظة على التراث ، وتوسيع آفاق الفرد ، وإشباع حاجاته الجمالية ، وإطلاق قدراته على الإبداع.
7. الترفيه : وذلك من خلال التمثيليات والرقص والفن والأدب والموسيقي والمسرح والألعاب ، بهدف الإمتاع والترفيه الشخصي والجمالي.
8. التكامل : يهدف توفير الفرص للأفراد والمجموعات والأمم للوصول إلي وسائل متنوعة تحقق حاجتهم في التعارف والتفاهم ، والتعرف على ظروف معيشة الآخرين ووجهات نظرهم وتطلعاتهم.
9. **إشباع حاجة الجماعات والمجتمعات : ككل من المعلومات** والبيانات من خلال المعلومات المتنوعة ، من معلومات سياسية ، وأحداث دولية ، ومحلية ، وأحوال ،

جوية ، ومعلومات سكانية واقتصادية ومالية ، تستطيع المجتمعات والحكومات أن تخطط للمستقبل ونتعامل مع غيرها من المجتمعات بناء علي هذه المعلومات (شون ماكبرايد : 1981 : 51- 53).

وإذا جاز لنا بحث هذه الوظائف بمنظور أخلاقي فإننا سنجد أنها تحمل في طياتها مجموعة من القيم الأخلاقية ، أو أن تحقيقها يحتاج إلي قيم أخلاقية إيجابية راسخة كي تعزز وجودها ، أو قيم أخلاقية سلبية تقوم بإفساد دورها. فوظائف الإعلام والتربية والتنشئة الاجتماعية والتكامل وإشباع حاجات الجماعات والمجتمعات من المعلومات ، كلها وظائف لا يمكن أن تتم بدون أن يتوفر الصدق كقيمة أساسية في معالجة المعلومات والبيانات والأخبار ، **فهنا يعتبر الالتزام بالحقيقة أمرا" لازما".**

ووظائف التنشئة الاجتماعية وخلق الدوافع والحوار والنقاش والتربية والنهوض الثقافي وظائف تتطلب الحرية كقيمة أساسية.

ووظائف التنشئة الاجتماعية والتربية والنهوض والترفيه تحتاج إلي الالتزام بالقيم الاجتماعية السائدة في مجتمع وسائل الإعلام.

اذن لا يمكننا تجاوز الدور الأخلاقي لوسائل الإعلام ولا يمكننا بالتالي أن نتجاوز المسؤولية الأخلاقية للإعلاميين أو للسلطات في تعاملها مع وسائل الإعلام.

5- تحديات تواجه الإعلام

وتحقيق هذه الوظائف ليس أمرا" ميسورا ، ذلك أن الإعلام نشاط يرتبط بمجموعة من العوامل الشخصية والمجتمعية والدولية ، فإن ثقافة الأفراد وتكويناهم النفسية المختلفة ، ومصالحهم ، وأوضاعهم ، الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، لتشكل جزءا" من التحديات التي تواجه الإعلامي في توجيه رسالته للأفراد.

وكذلك فإن العوامل المجتمعية ، السياسية والاقتصادية والثقافية والإيديولوجية لها تأثير بين في الإعلامي من جهة ، وفي المؤسسة الإعلامية ، من جهة أخرى ، وفي الرسالة الإعلامية من جهة ثالثة.

ولهذا ونحن نتحدث عن الإعلام في أفريقيا وما يواجهه من تحديات فأننا سنجد أن هناك من التحديات التي تواجه الإعلام الأفريقي ما يثبط العزم في تأدية رسالته على أكمل وجه.

ويمكننا تقسيم هذه التحديات ألي عدة مجموعات :

1. **تحديات سياسية :** وهي تتمثل في جملة من التحديات يأتي على رأسها الصراعات القبلية والتجزئة ، وما ينتج عنها من نزاعات إقليمية أفريقية وقضية الديموقراطية والفقر ، والهيمنة الغربية.

2- تحديات قانونية وتنظيمية : وتتمثل بالقوانين والتشريعات الحكومية والنقابية المنظمة للإعلام ، والقوانين الأساسية واللوائح المنظمة للمؤسسات الإعلامية.

3.تحديات من خلال السيطرة الحكومية :وهي تتمثل بالدستور وبالقوانين الإعلامية والقوانين التي تكفل الحريات والتراخيص والرقابة وأشكال الرقابة السابق أو اللاحق التي تفرض على وسائل الإعلام.

4. تحديات أيديولوجية : وهي تواجه الإعلامي . . حينما تكون هناك أيديولوجية للسلطة ، وأيديولوجية للكاتب ... وأيديولوجية القارئ وهذه تشكل تحديا" أساسيا" لا يمكن حل معضلته إلا من خلال الديمقراطية التي تتيح للآراء فرصة البزوغ.

5. تحديات تمويلية واقتصادية : وهي تتمثل بما يواجه الإعلام والمؤسسة الإعلامية من ضغوط وتأثيرات مباشرة وغير مباشرة تتمثل بما يلي :

- تأثير الممول على المتصل وعلى الرسالة الإعلامية .
- المعلن.
- **المستهلك.**
- **لمشترك** أفرادا" ومؤسسات وحكومة.
- **التوزيع .**
- **الحالة الاقتصادية : انتعاشا وركودا.**

6.عوامل مجتمعية :

وهي ذات أشكال متعددة فبعضها يتمثل في المستوي التعليمي للمجتمع وثقافتهم ، وما يمكن أن نسميه بالأمية التعليمية والأمية الثقافية ، وبعضها يتمثل بالمستوى الاقتصادي لأفراد المجتمع ، والبعض يتمثل بحجم الجمهور ، والبعض الآخر يتمثل بطبيعة القيم الاجتماعية والذوق الجماعي ، ونوع يرتبط بالضغوط التي تمارس من التنظيمات الفكرية والسياسية والثقافية ، ومن الجماعات الطائفية.

7. التحديات الخارجية :

وهي تتمثل بأشكال متعددة من الضغوط وبعضها يعتبر تدخلا" مباشرا" مثل اتصالات السفارات الأجنبية بالمجلات أو إرسال الرسائل إلي رؤساء التحرير. بالإضافة إلى الضغوط الاقتصادية عبر الاشتراكات أو الإعلانات أو الإعانات.

وكذلك تشكل المنافسة الإعلامية الخارجية والتكنولوجيا الإعلامية وما رافها الأهداف تدفق للمعلومات شكلا من أشكال التحديات الدائمة للإعلام.

8. عوامل مهنية : وهي مجموعة من التحديات التي ترتبط بنوعين من المؤثرات .

أ) عوامل مرتبطة بإدارة المؤسسة الإعلامية وتنظيمها وذلك من خلال أسلوب الإدارة. وأسلوب التنظيم ، وكفاءة الكادر وتجانسه، وأهداف المؤسسة الإعلامية .

ب) عوامل مرتبطة بطبيعة العمل الإعلامي وهذه ترتبط بـ المغربل (حارس البوابة) واعتبارات مهنية تتمثل بالمساحة والوقت وخدمات وكالات الأنباء.

إن هذه العوامل لا يمكن فصلها بعضها عن البعض الآخر فهي عوامل ديناميكية متفاعلة لأنها ترتبط بعملية الاتصال وتشكيلها.

ليست هناك رسالة إعلامية كامةل وناجحة مئة بالمئة، فالكمال في الجهد الإنساني غير موجود، وخاصة إذا كان يتعامل مع عملية الاتصال بتعقيداتها وديناميكيتها ولذا فإن طموح أي إعلامي يتمثل في تحقيق بعض النجاح لرسالته الإعلامية ، وأن محاولة اجتياز التحيات – أو على الأقل والتعامل معها بمنطق يستطيع أن يروضها – يستدعي التعامل مع عناصر عملية الاتصال بوعي وعلمية، بحيث تصبح أكثر قدرة على الإسهام في عملية اتصال ناجحة.

ولأن التحديات التي تواجه الإعلام ليست تحديات في مقدرة فرد واحد مواجهتها فإنها تحديات أقل ما يمكن أن نصفها به بأنها تحديات بيئية ومؤسساتية ومجتمعية ولكي يتم تجاوزها فإننا ننتظر من أكثر من جهة أن تسهم في مجابهتها.

فإننا لا نتوقع أن تحل مشكلة الديمقراطية في أفريقيا في يوم وليلة حتى ولو سنت القوانين التي تمنح الأفراد حرياتهم السياسية والفكرية. ذلك أن الحرية الفردية وإن كانت مقياسا لتقدم المجتمعات إلا أنها كذلك تستلزم تقبل الأفراد لتحمل المسئولية.

وبعض التحديات التي تواجه المؤسسات الإعلامية الإفريقية يمكن حلها والبعض الآخر من الصعب حله، فخلق المناخ الملائم لتأمين حق الإنسان في الاتصال ليس كافيا لتحقيق حق الشعوب في الاتصال ، حينما تعاني دولة ما من نقص في الموارد ونقص فاضح في المستوى الثقافي والتعليمي ، وعجز في الميزانية ، وعدم قدرة على امتلاك تكنولوجيا الاتصال واستخدامها.

إن تجاوز أزمة الإعلام ، عملية معقدة لحكومات والمؤسسات الإعلامية التعليمية والأفراد لأن الإعلام هو نتاج هذه البيئة.

6. الهيمنة الغربية على الاتصال الدولي

أشرنا إلى أن دول العالم تختلف من حيث الإمكانيات الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية ودرجة التطور، وهذا ينعكس ويتجسد في صورة حجم التدفق في المعلومات والاتصال في درجة استخدام تكنولوجيا الاتصال وخلال القرن الحالي تجسيد احتكار الغرب لتصنيع معدات وأجهزة الاتصالات (Hard ware) وكذلك سيطرته على المعلومات (Soft ware) عالميا، وكانت وكالات الأنباء الخمس المعروفة تحتكر وتسطر على نقل وتوزيع الأخبار في العالم ، ومن خلال رؤى هذه الوكالات كان يتم تشكيل رؤى الناس وتفكيرهم. واستطاعت هذه الوسائل أن تجعل تدفق الاتصال باتجاه واحد، وكانت تركز على قيم إخبارية سلبية وخصوصا تلك التي تتعلق بدول العالم الثالث.

ويلخص سيتفنسون شو (Stevenson & Show) الاتهامات الموجهة لهيمنة دول الشمال على الاتصال العالمي من خلال النقاط التالية :

1. يقوم الغرب بتحديد أخبار العالم وتحريفها واستبعاد قيم العالم الثالث غير الغربية منها، وهذا يعني بأنه يتم فرض قيم الغرب ويتم عرض صور التطور الثقافي لدول العالم الثالث من خلال عيوب الغرب واختياراتهم (وغربلتهم للأخبار) .
2. وهذه الغربلة الثقافية تستبعد كثيرا من دول العالم التي ليس للغرب مصالح آنية فيها.
3. إن القليل من المعلومات التي تنفذ من العالم الثالث نظام الأخبار العالمي هي أخبار تؤكد على أوجه التمزق في العالم الثالث.
4. تقوم وسائل الإعلام الغربية بنقل معالجة محرفة وسلبية للعالم الثالث والتي تنتقل إلى دول العالم الثالث نفسها نظرا لاعتمادها بشكل رئيسي على وكالات الأنباء الغربية
5. هناك نقص واضح في أخبار التنمية حول دول العالم الثالث. وهذه الاتهامات الموجهة إلى سيطرة الغرب على تدفق الاتصال باتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب تقود عمليا إلى الهيمنة الثقافية الغربية (Stevenson & Shaw 1984:8-9)

وفي السبعينات من هذا القرن برز حلم كبير عند شعوب العالم الثالث ، وكانت مظاهرة تتمثل في بعدين رئيسيين : نظام اقتصادي عالمي جديد ونظام إعلامي دولي جديد.

وقد حمل هذان البعدان معهما أملا في تحقق العدل والإنصاف والتوازن، ولم يخطر في بال أولئك الاقتصاديين والسياسيين والإعلاميين صورة لمستقبل العالم في نهاية القرن

العشرين ، ولا كان في بالهم ولا في بال أي متنبئ أن يخمن ما هي صورة النظام السياسي العالمي الجديد التي يمكن أن تكون.

ما طالبت به أغلبية شعوب العالم في السبعينات وفي الثمانينات من ضرورة ايجاد نظام عالمي جديد في المجالات السياسية والاقتصادية والإعلامية كافة، وجد آنذاك استجابات قوية في المحافل الدولية.. وعلى الخصوص في اليونسكو وكان يرأس اليونسكو آنذاك مختار أمبو (الأفريقي) والذي كان من المتحمسين لنظام إعلامي عالمي جديد يسهم في إزاء حقوق الإنسان والشعوب في الاتصال.

وكان إعلان اليونسكو لعام 1977 طالبت بتأسيس توازن جديد وتبادل أعظم باتجاهين في تدفق المعلومات، ورأى هذا الإعلان أنه من الضروري تصحيح تدفق المعلومات كميا ونوعيا من وإلى الدول النامية وصدرت بعد ذلك في الثمانينات الدراسة المعروفة التي أعدها فريق من اليونسكو على رأسهم مابرايد ، وكان عنوانها "أصوات متعددة وعالم واحد " ونشرت في طبعتها العربية في الجزائر عام (1981) .

وجسدت هذه الدراسة حلم وأمل الإنسانية في إعلام حر ومتوازن ، وكانت كل تلك الطموحات مشروعة في ظل نظام قائم على توازن القوى الدولية، وحالما سقط الاتحاد السوفييتي ، واستفردت أمريكا بقيادة العالم كله، تغيرت معه صورة الأولويات والطموحات التي كان شعوب العالم تطالب بها.

وقد أوضحت وثيقة اليونسكو مجالات الاختلال بقولها :

" إن الاختلال في توزيع الأخبار ظاهرة معقدة ومتشعبة ، فقد يكون الاختلال في الكم، وقد يكون في الكيف، وقد يحدث على مستويات مختلفة ويتخذا أشكالا مختلفة :أ) بين البلاد المتقدمة والبلاد النامية بقدر ما يتحدد التدفق الإعلامي بوجود البنى الأساسية الملائمة أو عدم وجودها معا، ب) بين البلاد ذات النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، ج) بين الدول المتقدمة المنتمية إلى النظام السياسي نفسه، وبخاصة بين الصغرى والكبرى منها، د) بين بلدان العالم الثالث ذاتها ، هـ) بين الأخبار السياسية والأخبار المتعلقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبلاد التي تناضل ضد مساوئ التخلف ، و) بين ما جرى العرف على تسميته بالخبر " السار" والخبر " السيئ " مثال ذلك أخبار الكوارث المتعلقة بالأحداث الجارية والمعلومات التي تتناول بمزيد من العمق موضوعات لها أهميتها في الحياة اليومية للشعوب والأمم. ولا شك أن ليس ثمة معيار عالمي واحد

يمكن بمقتضاه قياس هذه الاختلافات وضروب التفاوت ، إذ تختلف قيمة الخبر من بلد إلى بلد ومن ثقافة لأخرى. بل وأحيانا داخل البلد الواحد وعلى ذلك فمن المحتم أن يظل أي تعميم حول القيمة الخبرية شيئا غير محدد المعالم، على الرغم من أن مهني الإعلام والاتصال كثيرا ما يتفقون على عدد من العوامل التي تساهم في صناعة الخبر "(ماكبرايد نفسه :95).

إن هذه الصورة القاتمة الآن لأشكال عدم التوازن في تدفق المعلومات، وعدم الإنصاف في تناول دول العالم الثالث، أدت ومازالت تؤدي إلى خلق صور مشوهة عن شعوب العالم الثالث وتقود إلى أشكال من عدم الثقة في النفس وتؤدي دوليا إلى خلق مناخات غير ملائمة الأطفال مجالات التفاهم الدولي، وتقود بكل تأكيد إلى نوع من الهيمنة الثقافية للدول الغربية على ثقافات الدول الأفريقية، ودول العالم الثالث، ومما يعرض ثقافاتها الوطنية للخطر.

إن أشكال التدفق الإعلامي الحر وباتجاه واحد تقود في الغالب إلى الإحساس بالغبن وعدم الإنصاف لأن الآلية الإعلامية الغربية تقوم بتسويق ثقافاتها وقيمها الاستهلاكية التي تؤثر تأثيرا كبيرا في مشاريع التنمية في أفريقيا وفي دول العالم الثالث.

7. رؤية لأولويات حقوق الاتصال الأساسية في أفريقيا.

من خلال الصفحات السابقة قمنا باستعراض قضايا أساسية تتمثل فيما يلي :

أولا : تقر المواثيق الدولية حقوق الأفراد والشعوب في الاتصال ، وتقرها كذلك دساتير الدول وقوانينها، ولكن واقع تنفيذها يبقى أمرا مرتبطا بمجموعة من العوامل والتحديات المحلية والإقليمية والدولية.

ثانيا : الواقع الثقافي والتعليمي والاتصالي في أفريقيا والذي يبرر الفجوة الهائلة بني الدول الأفريقية وبين دول الشمال والتي تعكس عمليا واقعا ماديا متخلفا، لا يتيح اتصالا فعالا في أفريقيا ، ولا يفسح المجال أمام توفير ظروف ملائمة تصنع وتهيء لإقرار وتنفيذ الحقوق الاتصالية للإنسان والشعوب في أفريقيا.

ثالثا : إن تكنولوجيا الاتصال تنمو سريعا وبشكل مذهل وهذه التكنولوجيا تمتلكها دول الشمال وتعاين أفريقيا من حرمان حقيقي منها: ومقدرة دول الشمال على التحكم في الاتصال لدولي ويؤيد إلى هيمنة غربية على الاتصال ، وعلى حجم تدفق المعلومات من الشمال إلى الجنوب. ونتيجة ذلك تبعية افريقية للغرب. وتصبح المظاهر التبعية الأفريقية أكثر بروزا حينما تتوارى اللغات الأفريقية بعيدا عن مجال الاستخدام، ولتسيطر محلها لغات المستعمرين وخصوصا اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية، ونظرا للتطور الهائل في وسائل الاتصال الالكترونية والتي جعلت الإذاعات المرئية عبر القنوات الفضائية متاحة أمام شعوب العالم. فإن تهديدها للثقافات المحلية الأفريقية بات قويا. وحتى لو امتلكت الدول الأفريقية قنواتها الفضائية فإن إمكانية المنافسة مع المحطات الفضائية الأجنبية ستحكون غير متكافئة فهي من حيث الإنتاج لا تستطيع منافسة الغرب فنيا في الإنتاج الذي يمتلك التقنيات والمهارات القادرة على إنتاج برامج ودراما أفلام ذات مستوى راق، فالعالم الغربي يسطر على المعلومات ، سيطرة تكاد تكون شاملة. وإذا أخذنا في الاعتبار الآن توفير إمكانية الاتصال عبر شبكات المعلومات الدولية مثل الانترنت وما شابهها. فإننا

سنجد أن دور الشعوب الأفريقية سيظل محدود جدا لأساب عديدة بعضها اقتصادي وبعضها فني وتكنولوجي والبعض الأخر ثقافي. و هكذا ستبقى أفريقيا محرومة على مستوى الإنسان والشعوب من الإمكانيات الهائلة التي تقدمها شبكات الاتصال الحاسوبي.

رابعا : إن الواقع الأفريقي الذي يقسم القارة إلى أكثر من خمسين دولة ، تواجه العديد من المشكلات الاقتصادية والسياسية وتعبر عن نفسها بأشكال من الصراعات الأفريقية في داخل الدولة ذاتها، وبالإضافة إلى أشكال تبعية مطلقة للدول المستعمرة ، يجعل هذا كله مسألة حقوق الاتصال وتأمين حريته للأفراد والشعوب ليس أمر سهلا ويتمخض عن هذا جانبين :

1. عدم احترام حقوق الأفراد في الاتصال
2. تبعية المجتمعات الأفريقية الثقافية للغرب

ومن خلال هذا بات من الضروري أن يتم الركيز على مجموعة حقوق أساسية في الاتصال، والتي يجب أن تكتسب أولوياتها ، والعالم يخطو نحو القرن الحادي والعشرين ، في الوقت الذي فيه تتطور أشكال الاتصال الإلكتروني بأسلوب لا نظري له.

أشرنا إلى مجموعة حقوق الإنسان والشعوب في الاتصال الأساسية وسوف نقوم باستعراض تفصيلي لبعضها للتعرف على إمكانيات تحقيقها في ظل ظروف الهيمنة الغربية والتقدم التكنولوجي في مجالات الاتصال و الإعلام وهذه الحقوق الأساسية تتمثل فيما يلي

7-1-المساواة من حقوق الفرد والمجتمع:

تتعرض وسائل الإعلام للناس الذين يعيشون حياتهم في ظروف تجعلهم يختلفون عن بعضهم في المجتمع الواحد. فأفراد المجتمع يختلفون من حيث الأعمار، ويختلفون من حيث الثقافة، ويختلفون من حيث الدين ويختلفون من حيث العرق ويختلفون من حيث اللغة، إن الكثير من المجتمعات البشرية – وخاصة في أفريقيا – تتكون من فسيفساء ثقافية وعرقية. وأية ثقافة تحترم نفسها وتحترم قيم الديمقراطية والعدالة فإنها سوف تتيح فرص المساواة في مجتمعها بدون تمييز، ولا يمكن أن يكون العرق أو القبلية أو الطائفية حائلا دون حرية الاتصال، أو تكون عقبة تحول دون وصول الأفراد إلى المعلومات وفي الاتصال بعناصر ثقافتهم وجذورها،

ولا يمكن لثقافة ديمقراطية أن تحظر الاتصال نتيجة للأصول العرقية أو القبلية أو الطائفية مهما كان سبب الإدعاء كما فعل رئيس بلدية كوركورن من ضواحي باريس في فرنسا، فقد نقلت وكالة الأنباء الفرنسية أنه حظر الأطباق التي يلتقطها بث التليفزيونات

العربية، بينما تلتقط الأطباق في أفريقيا والوطن العربي شبكات التلفزة الفرنسية، وقد جاء في هذا الخبر الذي نقلته وكالة الأنباء الفرنسية :

" فجر رئيس بلدية كوركورن في ضواحي باريس مجددا الجدال المتعلقة باستقبال شبكات التلفزة العربية في فرنسا عندما الغى في مدينته الأطباق التي تتيح التقاط هذه الشبكات عبر القمر الصناعي. وقد برز رئيس البلدية الاشتراكي قراره رسميا بأسباب أمنية وجمالية . ولكنه لم يخف أن قراره سيمنع المشاهدين في مدينته التي يقطنها نسبة كبيرة من المغاربة والأتراك من التقاط شبكات التلفزة في بلدانهم لئلا يبقوا متجذرين في ثقافاتهم الأصلية ، بدلا من الاندماج في مجتمعاتهم الجديدة التي اختاروها.. وأخيرا سمح لشبكة عربية واحدة بالبث هي القناة الفضائية المصرية لكنها لم تبث أبدا ، فيما يتمكن المشاهدون في الدول العربية من التقاط الكثيرة من شبكات التلفزة الفرنسية " (جريدة الرأي 1995/8/11).

وفي المقابل يصل بث شبكات التليفزيون الفرنسية عبر الأقمار الصناعية إلى الدول الأفريقية والعربية ويستقبلها المشاهدون الأفارقة والعرب ولم يعترض أي مسؤول أفريقي أو عربي على ذلك. ولا يمكن أن يتم دمج أفراد المجتمع بدون احترام أصولهم الثقافية ، والتعامل بمساواة بين فئات المجتمع كما تعامل فئات المجتمع الأخرى. وقد أكدت وثيقة اليونسكو هذا المبدأ إذ جاء فيها :

" إن المبدأ الذي يجب أ، يحترم في ما يتعلق بالاختلافات العرقية والثقافية والدينية ، هو أن كل فرد – سواء أكان سنهاليا أم من التأميل، من اليوروبا أم الايبو، هندوسيا أم مسلما ، بروتستانتيا أم كاثوليكيا – هو كائن بشري في المقام الأول له نفس احتياجات وتطلعات الكائنات البشرية الأخرى نفسها ، وأنه في المقام الثاني مواطن له الحق في المعاملة المتساوية طبقا للقانون والحق في التعبير عن آرائه السياسية وفضلا عن ذلك فإن أعضاء الأقليات لهم أيضا حق يتمثل في عدم دفعهم إلى التماثل أو الالتزام بالعادات الاجتماعية أو اللغة أو العقيدة الخاصة بالأغلبية في الدولة. ويجب على كل دولة أو أمة أن تفهم أن تحقق مكاسب في ثروتها الثقافية بقبولها هذا النوع " (ماكبرايد 1981-392) .

7-2- احترام الخصوصية للأفراد حق من حقوق الإنسان

من حق الأفراد في أي مجتمع أن يعيشوا حياتهم الخاصة، بدون أن يتم تعرض خصوصياتهم للانكشاف. فالفرد له الحق في أن يعيش حياته بطريقته الخاصة، وله الحق في أن يحتفظ بأسراره مادام ذلك لا يخالف القانون، ولا يسيئ إلى الآخرين ولا يتعرض للقيم العامة، ولا يسيء إلى آداب المجتمع، وعلى سبيل المثال للفرد الحق في أن يظل ملفه الطبي سريا خاصا به ، وأن يظل ملفه المالي وحساباته خاصة به. ولعله مع ازدياد تقنيات وسائل الإعلام ومع تعدد هذه الوسائل من إذاعة مسموعة ومرئية وصحف وقنوات فضائية وتلفزيون خطي Cable Television وشبكة الانترنت تبحث عن الإثارة، فإن التوجه نحو غزو الخصوصية سيزداد عما هي عليه الآن، وعلى الرغم من أن القوانين

الإعلامية ومواثيق الشرف الإعلامية ومواثين المهن الإعلامية تركز على حق الأفراد في الخصوصية إلا أن هذا الحق لا يزال احترامه بعيد المنال.

7-3- احترام الذات القومية حق من حقوق الإنسان والمجتمع

كما أن للأفراد خصوصيتهم فإن كل شعب من شعوب العالم له ذاته القومية خصوصيتها، ومن حق شعوب هذه الأرض أن يتم التعبير عن هوياتها الثقافية وتعزيزها الخصوصية وباتت ثورة الاتصال تهدد الهوية الثقافية في كثير من المجتمعات. فالدول الأكثر قدرة على امتلاك وسائل الاتصال والأكثر قدرة على التحكم في تدفق المعلومات وتوزيعها وبيعها هي الدول الأكثر هيمنة ثقافية. وهي بالتالي تقوم بتصدير ثقافاتها وتعمل على فرضها بطرق واضحة أو خفية، وقد أصبح هذا الموضوع من الأمور الأكثر أهمية، وبدأ الاهتمام بدراسته تحت عناوين مختلفة مثل الغزو الثقافي والاستعمار الإلكتروني ، والغزو الإعلامي وغيرها من العناوين.

إن أي شعب من الشعوب له تراثه الخاص وله ثقافته ويجب السعي من أجل المحافظة عليهما ونشرهما، والعمل على تطويرهما بدون فقدان الهوية القومية، ولا يمكن أن يتم ذلك دون احترام الثقافة القومية وتعزيزها ودون احترام الثقافات الأخرى وتقديرها، وقد كتب د. مصطفى المصمودي في كتابه "النظام الإعلامي الجديدة " دعوة صريحة إلى بناء نظام إعلامي جديد.

" ... فهذا النظام الجديد يهدف إلى الإسهام بقدر وآخر في تفتح الإنسان والرفع من مستواه الذهني، بتشجيع الخلق والإبداع الثقافي، وتمكين الثقافات الوطنية من التكافل، ومن إحياء ذاتياتها، بالاحتكاك بغيرها، والمشاركة في إثراء التراث الثقافي على الصعيد العالمي. كما يهدف هذا النظام الجديدة إلى تمكين كل أمة من تعريف الرأي العام العالمي بقيمها الاجتماعية والثقافية وجلب الاحترام والتقدير لاختياراتها في أوسع مفهوم (المصمودي 1985 : 206 : 207) .

والنظام الإعلامي الجديد لديه ينادي في الوقت نفسه بالحفاظ على الحياة الثقافية، من أجل تلافي صهر عقلية المواطن في نمط واحد ، تحت تأثير الصناعات الثقافية وصون الذاتية الثقافية والتراث التقليدي الوطني ضد مختلف أشكال الغزو الفكري الأجنبي.

والمقصود أخيرا، من هذا النظام هو مواجهة المواقف السلبية الناتجة عن أساليب الترويج والإعلانات التجارية، وتلافي العواقب الناجمة عن بعض جوانب هذا النوع من الإعلام ، التي تنال من القيم الأخلاقية والثقافية في مختلف المجتمعات (المصمودي: المصدر نفسه) .

7-4- المسئولية الاجتماعية نحو حقوق الفرد والمجتمع

إن الأهمية التي تمثلها وسائل الإعلام تتمثل في جانب منها بحجم القوانين التي وضعت لتنظيم أنشطتها، وخلال ثلاثة قرون من عمر الاتصال الجماهيري، مرت وسائل الاتصال في مراحل عديدة من التطور ومن أساليب للسيطرة عليها ومن فلسفات ورؤى مختلفة توجهها، وهكذا نجد أن سيبرت ورفاقه Siebert et. alيرون أن نظريات عديدة سادت منذ القرن السادس عشر حتى اليوم. وهي تتمثل بالنظرية السلطوية التي سادت في بريطانيا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، واستمدت فلسفتها من فلسفة السلطة المطلقة للملك. أو حكومته، ثم النظرية السوفيتية الشمولية التي استمدت فلسفتها من الفكر الماركسي – اللينيني ، ثم النظرية الليبرالية التي انتشرت في القرن الثامن عشر في بريطانيا والولايات المتحدة واستمدت فلسفتها من كتابات ملتون وجون لوك وجون ستيورات مل، ثم سادت في مطلع القرن العشرين نظرية المسئولية الاجتماعية في الولايات المتحدة واستندت في فلسفتها إلى كتابات هوكنج ولجنة حرية الصحافة (Sibert et. al:1963) وكانت هذه النظريات الأربع تحمل في طياتها مفاهيم مختلفة للمسئولية الاجتماعية.

وقد قدمت نظرية المسئولية الاجتماعية بديلا للنظرية الليبرالية حرصا على أداء أفضل وسائل للإعلام تجاه المجتمع المسئولية الاجتماعية على مسلمات أساسية (Sieber et.al:79-92) إذ بناء عليه يجب:

أولا : أن تقوم وسائل الإعلام بتزويد المجتمع المعاصر بالأحداث الصادقة والشاملة والذكية في سياق يجعل لها معنى. وهذا يعني أن تكون وسائل الإعلام دقيقة ولا تكذب . وأن تفرق بين الحقيقة والرأي.

ثانيا : أن تقوم وسائل الإعلام بالعمل كمنبر لتبادل الملاحظات والنقد. وهذا يعني بأنها يجب أن تسمح بالتعبير عن وجهات النظر المتعارضة مع رأيها وعليها أن تحاول عرض جمع وجهات النظر المهمة سواء التي تتفق مع الناشر أو تخالفه.

ثالثا : على وسائل الإعلام أن تبرز صورة ممثلة للعناصر المكونة للمجتمع بحيث تصور الجماعات المختلفة في المجتمع بموضوعية.

رابعا : أن تكون مسؤولة عن تقديم وتوضيح أهداف وقيم المجتمع، وعليها قبول قيم المجتمع واحترامها الخصال التقليدية للمجتمع.

خامسا : وهي المسئولية عن تزويد الجمهور بالمعلومات اليومية، ولذا فإن للجمهور الحق بالوصول إلى المعلومات وله الحق بأن يعلم وأن وسائل الإعلام التي تقوم بتنظيم الحواجز لتدفق الأخبار والمعلومات إلى الجمهور (أبو أصبع : 257-285)

ولا تطرح نظرية المسئولية الاجتماعية موضوعة الحرية على اعتبار أنها قيمة مطلقة بل أن الحرية نسبية ومقيدة وكما يرى ريفرز ورفاقه:

" تقريبا فإن أي نظام إعلامي خاضع إلى سيطرة تشريعية أساسية ومن بينها قانون مصمم لحماية الأفراد أو الجماعات في مواجهة القذف، وقانون حماية حقوق المؤلف لحماية المؤلفين والنشارين وتشريع أساسي مصمم لحماية المعيار العام للاحتشام والأدب وقانون أخر لحماية الدولة ضد الخيارة والعبارات التحريضية وتقريبا فإن كل شخص (بمن فيهم الصحفيين) يتفقون على هذه القيود ، مؤمنين بأنه حتى النظام الحر يجب ألا يسمح لوسائل الاتصال الجماهيري التشهير بالبرئ أو سرقة الملكية الأدبية ، أو أثارة المعنويات العامة أو تبرير الخيانة (Revers et.al. 1980:53-54). إن الحاجة ماسة إلى ضوابط تنظم عملية الاتصال لتلتزم بالقيم الاجتماعية والقيم الخلقية في المجتمع، والحيلولة دون انتهاك الحرمة أو الخصوصية للأفراد.

إن إحدى السمات المهمة للصحافة والتلفزيون والإذاعة بأنها لا تخاطب فردا وإنما تخاطب المجتمع بكامله، وهذا يستدعي أن تخطط المؤسسات سياساتها بناء على هذا الأساس. ولهذا فإن من أهم مسئوليات وسائل الإعلام هي الحفاظ على المجتمع وتماسكه والعمل على اندماج أفراده وجماعاته.

ويتحدث أنتوني سميث عن دور الإعلاميين بقوله : " ويزودنا بالرموز السياسية والخيال وتؤدي بذلك وظيفة إضفاء الشرعية والتسجيل ، وأما رموز الجماعات المتجاهلة (في المجتمع) أو الطبقات المقموعة في داخله فيتم تجاهلها ومن ثم قمعها.

والسياسة والصحافة سلطتان لا يمكن فصلهما وهما ساحات معارك متداخلة، وفي الواقع أن أخبار وسائل الإعلام يمكنها أن تنتزع مجموعة من موقعها من خلال حلبة التفاعل وذلك عن طرق الكتابة عنها إما بتحريفها أو التقليل من شأنها (Smith 1978.134)

ولعل الالتزام بالمسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام تجاه المجتمع من متطلبات حماية المجتمع، وترسيخ قيمة الايجابية ، وإتاحة الفرصة لكل الجماعات والطبقات في المجتمع للتعبير عن نفسها، بدون محاولات لتجاهلها، أو قمعها، أو تقديم صور مشوهة عنها.

8- الخاتمة :

هانحن ندخل القرن الحادي والعشرين الذي تتشكل فيه بوادر عالم جديد، فيه تقترب المسافات أكثر، وتزداد هيمنة الاتصال وقدراته أكثر فأكثر ، وتزداد فيه الهوة بين الشعوب في مجالات التكنولوجيا والرفاة والديمقراطية ، وتوفير مطلبات الإنسان في المعرفة والعلوم والتعامل مع البيئة، وهذه تحديات تزداد يوما إثر يوم، ومعها تزداد مسئوليات المثقف العربي نحو مجتمعة ، وتصبح مسئولياته أعظم في التعامل مع وسائل الإعلام.

وعلى الرغم من أن هذه العناصر فيها شئ من التداخل إلا أن التركيز عليها واعتبارها قيما أساسية وثابتة تجعل دور وسائل الاتصال الجماهيري أكثر إنسانية ، وإذ كان القرن الحادي والعشرين يدخله البشر بتفاؤل فإن صورة العالم باتت تختفي فيه الحدود تحت موجات الاتصال الدولي. إن التشكيلات الحديثة لخارطة العالم السياسية لن تكون واضحة المعالم مع بدايات القرن الحادي والعشرين. ولكن – بكل تأكيد – فإن صورة الاتصال الدولي وانفتاح الأبواب هي أكثر المعالم وضوحا فيه.

أضحى الإنسان قادرا من خلال شبكات الأقمار الصناعية أن يستقبل عشرات المحطات التليفزيونية ، واستطاعت تكنولوجيا الكمبيوتر ومن خلال الموديم أن تمكن المرء في عمان أو طرابلس أو دبي أو لاجوس أن يتصل من بيته بشبكة معلومات في باريس أو نيويورك أو لندن .. فأية حدود ستبقى بعد ذلك؟

إن هذا التساؤل جوهري.. لأنه يعني حدودا تتجاوز خطوط السياسة، لتخترق آفاق الثقافة، وسيصبح التساؤل حول إمكانية احترام الذاتية القومية وصيانة الثقافة القومية والثقافات الشعبية تساؤلا جوهريا.

إن المستقبل لا يبشر بعالم تتساوى الشعوب فيه بإمكانياتها الاقتصادية والتكنولوجية والمعلوماتية، وستظل الفجوة قائمة بين العالم في الإمكانات السالفة، مما سيبقى قضية التوازن والإنصاف في تبادل المعلومات من أولويات القرن الحادي والعشرين.

وعلى الرغم من التوجه العالمي نحو الديمقراطية ، والدفاع عن حقوق الإنسان – ومهما كانت النيات من وراء هذه التوجهات والمصالح التي تدفع إليها – فإنه ليس من

المتوقع أن تصبح الديمقراطية والعدل وحقوق الإنسان قيما ثابتة لدى الأنظمة المختلفة التي تسود العالم. وخصوصا أنظمة الحكم في أفريقيا ودول العالم الثالث بشكل عام.

إن أزمة وسائل الاتصال وحقوق الإنسان هي أزمة تاريخية متصلة، فمن يملك القوة والنفوذ ومن يملك وسائل الاتصال، ومن يملك الحق في التوصيل، ومن يملك الحق في حجب الاتصال، وتحديد نوعيته وكميته سوف يظل المهيمن على منح حق الاتصال ومنعه، وسيظل مهيمنا على القيم الأخلاقية والإعلام وحراستها أو تشويهها.

إن القضية الأساسية في الإعلام ، تتمثل باحترام إنسانية الإنسان بما يعنيه ذلك من احترام لحريته، وحقه في المساواة والعدل، والصدق فيما يقال له وما يقوله، وإن الأمل في مستقبل أفضل للإنسان ولوسائل إعلامه سيظل حلما ، وسيكبر هذا الحلم ونحن ندخل عالم القرن الحادي والعشرين.

المراجع :

1. أبـو أصـبع ، صـالح، الاتصـال والإعـلام فـي المجتمعـات المعاصـرة، (عمـان ، دار آرام للدراسـات والنشر والتوزيع :1995)

2. برنامج الأمم المتحدة الألمـاني، تقريـر التنميـة البشـرية لعـام 1993 ، (نيويـورك ، اكسـفورد ، مطبعـة اكسفور : 1992)

3. المصمودي، مصطفى ، النظام الإعلامي الجديد، (الكويت، المجلس الوطني للثقاة والآداب : 1985)

4. شون ماكبرايد ورفاقه، أصوات متعددة وعـالم واحـد، (الجزائـر، اليونسـكو والشـركة الوطنيـة للتوزيـع والنشر : 1981).

5- Stevenson. Robert L. & Donalad L. Shaw. (eds).

Foreign New & New World information Order (Amesi the lowo State University Press 1984).

6. جريدة الرأي الأردنية 1995/8/11.

7. Siebert. Fred S. Theodor Peterson & Wilbur Sharm:

Forur Theories of the Press (Urbana : University of Lihons Press :1963

Mass Communication (New Yourk: Harper & Row : 1980).

9. smith . Anthony . The polities of Information (London. The macmillan Press : 1987).

الفصل الثامن

وسائل الاتصال الجماهيري والأخلاق

(رؤية لمسئولية الإعلام الأخلاقية في القرن الحادي والعشرين)

الفصل الثامن

وسائل الاتصال الجماهيري والأخلاق

(رؤية لمسئولية الإعلام الأخلاقية في القرن الحادي والعشرين)

مدخل

في نهاية القرن العشرين يمكن للمرء أن يرسم صورة حية للعالم ، فهو عالم يموج بالمتناقضات ، هناك الدول الغنية وهناك الدول الفقيرة ، هناك الدول التي تؤمن بالتقدم وتسعي إليه ، وهناك من لا يؤمن بهذه الفكرة ، هناك الدول ذات القوة الاقتصادية التي لديها أنظمة اتصال دولية ، وهناك دول بالكاد تستطيع تدبير أمور اتصالها محليا". هناك من الدول التي تؤمن بقيم إنسانية مبنية على العدل والمساواة. وهناك من الدول من تؤمن بالقوة والسيطرة والغاية تبرر الوسيلة. هناك من الدول من تؤمن بالديمقراطية والحرية وهناك من لا يؤمن بها. وهناك من يؤمن بحرية وسائل الاتصال وحق الإنسان بها ، وهناك من لا يؤمن بها ، وهناك أنظمة شمولية.وهناك أنظمة ملكية . إنه عالم تتعدد فيه أوجه الاختلاف والظروف والقيم مما جعل التنبؤ بالمستقبل أمرا" صعبا".

ونحن ندخل القرن الحادي والعشرين ، يحق للبشرية أن تتساءل أي أخلاق يمكن أن تحكم العالم في القرن القادم ؟ إن هذا التساؤل له وجاهته. فإن ما يميز المرء عن غيره من الكائنات ، كان دوما" هذا الحس الأخلاقي الذي يسمو بإنسانيته عن سائر المخلوقات. إن السعي نحو الكمال وتحقيق إنسانية البشر هو سعي نحو التزام بقيم أخلاقية تعزز كرامة الإنسان وتفسح له المجال للحياة في مجتمع إنساني يسوده العدل والمساواة والحرية.

ولقد كان الاتصال وسيظل هو النشاط الأهم في حياة الإنسان من خلاله يتفاعل مع الآخرين ويعبر عن أفكاره ، وحاجاته ، ومشاعره ، وأحلامه ، وبه يعبر عن شخصيته ، وثقافته وحريته ، وفكره وهو نشاط يمكن أن تتجسد في معاني الكرامة الإنسانية وقيمها ، ولذا كان هذا النشاط من أكثر الأنشطة خضوعا" لمختلف المعايير والضغوط والقوانين التي تشكل في جملتها تساؤلا" أساسيا" حول :أية صلة تقوم بين الإعلام والأخلاق وما هي الرؤية المستقبلية لمثل هذه الصلة ؟

لقد أقر ميثاق الأمم المتحدة الحقوق التالية :

1. احترام حق جميع الشعوب في المشاركة في تبادل المعلومات على المستوى الدولي على أساس الإنصاف والعدل وتكامل المصالح.
2. حق كل دولة في استخدام مواردها الخاصة من المعلومات لحماية سيادتها والدفاع عن قيمها السياسية والأخلاقية والثقافية واطلاع العالم على مصالحها وتطلعاتها.
3. احترام حق الجمهور والمجموعات الأثنية والاجتماعية والأفراد في الانتفاع بمصادر المعلومات والاشتراك على نحو فعال في علمية الاتصال.
4. الحق في احترام قيم الشعوب وحياة الإفراد الخاصة (المصمودي(1982: 17 -19).

ولقد حددت وثيقة اليونسكو (وأصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغدا") وظائف الاتصال بتسع وظائف وهي :

1. الإعلام : جمع وتخزين ومعالجة ونشر المعلومات والأخبار والبيانات لفهم الظروف الشخصية والبيئية والقومية والدولية.
2. **التنشئة الاجتماعية : وهي** توفير رصيد مشترك من المعرفة يكفل مشاركة أعضاء المجتمع في الحياة العامة بوعي وتآزر.
3. خلق الدوافع : دعم الأهداف المباشرة والنهائية لكل مجتمع ، وتشجيع الاختيارات الشخصية ودعم أنشطة الأفراد والجماعات لتحقيق الأهداف.
4. الحوار والنقاش : بتوفير الحقائق اللازمة حول القضايات العامة وتوفير الأدلة لدعم الاهتمام والمشاركة الشعبية في الأمور المحلية والقومية والدولية .
5. التربية : بنشر المعرفة لتعزيز النمو واكتسابه للمهارات والقدرات اللازمة لمراحل العمر المختلفة.
6. النهوض الثقافي : وذلك بنشر الأعمال الثقافية والفنية للمحافظة على التراث وتوسيع آفاق الفرد وإشباع حاجاته الجمالية وإطلاق قدراته على الإبداع.
7. **الترفيه :** وذلك من خلال التمثيليات والرقص والفن والأدب والموسيقى والمسرح والألعاب بهدف الإمتاع والترفيه الشخصي والجمالي.
8. **التكامل :**بهدف توفير الفرص للأفراد والمجموعات والأعم للوصول إلي وسائل متنوعة تحقق حاجتهم في التعارف والتفاهم والتعرف على ظروف معيشة الآخرين ووجهات نظرهم **وتطلعاتهم.**
9. **.**إشباع حاجة الجماعات والمجتمعات ككل من المعلومات والبيانات من **خلال** المعلومات المتنوعة من سياسية وإحداث دولية ومحلية وأحوال جوية ومعلومات سكانية واقتصادية ومالية.

تستطيع المجتمعات والحكومات أن تخطط للمستقبل وتتعامل مع غيرها من المجتمعات بناء" على هذه المعلومات (شون ماكبرايد 1981 : 51-53).

وإذا جاز لنا بحث هذه الوظائف بمنظور أخلاقي فإننا سنجد أنها تحمل بين طياتها مجموعة من القيم الأخلاقية. أو أن تحقيقها يحتاج إلي قيم أخلاقية إيجابية راسخة كي تعزز وجودها. أو إلي قيم أخلاقية سلبية تقوم بإفساد دورها. فوظائف الإعلام والتربية والتنشئة الاجتماعية والتكامل وإشباع حاجات الجماعات والمجتمعات من المعلومات. كلها وظائف لا يمكن أن تتم بدون أن يكون الصدق قيمة أساسية في معالجة المعلومات والبيانات والأخبار فهنا يعتبر الالتزام بالحقيقة أمرا لازما.

ووظائف التنشئة الاجتماعية وخلق الدوافع والحوار والنقاش والتربية والنهوض الثقافي وظائف تتطلب الحرية كقيمة أساسية.

ووظائف التنشئة الاجتماعية والتربية والنهوض الثقافي والترفيه تحتاج إلى الالتزام بالقيم الاجتماعية السائدة في مجتمع وسائل الإعلام .

إذن لا يمكننا تجاوز الدور الأخلاقي لوسائل الإعلام ولا يمكننا بالتالي أن نتجاوز المسئولية الأخلاقية للإعلاميين أو للسلطات في تعاملها مع وسائل الإعلام.

وسائل الإعلام والحق في الاتصال : قيمة أخلاقية هل يمكن أن تحترم ؟

أكدت اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال – اليونسكو – على حق الإنسان في ما يلي :

أ) حق الاجتماع والحق في المناقشة والحق في المشاركة وما يتصل بذلك من حقوق تكوين الجمعيات.

ب) الحق في الاستفسار والحق في الحصول على معلومات والحق في إبلاغ الآخرين بالمعلومات وما يتصل بذلك من حقوق الإعلام .

ج) الحق في الثقافة أو الحق في الاختيار. والحق في الحياة الخاصة ، وما يتصل بذلك من حقوق التنمية الاتصالية بذلك (شون ماكبرايد : 365- 366).

وهذه الحقوق لا يمكن تحقيقها إلا من خلال توافر جملة ظروف ملائمة لإنجازها، مثل توفر المناخ الديمقراطي ، وتوفر الموارد الضرورية التي تحقق الفرصة لاتصال بشري حر، يتيح المجال للأفراد والمجتمعات الحصول على المعلومات ونشرها ، وتتيح لهم كذلك فرص الاختيار.

ومن خلال الحقوق التي أقرها ميثاق الأمم المتحدة ووثيقة اليونسكون ومن خلال الوظائف التي حددتها هذه الوثيقة ، يمكننا أن نستنبط مجموعة من العاصر ذات الجوانب الأخلاقية ومن أهمها :

1. قول الحق والصدق: إن حق الإنسان في الاستفسار والحق في الحصول على المعلومات والحق في إبلاغ الآخرين، جميعها حقوق تستلزم قول الحق وعدم إخفاء الحقيقة.
2. مبدأ الحرية : الذي يعني حق الفرد في التعبير والاختيار بدون خوف وبدون ضغوط ، وحقه في معرفة الحقيقة والاطلاع على وجهات النظر المختلفة، وهذا المبدأ يشمل فيما يشمل ألا يتم إخفاء الحقيقة عن الجمهور بحيث يصبح اختياره من بدائل متاحة ومن معلومات صادقة.
3. احترام أراء الآخرين: إن حق المناقشة وحق الاختيار يستلزمان أن نحترم الرأي الآخر والالتزام بآداب الحوار.
4. احترام خصوصية الأفراد : إن للأفراد الحق في أن تكون لهم حياتهم الخاصة بحيث لا يتم اقتحامها وتجاوزها من قبل الإعلام ومتطفلي وسائل الإعلام ، الذين يحاولون اصطياد خصوصيات الأفراد وكشف أسرارهم مما يؤدي إلى تشويه سمعتهم وتجريحهم والإضرار بمصالحهم
5. احترام الذاتية القومية : كما أن للأفراد الحق في الخصوصية، فإن شعوب العالم لها ثقافاتها الخاصة. وحاجتها الحفاظ على ثقافتها القومية وتنميتها ضرورة لا يمكن تجاوزها ، ولذا فإن احترام الذاتية القومية قيمة أخلاقية يجب أن تلتزم بها شعوب العالم باحترام ثقافات الشعوب الأخرى.
6. المساواة : إن حق الأفراد في المجتمع أن يلقوا معاملة تتصف بالمساواة مهما كانت أصولهم وأعرافهم وأعمارهم وجنسياتهم وجنسهم.
7. الإنصاف في تبادل المعلومات : وما يشتمل عليه هذا المبدأ الأخلاقي من تدفق حر للمعلومات وتوازن في عرض المعلومات.
8. تحمل المسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام : ذلك بهدف حماية المجتمع وتعزيز قيمه.

وسوف ندرس هذه المبادئ بشئ من التفصيل

أولا : المصداقية :

لعل من الملفت للانتباه ذلك التحليل الذي قدمه ابن خلدون وفيه يشير إلى أسباب تحيز المتصل ودواعي تطرق الكذب إلى الخبر حيث رأى أن ذلك يرجع إلى :

1. التشيع للآراء والمذاهب، حيث يقول (إذا خامرها النفس) تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع

غطاء على عين بصيرتها على الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله).

2. النقل عن مصادر يعتبرها المخبر ثقة دون التحقق من صحة البخر (فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب)
3. إن المخبر يتوهم الصدق في الخبر وكما يقول ابن خلدون : (ومنها توهم الصدق وهو كثير وإنما يجئ في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه).
4. أن ينقل الخبر منافقة ورياء وتقربا لذوي الجاه والسلطان للتقرب منهم بالثناء وإشاعة ذكر أخبارهم على غير حقيقة.
5. أن تنقص المخبر المعرفة والخبرة في ما يكتب (فإذا كان السامع عارف بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب. (ابن خلدون، المقدمة : ص.ص. 35-36).

إن هذا العناصر التي تحدث عنها ابن خلدون تمس جوهر العملية الاتصالية في جانبها الأخلاقي وهو جانب الصدق، والذي يعد أساسا لمواثيق شرف المهن الاتصالية، وقد أصدر الاتحاد العام للصحفيين العرب دستوره في 1964/2/21 واشتملت الفقرة (ب) من الدستور على ميثاق العمل وبها من العناصر ما يرتبط بمبدأ الصدق والأمانة العملية وعدم تضليل الجمهور.

وهنا سوف تشير إلى العناصر التي ترتبط بمصداقية الكلمة. المتمثلة بالثوابت التالية:

1. حرية الصحافة : وهي من أبرز مظاهر حرية الكلمة ويجب أن تتوافر لها كل الضمانات، وحرية الكلمة حق وشرف وواجب على الصحفيين العرب لأداء رسالتهم.
2. على الصحفي أن يتوخى الأمانة والصدق في بسط وتفسير رأيه وأن يراعي دائما المصلحة العامة في كل ما يقدم للرأي العام.
3. على الصحفي أن يكون حريصا وعليه ألا يشوه أو يخفي بأية طريقة من الطرق عمدا الوقائع الصحيحة.
4. إن شرف مزاولة المهنة الصحفية يحتم على الصحفي ألا يسعى مطلقا وراء منفعة شخصية ، فالافتراء ، أو التشهير المتعمد، أو التهم التي لا تستند إلى دليل ، أو انتحال أقوال وينسبها للغير، أو إثارة الغرائز بالكتابة أو الرسوم أو بأية طريقة أخرى. أو إشاعة الانحلال والابتذال. والخروج على الآداب والأخلاق العامة ، أو وصف الجريمة بطريق تغري بارتكابها، كل هذا ما يتنافى مع شرف المهنة وأصولها. (فلحوظ والغازي ، 1982 : 12-13)

وأضافت توصيات ومقررات المؤتمر الثالث لاتحاد الصحفيين العرب المنعقد بغداد 17-30 نيسان 1972 إلى الثوابت توصيات ترتبط مباشرة بمصداقية الكلمة . إذ طالبت بـ:

- أن يلتزم الصحفيون باحترام الحقوق الأدبية للنشر وعدم اقتباس أي أثر من أثار الغير دون إشارة إلى مصدره.
- لابد أن تتضح التفرقة بين الرأي والإعلان ولابد أن ينص في الجرائم والمجلات على الإعلانات التحريرية بوضوح وتحديد، وتلتزم الصحف والمجلات ووسائل النشر بالتحقق من الأرقام والحقائق الواردة في الإعلان حفظا على مكانة الصحيفة وسمعة الصحافة. (فلحوظ والغازي 118-119)

إن العناصر السالفة التي حددها دستور الاتحاد العام للصحفيين العرب توضح تلك المسئوليات الكبيرة التي يقع عبؤها على الإعلامي في أداء رسالته، وبحيث تتكون الكلمة صادقة ملتزمة بالأمانة وعدم إخفاء الحقيقة أو تشويهها.

الأحداث المختلقة : تزييف الكلمة وتزييف الوعي

وقد كانت فكرة الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في تزييف الحقيقة من الأمور التي كانت دوما مجال بحث وموضع دراسة للباحثين الإعلاميين.

لقد درس باحث أمريكي ما أسماه بالأحداث المختلقة (الكاذبة) Pscudo Events في مجالات مختلفة كالسياسة والرأي العام والإعلان والعلاقات العامة.

وقد رأى أن مجالات اختلاق الأحداث في تزييف الحقيقة هي :

1- المقابلات الصحفية ، وهي طريقة جديدة لصنع الأخبار.
2- المؤتمرات الصحفية التي يعقدها المسئولون .
3- البرامج السياسية المنتظمة والتي هي أشبه بمؤتمرات صحافية نستضيف السياسيين من أمثال البرنامجيين الأمريكيين Meet, Fance the Nation the Press
4- البيانات الإخبارية News Releases التي تصدرها الجهات المختلفة سواء أكانت سياسية أو صادرة عن مؤسسات اقتصادية أو نقابية ، أو غيرها ، والبيان هو خبر مطبوخ مسبقا وجاهز عند الحاجة لدى تلك المؤسسات.

وتتصف الأحداث المختلقة بالخصائص التالية :

أ) أنهـا ليسـت عفويـة ، ولكنهـا توجـد لأن شخصـا مـا أو جماعـة مـا قـد خطـط لهـا وصنعها.

ب) فـي الغالـب أن يتم خلقهـا لأهـداف آنيـة لتغطيتهـا وإنتاجهـا إعلاميـا. ولـذلا فـإن حـدوثها أمـر مرتـب لراحـة هـذه التغطيـة أو إعـادة الإنتـاج الإعلامـي، ويكـون السـؤال حولـها " هـي حقيقة " أقـل أهميـة من السـؤال حـول " هـل هـي جـديرة بـأن تكـون ذات قيمة إخبارية؟"

ج) علاقتها بالموقف الواقعي غامضة، وينبثق الاهتمام بها بشكل كبير من غموضـها ، أن الاهتمام بالمقابلة (الصـحفية) دائمـا ينبـع مـن التسـاؤل حـول : هـل هـي حصـلت حقيقة أو ما هو الدافع وراءها ؟

د) عادة ما يكون هدف الأحداث المختلفة تحقيق تنبؤ بالاكتفاء الذاتي للمؤسسة ، فحينا يعلـن بنـك عـن احتفالـه بالـذكرى الخامسـة عشـرة لتأسيسـه فإنـه يميـز نفسـه بالاحتفـال كمؤسسة رقم واحد.

وتطغى الأحداث المختلقة على الأحداث العفوية لعدة أسباب :

-الأحداث المختلقة أكثر درامية من الأحداث العفوية، ومثالها الجدال الذي يتم ترتيبـه بين المرشحين السياسيين للرئاسة، ولأن الأحداث المختلقة قد خطط لها فإنها سرعان ما تنتشر لكونها حيوية.

-يتم اختيار المشاركين لأنهم جديرون بالظهور في مثل هذه الأحداث، ولكونهم ذوي اهتمامات بالموضوعات التي تتسم بالطبيعة الدرامية.

-ويمكن إعادة الأحداث المختلقة عند (الرغبة) ومن ثم فإن الانطباع الذي تخلقه يمكن إعادة تعزيزه.

- وتكلـف صـناعة الأحـداث المختلفـة أمـوالا طائلـة، ومـن ثـم دائمـا مـا توجـد جهـة أو شـخص لديـه مصـلحة فـي نشـرها وتضـخيمها والإعـلان عنهـا واسـتغلالها، كأحـداث تستحق المشاهدة أو الاقتنـاع بها، ولذا فإنه يتم الإعلان عنـه مسبقا، وتتم إعادتهـا مـن أجل الحصول على ما تستحقه من أموال.

- ولأن الأحداث المختلقة مخطط لها فإنها تكـون أكثـر وضـوحا ومـن ثـم أكثـر تأكيـدا. والأحداث المختلقة أكثر اجتماعية وإثارة للجدل وأكثـر راحـة للمشـاهدة بنـاء علـى مـا خطط لها.

وهكذا تصبح معرفة الأحداث المختلقة هي الاختيار والمقياس لمعرفة ما يجرى من أحداث. إن الأحداث المختلقة تأخذ بتلابيب الأحداث المختلقة الأخرى عن طريق تصميم هندسي وتسطير على وعي المتلقي لأنها دائمة التجديد، وهناك المزيد منها دائما.

- إن الأحداث المختلقة ذات حقيقة غامضة، وتنمو على حساب رغبة الإنسان الصادقة في كونه يريد أن يعلم وأن يحصل على جميع الحقائق وحتى الحصول على المزيد منها أكثر مما هي .

إن تحليلا لمضمون هذه الإعلانات يرشدنا إلى طريقة استخدام اللغة التي تحاول أن تستميل قارئيها.. ولكنها لغة إذا لم تكن صادقة ، فإنها لغة تفتقد إلى القدرة على التيقن من مضمونها.

ويمكنك تحليل عينة من إعلانات من جريدة وفي يوم واحد، لتجد أنها تضج بالتمويه والخداع .. وهي بكل تأكيد الإلكترون حقق أهدافها. تتسلل إلى عقول الناس ويتخذون قراراتهم بناء عليها وتصبح جزءا من حياتهم اليومية. وبمراجعة إعلانات التلفزيون التي تستخدم الكلمة والصورة والحركة والموسيقى نرى إلى أي حد يمكن أن نخلق عند المشاهدين بصورها الخادعة وكلماتها المراوغة ، نماذج للاحتذاء؟

ثانيا : مبدأ الحرية

تعاني وسائل الإعلام من مؤثرات عديدة تحول دون قدرتها على أداء عملها بحرية، فلا محرروها قادرون على أن يعبروا على أفكارهم بحرية، ولا الجمهور عاثر على وسيلة إعلامية تتيح له فرصة التحاور وإبداء الرأي.

وعلى الرغم من أن الديمقراطيات الغربية تطرح نفسها باعتبارها أنموذجا للحافظ على الحريات العامة بما فيها حرية وسائل الإعلام وحرية الأفراد، إلا أن هذه التجربة ليست مثالية كما يمكن أن نتوهم. يكتب جيوفر ريبس Geoffry Rips مقالة حول الحملة التي شنها رجال FBI ضد الصحافة في الولايات المتحدة ويقول :

" يظهر أن الصحافة الجديدة كان مسئولة جزئيا عن زيادة القوة السياسية للهيبيز وسائل الإعلام واليسار الجديدة ، والحركات التي تعمل ضد الحرب، لقد كانت حركة الحكومة ضد هذه الصحافة واضحة، وذلك لتعطيل قوة محتملة للتغيير السياسي والاجتماعي، وعلى أية حال نادرا ما اعترفت وكالات الشرطة الرسمية بأنهم كانوا يتعقبون الصحف البديلة لمواقفها السياسية ، ولكنهم ادعوا بأن مكاتب الصحافة كانت تستخدم كمراكز اجتماعات للتخطيط لنشاطات غير قانونية بل إرهابية..

وفي الحقيقة نادرا ما حاولت الحكومة إدانة الصحافة السرية لتصريحاتها السياسية المكشوفة، ولم يحصل أبدا أن ادينت لتهمة سياسية ، وغالبا إن القضايا الحقيقة لحرية الصحافة لم تخرج إلى النور.. وقد تم مخالفة التعديل الرابع للحقوق وذلك خلال التفتيش وحجز الأجهزة من قبل البوليس ، وفقدت الملفات ودمرت الآلات الكاتبة وهرب الموظفون واعتقل بعضهم نتيجة غزوات البوليس، وحينما فشل رجال الشركة في العثور على المخدرات، فإنهم نهبوا المعدات والملفات.

وفي حالات أخرى حينما عثر رجال الشرطة على مخدرات، فإنهم أحضروا المطبوعات وليكون ذلك مبررا لاعتقال جميع الموظفين بدلا من إدانة فرد واحد منهم.

(Geoffrery Rips :1986 :445-446)

إن هذه الصورة ترينا كيف مكن أن يتم التعامل مع الرأي الآخر في بلد يتاجر دوليا بالديمقراطية وحرية الصحافة وحقوق الإنسان.

إن السعي الدائب نحو الحرية يظل مطلبا وحلما بشريا جميلا كحلم الإنسان الدائم في صنع عالم تسوده الأخلاق الرفيعة والقيم الإنسانية السامية ، وكلن تحقيق مطلب الحرية تعترضه المعيقات التي تضعها الأنظمة أمام سبل تحقيقها إذا تعتبر أن وسائل الإعلام هي أداة لتحقيق مصالحها الخاصة، ولو كانت على حساب الحقيقة ، أو كانت على حساب الحرية أو كانت على حساب الشعوب الأخرى، وتتساوى في هذا الأنظمة التي تصف نفسها بالديمقراطية والأنظمة الشمولية.

والمسألة نسبية لأن أكثر ويتحدث ديفيد بروجدر David Broder وهو صحفي أمريكي مرموق من جريدة واشنطن بوست – عن تجربة الصحافة الأمريكية التي تمنه منعها من مرافقة وتغطية العملية العسكرية الأمريكية لغزو جزيرة جرينادا في 25 تشرين الأول – أكتوبر عام 1983 إ يقول :

(وقد منع الصحفيون والمراسلون من دخول الجزيرة طول الساعات الستين الأولى لعملية الغزو - ,أما أولئك الذين غامروا بالذهاب إلى هناك من تلقاء أنفسهم فقد وضعتهم القوات الأمريكية في الحبس الانفرادي. وقد ضجت الصحافة لهذه المعاملة) ويتابع فيقول: (فهذا وزير الخارجية جورج شوتلر يقول بأنه من خلال الحرب العالمية الثانية كان المراسلون الصحافة الصحفيون يشاركون في كل شئ وكانوا يقفون في صفنا على وجه الإجمال. أما هذه الأيام ، ومع نشوء هذه الصحافة المعادية فيبدو وكأن جميع المراسلين يقفون دائما ضدنا، وهكذا فإنهم يسعون دائما لنقل الأشياء التي من شأنها تعكير صفو الوضع وأنت لا تحتاج إلى شئ كهذا عندما تقوم بعملية عسكرية) ومضى يقول : التحكم في المعلومات يعطي الحكومة السيطرة على عقول مواطنيها. وهذه سلطة يجب ألا تملكها أية حكومة. إنها سلطة حاول

دستور الولايات المتحدة تحركات الحكومة منها على الدوام من خلال التعديل الأول. إنني أطلب إليكم أن تفكروا – من زاوية مصلحتكم الخاصة – وأن تسألوا أنفسكم إن كنتم على استعداد لأن تعيشوا في مجتمع تسيطر في الحكومة توجهنا وتقصينا).

إن هذه الشهادة تؤكد على أم مسألة الحرية نسبية وليست مطلقة وليس هناك سبيل إلى تجاهل حقيقتها (أبو أصبع 1995 : 252).

إذا فحرية وسائل الإعلام محفوفة بالمخاطر على الرغم من يمكن أن يقال عن حريته، وإذا كانت الحرية مهددة في الولايات المتحدة بالطريقة التي رأيناها، فإن فكرة السيطرة على وسائل الإعلام وعلى الإعلاميين تصبح أكثر خطورة وتأثيرا في العمل الإعلام، ولذا فإن طبيعة السيطرة الحكومية وطبيعة ملكيو وسائل الإعلام تشكل محددات أساسية لحرية وسائل الإعلام بل ويمكنها أن تقرر كمية ونوعية المعلومات التي يجب أن تصل إلى الجمهور.

وإذا كانت وسائل الإعلام ذات مهمة أساسية تتلخص في إنتاج ونقل ونشر الأفكار والمعلومات، فإن السيطرة على المؤسسات الإعلامية. العربية تمثل مجموعة مصالح الأنظمة الحاكمة أو مالكي هذه المؤسسات الإعلامية ويكون من مصالحها الحد من تدفق المعلومات وتداولها ونشر الأفكار والحوار حولها ، وتتستر في أحيان كثيرة تحت مظلة الخصوصية الثقافية ، وحماية الثقافة الوطنية والقيم السائدة والتراث، وهذه المبالغة أدت وتؤدي إلى خلق نمط الوسائل الإعلامية التي تنظر إلى العالم بعين واحد هي عين الرقيب. وتحاول أن تفصل مقاييس معينة لما ينشر أو لا ينشر ولما يذاع أولا لا يذاع، وتلعب وسائل الإعلام في مختلف أنحاء الوطن العربي أدوارا متشابهة وإن كانت متفاوتة. وبمراجعة لما تقدمه وسائل الإعلام المسموعة والمرئية من برامج غربية واليت تؤدي إلى السلبية والانعزال ، وتؤدي هذه النماذج التي تشكل مثلا أعلى ونماذج التفوق الأسطوري تؤدي إلى خلق ثقافة الهروب والعزلة كما تقول فريدة النقاش:

(يصدم المثل الأعلى الرأسمالي كما تقدمه الثقافة والإعلام بحقائق الحياة السافرة في هذه البلدان الصغيرة التابعة، وينشأ ذلك التناقض الروحي : الذي يصعب بل يستحيل حله: بين الحياة الفعلية للناس والمثال الجميل الذي يقدم باعتباره أملا دون أن يكون هناك أدنى أمل في تحقيقه.. هكذا ينشأ التهالك على ثقافة الهروب والعزلة . ثقافة الفردية الشديدة والسلبية المناهضة لروج الجماعة باحثا عن التملك في غابة من الوحوش ، الصغيرة والكبيرة .. ثقافة الانفصال عن الواقع لا الإعداد الروحي الشامل لتغييره في حدد معطياته هو ومعطيات الحياة ثم الكشف عن القدرات الكامنة للناس المنوط بهم عملية التغيير(فريدة النقاش 1984 :13)

وواكب السيطرة الرسمية على وسائل الإعلام العربية. نوع أخر من السيطرة الاقتصادية واستطاع وسائل الإعلام الأطفال بعض الدول العربة الاحتمالية، تفرض شروطها – خارج حدودها الإقليمية – على الإنتاج الإعلامي وما يحمله من مضامين وأشكال على المبدع في آن واحد.

إن قائمة الممنوعات التي يفرضها الرق الإعلامي في الدول العربية مثلا على الإنتاج التلفزيوني العربي جعلت الكاتب والمنتج والمخرج يعد عمله وعينه وجبينه تنظر وتنتظر سوق الرقيب، لذا فإنه يلتزم بالشروط التي يفرضها هذا الرقيب، وأدى هذا إلى المستوى الهابط في الأعمال الدراسية التلفزيونية العربية التي صممت لملاءمة شروط الرقيب، وهنا تكمن أزمة مصداقية الكلمة الاتصالية التي تخضع لقائمة طويلة الصحافة الممنوعات والتي تضيع معها الكلمة الصادقة ، فقط لضمان تسويق المسلسل الملائم لشروط الرقيب وذلك لأن السوق العربية لشراء الأعمال الدرامية سوق محدود.

ثالثا : احترام آراء الآخرين :

تنص معظم دساتير العالم : كما تنص المواثيق الدولية .. على حق الأفراد في حرية التعبير عن آرائهم وتكفل قوانين المطبوعات العربية هذه الحرية وتنظم عملية التعبير عن الرأي والحق في الرد والتصحيح. وحق الأفراد في إبداء الرأي ومناقشة الرأي الأخر. إن هذا المبدأ يستلزم بالضرورة احترام أراء الآخرين مهما كان الخلاف في الرأي بينا بين الأطراف.

إن وقف الحوار دليل على التعصب وعلى ضعف الأخر في الحوار، ولذا يصبح من سمة أولئك الذين لا يحترموا أراء الآخرين، سرعة إصدار الأحكام وتجريم الرأي الآخر، وفي الوطن العربي باتت سمة تجريم الرأي الآخر من خصائص نظامنا العربي السائد، ففي مطلع شهر أغسطس 1995 أغلقت سلطة الحكم الذاتي مجلة " الوطن " المقربة من حركة حماس ومجلة " الاستقلال " المقربة من حركة الجهاد الإسلامي بسبب نشرهما مقالات تنتقد رئيس السلطة ياسر عرفات.

وقد جاء في الخبر الذي نشرته جريدة السفير اللبنانية نقلا عن وكالات الأنباء الغربية ما يلي :

(أغلقت سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني أمس مجلتي (الوطن) المقربة من (حركة حماس) و(الاستقلال) المقربة من (حركة الجهاد الإسلامي) بسبب نشرهما مقالات تنتقد رئيس السلطة ياسر عرفات. وكانت الشرطة الفلسطينية قد اعتقلت أمس الأول كلا من ناشري (الوطن) عماد الفالوجي و(الاستقلال) علاء

الصفطاوي، ثم أخلت سبيلهما بعد ساعات عدة من الاستجواب، وعندما وصل العاملون في المجلتين إلى مقربهما المتجاورين وجدوا الأبواب مغلقة وعليها لافتة وقعتها الشرطة تقول (مغلقة حتى أشعار أخر.., الدخول ممنوع بالقانون). ويبدو أن خطوة الحكم الذاتي جاءت ردا على خبر نشبته (الوطن في عددها الأخير مفاده أن عرفات باع صور مولودته الجديدة (زهوة) لشركة فرنسية لقاء مبلغ قدره مليون وثلاثمائة ألف دولار. وقال رئيس تحرير (الوطن) غازي حماد أن الخبر نقل عن صحيفة الـ (اندبدنت) البريطانية .

واتهم مسؤولوا السلطة الفلسطينية مجلة (الوطن) بالتمادي في ما تنشره.

وقال المدعي العام خالد القدرة (لقد خرقوا قانون وسائل الإعلام الفلسطينية وكتبوا تقرير تهاجم دولة صديقة) مضيفا أن المجلتين ذهبتا أبعد من حدون (الديمقراطية وحرية الرأي) إلا أنه لم يوضح كيف ، وقال الفالوجي أنه يعتقد أن الشرطة أغلقت مجلته بسبب مقالات انتقدت عرفات، في حين أعرب الصفطاوي عن انتقاده للسلطة الفلسطينية. وهذه هي المرة الثانية التي تقوم به السلطة بإغلاق المجلتين، بعد أن أمرت في شهر آيار الماضي بإغلاق (الوطن) ثم عادت وسمحت لها بالصدور مرة أخرى في حزيران.

وأغلقت (الاستقلال) لمدة شهر تقريبا بعد عملية لحركة (الجهاد) نفذت في شهر كانون الثاني الماضي، وكانت السلطة الفلسطينية قد أعلنت في وقت سابق من العام الحالي أنها ستطبق قانونا يكلف ل للصحف الفلسطينية عدم الخضوع للرقابة ومضايقات السلطات.

وفي تموز الماضي، صدر قانون جديد للصحافة يعطي السلطة صلاحيات واسعة تحد من حرية وسائل الإعلام ، وقد شجبت (حماس) في بيان لها من دمشق إغلاق المجلتين واعتبرت القرار (تعسفيا ويضاف إلى سجل مريع من الممارسات والانتهاكات لحقوق الإنسان) (السفير : 1995/8/7.

وبات هذا الموقف الرسمي مبدأ ثابتا لمبادرة الرأي الآخر عند أنظمة الحكم العربية ، وهو لا يقف فقط على المرجعية الرسمية للسلطات أو الحكومات بل أبحت المرجعيات التي تحد من الرأي الآخر مرجعيات كثيرة : حكومية وجماعات إيديولوجية ، مرجعيات دينية وجامعية، إن من أهم الأمثلة التي واجهها المثقف العربي خلال صيف 1995 قضية الدكتور نصر حامد أبو زيد والتفريق بينه وبين زوجته الأستاذة الجامعية ابتهال أبو زيد والتي نقلتها وكالة رويتر تقلو :

(وكانت قضية أبو زيد قد طغت على السطح منذ ما يقرب من عامين حيث قام أحد أساتذة الجامعة المعروفين باتجاهاتهم الإسلامية بكتابة تقرير يرفض فيه ترقيته إلى

درجة جامعية أعلى بدعوى أن الأبحاث التي قدمها للحصول على هذه الدرجة تنطوي على إهانات للدين الإسلامي ومبادئه الرئيس وفقا لما ورد في الكتاب والسنة. وكانت أبحاث أبو زيد تتناول قضايا شائكة خاصة في ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم. وما إذا كان يجب أن يتم ذلك في إطار أسباب نزول الآيات والزمان والمكان، أم أن هذه الآيات صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان وفقا لما يراه غالبية أصحاب الاتجاه الإسلامي.

وانتقد أبو زيد بعض الفقهاء الإسلاميين الذين قال عنهم : أنهم كانوا يطوعوا الآيات القرآنية لمصلحة الحكام.

وأثر التقرير الرافض لترقية أبو زيد قامت مجموعة من المحامين الاحتمالية لإسلاميين برفع دعوى التفريق على أساس أن أفكار أبو زيد تجعله مرتدا عن الإسلام. ورفضت المحكمة الابتدائية هذه الدعوى بحجة أن القائمين بها ليس لهم صفة لرفع الدعوى. ولكن المحامين استأنفوا الحكم أمام محكمة أعلى ونجحوا في الحصول على حكم لمصلحتهم)) السفير 1995/7/7).

إذن لم يعد الرقيب وحده هو الذي يقف وراء الحد من حرية الرأي ، وليس مالك الوسيلة الإعلامية هو الذي يفعل ذلك فحسب إ أن العقبات التي تعترض حرية الرأي تتنازعها قوى ضغط كثيرة بعضها يعتمد الأسلوب المادي وبعضها ينتج أسلوبا غير مادي.

وإذا كان مالك المؤسسة الإعلامية والرقيب الإعلامية والحكومة من خلال رقابة المطبوعات يعملون على الحد من الحريات. فإننا نجد الآن أن حرية الرأي مهددة من

جماعات يمكن وصفها بالانغلاق وتستعمل في أساليبها للحد من حرية الرأي ضغوطا مادية ومعنوية ضد الرأي الآخر وتصفيات جسدية للصحفيين والكتاب.

ولعل ما جرى ويجرى في الجزائر وما يجري في مصل لدليل على ذلك. ويمثل انتهاكا لحرية الإنسان وكرامته والاعتداء على الإنسان نتيجة رأيه يمثل أسلوبا همجيا. وقد كتب الصحفي اللبناني بول شاوول عن هذه التجربة بلغة مريرة بعنوان (المثقف العربي والمرجعيات المتكاثرة : بين المطرقة والسندان) وفي خاتمة مقالته يتساءل عن هذه المرجعيات معتبرا أنها تهدد كيانات الدول بتهديدها حرية الثقافة والمثقفين وتوجهاتهم المدنية والديمقراطية والعلمانية ويقول في قالته تلك :

".. في الماضي القريب، كنت تواجه سلطة واحدة معروفة، ومكتنهة ، تفرض عيك (إيديولوجياتها) (الديمقراطية بالطبع)، و(مواقفها) وسياساتها وثقافتها. سلطة محددة تقرر أنت : إما مواجهتها وإما تجنب شرورها ، وإما الاحتمالية لانخراط في

أدواتها، عندما نقيض قمعي اسمه (السلطة) وهنا أو (الدولة) هناك ، أو المخابرات والأجهزة هنالك.

أما اليوم فأنت حيثما اتجهت تصدمك سلطة أو ترتبط بقمع. أو بمحرمات حتى ليخلي إليك أن المجتمعات العربية برمتها تحولت إلى قامعة أو مقموعة، أو قامعة ومقموعة معا. ضحية أو جلاد أو ضحية وجلاد معا. دائما أنت اليوم بين سندان ومطرقة . بين فأسين. بين موتين. حتى لتحار وأنت تفكر ، أو تكتب ، أو تقول كيف تتقي كل هذه (القيم) الصاحية والصائحة الجازمة الحازة المبرمة القاطعة، تنجو من هنا فيطبق عليك هناك تتجنب الـ (هذا) فيواجهك الـ (هؤلاء) تحتمي من هذا الإرهاب فتنكشف لواحد أخر..

تصدر كتابا وبدل أن تكون مرجعيته الرقابية (الدولة) الموحدة، يحال على ألأحد أعيان (الدين) الضليع بالأدب وبالأخلاق وبالقيم الرفيعة كشعرة معاوية. فيأخذ هذا الأحد دور الدولة ، أو بالأحرى تتنازل الدولة عن وظيفتها انسجاما مع تعاضدها الروحي العميق. واحتراما لهذه المرجعيات العالية فتأمر بمصادرة الكتاب بنا العالم الثالث على أمر المطران أو الخوري أو عالم الدين أو الفقيه أو المرجع. فهو يفتي وهي تنفذ هكذا صودرت مؤلفات الصادق النيهوم، بناء على إرادة مفتي الجمهورية.. وهكذا صودر كتاب حديقة الحواس لعبده وازن، وهكذا أحيلت مسرحيات كـ(أرانب وقديسين) على أحد الخوارنة ليبيد فتواه العميقة فيها. وهكذا تضيع الطاسة بين هذه (المصدريات) التي تعكس تقسيما فعليا داخل الدولة نفسها، وهيمنة خارجية عليها من قوى منحاز وأحادية..

على هذا الأساس يرى المثقف نفسه وسط دويلات إرهابية ترعاها دولة مركزية تحاصره بالمقصات وبالمفاصل وبالمصادرة وبالتهديد. وكذل ذلك كي تنتصر البربرية والهمجية والتخلف والعنف والقتل على مختلف الطوابع المدنية المفترضة) (السفير 1995/7/15).

رابعا احترام الخصوصية للأفراد

من حق الأفراد في أي مجتمع أن يعيشوا حياتهم الخاصة بدون أن يتم تعرض خصوصياتهم للانكشاف، فالفرد له الحق في أن يعيش حياته بطريقته الخاصة وله الحق في أن يحتفظ بأسراره ما دام ذلك لا يخالف القانون، ولا يسيئ إلى الآخرين ولا يتعرض للقيم العامة ولا يسيء إلى آداب المجتمع. وعلى سبيل المثال الحق في أن يظل ملفه الطبي سريا خاصا به، وأن يظل ملفه المالي وحساباته خاصة به وقد ازدادت في نهاية القرن العشرين عمليات الإعلام لغزو حق الأفراد في الخصوصية، ولعله مع ازدياد تقنيات وسائل الإعلام . ومع تعدد هذه الوسائل من إذاعة مسموعة ومرئية وصحف وقنوات فضائية وتلفزيون خطي Cable Television تبحث

عن الإثارة ، فإن التوجه نحو غزو الخصوصية سيزداد عما هي عليه الآن وعلى الرغم من أن القوانين الإعلامية ومواثيق الشرف الإعلامية ومواثيق شرف المهن الإعلامية تركز على حق الأفراد في الخصوصية إلا أن هذا الحق لا يزال احترامه بعيد المنال

خامسا : احترام الذات القومية

كما أن للأفراد خصوصيتهم، فإن كل شعب من شعوب العالم له ذاته القومية وخصوصيتها، ومن حق شعوب هذه الأرض أن يتم التعبير عن هوياتها الثقافية وتعزيزها. وباتت ثورة الاتصال تهدد الهوية الثقافية في كثر من المجتمعات. فالدول الأكثر قدرة على امتلاك وسائل الاتصال والأكثر قدرة على التحكم في تدفق المعلومات وتوزيعها وبيعها هي الدول الأكثر هيمنة ثقافية ، وهي بالتالي تقوم بتصدير ثقافاتها وتعمل على فرضها بطرق واضحة أو خفية. وقد أبح هذا الموضوع من الأمور الأكثر أهمية، وبدأ الاهتمام بدراسته تحت عناوين مختلفة مثل الغزو الثقافي، والاستثمار الالكتروني ، وبالغزو الإعلامي وغيرها من العناوين.

إن أي شعب من الشعوب له تراثه الخاص وله ثقافته ويجب السعي من أجل المحافظ. عليه ونشرهما والعمل على تطويرهما بدون فقدان الهوية القومي. ولا يمكن أن يتم ذلك دون احترام الثقافة القومية وتعزيزها ودون احترام الثقافات الأخرى وتقديرها.

وقد كتب د. مصطفى المصمودي في كتابه النظام الإعلامي الجديد في دعوة صريحة إلى بناء نظام إعلامي جديد :

" .. فهذا النظام الجديد يهدف إلى الإسهام قدر وآخر في تفتح الإنسان والرفع من مستواه الذهني بتشجيع الخلق والإبداع الثقافي وتمكين الثقافات الوطنية من التكافل ومن إحياء ذاتيتها بالاحتكاك بغيرها والمشاركة في إثراء التراث الثقافي على الصعيد العالمي ، كما يهدف هذا النظام الجديد إلى تمكين كل أمة من تعريف الرأي العام العالمي بقيمها الاجتماعية والثقافية وجلب الاحترام والتقدير لاختياراتها في أوسع مفهوم (المصمودي 1985 : 206- 207).

سادسا : المساواة

تتعرض وسائل الإعلام للإنسان الذي يعيش حياته في ظروف تجعله يختلف عن الآخرين في المجتمع الاحتمالية لواحد. فأفراد المجتمع يختلفون ليبيا حيث الأعمار ويختلفون من حيث الثقافة ويختلفون من حيث الدين ويختلفون من حيث العرف ويختلقون من حيث اللغة . إن الكثير من المجتمعات البشرية تتكون من فسيفساء العالم الثالث ثقافية وعرقية. وأي ثقافة تحترم نفسها وتحترم قيم الديمقراطية والعدالة فإنها سوف تتيح فرص المساواة في مجتمعها بدون تمييز ولا يمكن أن يكون العرق

حائلا دون حرية الاتصال، ويكون عقبة دون حق الأفراد في حقهم في الوصول إلى المعلومات وفي الاتصال بعناصر ثقافاتهم وجذورها .

ولا يمكن لثقافة ديمقراطية أن تحظر الاتصال نتيجة للأصول العرقية مهما كان سبب الإدعاء كما فعل رئيس بلدية كوركورون من ضواحي باريس في فرنسا ، فقد انتقلت وكالة الأنباء الفرنسية أنه حظر الأطباق التي يلتقطها بث التلفزيونات العربية بينما تلتقط الأطباق في الوطن العربي شبكات التلفزة الفرنسية وقد جاء في هذا الخبر الذي نقلته وكالة الأنباء الفرنسية :

" فجر رئيس بلدية كوركورن في ضواحي باريس مجددا الجدال المتعلقة باستقبال شبكات التلفزة العربية في فرنسا عندما ألغى في مدينته الأطباق التي تتيح التقاط هذه الشبكات عبر القمر الصناعي. وقد برز رئيس البلدية الاشتراكي قراره رسميا بأسباب أمنية وجمالية . ولكنه لم يخف أن قراره سيمنع المشاهدين في مدينته التي يقطنها نسبة كبيرة من المغاربة والأتراك من النقاط شبكات التلفزة في بلدانهم لئلا يبقوا متجذرين في ثقافاتهم الأصلية ، بدلا من الاندماج في مجتمعاتهم الجديدة التي اختاروها.. وأخيرا سمح لشبكة عربية واحدة بالبث هي القناة الفضائية المصرية لكنها لم تبث أبدا ، فيما يتمكن المشاهدون في الدول العربية من التقاط الكثيرة من شبكات التلفزة الفرنسية " (جريدة الرأي 1995/8/11).

وفي المقابل يصل بث شبكات التليفزيون الفرنسية عبر الأقمار الصناعية إلى الدول الأفريقية والعربية ويستقبلها المشاهدون الأفارقة والعرب ولم يعترض أي مسؤول أفريقي أو عربي على ذلك. ولا يمكن أن يتم دمج أفراد المجتمع بدون احترام أصولهم الثقافية ، والتعامل بمساواة بين فئات المجتمع كما تعامل فئات المجتمع الأخرى. وقد أكدت وثيقة اليونسكو هذا المبدأ إذ جاء فيها :

" إن المبدأ الذي يجب أ، يحترم في ما يتعلق بالاختلافات العرقية والثقافية والدينية ، هو أن كل فرد – سواء أكان سنهاليا أم من التأميل، من اليوروبا أم الايبو، هندوسيا أم مسلما ، بروتستانتيا أم كاثوليكيا – هو كائن بشري في المقام الأول له نفس احتياجات وتطلعات الكائنات البشرية الأخرى نفسها ، وأنه في المقام الثاني مواطن له الحق في المعاملة المتساوية طبقا للقانون والحق في التعبير عن آرائه السياسية وفضلا عن ذلك فإن أعضاء الأقليات لهم أيضا حق يتمثل في عدم دفعهم إلى التماثل أو الالتزام بالعادات الاجتماعية أو اللغة أو العقيدة الخاصة بالأغلبية في الدولة. ويجب على كل دولة أو أمة أن تفهم أن تحقق مكاسب في ثروتها الثقافية بقبولها هذا التنوع " (ماكبرايد 1981-392) .

سابعا : الإنصاف والتوازن في تبادل المعلومات :

أشرنا إلى أن دول العالم تختلف من حيث الإمكانيات الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية والتطور، وهذا ينعكس وتجسد في صورة حجم التفوق في المعلومات والاتصال . وخلال القرن الحالي تجسد احتكار الغرب للمعلومات وسيطرته عليه وكانت وكالات الأنباء الخمس المعروفة تحتكر وتسيطر على نقل وتوزيع الأخبار في العالم، ومن خلال رؤيا هذه الوكالات كان يتم تشكيل رؤى الناس وتفكيرهم .

واستطاعت هذه الوسائل أن تجعل تدفق الاتصال باتجاه واحد. وكانت تركز على قيم إخبارية سلبية وخصوصا تلك التي تتعلق بدول العالم الثالث ويلخص ستيفنسون وشو الاتهامات الموجهة لهيمنة دول الشمال على الاتصال في العالم من خلال النقاط التالية :

6. يقوم الغرب بتحديد أخبار العالم وتحريفها واستبعاد قيم العالم الثالث غير الغربية منها، وهذا يعني بأنه يتم فرض قيم الغرب ويتم عرض صور التطور الثقافي لدول العالم الثالث من خلال عيوب الغرب واختياراتهم (وغربلتهم للأخبار) .
7. وهذه الغربلة الثقافية تستبعد كثيرا من دول العالم التي ليس للغرب مصالح آنية فيها.
8. إن القليل من المعلومات التي تنفذ من العالم الثالث نظام الأخبار العالمي هي أخبار تؤكد على أوجه التمزق في العالم الثالث.
9. تقوم وسائل الإعلام الغربية بنقل معالجة محرفة وسلبية للعالم الثالث والتي تنتقل إلى دول العالم الثالث نفسها نظرا لاعتمادها بشكل رئيسي على وكالات الأنباء الغربية

10. ه

ناك نقص واضح في أخبار التنمية حول دول العالم الثالث. وهذه الاتهامات الموجهة إلى سيطرة الغرب على تدفق الاتصال باتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب تقود عمليا إلى الهيمنة الثقافية الغربية (Stevenson & Shaw 1984:8-9)

وقد أوضحت وثيقة اليونسكو مجالات الاختلال بقولها :

" إن الاختلال في توزيع الأخبار ظاهرة معقدة ومتشعبة ، فقد يكون الاختلال في الكم، وقد يكون في الكيف، وقد يحدث على مستويات مختلفة ويتخذا أشكالا مختلفة :أ) بين البلاد المتقدمة والبلاد النامية بقدر ما يتحدد التدفق الإعلامي بوجود البنى الأساسية الملائمة أو عدم وجودها معا، ب) بين البلاد ذات النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، ج) بين الدول المتقدمة المنتمية إلى النظام السياسي نفسه، وبخاصة بين الصغرى والكبرى منها، د) بين بلدان العالم الثالث ذاتها ، هـ) بين الأخبار السياسية والأخبار المتعلقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبلاد التي تناضل ضد مساوئ التخلف ، و) بين ما جرى العرف على

تسميته بالخبر " السار" والخبر " السيئ " مثال ذلك أخبار الكوارث المتعلقة بالأحداث الجارية والمعلومات التي تتناول بمزيد من العمق موضوعات لها أهميتها في الحياة اليومية للشعوب والأمم. ولا شك أن ليس ثمة معيار عالمي واحد يمكن بمقتضاه قياس هذه الاختلافات وضروب التفاوت ، إذ تختلف قيمة الخبر من بلد إلى بلد ومن ثقافة لأخرى. بل وأحيانا داخل البلد الواحد وعلى ذلك فمن المحتم أن يظل أي تعميم حول القيمة الخبرية شيئا غير محدد المعالم، على الرغم من أن مهني الإعلام والاتصال كثيرا ما يتفقون على عدد من العوامل التي تساهم في صناعة الخبر "(ماكبرايد نفسه :95).

إن هذه الصورة القاتمة الآن لأشكال عدم التوازن في تدفق المعلومات، وعدم الإنصاف في تناول دول العالم الثالث، أدت ومازالت تؤدي إلى خلق صور مشوهة عن شعوب العالم الثالث وتقود إلى أشكال من عدم الثقة في النفس وتؤدي دوليا إلى خلق مناخات غير ملائمة الأطفال مجالات التفاهم الدولي، وتقود بكل تأكيد إلى نوع من الهيمنة الثقافية للدول الغربية على ثقافات الدول الأفريقية، ودول العالم الثالث، ومما يعرض ثقافاتها الوطنية للخطر.

إن أشكال التدفق الإعلامي الحر وباتجاه واحد تقود في الغالب إلى الإحساس بالغبن وعدم الإنصاف لأن الآلية الإعلامية الغربية تقوم بتسويق ثقافاتها وقيمها الاستهلاكية التي تؤثر تأثيرا كبيرا في مشاريع التنمية في أفريقيا وفي دول العالم الثالث.

ثامنا : المسؤولية الاجتماعية :

لتنظيم أنشطتها، وخلال ثلاثة قرون من عمر الاتصال الجماهيري، مرت وسائل الاتصال في مراحل عديدة من التطور ومن أساليب للسيطرة عليها ومن فلسفات ورؤى مختلفة توجهها، وهكذا نجد أن سيبرت ورفاقه Siebert et al. يرون أن نظريات عديدة سادت منذ القرن السادس عشر حتى اليوم. وهي تتمثل بالنظرية السلطوية التي سادت في بريطانيا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، واستمدت فلسفتها من فلسفة السلطة المطلقة للملك. أو حكومته، ثم النظرية السوفيتية الشمولية التي استمدت فلسفتها من الفكر الماركسي – اللينيني ، ثم النظرية الليبرالية التي انتشرت في القرن الثامن عشر في بريطانيا والولايات المتحدة واستمدت فلسفتها من كتابات ملتون وجون لوك وجون ستيورات مل، ثم سادت في مطلع القرن العشرين نظرية المسئولية الاجتماعية في الولايات المتحدة واستندت في فلسفتها إلى كتابات هوكنج ولجنة حرية الصحافة (Sibert et. al:1963) وكانت هذه النظريات الأربع تحمل في طياتها مفاهيم مختلفة للمسئولية الاجتماعية.

وقد قدمت نظرية المسئولية الاجتماعية بديلا للنظرية الليبرالية حرصا على أداء أفضل وسائل للإعلام تجاه المجتمع المسئولية الاجتماعية على مسلمات أساسية (Sieber et.al:79-92) إذ بناء عليه:

أولا : أن تقوم وسائل الإعلام بتزويد المجتمع المعاصر بالأحداث الصادقة والشاملة والذكية في سياق يجعل لها معنى. وهذا يعني أن تكون وسائل الإعلام دقيقة ولا تكذب . وأن تفرق بين الحقيقة والرأي.

ثانيا : أن تقوم وسائل الإعلام بالعمل كمنبر لتبادل الملاحظات والنقد. وهذا يعني بأنها يجب أن تسمح بالتعبير عن وجهات النظر المتعارضة مع رأيها وعليها أن تحاول عرض جمع وجهات النظر المهمة سواء التي تتفق مع الناشر أو تخالفه.

ثالثا : على وسائل الإعلام أن تبرز صورة ممثلة للعناصر المكونة للمجتمع بحيث تصور الجماعات المختلفة في المجتمع بموضوعية.

رابعا : أن تكون مسؤولة عن تقديم وتوضيح أهداف وقيم المجتمع، وعليها قبول قيم المجتمع واحترامها الخصال التقليدية للمجتمع.

خامسا : وهي المسئولية عن تزويد الجمهور بالمعلومات اليومية، ولذا فإن للجمهور الحق بالوصول إلى المعلومات وله الحق بأن يعلم وأن وسائل الإعلام التي تقوم بتنظيم الحواجز لتدفق الأخبار والمعلومات إلى الجمهور (أبو أصبع : 257-285)

ولا تطرح نظرية المسئولية الاجتماعية موضوعة الحرية على اعتبار أنها قيمة مطلقة بل أن الحرية نسبية ومقيدة وكما يرى ريفرز ورفاقه:

" تقريبا فإن أي نظام إعلامي خاضع إلى سيطرة تشريعية أساسية ومن بينها قانون مصمم لحماية الأفراد أو الجماعات في مواجهة القذف، وقانون حماية حقوق المؤلف لحماية المؤلفين والناشرين وتشريع أساسي مصمم لحماية المعيار العام للاحتشام والأدب وقانون أخر لحماية الدولة ضد الخيارة والعبارات التحريضية وتقريبا فإن كل شخص (بمن فيهم الصحفيين) يتفقون على هذه القيود ، مؤمنين بأنه حتى النظام الحر يجب ألا يسمح لوسائل الاتصال الجماهيري التشهير بالبرئ أو سرقة الملكية الأدبية ، أو أثارة المعنويات العامة أو تبرير الخيانة (Revers et.al. 1980:53-54). إن الحاجة ماسة إلى ضوابط تنظم عملية الاتصال لتلتزم بالقيم الاجتماعية والقيم الخلقية في المجتمع، والحيلولة دون انتهاك الحرمة أو الخصوصية للأفراد.

إن إحدى السمات المهمة للصحافة والتلفزيون والإذاعة بأنها لا تخاطب فردا وإنما تخاطب المجتمع بكامله، وهذا يستدعي أن تخطط المؤسسات سياساتها بناء على هذا الأساس. ولهذا فإن من أهم مسئوليات وسائل الإعلام هي الحفاظ على المجتمع وتماسكه والعمل على اندماج أفراده وجماعاته.

ويتحدث أنتوني سميث عن دور الإعلاميين بقوله : " ويزودنا بالرموز السياسية والخيال وتؤدي بذلك وظيفة إضفاء الشرعية والتسجيل ، وأما رموز الجماعات المتجاهلة (في المجتمع) أو الطبقات المقموعة في داخله فيتم تجاهلها ومن ثم قمعها.

والسياسة والصحافة سلطتان لا يمكن فصلهما وهما ساحات معارك متداخلة، وفي الواقع أن أخبار وسائل الإعلام يمكنها أن تنتزع مجموعة من موقعها من خلال حلبة التفاعل وذلك عن طرق الكتابة عنها إما بتحريفها أو التقليل من شأنها (Smith 1978.134)

ولعل الالتزام بالمسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام تجاه المجتمع من متطلبات حماية المجتمع، وترسيخ قيمة الايجابية ، وإتاحة الفرصة لكل الجماعات والطبقات في المجتمع للتعبير عن نفسها، بدون محاولات لتجاهلها، أو قمعها، أو تقديم صور مشوهة عنها.

خاتمة

نظرة إلى المستقبل الإعلام والأخلاق في القرن الحادي والعشرين

استعرضنا في الصفحات الماضية واقع الإعلام ومسؤولياته الأخلاقية في نهاية القرن العشرين، وقد بدا واضحا خلال استعراضنا لواقع الإعلام أن هناك إحساسا بأهمية الالتزام الأخلاقي للإعلام على الرغم من اختلاف الفلسفات التي تنتهجها وعلى الرغم كذلك من اختلاف طبيعة الأنظمة الحكومية التي تسيطر عليها أو تعيش في ظلها.

لقد كانت القوانين الإعلامية ، والمواثيق الأخلاقية للمهن الإعلامية ومواثيق النقابات الصحفية وغيرها تؤكد على جملة من المسئوليات الأخلاقية لوسائل الإعلام.

فقد بات واضحا من مسئوليات الإعلام الأخلاقية :

1. المصداقية
2. الحرية

3. احترام الآخرين
4. احترام خصوصية الأفراد.
5. احترام الذاتية القومية.
6. احترام مبدأ المساواة.
7. الإنصاف والتوازن في تبادل المعلومات.
8. المسئولية الاجتماعية.

وعلى الرغم من أن هذه العناصر فيها شئ من التداخل إلا أن التركيز عليها باعتبارها قيما أساسية وثابتة. تجعل دور وسائل الاتصال الجماهيري أكثر إنسانية. وإذا بات القرن الحادي والعشرين يقرع الأبواب فإن صورة العالم فيه ستعتمد إلى حد كبير على الدور الذي تلعبه وسائل الاتصال، في عالم باتت تختفي فيه الحدود، تحت موجات الاتصال الدولي.

إن التشكيلات الحديثة لخارطة العالم السياسية لن تكون واضحة مع بداية القرن الحادي والعشرين، ولكن – بكل تأكيد – فإن صورة الاتصال الدولي وانفتاح الأبواب هي أكثر المعالم وضوحا فيه.

لقد أضحى الإنسان قادرا من خلال شبكات الأقمار الصناعية أن يستقل عشرات المحطات التلفزيونية ، واستطاعت تكنولوجيا الكمبيوتر ومن خلال الموديم أن تمكن المرء في عمان أو طرابلس أو دبي أن يتصل من بيته بشبكة معلومات في باري أو نيويورك أو لندن. فأي حدود ستبقى بعد ذلك.

إن هذا التساؤل جوهري .. !! لأنه يعني حدودا تتجاوز خطوط السياسة، لتخترق أفاق الثقافة ، وسيصبح التساؤل حول إمكانية احترام الذاتية القومية وصيانة الثقافة القومية والثقافات الشعبية تساؤلا جوهريا.

إن المستقبل لا يبشر بعالم تتساوى فيه الشعوب بإمكانياتها الاقتصادية، والتكنولوجية والمعلوماتية ، وستظل الفجوة قائمة بين شعوب العالم في الإمكانيات السالفة ، مما سيبقى قضية التوازن والإنصاف في تبادل المعلومات ودول العالم الثالث بشكل عام.

وعدم ثبات هذه القيم لدى تلك الأنظمة سوف تبقى مبدأ حرية الصحافة وحرية القول والتعبير محكومة بمصالح الأنظمة وإراداتها، وسيظل مبدأ المصداقية وقول الحق مرهون بإرادة الأنظمة وسيطرتها، وسيظل مجال غزو الخصوصية الأفراد متاحا مادامت حقوق الإنسان غير مصانة في ظل الأنظمة القمعية.

إن أزمة وسائل الاتصال والأخلاق أزمة متصلة، فمن يملك القوة والنفوذ ، ومن يملك وسائل الاتصال ، ومن يملك الحق في التوصيل ومن يملك الحق في حجب

الاتصال، وتحديد نوعيته وكميته سوف يظل المهيمن على القيم الأخلاقية والإعلامية وحراستها وتشويبها.

إن القضية الأساسية في الإعلام والأخلاق، تتمثل باحترام إنسانيته بما تعنيه من احترام لحريته وحقه في المساواة والعدل والصدق في ما يقال له وما يقوله وأن الأمل في مستقبل أفضل للإنسان ولوسائل إعلامه سيظل حلما ، وسيكبر هذا الحلم

المراجع :

1. ابن خلدون ، المقدمة (د.ت) القاهرة ، المكتبة التجارية.
2. أبو أصبع ، صالح (1995) الإعلام والاتصال في المجتمعات المعاصرة. (عمان، دار أرام للدراسات والنشر والتوزيع)
3. فلحوظ (دكتور ، صابر) وسجاد غازي (1983) : الاتحاد العام للصحفيين العرب، تأسيسه مؤتمراته قراراته (بيروت: مؤسسة بترا للطباعة والنشر، الاتحاد العام للصحفيين العرب) .
4. ماكبرايد ، شون ورفاقه (1981) : أصوات متعددة وعالم واحد، الاتصال والمجتمع اليوم وغدا. (الجزائر : اليونسكو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع).
5. المصمودي ، مصطفى (1982) : النظام الإعلامي الجديد ، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : سلسلة عالم المعرفة) .
6. النقاش ، فريدة (1984) : حول التبعية الثقافية والإعلامية وإمكانيات الخروج منها، مجلة أدب ونقد العدد السابع للسنة الأولى سبتمبر ، 1984).
7. الرأي (جريدة) 1992 العدد 1992/11/1
8. السفير (جريدة) 1992 العدد 1995/7/7
9. السفير (جريدة) 1995 العدد 1995/8/7
10. السفير (جريدة) 1995 العدد 1995/7/15

11. Boorstin. Danie (1962): The Image (New York: Atheneum Publishers).

12. Rips. Geoffrey (1956) The Campaign Against the Underground Press in the Press & the state : (Eds. Walter Brasch & Danda Ulloth (Lanham , Mn: University Press of America).

13. Siebert. Fred S.: Theodor Peterson & Wilbur Schramm : (1963) four Theories of the press : University of Illionois Press).

الفصل التاسع

الدعاية الأمريكية والتضليل الإعلامي حول ليبيا

الفصل التاسع

الدعاية الأمريكية والتضليل الإعلامي حول ليبيا

هناك نظرية إعلامية تنص على أن وسائل الإعلام تقوم بترتيب الأولويات للجماهير. لذا يسأل السائل عن هدف استمرارية الدعاية وقولبة المفاهيم ومن ثمّ تعزيز المعلومات والصور غير الدقيقة عن ليبيا في وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية. هنا يبدو أن وسائل الإعلام الأمريكية تلعب دوراً تأثيرياً متناقضاً كما يوضح باليتز Paletz وايتمان Entman:

" إن لدى وسائل الإعلام عملياً نتائج متناقضة فهي في نفس الوقت تهاجم الظلم بعنف وتتسامح مع اللامساواة ، تساند الرأسمالية وتذم التجارة الموسعة، تنبذ وتشوه صورة المعارضة وتساعد الجماعات ذات الآراء المتطرفة، تثير الجماهير وتهدئ الشعوب، تجعل من جون كنيدي أسطورة وتساعد على الإطاحة بريتشارد نكسون. إنها تحارب من أجل الحقيقة وتنشر الأوهام. إنها تخلط أجزاء القوة في أمريكا (1) .

تنشر وسائل الإعلام الأمريكية الأوهام ، وتشوه صورة أية شخصية تقف عائقاً أمام المصالح الأمريكية ، حتى ولو كانت هذه المصالح غير مبررة. فالمراسلون دائمو التفكير في ابتداع القصص. وإن لم تكن موجودة فهم يختلقونها. ويبين جيمس رستون James Reston هذا قائلا:

" في الحقيقة، إن معظم الذين يقرأون الصحف في أمريكا أكثر اهتماماً بالأخبار والقصص المثيرة من أي شيء آخر.يودون أن يكتبوا عما حدث دون الالتفات إلى المعنى إن وجد" (2).

وهكذا فالعلاقة بين صانعي السياسة الأجنبية في واشنطن والصحافة علاقة قوية جداً ، بحيث يؤثر السياسيون على تدفق الأخبار والمعلومات ، وهذا يعطي صانع السياسة القدرة على تركيز الانتباه على أهدافه ونشاطاته التي تدعم سياسته(3). فعندما يختلق صانع السياسة القصص، أو يحيك واحدة مثل قصة الفرقة الضاربة الليبية، تكون هذه كفاتح للشهية يتناوله المراسلون . ومثل هذه الحكاية يمكن أن تمثل وتعطى الإثارة اللازمة . فالعلاقة بين صانعي السياسة والمراسلين في الولايات المتحدة تخلق نقطة التقاء واحدة كما يؤكد هيلر كرييغباوم Hillier Krieghbaum قائلا:

" في العمليات التي تخضع للتلاعب والمناورة وفيما يخص خلق رأي عام مرغوب به أو كما يسمى حديثاً " خلق صورة ما " يصطدم الموظفون الرسميون عادة مع المراسلين الذين يتصيدون مادة لأخبارهم (4) . "

وتخلق هذه العلاقة حالة عدم التوازن ، وتؤدي إلى التشويه في الصحافة السياسية كما يوضح ويليام ريفرز William Rivers :

" بالرغم من أن تتبع التأثير الذي تقوم به السياسة والسياسيون على المراسلين في واشنطن مفيد، إلا أن هذا ليس البداية والنهاية لعدم التوازن أو تشويه الصحافة السياسية " (5) .

إن العلاقة بين الصحافة الأمريكية والحكومة قد وصفها تمام الوصف جيمس رستون James Reston فيما يلي:

" إنهما متزوجان دون إمكانية للطلاق أو الفراق ، أو حتى دون إمكانية ضئيلة لهدوء في العلاقة. فالحكومة دائمة التصرف والصحافة دائمة النقد والثرثرة ، وما يجعل هذا التحالف أشد مرارة أنها علاقة غير متساوية (6).

وفي الحديث عن الفرقة الليبية الضاربة المزعومة ، يدرك المرء كيف تلتقط وسائل الإعلام الأمريكية القصة المنسوجة من صانع السياسة ، ثم تصنع منها قضية كبيرة لأكثر من خمسة أسابيع . وهذا ما يؤكد التناغم بين وسائل الإعلام الأمريكية وصانع السياسة في واشنطن. وسوف تكشف القصة - كما سنرى - كيف تحتال وسائل الإعلام لتدمر صور الأشخاص. وهنا يوضح ديفيد بوردر David Border معتمداً على خبرته الشخصية قائلاً:

" إن الشخص هو الأسطورة - أسطورة صحافية حقاً-التي تقول إن شيئاً ما يمكن أن ندعوه تغطية إخبارية موضوعية يمكن في نفس الوقت أن يستخلص من خلال نوع من عالمية التغطية الإخبارية . لقد عملت في صحيفة NewYork Times التي تكتب يومياً على صدر صفحتها الأولى شعاراً يقول " إليكم كل الأخبار الصالحة للطباعة " إنه شعار رائع لكنه خدعة متكاملة " ولو فكرت في معناه لحظة ستجد أنه دجل وخداع (7).

وسوف نتحول الآن إلى مناقشة كيف تختلق الدعاية في الوسائل الإعلامية الأمريكية الصور عن العرب عامة والليبيين بشكل خاص ؟

يذكر Williard Oytboy ما يلي:

" وبجانب تلك القولبة للشعوب الإسلامية يجب علينا أن ننوه عن بعض الصور للعرب وبشكل خاص التي أخذت صفات أصلية راسخة في التصور الغربي . أحدهما طبعاً هو " الإرهابيون" وكشخصية راسخة في المفهوم الغربي العام منذ حرب الأيام الستة عام 1967."

إن الإذعان الغربي الجلي للتوسع العسكري الاسرائيلي ترك للفلسطينين أملا قليلا . وأصبح المعتدلون من الفلسطينين أصوليين بين عشية وضحاها، ونجحت المقاومة الفلسطينية خلال سنتين شد أنظار العالم أكثر مما فعله الدفاع السلمي الذي فشل فشلاًَ ذريعاً بأن يوضح أن الفلسطينين شعب مقموع الهوية . ولسوء الحظ فإن الرأي العام مركز بشكل أكبر على انتقاد الأعمال الإرهابية منه على فهم الظلم الواقع عليه . ونتيجة لذلك فإن الفلسطينين الذين كانوا يُنظَر إليهم بعين الشفقة أصبحوا اليوم شعباً يرهب جانبه (8) .

لقد قولبت وسائل الإعلام الأمريكية ليبيا كدولة إرهابية ، وهذا يتناسب مع نظرة الحكومة الامريكية نحو ليبيا . فعلى سبيل المثال هوجم دبلوماسي أمريكي في باريس في 12 نوفمبر 1981 وربط وزير الخارجية الأمريكي هيج Haig الهجوم بالقذافي . وحينها قالت نيويورك تايمز في 13 نوفمبر 1981 ما يلي:

وبعد إخبار اللجنة أنه قد علم أن المهاجم كان شاباً شرق أوسطياً ملتحياً وفي الثلاثينيات الأولى من عمره . قال السيد هيج Haig: " لم يكن لدينا معلومات أخرى غير التأكيد على أننا قد كررنا التقارير التي وردتنا من مصادر موثوقة أن السيد القذافي كان يمول ويرعى ويدرب ويأوي مجموعات تقوم بنشاطات ضد حياة الدبلوماسيين الأمريكين والمصالح الأمريكية "(9).

ثم ذكرت افتتاحية الواشنطن بوست Washingtopost في 10 نوفمبر 1981 : وذلك قبل ثلاثة أيام من ذلك التقرير الصحفي، وبلغة منمقة معدة للدعاية ما يلي:

ما أخطر العقيد القذافي؟ تقول إحدى مدارس الفكر إنه شخص مفرط في التعويض ، عدو الإمبريالية ، قادر فقط على الاغتيال بين الفينة والأخرى ، وأن الغرب يعطيه وبكل بساطة الأفكار والآراء ، مروجين له بأنه يستطيع ان يعمل أكثر من ذلك . ولكن هذه هي وجهة نظر مضللة ومناصرة أيضاً . إن ثروته النفطية وارتباطه بالاتحاد السوفيتي وشعوره مع التيارات العربية والإسلامية واجراءاته التكتيكية (الوصول إلى الغرض) قد جعلت منه شخصية خطرة لا يتناسب وضعها مع حجم شعبه الصغير غير المتطور (10) .

وتقترح المقالة نفسها معاقبة ليبيا وذاك بإيقاف شراء النفط الليبي واستدعاء 2000 أمريكي موجودين في ليبيا . وهذا الاقتراحان قد تبنتهما إدارة " ريغان " بعد شهر واحد فقط ، ثم ظهر عدد كبير من المقالات في شهر نوفمبر عن ليبيا تمهد للادعاء عن فرقة الهجوم الليبية.

* <u>الفرقة الضاربة الليبية المزعومة</u> :

لقد بدأت فرقة الهجوم الليبية المزعومة كقضية مهمة في وسائل الإعلام الأمريكي ، حيث شرح جوزيف كرافت Joseph Kraft ما تسرب عنها من أخبار في صحيفة Washimgton Post في العاشر من ديسمبر - 1981 كما يلي :

في الحقيقة لم يكن واضحاً لدى نوع الشريحة من المجتمع التي بدأت تسرب أية أجزاء من قصة الفرقة الضاربة الليبية ولكن التقارير الأولية جاءت في البداية في ABC News ومن ثم في النيوزويك Newsweek .

ثم بعد ذلك في صحيفة نيويورك تايمز NewYork Times - كانت كلها تحمل بصمات - نفس البصمات . وكانت كل القصص تبدو أنها تصدر عن دائرة المخابرات . لقد كان الرئيس "ريغان " نتيجة لهذا ذا علاقة بتسرب المعلومات ، وكان البيت الأبيض يؤكد هذه القصص . وفي إحدى المقابلات مع برنامج ديفيد برنكلي David Brinkley أنكر القذافي تهمة وجود " الفرق الضاربة" ، ووصف الرئيس ريغان بالغباء والجهل وعدم كفاءته لأن يكون رئيساً للولايات المتحدة ، ودعا شعب الولايات المتحدة للتخلص من إدارته .

وللقصة المذكورة أعلاه أسبابها لأن تعلن للجمهور .

أولها : إذ عمل جيم بيلن Jim Belin في ليبيا ثم عاد إلى الولايات المتحدة في 23 ديسمبر 1981 بعد أن أصدر الرئيس ريغان أوامره إلى المواطنين الأمريكين بمغادرة ليبيا . وقال بيلن Belin في مقابلة مع أليس كاسكيلا Alice Kaskela العاملة في صحيفة التربيون The Tribune في 4 كانون ثاني 1982 أن الرئيس ريغان يستعمل ليبيا وبعض الدول الأخرى لتحويل الأنظار عن مشاكل أمريكا الاقتصادية . " إن كنت تقوم بأعمال ضارة بالاقتصاد، فسوف يكون بإمكانك ان تصرخ : ليبيا أو بولندا أو السلفادور وأن تنزع فتيل أية أزمة حيث لا تريد أن يكون هذا الفتيل موجودا" (11) .

وهناك سبب آخر جاء في مقالة في صحيفة نيويورك تايمز NewYork Times في الثامن عشر من شهر ديسمبر 1981 وكان كاتب المقالة هو فيليب تامبان Philip Taumban قال فيها :

" هذه التعليقات الرسمية قد أشعلت نار التخمين في كون الإدارة الأمريكية ، والتي لا تسرب المعلومات أصلاً ، تستغل هذا التخمين لوضع أساس لفرض الحظر على ليبيا".

وفي وقت لاحق من نفس الأسبوع قال أحد موظفي الإدارة الأمريكية والذي لديه معرفة بالنقاش الجاري في مجلس الأمن القومي ، في إحدى مقابلاته أن الإدارة الأمريكية قد قررت بالفعل أن تستغل القضية . وقال هذا الموظف - والذي طلب عدم ذكر اسمه - إن إمكانية فرض الحظر قد تمت مناقشتها على مدى بضعة شهور . وأضاف قائلا: إن التهديد بالاغتيال قد أعطى الإدارة الأمريكية قاعدة دراماتيكية لفرض الحظر في الأسبوع الماضي . وقال :" إن هذه المسألة ليست مصطنعة ولكنها توقيت موفق "

مثل هذه الاعمال ضد ليبيا قد نفذت .

أما السبب الثالث فقد بينه نائب وزير الخارجية الأمريكية William Clark والذي قد قرأ كلمة بالنيابة عن الرئيس ريغان والتي كانت قد صدرت في صحيفة The Washington Post في 11 نوفمبر 1981 حيث قال : " لقد تحركت الإدارة الأمريكية بسبب الجهود المعروفة التي قام بها القائد الليبي معمر القذافي وعلى مدى سنين عديدة لتهديد المصالح الأمريكية ولأصدقائها ولدعمه للإرهاب الدولي " .

كتب Peter Kihss في صحيفة NewYork Times بتاريخ 6 ديسمبر على لسان القذافي موضحاً ماذا تعني المصلحة الأمريكية وماذا يعني الإرهاب قائلا:

" يريد الأمريكيون أن يسيطروا على العالم ويقسموه إلى أعداء وعبيد " ثم قال: " تقف الدعاية الصهيونية وراء كثير من الاتهامات ونفي الحقيقة ضدنا في أمريكا. إن دعمنا لا يذهب إلا للحركات التي تناضل من أجل القضايا العادلة كمنظمة التحرير الفلسطينية ".

- **تطور قصة الفرقة الضاربة المزعومة :**

نشرت نيويورك تايمز NewYork Times في الثالث والعشرين من نوفمبر عام 1981 قصة مفادها أن البوليس السري قال أنه كان على علم تام بالتقارير التي قالت أن العقيد الليبي معمر

القذافي قد تآمر على اغتيال الرئيس ريغان ونائبه بوش واثنين من كبار أعضاء الوزارة . غير أن البوليس السري رفض التعليق حول ماهية الاحتياطات الأمنية المتخذة .

وفي الثالث من ديسمبر 1981 كتبت الواشنطن بوست The Washington Post ان ريغان لا يستطيع أن يهمل التهديدات الليبية الموجهة ضده شخصياً.

وقال ريغان مناشداً الشعوب العربية المعتدلة : " إن القائد الليبي معمر القذافي قد أكد تماماً أنه ضد كل الأشياء التي نسعى لتحقيقها كالسلام في الشرق الأوسط مثلاً " . وبينما يبدي ريغان اهتمامه بالفرقة الهجومية الليبية إلا أنه غير متأكد حول ماهيتها.

وفي الرابع من ديسمبر عام 1981 ذكرت صحيفة النيويورك تايمز NewYork Times أن أحد المخبرين قد أدلى للسلطات الأمريكية عن تمكن الفرقة الضاربة الليبية من الدخول إلى الولايات المتحدة، وحسب ما ذكرته الصحيفة فإن موظفا رفيعا في المخابرات الأمريكية قال بأن : " بعض القصص تبدو غير قابلة للتصديق".

وفي اليوم التالي 5 ديسمبر ذكرت الواشنطن بوست The Washington Post ما يلي : إن المخبر نفسه قد ادّعى أنّه أيضا من ضمن قائمة الاغتيالات المعدة . غير أن مصادر المخابرات قد أكدت أن مصداقية المخبر لم تتأكد ، ولم تثبت صحة قصة هذه بعد.

وأضاف مصدر آخر في المخابرات الأمريكية : " بصراحة ، نحن لا نعلم إذا كان ما قاله المخبر حقيقة أو خيالاً ، ولا نستطيع أن نجزم على كيفية الوثوق بما قاله. ونحن نعتقد أنّنا لا نستطيع أن نتجاهل هذا الأمر . لذا يجب علينا أن نتصرف".

لقد كانت المؤامرة المزعومة ضد الرسميين في الولايات المتحدة مصدر حيرة لصحيفة الواشنطن بوست The Washington Post وهكذا كانت تشك بصحتها .

وكتبت الصحيفة نفسها في 7 ديسمبر ما يلي:

" أخذت التقارير الواردة عن إرسال ليبيا لمثل هذا الفريق إلى الولايات المتحدة على محمل الجد، غير أنها تعتبر مصدراً لحيرة المخابرات الأمريكية والشبكة الأمنية فيها. "

وزعم أن مصدر أو مصادر المعلومات في تقرير المخابرات الأمريكية كان يوصف بشكل غامض في التقرير المذكور . بينما يمكن أن يكون إعطاء معلومات غامضة عن المصدر هو إجراء احترازي لسلامة المخبر أو المخبرين، وفي مثل هذه الحالة يكون الغموض جزءاً من معضلة تقييم صحة المعلومات وإثارة الشكوك حول وقتها.

ويمكن تلخيص الشكوك بما يلي : بالرغم من أنه ينظر للرئيس الليبي العقيد معمر القذافي كقائد خطير وغير مفهوم ، يشك بعض المحللين في زج اسمه في أية عملية اغتيال .

في السادس من ديسمبر أنكر العقيد القذافي عبر الأقمار الصناعية في البرنامج التلفزيوني الأمريكي " هذا الأسبوع مع ديفيد برنكلي David Brinkley " في محطتي (ABC,WJLA) أنكر وجود أية مؤامرات اغتيال، متحدياً إدارة الرئيس "ريغان" نشر أية أدلة عن الفرقة الليبية الضاربة .

وفي 7 ديسمبر نقلت الواشنطن بوست Washington Post على لسان الناطقة الرسمية باسم الخارجية الأمريكية سوزان بتمان Susan Pittman، وذلك بعد مقابلة القذافي بساعات قولها:

لدينا الدليل القاطع أن القذافي يتآمر على اغتيال الرسميين هنا وفي الخارج".

وبعد مضي يوم واحد قال الرئيس ريغان : " لدينا الدليل وهو (العقيد القذافي) يعرفه"

وقد علقت الواشنطن بوست Washington Post على ذلك: إن الرئيس ريغان لم يعلن على الملأ أية أدلة مماثلة ، لكنه يدعو مجلس الأمن الدولي إلى اجتماع تدرس فيه خيارات اقتصادية لمواجهة ليبيا عبر الإشارة إلى قرب تحرك الولايات المتحدة لاتخاذ عمل ما .

وفي نفس العدد من الجريدة ناقش هاينز جونسون Haynes Johnson الذي يعمل في الواشنطن بوست Washington Post المعيار الجديد لعدم التصديق : "حتى في تلك الفترة الساخرة عندما هُيء الأمريكيون لأن يصدقوا أسوأ الأخبار ، كانت الاتهامات المشحونة بالعاطفة التي تحيط والاتهامات المضادة ،بالتقارير التي تتعلق بالفرقة الليبية الضاربة ، تضع معياراً جديداً لعدم المصداقية .

وهذا لا يعني عدم وجود فريق الاغتيال ، بل يمكن أن يكون ذلك موجودا ، ونحن في الصحافة لا نكاد نثبت أو ننفي وجود هذه القضية ،إلا أن جيلا يتعرض لحقيقة محاولات الاغتيال ناجحة كانت او فاشلة سيزيد مثل هذا الافكار لوجودها".

وفي 9 ديسمبر عام 1981 قالت صحيفة The Christian Science Monitor " إن قول ريغان " بأن لديه دليلا عن مؤامرة ليبية ضده قد حظي بتصديق واسع في الكونجرس ، ولكن أخبار ال CBS في7 ديسمبر قد اقتبست قول موظف رفيع في ال FBI ، وقد أغفلت اسمه ، أن لديه شكوكاً حول وجود مثل هذا الدليل"(12) .

وفي نفس اليوم نشرت النيويورك تايمز NewYork Times أن مدير العلاقات في البيت الابيض ديفيد جرين David Green ، رفض الاعلان صراحة عما أسماه " الدليل الخطير" لمؤامرة اغتيال.

وتستمر قصة الفرقة الضاربة المزعومة . حيث نشرت وسائل الاعلام في 9 ديسمبر أن الحظر الاقتصادي على ليبيا قد درس . وفي العاشر من نفس الشهر ذكرت الواشنطن بوست The Washington Post ما يلي :

نقلت ال CBS News أن مصادر قد ذكرت أن خمسة من فريق الهجوم هذا قد كشف النقاب عنهم ومن ثم تمت مقابلتهم في المكسيك . وكان ثلاثة منهم شرق أوسطيين وواحد أشقر ، قد يكون ألمانياً . وقالت أيضاً إنها أبلغت بأن المخبر الذي حذر رجال المخابرات الأمريكيين بوجود المؤامرة المزعومة قد استجوبه أطباء نفسيون خارج الولايات المتحدة وكان أن اجتاز عدة فحوص لكشف الكذب.

هذا وقد عززت صحيفة The Christian Science Monitor الشكوك حول القصة بكاملها وحول المخبر عنها .

وقد كتب جوزيف هارش Joseph C. Harsch العامل في هذه الصحيفة في العاشر من ديسمبر مايلي :

فمن المعتقد (رغم شكوك بعض الرسميين في ال FBI) ان التقارير صحيحة ، وأنه قد أمر بإرسال الفرقة الضارية إلى الولايات المتحدة لان تلك هي أيسر الطرق لحماية نفسه . ولكن من الممكن أن لأ حد ما مصلحة ما في التآمر لإيجاد نزاع سياسي بين الولايات المتحدة وليبيا.

وتقول كل القصص التي تدور حول مسألة القذافي هذه إن المعلومات التي وصلت واشنطن كانت عن طريق مخبر مغفل الاسم . من الذي أخبر ؟ ماذا كان في الحقيقة يعرف ؟ ما هي دوافعه ؟ فالأسئلة أكثر من الأجوبة" .

ثم أصدرت الإدارة الأمريكية في العاشر من ديسمبر بياناً حول السياسة الأمريكية تجاه ليبيا . تلا ذلك استدعاء الرئيس " ريغان " جميع الأمريكيين الموجودين في ليبيا أن يغادروها، بالسرعة الممكنة، وذلك بسبب "الخطر" الذي يشكّله الحكم الليبي على المواطنين الأمريكيين . بالإضافة إلى أن جميع جوازات السفر الأمريكية قد أصبحت غير سارية المفعول بالسفر إلى ليبيا .

وكانت ردة الفعل عند الأمريكيين العاملين في ليبيا تدحض الإدعاء الأمريكي أنهم في خطر. وما لبث أن نقلت صحيفة The New York Times في الثاني عشر من ديسمبر عن عدد من الامريكيين العاملين في ليبيا قولهم إنهم لا يشعرون بأنهم مهددون ، وهم يحسون بالأمن ، لذا فهم راغبون في الإقامة في ليبيا ، رغم مناشدة الرئيس ريغان لهم بالمغادرة .

هذا وقد كشفت الصحيفة في نفس اليوم عن المعلومات المزعومة بوجود الفرقة الضاربة الليبية، ونشرت صوراً و أسماء بهذا الخصوص . وكان هذا بعد مرور وقت طويل من القول إنّ أعضاء الفرقة قد تسللوا إلى الولايات المتحدة .

وقال عضو مجلس الشيوخ Baker في 16 ديسمبر: إنّ فرصة محاولة الإغتيال التي تقوم بها الفرقة الليبية قد تضائلت .

وفي السابع والعشرين من ديسمبر نعتت الواشنطن بوست Washington Post الفرقة الليبية بفرقة " الإغتيال الليبية .

وفي الفترة الواقعة بين 21 - 27 ديسمبر ذكرت وسائل الإعلام الأمريكية بأن وكالات المخابرات في الولايات المتحدة تعتقد الآن بأنّ أعضاء الفرقة قد جمّدوا عملياتهم .

ومن الواضح أن القصة قد حققت أهدافها بالنسبة لصانعي السياسة الأمريكية . لذا فهم كانوا نسجوا خيوط القصة وهاهم الآن يقررون تجميدها أو وأدها .

- **التقييم :**

من الجلي أنّ ابتداع قصة الفرقة الضاربة المزعومة يهدف إلى ما يلي :

1. تحويل الأنظار عن المشاكل الاقتصادية الأمريكية .
2. معاقبة ليبيا لدعمها حركات التحرر الوطنية كمنظمة التحرير الفلسطينية وتقويض المصالح الأمريكية والدول الصديقة لأمريكا . هذه المصالح التي تعتبر ضد مصالح شعوب العالم الثالث .
3. ايجاد أساس متين لفرض حصار وعقوبات على ليبيا وذلك من خلال ايجاد شعور عام بالشفقة بين أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس الكونغرس هذا الشعور الذي وُجد وتنامى مع القصة .
4. تشويه الصورة الليبية في كل أنحاء العالم مما يدعو الدول الأفريقية لمقاطعة اجتماع منظمة الدول الأفريقية O. A. U. في طرابلس مما يحدو الأمل بعدم ترأس القذافي لهذه المنظمة .

هذا وقد حققت الحملة ، من وجهة النظر الأمريكية ، جميع أهدافها ولكنها قد أوجدت نتائج أخرى :

1. وكما قال جوزيف هارش Joseph Harsch في صحيفة Christian Science Monistor (C.S.M.) في العاشر من ديسمبر :

" في هذه الأثناء كان العقيد القذافي قد رقى إلى درجة البطل الشعبي بين العرب نتيجة إعطاء واشنطن هذا الإهتمام له . وبالنسبة لهم فإنّ قصة داود ضد جوليات Golilath تعود مرة أخرى حيث يكون داود الرابح دائماً .

2. إنّ فشل واشنطن في الحصول على تعاطف الدول الأوروبية ، على رأس أعمال حملة الدعاية الأمريكية ، فقد حرصت فرنسا ، نقلت هذا صحيفة الواشنطن بوست Washington Post في عددها الصادر يوم الثاني عشر من ديسمبر ـ بأنّ وزارة الخارجية الفرنسية قالت بأنّ الحكومة تعتقد أنّ إتجاه الحكومة الليبية لم يعد يشكل خطراً خارجياً . وسوف تحاول فرنسا أن تعود وبشكل مستمر إلى بناء العلاقات الطبيعيّة بينها وبين الدول الشمال أفريقيَّة

3. زعزعة مصداقية القصة بكاملها حول الفرقة الليبية الضاربة المزعومة ، ومن الواضح أنّ القصة كانت مهزوزة منذ البداية . فعناصرها بدأت في الزعم بوجود فريق هجومي مكون من خمسة أشخاص استطاعوا دخول الولايات المتحدة . ثم قالت الأخبار أنّ الفريق هذا يمكن الدخول عن طريق كندا . وبعد أيام اصبحت القصة تدور حول فريقيين هجوميين يتكونان من عشرة أشخاص وكانت الصحيفة مزودة بصور وأسماء أعضاء الفريقين . وذكرت وسائل الإعلام أيضاً أنّ أعضاء الفريق الهجومي قد عمل مقابلة في كندا . وتابعت القصة قولها بوجود " مخبر " واحد فقط .

وبعد هذا قال الرئيس ريغان في مؤتمر صحفي إنّ مصادر المعلومات حول تلك القضية كثيرة. ولسخرية القدر فإن مصادر أما المخابرات الأمريكية صرّحت أنّ فرقة الهجوم قد جمدت عملياتها!!!

ثم ما لبثت القصة أن تلاشت فجأة . وقد كانت الشكوك قد رافقتها منذ البداية في كثير من الصحف الأمريكية . ولكن عندما تسرّب الإدارة بعض الأخبار حول قضايا مثيرة تقوم وسائل الإعلام ، وهي جشعة لمثل لتلك الأخبار ، بنشرها وبكل حماس .

هذه هي قصة الفرقة الضاربة المزعومة بكاملها . وعلى الرغم من ذلك فرضت الولايات المتحدة الحصار على ليبيا . وفي الحقيقة فقد ربحت ليبيا تلك الحملة حتى ولو أنها خسرت بعض المصالح الإقتصادية .

الهوامش

1. Paletz , David and R.M. Entman (1981) . Media , power & Politics.
2. New York : The Free Press . Page 6 .
3. Reston , James (1967) . The Artillerry of the press . New York :
4. Harper and Row . Page 48 .
5. Broder , David S. (1974) .” Politicians and Biased Political
6. Information.” In Richard lee (ed.) Politics and the Press .
7. Washington,D.C. : Acropolis Books. Pages 60-61 .
8. Krieghbaum , Hillier (1973) . Presssures on the Press . New York :
9. Thomas Y. Crowell Co. Page 2 .
10. Rivers , William L. (1967) . The Opinion Makers . Boston :
11. Beacon Press , Page 8.
12. Reston,James . op.cit . Page 9.
13. Broder , David . op.cit page 61 .
14. Oytoby , Willard G. (1980) . “Western Perceptions of Islam and
15. the Arabs “ in M. Hudson and R. Wolfe (eds.) . The American Media
16. and the Arabs . Washington , D.C.: Center for Contemporaary Arab
17. Studies , Georgetown University . Page 16.
18. See : New York Times issues November 13, December 4,6,12 and
19. 18, 1981.
20. See : Washington Post issues November, 10,December3,5,7,
21. 8,10,11,12 and 27,1981 .

22. See : Tribune January 4, 1982 .
23. See : Christian Science Monitor , December 9 and 10,1981

الفصل العاشر

حرية الصحافة

ليبيا نموذجا 1969 – 1977

الفصل العاشر

حرية الصحافة

ليبيا نموذجا 1969 – 1977

المقدمة:

من أجل فهم أية عملية اتصال يجب تحليل السياق الذي ترد به حيث تشكل الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية عناصر أساسية في فهم عمليات الاتصال في أي مجتمع، ولهذا تلعب وسائل الإعلام دورا مختلفا من مجتمع لآخر.

لقد أكد العديد من الباحثين الذين قاموا بدراسة دور وسائل الإعلام في العالم الثالث على الدور المميز للإعلام وعرفوا الاتصال التنموي بأنه: فن وعلم الاتصال الإنساني الذي ينطبق على التحول السريع لدولة ما من حالة الفقر إلى حالة مستمرة فعالة من النمو الاقتصادي والتي توفر تكافؤا اقتصاديا واجتماعيا أفضل وإنجازا أعظم للإمكانات الإنسانية.[183]

يختلف هذا الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في دول العالم الثالث عن التجربة الغربية.

وقد ناقش بورتس Ports أن التنمية في دول العالم الثالث تختلف عن التنمية لدى (الأمم الأوروبية) في العديد من النقاط المهمة.

ويصرح بأن: استراتيجية التنمية في العالم الثالث تميل إلى أن تكون هادفة ومخططة، تبعا لأهداف محددة من النخبة بمهارة مسبقا وبشكل جماعي ومكثف في إطار زمني أقصر.[184]

وحاول رجس Riggs تبيان أنه تحت تأثير قوي التحديث القادمة من الغرب يميل النظام التقليدي السابق أن يتطور لنوع جديد من النظام الاجتماعي أو السياسي، ويوصف

---

183 – Nora Qucbral. "What Do We Mean by Development communication?"' QuOted by John A. Lent in "Mass Communications in the Third World: Some Ethical Considerations. Siudics in ThinJ World SociClics No.8. (1979)p.8.

184 – Portes. quoted by Chin Lee in; Media Imperialism Reconsidered: Thc Homogcni7,;ng ofTclcvision Culture (Beverly Hills: Sage Publi(ation~. 1980) p.21.

ذلك النظام الجديد عادة بالانتقالي، والذي ينشئ خصائص شاملة تميزه وحده. ويخلق آليته الخاصة به من الاستقرار والذاتية الدائمة.[185]

ويرى لنت lent أنه في أوائل السبعينات أدركت حكومات العالم الثالث أن الصحافة التنموية Development Journalism تفيد في تعزيز ودفع أيديولوجياتهم وحملاتهم السياسية، وتحول هذا المصطلح إلى مصطلح الصحافة الملتزمة Commit ment Journalism وطبق على مشاكل الأمة بشكل منتظم.

ويستمر بالقول: أن من الواضح أنه في مجال علاقات وسائل الإعلام بالحكومة فقد تغيرت المفاهيم التقليدية لحرية الصحافة في ضوء سرعة الالتحاق بركب الاتصال التنموي.

حاور وزراء الحكومة في بعض الأحيان تلطيف ومعالجة النقد الناجم عن ذلك بالتعهد بتوفير المزيد من حرية التعبير عندما تحقق أمتهم أهداف التنمية.[186]

وكان هذا صحيحا في معظم أنحاء العالم الثالث وخاصة في الدول الثورة منها. فقد قام وليام رو William Rug عام 1979 بدراسة الصحافة العربية وصنفها لثلاث فئات:

أولا: صحافة التعبئة (التحريك) وتنطبق على سبعة بلاد عربية وهي: الجزائر، مصر، العراق، سوريا، ليبيا، (اليمن الجنوبي) والسودان.

ثانيا: الصحافة الموالية: في الأردن وتونس والسعودية والبحرين وقطر والإمارات والكويت والمغرب.

ثالثا: صحافة لبنان المتعددة الأشكال.[187]

وما يهمنا في بحثنا هذا هو النوع الأول من الصحافة. (وسنركز اهتمامنا في بحثنا هذا عليه) الذي يصفه لنا رو Rugh بقوله:

"تعتبر أنظمة الحكم السبعة لهذه البلاد الصحافة أداة مهمة جدا لتحريك الدعم الشعبي لبرامجها السياسية.

---

185 – Rig's. quoted by S.N. Eismadt in "The Changing Vision of Modernizalion and Development" in Schramm and Leamer (cds) Communication and Change: The Lnst Ten Years and Next (Honolulu.E.~~ West Center Books. 1976)p. 37.

186 – Lent, op. cil.. p- 8.

187 – Ibid.. p. 8.

تميل أنظمة الحكم إلى التمسك بالسياسات المحلية والخارجية الفعالة التي تدافع عن التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وتتضمن أيديولوجياتها عناصر صراع حاد ضد القوى المعادية المزعومة التي تعمل ضد الملحة الوطنية.

وتسعى الجماعة الحاكمة على استخدام الصحافة لتحسين قضاياها والمساعدة في خوض معاركها.[188]

هذا التوصيف حقيقي، وينطبق بصورة أساسية على دور الصحافة في ليبيا في السبعينات. ويتطلب هذا الدور إعادة تعريف الأفكار التقليدية للديموقراطية وحرية

الصحافة في بلاد كالتي تم ذكرها سابقا. ويجعل التعريف الجديد من كلمتي الإرشاد والتعاون مفاتيح فهم حرية الصحافة في ليبيا خاصة، والعامل الثالث عامة كما يقول Lent.[189]

"أدركت الحكومة أنه إذا تم استعمال وسائل الإعلام في تحقيق استراتيجيا التنمية الوطنية سيكون من الضروري أن تتحكم السلطات بها. وكانت النتيجة المزيد من استخدام وتوظيف دليل وموجز لنهج أو سياسة دقيق وبارع بصدر للصحافة، وإعادة تعريف بالأفكار التقليدية للديموقراطية وحرية الصحافة. مدعما بآلية الأنظمة السلطوية التي يمكن استعمالها عند الحاجة.

لهذا فإن الإرشاد والتعاون أصبحتا الكلمات الدليلية في علاقة الإعلام بالحكومة. وقد أوضح قادة العالم الثالث هذا الأمر بما يلي:

لأن أمم العالم الثالث حديثة النشأة، فإنها تحتاج إلى وقت لتطور مؤسساته وخلال هذه المرحلة الأولية للنمو يجب مراعاة والاهتمام بالاستقرار، والوحدة، والتقليل من النقد، وتشجيع ثقته الجمهور بالمؤسسات الحكومية وسياساتها. يجب أن تتعاون وسائل الإعلام – حسب هذا المفهوم الصحافي الإرشاد – بالتأكيد على الأخبار الإيجابية والمهمة للتنمية، وتجاهل الخصائص المجتمعية أو المعارضة وذلك بتأييد أيديولوجية الحكومة وخططها.[190]

تقييد الإعلام:

---

188 – **William A. Rough TIle Arab PI'CS$ (New York: Syracuse University Press. 1979) p.33.**

189 – **Lent. op. Cit., p. 8.**

190 – **Ibid.. p. 8.**

بحاجج دو فلور ورفاقه De Fleur.et.al: أن وسائل الإعلام لا تفتقر فقط إلى قوى التأثير الاعتباطية، لكن ينقصها أيضا حرية المشاركة الشخصية في السلوك لاعتباطي للاتصال، وبعد كل من الإعلام والجمهور أجزاء مندمجة متكاملة في مجتمعاتهم.

يزود السياق الاجتماعي والثقافي الآلية للتقييد ليس فقط على طبيعة رسائل لإعلام، إنما أيضا على طبيعة تأثيرها على الجمهور". [191]

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفسر لماذا تحاول دول العالم الثالث التحكم بصحافتها، وكيف يحدد السياق الاجتماعي والثقافي هذه القيود وطبيعة التأثيرات المرجوة للإعلام.

يجب أن ندرج عند مناقشة حرية الصحافة في ليبيا أن الحرية ليست مفهوما ثابتا مطلقا. وفي كل مجتمع يقوم المشرعون بسن القوانين التي تقيد الحرية لمصلحة المجتمع.

يصرح ريفرز ورفاقه Rivers, et. al :"نحن نتحدث عن الحرية لكنها غير مطلقة تقريبا حيث يتعرض أي نظام للإعلام لبعض التنظيم والسيطرة القانونية الرئيسية.

من ضمنها قانون صمم لحماية الأفراد أو الجماعات من القذف (تشويه السمعة)، وقانون لحماية المؤلفين والناشرين، وقانون آخر أساسي للمحافظة على حقوق النشر والتأليف، وعلى آداب السلوك والأخلاق العامة، وقانون لحماية الدولة من التعبيرات المحرضة على الفسق". [192]

وإذا اعتبرت هذه القوانين بأنها صالحة ويمكن تطبيقها في البلدان المتقدمة كالولايات المتحدة فإنها تعد ضرورية أكثر في البلدان النامية وفي بلد نام كليبيا.

ليبيا نموذجا:

إن دور القانون وحرية الصحافة في ليبيا مترابطان ومتلازمان مع أيديولوجية الثورة وأهدافها حيث تظهر وثائق الثورة الليبية الحاجة إلى صحافة تعبوية.

وقد أعلن مجلس قيادة الثورة بعد شهرين ونصف من قيام الثورة الليبية في الحادي عشر من ديسمبر عام 1969 الإعلان الدستوري.

يحتوي الجزء الأول من هذا الإعلان على العديد من المواد والبنود التي تؤثر في العلاقة بين الدولة والصحافة. هذه المواد هي:

---

[191] – **Dc Fleur, Melvin L. and Sandra Ball-Rokeach. Theories of Mass Communication (New York: David McKa)' CCI.. 1976) p. 258.**

[192] – **William L Rivers. et at Responsibility in Mass Communication (New York: Harper and Row. 1990) 11,ird Edition. p. 53.54.**

المادة السادسة:

تسعى الدولة إلى تحقيق الاشتراكية بتطبيق العدالة الاجتماعية التي تحظر أي نوع من الاستغلال، كما تسعى الدولة إلى تحقيق إنتاج كاف، وفي توزيع العدالة

بإنشاء، علاقات اشتراكية تهدف إلى إذابة الفروق بين الطبقات سلميا، والوصول على مجتمع الرفاهية.

المادة التاسعة:

ستؤسس الدولة نظاما شاملا للتخطيط القومي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وسيؤخذ بعين الاعتبار ويعطي أهمية خاصة في توجيه الاقتصاد القومي للتعاون بين القطاع الحكومي والخاص لتحقيق أهداف التنمية الاقتصادية.

المادة الثالثة عشرة:

حرية التعبير عن الرأي مكفولة في حدود مصالح الشعب ومبادئ الثورة.

وهكذا تعكس هذه البنود نوعية المجتمع المثال من الدولة والشعب. وهو مجتمع اشتراكي يسعى لتحريك الشعب، للمشاركة في عملية التنمية، لبناء مجتمع تقدمي جديد.

وقد وجه العقيد معمر القذافي خطابا للجمهور في 1970/6/22 قال فيه:

"إخواني، في النظام الثوري، يستطيع الموظف في عمله أن يخطط ويدير العمل نظريا لكنه لا يستطيع وحده تحقيق أو إنجاز ما خططه وقرره. لتحقيق هذا فإن على كل فرد أن يتحمل مسؤولياته وينجز واجباته".[193]

تحدد خطة التحول الاجتماعية – الاقتصادية التي تم تحضيرها من قبل وزارة التخطيط أهمية الإعلام في عملية التنمية. حيث تعتمد على رجال يؤمنون بها ويفهمون منهجها ونظامها.

تحتاج الآراء الرئيسة والمفاهيم والقيم في مجتمع ما إلى أداة تضمن انتقالها إلى المواطنين. لهذا فإن لوسائل الإعلام أهميتها في كل المجتمعات، ولذا تعتبر المعلومات عونا وحليفا للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.[194]

---

[193] – **The Ministry of Education and National Guidance. The Achevement of Libyan ..Revolution (Tripoli: The General Administration of National. Guidance. 1910) (in Arabic).**

مـن الواضـح أن لكلـك ملاحـظ أن دور الإعـلام فـي ليبيـا هـو دور المحـرض والمحرك والموجة لتحقيق استراتيجيات التنمية الوطنية.

وينسـجم هـذا الـدور ويتوافـق مـع واجبـات الحـزب السياسـي الليبـي. (الاتحـاد الاشتراكي العربي) الذي أدار الصحافة منذ أكتوبر 1973.

ويورد فتحلي وبالمر Fathaly & Palmer وظائف الاتحاد الاشتراكي المتمثلة فيما يلي:

1- إيقاف أو تنبيه الشعب سياسيا واجتماعيا ورعاية الإسلام والقومية العربية وإبلاغ الشعب بحقوقه وواجباته في الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
2- مساعدة الشعب في التنميـة الاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصـادية والروحيـة بالتعـاون مع المؤسسات والمجالس ذات الصلة.
3- فهم مشاكل وحاجات الشعب الأساسية، ومساعدة المجالس المحلية، والمؤسسات في تحقيق حاجاتها، وإرجاع الأمور التـي لا يمكن حلها، علـى المستوى المحلـي إلى مستويات أعلى للاتحاد الاشتراكي.
4- زيادة الإنتاج على المستوى الأساسي.
5- محاربة الاستغلال وكل أنواع البيرقراطية المتصلة.

وقد قرر أول مجلس وطني عام للاتحـاد الاشـتراكي العربـي فـي 8 ابريـل 1972 أن ينظم الصحافة طبقا لمبادئ محددة.

ومن ضمن توصياته:

1- إلغاء الرقابة الصحفية.
2- التأكيد على السيطرة المالية على الصحافة.
3- ضرورة الالتزام بمبادئ الثورة.
4- مراجعة قانون الصحافة – يجب إلغاء القانون القديم وإصدار آخر جديد.
5- الصحافة ليست مورد استرزاق لهذا يجب اختيار مالكي الصحف والمحررين ممن يؤمنون بمهمة الأمة وبالتالي يجب تقليل عدد الصحف الأخبارية لتجنب الاستغلال.
6- ضرورة إيجاد وخلق صحافة متخصصة.
7- أهمية توزيع الصحف على كل أنحاء الجمهورية.
8- تنظيم الشؤون الصحفية والإعلامية.

---

[194] – **The Ministry of Information(ion and Culture Department, 1973)p. 88 (in Arabic).**

سن الاتحاد الاشتراكي العربي في 17 يونيو 1972 قانون الصحافة رقم 76 لسنة 1972 (سناقش: هذا القانون فيما بعد).

وقد انشأ الاتحاد العربي الاشتراكي بعد إصدار هذا القانون المؤسسة العامة للصحافة وتحدد المادة الأولى في هذا القانون الأهداف العامة للمؤسسة العامة للصحافة وهي:

أولا: توعية الرأي العام المحلي بمجريات الأمور وبمشاكل الوطن العربي والشئون العالمية المتنوعة. وسيؤدي هذا لتنوير وتوعية الرأي العام وتحقيق مسيرة الثورة نحو الحرية والاشتراكية والوحدة.

ثانيا: سيلقي الضوء على مكاسب الثورة والإنجازات الوطنية على مستوى محلي (ليبيا) ووحدة الوطن العربي، وتحقيق الترابط الروحي والفكري بين قوة الشعب في اتحاد الجمهوريات العربية، ويؤكد على حتمية وحدة الأمة العربية.

ثالثا: يسلط الضوء على / ويظهر/ صورة حقيقية عن المجتمع العربي في ليبيا عن طريق وصف حقيقة تاريخه وحضارته الإسلامية لتزويد الرأي العام العالمي بفكرة حقيقية صحيحة عنه.

رابعا: إعداد جيل من الصحافيين والكتاب الذين سيكونون ملتزمين بالثقافة الإسلامية ويؤمنون بمبادئ الحرية والاشتراكية والوحدة.[195]

ويحدد دور الصحافة في الكتاب الإحصائي السنوي للمؤسسة العامة للصحافة بالتالي:

1- تفسير الفلسفة والأيديولوجية التقدمية للثورة.
2- النشر والدعاية للقوانين الاشتراكية وتفسير أهدافها.
3- تعزيز العلاقات الحربية بين الشعوب وتوحيد اتجاهاتهم نحو التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
4- تشجيع والتأكيد على أهمية مراقب الشعب وإشرافهم لتحقيق التنمية في المجالات الإدارية والتقنية والاقتصادية.
5- إدارة وتوجيه العمال المحليين لتحقيق وحماية خطط التنمية.[196]

---

195 – **The ministry of Planning The Social and Economic Transition Plan 197&.1980'1 (Tripoli: Ministry of Planning, 1916)p. 337.**

196 – **Omar EI-Fathaly and Mont Palmer Political. Development and Social Change in. Libya(Mass: Lexington nooks. 1980). p. 99.**

قانون الإعلام:

بناء على أنظمة الاتحاد الاشتراكي العربي – الذي يدير الصحافة – وطبقا لتوصياته، تم تشريع قانون لصحافة الجديدة.

وتتحدث هذه الأنظمة عن "الحرية المسؤولة" حيث تقول: أنه من الضروري في مرحلة بناء الاشتراكية بلورة الأنماط الصحيحة للحرة المسؤولة في المجتمع الثوري الذي لن يمنح عدو المجتمع والاشتراكية أية فرصة للتضليل والخداع.[197]

ويلح العقيد القذافي على الحرية الجماعية ويعبر عن ذلك بالقول:

يجب أن تكون الحرية باعتقادي حرية الشعب الليبي وليس عدوه. إذا كان هناك عشرة أشخاص فيجب أن تعطي الحرية للتسعة، وإذا لم يوافق العاشر معهم، لأن حرية الفرد يجب ألا تكون ضد مصلحة التسعة. قانون الحرية الصحيح هو في أن تمنح الحرية للتسعة على حساب ضرر الشخص الواحد الباقي".[198]

وينعكس هذان المفهومان للصحافة (الصحافة المسؤولة وحرية الأغلبية) في قانون الصحافة.

حيث يشير قانون الصحافة في المادة الأولى إلى حرية الصحافة والطباعة. وحق كل فرد في التعبير الحر عن آرائه ونشرها بمختلف الوسائل طبقا للحق الدستوري، كما نظمها هذا القانون ضمن إطار مبادئ المجتمع وقيمه وأهدافه.

لا تجعل هذه المادة الحرية مطلقة. بل يحكمها الأسس الاشتراكية ضمن إطار المجتمع الذي حدد الإعلان الدستوري وجوده كدولة اشتراكية (المادة السادسة)،

وتضمن المادة الثالثة عشرة الحرية ضمن حدود مصالح الشعب وأهدافه الثورية. لكن إذا بحثنا في قانون الصحافة نستطيع أن نتتبع أثر هذه المواد في تحديد حرية الصحافة. وتظهير هذا التحديد في ثلاثة أصناف: سلطة الترخيص، سلطة التقييد، سلطة التحكم ضبط ومراقبة الميزانية وسنناقشها بشيء من التفصيل.

أ) سلطة الترخيص (الموافقة):

---

197 – **Ahmed M. Ashiurakis. Introduction 10 Libyan Arab Information Media (Tripoli Dar Al.Ferjani, 1975)pp. 81-88**

198 – **Public Establishment fur the Press(P.E.p.) The Annual Statistical Book for 1976.(Tripoli: P.E.P.. 1977) p. 2 (In Arabic).**

يعطـي قـانون لصـحافة مـدير المطبوعـات الحـق فـي الموافقـة أو الـرفض للمتقدم بإصدار مجلة دورية (المادة 10): كما يجب أن يحصـل مالـك دوريـة أو شـبه دوريـة علـى موافقة مدير المطبوعـات فـي وزارة الإعلام قبل إجـراء تغيير مـا فـي الترخيص. (المـادة 11): وكما يخضع دمج دوريات لموافقة الوزير المسؤول. (المادة 12): بالإضـافة إلى هنا يصدر إلغاء الترخيص فـي حـالات معينـة من الـوزير المخـتص وبنـاء علـى توصـية مـدير المطبوعات. (المادة 15): وكذلك فإنه لدى الوزير المختص السلطة على أن يقرر فـي أي مجال تتخصص فيه الدورية. وعلى تحديد أولية منح الدوريات للترخيص (المادة 8).

ب) سلطة التقييد:

يقرر قانون الصحافة (المادة السـابعة والعشرون ثـلاث عشـرة حالـة لا يسـمح بهـا النشر في أي مجلة دورية منها:

1- التشكيك بأهداف الثورة ومبادئها.
2- دعوة لحكم طبقة أو فرد ما.
3- احتقار الأديان والمذاهب الدينية المعترف بها.
4- انتهاك وتدنيس الأخلاق أو تشويه سمعة الناس.
5- إثارة الجانب السلبي لموضوع ما وتجاهل الجانب الإيجابي بغية تضليل الشعب.
6- كل ما يثير الشك المذهبي أو الانتقام أو الثأر أو يدعو للسلبية والمعارضة.
7- الأخبار التـي تسبب نقص في حجم العملة المتداولة وتقضـي إلـى انخفـاض عـام فـي الأسـعار، وانخفـاض فـي قيمـة العملـة الوطنيـة، أو قـروض الحكومـة – وكفالاتهـا وزعزعة الثقة والأمن داخل البلد وخارجه.

وتباعا (للمادة 33) تصـادر الدوريـة بأمر من الوزير المختص إذا نشرت تحريضـا ضد أمن الدولـة، أو مبادئها، أو ما يدعو إلى تعليق المبادئ الرئيسية أو الإطاحة بـالحكم أو الإخلال بالأمن أو النظام أو الأخلاق أو المعتقدات الدينية الراسخة.

تم تأكيد هاتين المادتين بالإعلان الدستوري ومبادئ الثورة.

وقد لاحظ رو أن صـحافة التعبئـة لا تنتقد السياسـات الرئيسـة للحكومـة الوطنيـة، وأنها تـدافع عن التغير الاجتمـاعي والاقتصـادي والسياسـي وأي قوة عدائيـة ضـد مصـالح الشعب.[199]

---

199 – Ibid p.9.

18- The Revolution of the Libyan Arab People. op.cit. P. 63.

بالإضافة إلى ذلك هناك أنظمة محددة للمراسلين الصحفيين تحتاج إلى موافقة وزير الإعلام (المواد 25 – 27).

سلطة التحكم ومراقبة الميزانية:

خصصت (المادة 30) لميزانية الدوريات، وقد سن خصوصا لمنع أي نوع من التمويل الأجنبي الذي يمكن أن يؤثر في سياسات الصحافة.

يتطلب هذه المادة أن تعد كل دورية سجلا منتظما موافقا عليه من إدارة المطبوعات، يحتوي على معلومات دقيقة عن رأسمال ودخل الدورية، من الإعلان والتسويق والمعونة المالية ومصادر أخرى ونفقاتها. ويخضع هذا السجل وميزانية الدورية لسلطة إدارة المطبوعات ومكتب المحاسبة.

يضع هذا العمل الصحافة تحت إشراف الحكومة والتي تسيطر على الإنفاق بصورتين:

أ) تمويل مباشر لصحافة الشعب التي يملكها الحزب السياسي.

ب) تمويل غير مباشر عبر إعلانات الحكومة.

وينسجم هذا القانون مع توصيات الاتحاد الاشتراكي العربي، وتأخذ سلطة الصحافة جانبا أخر متصلا بالمحررين أنفسهم.

حسب هذا القانون فإن مؤهلات المحررين ستحقق تحكما ذاتيا.

تحدد المادة السادسة المؤهلات الغنية، بينما تحدد المادة السابعة ضرورة إيمان رئيس وأعضاء مجلس الإدارة وجميع المحررين بمهمة الصحافة والكلمة المطبوعة والعمل الإعلامي والاهتمام بأسلوب العمل الإعلامي. والعمل على تحقيق أهداف الصحافة في خدمة الجماهير.

تحدد المادة الخامسة تسعة شروط تنطبق على مالك الدورية والتي من مضمنها أن يؤمن بالثورة العربية وملتزما بتحقيق أهدافها وأهداف ومبادئ الاتحاد الاشتراكي العربي.

19- Bazamah, Mohmmed M. the Arab Culural Revolution (Tripoli: Mo'Assasat Nasser Lilthaqafah, 1973), pp. 234- 35.
20- Ashurakis, op. cit., pp. 84- 109.
21- Rugh. Op.cit.

وعلاوة على هذا فإن من مسؤوليات رئيس التحرير السلطة الفعلية على مضمون الدورية.

تسهل المظاهر السابقة لقانون الصحافة دور صحافة التنمية كما ذكرنا مسبقا. ولا تحتاج هذه الأنواع من السيطرة إلى رقابة مسبقة، لهذا فإن المادة الثانية تؤكد على عدم فرض رابة على الصحف قبل إصدارها.

ومن خلال خبرتي لأكثر من خمس سنوات كمحرر لم تعاني الصافة الليبية من ضغط الحكومة أو الرقابة لثلاثة أسباب:

أولا: لأن رئيس التحرير نفسه كان يعمل كرقيب داخلي.

ثانيا: تزويد السلطة من وقت لأخر رؤساء التحرير والمحررين بدليل عن تعليمات السياسات الداخلية والخارجية الحالية.

ثالثا: ولاء رؤساء التحرير والمحررين أنفسهم الكامل لمفاهيم الثورة، وعملهم وفق مبادئها وأهدافها واستراتيجياتها.

ولثقة الحكام بمثل هؤلاء المحررين (المادة 32) قد منحوهم الحق في نقد المسؤولين إذا توفر لديهم دليل، حتى وأن أدى نقدهم إلى تشويه سمعة والحط من

قدر الشخصية، بالرغم من أ،ه يعاقب على تشويه سمعة الفرد في أي دورية طبقا لقانون القوبات، إذ وجهت هذه التهم إلى شخص ما وذكر اسمه أو أشير إليه ضمنيا في الدوريات.

في هذه المادة فإن إخفاء لدليل عن صحة التهمة لن تبرئ من العقوبة إلا إذا كانت التهم موجهه إلى جميع المؤسسات التالية أو لأي واحد منها:

1- مجلس الوزراء أو المجالس التشريعية والتنفيذية.
2- لجان ومؤتمرات الاتحاد الاشتراكي العربي.
3- المحاكم والمجالس القضائية.
4- القوات المسلحة والشرطة.
5- الإدارات العامة جمعياتها ومجالسها الإدارية.
6- موظفو الدولة الموظفون العامون.
7- المسؤولين عن الخدمة العامة.
8- المرشحون للانتخابات أثناء ترشيحهم.
9- لشهود في المحكمة.

10- أي فرد تمكن من الحصول على ربح غير قانوني من دوائر الحكومة ومؤسساتها، أو كان سببا في حرمان آخرين، أو استغل وضعا معينا في دوائر حكومية لمصلحته الخاصة، واضر بالمصلحة العامة.

ستستخدم هذه المادة من قبل المحررين لنساعدهم في اكتشاف الفساد إن وجد.

التقييم:

يختلف دور الإعلام في العالم الثالث عن البلدان المتقدمة، فلمفهوم حرية الصحافة معان وتطبيقات مختلفة، تستدعي العلاقة بين الصحافة والحكومة أسئلة عديدة عن حريتها:

أولا: إذا كانت القيود المفروضة على الصحافة تهدف إلى جعلها أكثر فاعلية في علمية التنمية في أي مرحلة إذن ستتحقق عملية التنمية؟ ومن سيقرر إذا كانت أمة معينة قد حققت أهدافها الخ.. وهل هناك حاجة إلى مثل هذه القيود.

ثانيا: هل يستطيع فرد ما لديه السلطة أن يزعم أن مفاهيمه هي مفاهيم المجتمع؟ لهذا من حقه أن يستخدم الصحافة لتحقيق مفاهيمه، وحتى يمكن اعتبار هذه المفاهيم مفاهيم المجتمع.

وما هو المعيار الذي يمكن استخدامه لتقرير أهداف محددة؟ وهل هذه الأهداف هي أهداف المجتمع.

ثالثا: هل تسهل القيود والسلطة المباشرة المفروضة ن الصحافة عملية التنمية؟

لن نجادل في ضرورة إلغاء جميع القيود لكننا نرى ضرورة إعطاء الحد الأدنى من الحرية. لأنها تساعد الحكومة في اكتشاف الأخطاء، أو أي فشل أو أي عجز في خطة الحكومة وتطبيقها. ولذا نرى ضرورة تشجيع هذه الحرية من الحكومة وحمايتها بالقانون.

الخاتمة:

لقد تفحصنا دور الصحافة في العالم الثالث، ووجدنا أن لها دورا استثنائيا متلازما مع عملية التنمية. وأن لمفهوم حرية الصحافة معنى مختلفا عن المجتمعات الغربية. وأن دور الصحافة في ليبيا هو دور تعبئة. ويدعو هذا الدور إلى حرية الأغلبية، وليس الأفراد. وتصر قيود قانون الصحافة على الامتثال لمفاهيم الثورة ومبادئ المجتمع ومصالح الشعب وغايات التنمية.

وتتم القيود على مشرفي الصحافة من مصادر متعددة:

1- الإعلان الدستوري.
2- قرارا الحزب السياسي (الاتحاد الاشتراكي).
3- قانون الصحافة.
4- أيديولوجية الثورة كما عبر عنها قائد الثورة.

ويتم التحكم بالصحافة من ثلاث نواح:

1- سلطة الترخيص والموافقة.
2- سلطة القيود.
3- سلطة التحكم ومراقبة الميزانية.

عل كل حال يمكن للمرء أن يجادل أن هذه القيود ضد الحرية (أو تحد منها)، وقد يسأل شخص آخر من ناحية أخر عن ماهية الحرية التي تتحدثون عنها؟ قد يكون لدى الاثنان تبرير لمبادئهم لكن يبقى فوق أي اعتبار فإن مصلحة الشعب الحقيقية يجب أن تحدد حدود الحرية؟

المراجع

1. Ahmed M. Ashiurakis. Introduction to Libyan Arab Information Media (Tripoli Dar Al.Ferjani, 1975)pp. 81-88
2. Bazamah, Mohmmed M. the Arab Culural Revolution (Tripoli: Mo'Assasat Nasser Lilthaqafah, 1973), pp. 234- 35.
3. Dc Fleur, Melvin L. and Sandra Ball-Rokeach. Theories of Mass Communication (New York: David McKa)' CCI.. 1976) p. 258.
4. Nora Qucbral. "What Do We Mean by Development communication?"' QuOted by John A. Lent in "Mass Communications in the Third World: Some Ethical Considerations. Siudics in ThinJ World SociClics No.8. (1979)p.8.
5. Omar EI-Fathaly and Mont Palmer Political. Development and Social Change in. Libya(Mass: Lexington nooks. 1980). p. 99.
6. Portes. quoted by Chin Lee in; Media Imperialism Reconsidered: Thc Homogcni7,;ng ofTclcvision Culture (Beverly Hills: Sage Publi(ation~. 1980) p.21.
7. Public Establishment fur the Press(P.E.p.) The Annual Statistical Book for 1976.(Tripoli: P.E.P.. 1977) p. 2 (In Arabic).
8. Rig's. quoted by S.N. Eismadt in "The Changing Vision of Modernizalion and Development" in Schramm and Leamer (cds) Communication and Change: The Lnst Ten Years and Next (Honolulu.E.~~ West Center Books. 1976)p. 37.
9. The Ministry of Education and National Guidance. The Achevement of Libyan ..Revolution (Tripoli: The General Administration of National. Guidance. 1910) (in Arabic).
10. The Ministry of Information(ion and Culture Department, 1973)p. 88 (in Arabic).
11. The ministry of Planning The Social and Economic Transition Plan 197&.1980'1 (Tripoli: Ministry of Planning, 1916)p. 337.
12. The Revolution of the Libyan Arab People. op.cit. P. 63.
13. William A. Rough TIle Arab PI'CS$ (New York: Syracuse University Press. 1979) p.33.
14. William L Rivers. et at Responsibility in Mass Communication (New York: Harper and Row. 1990) 11,ird Edition. p. 53.54.

الفصل الحادي عشر

وسائل الاتصال ونشر المصطلح

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوادي في ربيع حياتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت من أي بها، وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة؟ ... وتسجيل أسماء لمخترعات
أتوا أهلهم بالمعجزات تغننا ... فيا ليتكم تأتون بالكلمات

"حافظ إبراهيم"

الفصل الحادي عشر

وسائل الاتصال ونشر المصطلح الموحد وإشاعته

مدخل:

إن نشر المصطلح وتوحيده مسألة قديمة جديدة، وهي مستمرة ما دام هناك سبيل للاتصال الإنساني بين المجتمعات البشرية، وما دام هناك مجال للتقدم والاستكشاف والابتكار. ولعل قضية المصطلح هي من أوائل المشكلات التي تواجه أي مترجم من لغة إلى أخرى، وهي من أهم المشكلات التي تقف أمام مدرسي المواد العلمية. ويظل التساؤل قائما: هل اللغة التي يتم الترجمة إليها غنية وقادرة على تقديم البديل للمصطلح الذي ستتم ترجمته؟ وهل هذا المصطلح الذي يتم إدخاله إلى اللغة قادر على التعبير عن الفكرة أو الموضوع بوضوح وبدون لبس؟

إن الترجمات التي قام بها العرب القدامى عن اليونانية والهندية والفارسية طرحت مسألة المصلح وما زالت تطرح أكثر من تساؤل حول تعريب المصطلح:

- هل تتم ترجمة المصطلح بألفاظ عربية، أم تتم بأخذ المصطلح كما هو، أم بتعديل في لفظه ليصبح ملائما لأوزان الألفاظ العربية.
- من يمتلك قوة وضع المصطلح ونشره؟
- ومن الذي يمتلك شرعية وضع المصطلح؟

إن هذه الورقة تقدم أفكارا أولية، تحاول الإجابة على هذه التساؤلات، وتطرح أيضا أسئلة جديدة لتسهم في تحريك الأفكار.

فمنذ مطلع القرن التاسع عشر أخذ اتصال العرب بالغرب يزداد ويتفاعل، وأخذت أشكال الحضارة الغربية ومنتجاتها ومبتكراتها وعلومها تفرض نفسها على العالم. وكان الاتصال بالغرب عن طريق حملة نابليون، وعن طريق الاستعمار المباشر وأساليب الغزو الثقافي كالمدارس والجامعات التبشيرية التي افتتحت في البلدان العربية، أو عن طريق السفر والدراسة في الغرب، قد أتاح الفرصة للعملاء والأدباء العرب للتعرف على ما تقدمه الحضارة الغربية من منتجات مادية أو معنوية. وبدأ هؤلاء في المبادرة بالترجمة وإنتهاج أسلوب التعريب للمصطلحات التي كانت تواجههم. وباتت تأثيرات اللغتين الإنجليزية والفرنسية على ثقافة ولغات الشعوب الأخرى تشكل جزءا من ظاهرة ثقافية عالمية. وهذه الظاهرة العالمية

أصبحت معروفة بالغزو الثقافي أو بالإمبريالية الثقافية، والتي باتت تشكو منها مجتمعات عديدة لأنها تهدد شخصياتها القومية.

والعضلة قائمة لأن عالم اليوم عالم فيه المسافات فسيحة، ولكنها تتقلص عن طريق الاتصال الذي جعل من العالم المعاصر قرية كونية على حسب تعبير العالم الكندي "مارشال مكلوهان".

وفي هذا السياق تقف المجتمعات النامية في العالم أجمع أمام حيرة لا مناص منها، فهي ترى التقدم العلمي المذهل الذي تخطوه الدول الغربية وحضارتها المادية الطاغية، وتتابع الرقي في مجالات الآداب والفنون، وتنظر بإعجاب إلى كل هذا التقدم وتسعى إلى اللحاق بركب تلك الدول الصناعية المتقدمة، وترى أنه لا سبيل أمامها سوى انتهاج التنمية والتحديث لبناء مجتمعاتها. وهذه المجتمعات النامية تقف حائرة لأنها تسعى إلى التحديث وتطمح على التغيير، وفي الوقت نفسه تغالبها النزعة إلى المحافظة، والاحتفاظ بشخصيتها المتميزة. ومشكلة الذاتية القومية ليست مشكلة الدول النامية فحسب بل تعاني منها الدول الغربية أيضا ففي مواجهة الثقافة الأمريكية، ومن هنا صارت المشكلة مشكلة وجود. وقد عبر "أنيس مقدسي" عن هذه المعضلة بقوله:

"ونلاحظ اليوم غزو الثقافة الأمريكية لأوروبا أولا: بالزي، بالعمارة، بالموسيقى.. وبالسلع والشركات التجارية متعددة الجنسيات، وأيضا باللغة الإنجليزية التي تكاد تصبح جزءا لا يتجزأ من لغة أوروبية أخرى، والأوروبيون لا يخفون خوفهم وقلقهم من هذا الغزو الذي يعرض هويتهم وهوية كل أمة من أممهم لخطر كبير. وبتعبير آخر فإن كل أمة أو وحدة حضارية كبرى تفرض ذاتها على الأمم أو على الحضارة الأخرى في مرحلة صعودها. الهام هو موقف الأمة المعرضة للغزو من هذا الغزو. فنحن العرب في القرن الرابع الهجري تمثلنا حضارتين من أعمق وأقوى الحضارات في تاريخ العالم، هما الحضارة الإغريقية العقلية المنطقية وروحانية الشق الأقصى، وجعلنا منهما بعدا من أبعاد ثقافتنا، وهذا واضح على الخصوص في الفلسفة وعلم الكلام وفي التراث الصوفي.

والسؤال المربك، السؤال الذي تعسر الإجابة عنه: لم تمكنا إذ ذاك من صهر الثقافات الكبرى الأخرى في ثقافتنا، ونعجز اليوم عن هذا التمثل فنتعرض للغزو الثقافي؟ بين الأمم والحضارات حول كما قيل إلا أن هذا الحوار هو في الوقت ذاته صراع.. صراع على الوجود...". [200]

---

[200] – أنيس مقدسي، التحديث والتعريب في مواجهة الغزو الثقافي مجلة الوحدة العدد 3 كانون الأول 1984، ص . ص 12 – 13.

ونحـن علـى أعتـاب القـرن الحـادي والعشـرين، نشـهد تواصـل الثـورة التكنولوجية في العالم ويزداد تأثير الاتصال الدولي على المجتمعات البشرية، ونشعر أن الوطن العربـي يسير باتجـاه لا يحكمـه منطـق العصـر، لا من حيث السياسـة ولا الاقتصاد ولا العلم.

في هذا العصر يتجه المعسكر الغربـي نحو التكتل ونحو الوحدة الاقتصـادية ويعمل في الوقت ذاته على تفكيك القوى الأخرى كما حصل في المعسكر الشرقي، أما الوطن العربي فإن الخلافات السياسية تتسع فيـه وتزداد جذور الإقليميـة رسوخا، وتتعزز فيه كيانـات اقتصـادية قطريـة، ومعهـا تـتم إقامـة مؤسسـات علميـة وأكاديميـة وإعلامية تأخذ شرعيتها ومرجعيتها من كيانها القطري، وبذلك يذوي دور المؤسسات العربيـة المشتركة، تلك التـي انبثقت عن الجامعـة العربيـة، ويتضـاءل يومـا أثـر يـوم تأثيرها وفعاليتها على مستوى عربي. فالميزانيات تتضاءل، ومشاريع تلك المؤسسات لا تظهـر إلـى النـور. ويكفـي أن نتسـاءل عـن دور المكتـب الـدائم لتنسـيق التعريـب وقدراتـه فـي هـذه المرحلـة؟ وعـن دور الاليكسـو – المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم – في تنفيذ برامجها الثقافية؟

ولنـا أن نتسـاءل عـن دور عربسـات "القمـر الصـناعي العربـي" ودوره فـي خدمة الثقافة العربية وتعزيز الاتصال العربي؟

1- العرب والملح والألفاظ الأجنبية:

عرفت اللغة العربية دخول الألفاظ الأجنبيـة إلـى متنهـا ويشـهد القرآن الكريم على دخول ألفاظ عديدة أجنبية في اللغة العربية، ويشير محمد المبـارك إلـى "أن أثر اللغات الأجنبية في اللغة العربية اقتصر على دخول بعض المفردات الغربية في اللغة العربية هو ما سماه علماء اللغة تعريبا"[201] ورأى أن ذلك كـان "بنقل ألفـاظ جديـدة لـم تأت فيها وتتعلق كلها إلا النادر منها بالمحسوسات والماديـات لا بالمعنويـات، كأسـماء الألبسـة والأطعمـة والنباتـات والحيوانـات وشـئون المعيشـة أو الإدارة كالقلنسـوة والطيلسان والبنفسج والبستان والباشق والكعك والفولاذ.. وأكثر هذه الألفـاظ أخذ عن الفارسية وقليل منها أخذ عن اليونانية أو غيرها".[202]

ورأى المبارك أن طريقة العرب في التعريب كانت تقوم فـي الغالـب بإحداث تغيير في الكلمة بجعلها متجانسة مع ألفاظهم منسجمة مع نظـامهم وهو يرى أن من نواحي التغير في الكلمات ما يلي:

---

[201] – محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، بيروت، دار الفكر الحديث ص2 1964، ص 295.

[202] – محمد المبارك المصدر نفسه ص 295.

1. تغيير حروف اللفظ الخيل وذلك بنقص بعض الحروف أو زيادتها أو إبدالها.مثل كليدا – اقليد / برنامة – برنامج / بنفشه – بنفسج / الودة – فالوذج / برادايس – فردوس / شكر – سكر / جك – صك.
2. تغير الوزن والبناء حتى يوافق أوزان العربية ويناسب أبنيتها فيزيدون ويغيرون حركاتهم حتى تلائم اللغة العربية مثل برادة – فرزدق / تشاسته – الشتاء / كليد – إقليد.[203]

يرى د. إبراهيم أنيس أن ظاهرة اقتراض الألفاظ أمر أجمع عليه علماء اللغات أنه منذ القدم تستعين اللغات بعضها بألفاظ بعض ولا يزال يحدث بين اللغات الحديثة.

وتبدو ظاهرة اقتراض المصطلح العلمي واضحة للعيان، لأن المصطلح العلمي ينتشر عن طريق الاقتراض يقوم به الأفراد والجماعات على حد سواء يقول د. إبراهيم أنيس : "واقتراض الألفاظ عمل يقوم به الأفراد كما تقم به الجماعات،

وفي العصور الحديثة: قد تقوم به أيضا الهيئات العلمية كالمجامع اللغوية وأمثالها على أن عمل الفرد هنا لا يظل منعزلا عن الناس، بالرغم أنه يبدأ كعمل فردي لا يلبث في غالب الأحيان أن يقلده مجموعة من الأفراد، ثم قد يصبح ملكا للجماعة كلها، ويكون حينئذ عنصرا من عناصر اللغة المستعيرة"[204].

ويتم الافتراض لمدة أسباب من بينها:

- أولا: الحاجة إلى استخدام مصطلحات لا وجود لها في اللغة المستعيرة.
- ثانيا: الرغبة في التقليد وإظهار المعرفة باللغات الأجنبية وخاصة إذا كان هناك إحساس بتفوق تلك اللغة الأجنبية.
- ثالثا: استخدام مصطلحات من لغات أخرى لجهل من يستخدمها بوجود المصطلحات البديلة في لغته.

ويورد د. حبيب صادر قائمة بمصطلحات طبية عرفها الطب العربي القديم بديلة من المصطلحات الأجنبية [205] وهذه المصطلحات العربية مثال على قدرة اللغة العربية على استيعاب المصطلحات الطبية الأجنبية.

---

[203] – محمد المبارك المصدر نفسه ص .ص 12 – 13.

[204] – إبراهيم أنيس، من أسرارا اللغة (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ط 1972) ص 117.

[205] – د. حبيب صادر، لغتنا في خدمة الطب والعلم، مجلة اللسان العربي، العدد الخامس، ص . ص 203 – 214.

وقد أجاز مجمع اللغة العربية بمصر اقتراض الألفاظ وذلك حين صدر قرار له بنص على:

"يجيز المجمع أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم" وذلك لأن الحاجة مستمرة لإغناء اللغة بما يستجد من مصطلحات علمية وفي الوقت ذاته فإن هذه الألفاظ الجديدة تفيد منها اللغة وتسهم في إثرائها. وكانت اللغة العربية قد تعاملت مع مسألة اقتراض الألفاظ الأعجمية إما بتشذيب تلك الألفاظ لتصبح على نسيج الكلمات العربية وتسمى آنذاك بالمعربة، أو أن تبقى على صورتها الأصلية وتسمى دخيلة. وكانت ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي قد أقرت ثمانية عشر مبدأ من بينها ما يلي:

1- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد.
2- تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك.
3- استقراء وإحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل منه وما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث وا ورد فيه من ألفاظ معربة.
4- مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعلمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلم والدارسين.
5- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي: التراث ، فالتوليد (بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت).
6- مراعاة اتفاق المصطلح العربي (مع) المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي دون تقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي.[206]

إذن مسالة المصطلح الموحد قضية حية ومطروحة على بساط البحث، وتأخذ في زمننا الراهن بعدا مدروسا ومحاولات لتنظيمه والتخطيط له. وذلك لأن توحيد المصطلح يرتبط بتعريب الثقافة العلمية، وهذا ما حدا بالدكتور الفهري من ربط هذا الموضوع بما يلي:

أ) تعريب الثقافة العلمية هو تعريب أهل الاختصاص.

ب) تقوية الطاقة التعبيرية للغة متعلق بالزيادة في القدرة التعبيرية لمتكلمي اللغة ومستعمليها.

---

[206] – د. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات والغة العربية، (الدار البيضاء، دار توبقال للنشر **1985**، ص . ص **190 – 191**.

ج) تقويـة الطاقـة التعبيريـة يـؤدي إلـى الحضـور فـي مجـالات الثقافـة والعلـوم والمخترعات[207]

ولا شك أن وضع المصطلح في جانب كبير منه يتسم بالعفويـة وهذه العفويـة تؤدي إلى جانبين.

1- تعدد المصطلحات التي تتوالد والتي تحدث ارتباكا في الحقل العلمي الواحد.
2- إغناء المصطلح بالمعادل العربي للمصطلح الأجنبي ومن هنا يأتي الدور المهم للمؤسسات المخططة والمنظمة للمصطلح الواحد، والتي تقوم بوضع معايير له وتعمل على نشره وكما يقول الفهري:

"ومعلوم أن مؤسسات في العالم العربي تكفلت بإعداد المصطلح ومعيرته وتوحيده محاولة الابتعاد عن العقوية بوضع أصول ضابطة. تذكر من هذه المؤسسات مجامع اللغة العربية المختلفة (وعلى الأخص مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، وكذلك مكتب تنسيق التعريب بالرباط. إلا أن هذه المؤسسات لم تبلغ المنشود رغم الجهود المبذولة، ورغم اعتماد التنسيق أعمال بعض الأخصائيين والمبدعين في ميدانهم (وكذلك أراء بعض مستهلكي المصطلح أحيانا). فقليل من المصطلحات اللغوية التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ما كتب له الرواج والاستحسان عند أهل هذا الاختصاص. والسبب راجع فيما يبدو لي إلى غياب تمثل نظري للقضية المصطلحية وإلى عقوبة المنهجيات المقترحة لضبط الاصطلاح. والمنظومة التي وراء هذه العقوبة هي أن الشكل المصطلحي مشكل مراسي بالأساس. طبعا لا أحد يشك في أن المصطلح له بعد مراسي. فالأخصائي الذي يمارس الوضع في حق تخصصه أو المصطلحي الذي يختص في وضع المصطلحات في أي حقل من الحقول مؤهلان مبدئيا لتقديم العبر وتجميع الضوابط واقواعد التي تتحكم في فائدة الوضع وضمان رواجه. إلا أن التجربة أثبتت أن الممارسة العفوية لا تكفي، وأن توليد وتوالد المفردات يخضع لمبادئ وقيود نظرية ومنهجية من شأنها أن تكون علما مستقلا هو المصطلحية". [208]

2- المصطلح العربي الموحد:

هل توحيد المصطلح ضرورة؟ وما إمكانية تحقيقه؟

---

[207] – د. عبد القادر الفهري المصدر نفسه ص **224**

[208] – د. عبد القادر الفهري المصدر نفسه ص **227**

هذان التساؤلان جوهريان، فنحن ندرك أن المصطلحات في مجال العلوم المختلفة التطبيقية والإنسانية تتفاوت ما بين أقطار الوطن العربي، وتكاد تتسع الهوة إذا ما قارنا بين المصطلحات المستخدمة في الفرع العلمي الواحد في مختلف أقطار الوطن العربي، بل في جامعات القطر الواحد.

ونجد أن تدريس الطب والعلوم والهندسة والصيدلة والحاسوب في العديد من الدول العربية باستثناء سوريا، يتم تدريسها إما باللغة الإنجليزية أو باللغة الفرنسية، وتستمر مشكلة وجود المصطلح العلمي قائمة ما دام التعلم الجامعي يتبى – من حيث المبدأ – اللغة العربية كلغة علمية للتدريس الجامعي بينما يتم التدريس باللغات الأجنبية.

وفي عام 1966 أجاب مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن سؤال حول صلاحية اللغة العربية للتعليم، ورأى المجمع أن مثل هذا السؤال لا محل له في عام 1966 إذ توجد جامعات عربية عديدة تكاد تدرس علومها كلها باللغة العربية.

وكانت إجابة المجمع قبل نحو 27 عاما متفائلة جدا حول المصطلح العلمي إذ جاء فيها: "وفي التعليم الجامعي مؤلفات ومترجمات عربية كثيرة، وما بقى لا بد أن يستكمل والجهود مبذولة في سبيل ذلك. ولا شك في أن المصطلح العلمي أساس الدراسة والبحث والتأليف في اللغة العربية وهو دعامة لغة العلماء، وقد بذلك فيه جهود كبيرة منذ فجر هذا القرن، فأحييت مصطلحات قديمة واستحدثت مصطلحات جديدة عن طريق الاشتقاق أو التعريب، والعربية لغة مرنة اشتقاقية وليست أقل طواعية من لغة أخرى لاستحداث ألفاظ جديدة وقد استجابت لهذا في يسر طوال نصف القرن الماضي، وأول دليل على ذلك أن العلماء العرب يحاضرون ويؤلفون باللغة العربية في نواحي العلوم والثقافة المعاصرة.

ومشكلة المصطلحات ليست من المشاكل التي تقف عند نقطة معينة، لأن العلم يسير وتجد فيه مصطلحات من حين لآخر، تبعا لنشاط حركات الكشف والبحث ويواجهها العلماء وإنما كلما دعت الحالة إلى ذلك.

ولعلم الصعوبة التي نحس بها هي بعض الفوارق بين بعض المؤلفين في البلاد العربية ولكن لا نزاع في أن هوة الخلاف تضيق عاما بعد عام، تبعا لتطور الكتاب العربي وللجهود التي تبذلها الهيئات والمجامع العلمية واللغوية.

وإن بلدا يقوم التدريس فيه بالعربية منذ قرن مثلا لا يحس بهذه الصعوبة كما يحس به بلد أخر لم يعرب في التعليم غلا منذ عهد قريب".[209]

ولكن حقيقة الأمر تتجاوز تفاؤل مجمع اللغة العربية بالقاهرة فخلال أكثر من ثلث قرن ما زالت المشكلة قائمة. وعلى الرغم من أن جهودا كبيرة في مال التعريب التي بذلتها مجامع اللغة العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب – وذلك من خلال إصدار المعاجم المتخصصة، وعقد الندوات وإصدار المراجعات للقواميس وغير ذلك من النشاطات – إلا أن عجلة التقدم العلمي وسرعة إيقاعه، لا يتناسبان مع الجهود العربية من ناحية، ولا صدق النية والعزيمة في استخدام المصطلح الذي تقره المجامع العربية.

وما زالت مشكلة توحيد المصطلح تواجه ثلاث مستويات أشار غليها شارل بيلا في مقالته "اللغة العربية والعالم الحديث" إذ قال:

"فإن نحن القينا نظرة إجمالية على ما تحتاج إليه اللغة العربية من الكلام رأينا أمس الأشياء تنحصر فيما يلي:

أولا: العربية تحتاج إلى أمور وأشياء غير معهودة في المدينة العربية من ملابس ومآكل ومشارب وأدوات وغير ذلك، فقديما كان في الحضارة الغربية أو حديثا كالراديو والتلفون والنيلون وغيرها مما يدخل في نطاق الحياة اليومية، أو بعبارة أخرى فاللغة بحاجة ماسة إلى ألفاظ دالة على مدلولات حسية.

ثانيا: الحاجة إلى الدلالة على مفاهيم غير معروفة من قبل متعلقة بالحياة الفكرية والإدارية والسياسية الخ.. فأهم المشاكل في هذا الميدان هو أن تتفق جميع البلدان العربية على "مصطلحات" مقبولة، فلا يقال مثلا هنا "درجة" وهناك "عجلة" لدلالة على (Bicycle).

ثالثا: الحاجة على المصطلحات العلمية والتقنية فهذه المصطلحات هي التي تشغل أذهان الناطقين بالضاد فيتحيرون ويتساءلون عن سبب ما يظهر من تقصير في لسانهم وعن واجبهم في هذا المضمار، غير منتبهين إلى أمور من شأنها أن تشفي غليلهم".[210]

---

209 – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حتى علوم الذرة والإلكترونات تدرس باللغة العربية، مجلة اللسان العربي، العدد الخامس **1967**، ص . ص **89 – 99**.

210 – شارل بيلا، اللغة العربية والعالم الحديث، مجلة اللسان العربي العدد السادس، ص . ص **51 – 52**.

وما يطرحه شارل بيلا واقعي، فعلى المستوى الأول نجد – على سبيل المثال -

أن هناك من يستخدم الإذاعة المرئية كما ففي ليبيا وهناك من يستخدم كلمة التلفزيون كما في دول المشرق العربي وهناك من يستخدم التلفاز والتلفزة كما في تونس.

وعلى المستوى الثاني: فإن كثيرا من المصطلحات التي دخلت العربية مثل الديمقراطية والإيديولوجية والدكتاتورية لم تجد لها مصطلحا موحدا يفرض نفسه على كتاب العربية. ويورد محمود شيت خطاب مقارنة المصطلحات لرتب العسكرية في العراق وسوريا.[211] ولو تمت المقارنة بين مختلف أقطار الوطن العربي لاكتشفنا الاختلافات الكبيرة في المصطلحات العسكرية.

وأما على المستوى الثالث: فإن المعضلة أكبر فالمصطلحات الطبية والمصطلحات الهندسية والفيزيائية والكيميائية لا تجد سبيل إلى تعريبها بشكل عملي، على الرغم من الجهود المضنية التي أنجزت خلال أكثر من ثلث قرن العديد من المعاجم المتخصصة في المجالات العلمية كافة.

إذن فنحن أمام مسؤولية حقيقة لتوحيد المصطلح ونشره، لأنه ركيزة أساسية لنهضة عربية موحدة. ومن هنا لا بد من النظر إلى وسائل نشر المصطلح بجدية أكثر وواقعية تحقق للمصطلح الموحد ذيوعا وقبولا لدى مستخدميه.

3- دور وسائل الإعلام في نشر المصطلح:

لا بد من التفريق بين وسائل الاتصال المختلفة التي تقوم بدور بارز ومؤثر في نشر المصطلح وإشاعته، ووسائل الاتصال هذه باتت تعرف باسم وسائل الاتصال الجماهيري وهي:

- الصحافة.
- الكتاب.
- الإذاعة والتلفاز.

وكل وسيلة من هذه الوسائل لها تأثيرها الخاص في نشر المصطلحات وإشاعتها بين الجمهور العام والجمهور الخاص.

1- الصحافة:

211 – محمود شيت خطاب،المصطلحات العسكرية في القرآن، مجلة اللسان العربي، العدد الرابع، ص. ص **154 – 160**.

للجريدة اليومية قدرة أكبر من غيرها في نشر المصطلح لدى قطاعات واسعة من الجماهير. بينما تلعب المجلات الأسبوعية دورا أكثر خصوصية من الجرائد، إذ أن طبيعة جمهورها يرتبط إلى حد ما بنوعية قرائها واهتماماتهم ومستوياتهم الثقافية.

وإذا انتقلنا إلى الدوريات المتخصصة، فإنها الدور الأكبر في توحيد المصطلح، ونشر المصطلح الموحد بين المتخصصين. فإذا كانت هناك مجلة مختصة بالحاسوب فإن المصطلحات التي تستخدمها بشكل منتظم تعمل على ترسيخ المصطلحات لدى جمهور قرائها، ومن هنا فإن دور الصحافة بأنواعها المختلفة مهم جدا في ترسيخ المصطلحات وإشاعتها على مستويين:

1- مستوى القارئ العام.
2- مستوى القارئ التخصص.

ولكن نجاح ترسيخ المصطلح رهين بعاملين:

أ) وعي القائمين على هذه المؤسسات الإعلامية والتزامهم بضرورة ترسيخ استخدام المصطلح الموحد في جميع ما تنشره، وتظهر تجربة مجلة عالم الكمبيوتر التي كانت تنشر مسردا لمصطلحات الحاسوب في كل عدد من أعدادها وكذلك تجربة مجلة طب الأطفال طبعة العالم العربي والتي تنشر مسردا للمصطلحات الطبية والعلمية في كل عدد كنموذجين رائدين في سبيل توحيد المصطلح. ومع هذا فإن توحيد المصطلح مازال ضمن اجتهادات يعوزها التنسيق مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب ومجامع اللغة.

ب) استخدام المصطلحات بشكل منتظم، بحيث تصبح هذه المصطلحات هي لغة المقالات التي تنشر في الدوريات، وإذا وجد القائمون على المجلات بعض المصطلحات المخالفة، يقومون بتعديلها أو بالإشارة إليها ممل يجعل هذه المصطلحات أمرا وقاعا.

2- الكتاب:

يعتبر الكتاب هو أهم الوسائل الاتصالية التي تعزز نشر المصطلح أو تزيد من إرباكه وفي هذا الصدد يمكننا الإشارة إلى ثلاثة أنواع من الكتب:

- الكتاب التعليمي (المدرسي – الجامعي).
- الكتاب العلمي.
- الكتاب الثقافي.

أ) الكتاب التعليمي:

هو كتاب منهجي مقرر سواء أكان ذلك للمدارس أو للجامعات. وتفتقر الكتب التعليمية المستخدمة في الوطن العربي إلى توحيد المصطلح. ونقطة البدء في توحيد المصطلح تبدأ في الكتاب المدرسي ويتلوها الكتاب الجامعي.

وإذا كنا نجد أن المصطلح يختلف في الكتب المدرسية من قطر عربي إلى آخر، فإننا نجد أن المصطلح يختلف في القطر الواحد، من مستوى المدرسة إلى الجامعة بل ومن جامعة إلى أخرى في القطر ذاته.

ولا شك أن العوامل السياسية تلعب دورا مهما في الحيلولة دون توحيد المناهج بين أقطار الدول العربية، ولكن تظل مسألة توحيد المصطلحات المستخدمة في الكتب التعليمية في المراحل الدراسية المختلفة أكثر يسرا من توحيد المناهج ذاتها وذلك من خلال التنسيق بين وزارات التربية والتعليم والجامعات ومجامع اللغة العربية.

ب) الكتاب العلمي:

المقصود بالكتاب العلمي هنا: أي كتاب متخصص في أي حقل معرفي من حقول المعرفة الإنسانية، والذي له لغته ومعجمه الخاص. ويرتبط الكتاب العلمي إلى حد كبير بثقافة كاتبه وخلفيته التعليمية. فالكاتب الذي يكتب كتابا في الاقتصاد وكان تعليمه في بريطانيا مثلا يختلف في استخدام المصطلحات عن

كاتب درس في فرنسا، وهذا ينطبق على جميع حقول المعرفة. إن المصطلحات التي تختلف وتتنوع يعود سببها إلى الخلفية الثقافية والتعليمية للكاتب. وإلى عدم وجود مرجعية ميسرة أمامه ليستند إليها في استخدام المصطلح.

ج) الكتاب الثقافي العام:

المقصود بالكتاب الثقافي العام هي تلك الكتب التي تنشر للقارئ العام، ومثل هذه الكتب تميل إلى البعد عن المصطلحات العلمية، إلا أنها تستخدم المصطلحات الشائعة في الوسط الثقافي الذي تصدر فيه. وتأثير هذه الكب مهم في ترسيخ مصطلحات ما قد تكون شائعة في بلد عربي ولكنها غير معروفة في بلد أخر. وهي بذلك توسع الهوة في نشر بعض المصطلحات، والتي قد لا تكون دقيقة ومخالفة لقرارات مجامع اللغة العربية.

3- الإذاعة والتلفاز:

للإذاعة والتلفاز دور مهم في نشر المصطلح فهما وسيلتان اتصاليتان تحاصران المرء كل يوم. وهما وسيلتان مهمتان لأن دورهما دور ترفيهي وتعليمي وإخباري في أن واحد. ومن خلال برامج الإذاعة والتلفاز تصل إلى أذن السامع مصطلحات جديدة علمية أو سياسية، أو اقتصادية والتلفاز ومعها بدون مبرر مصطلحات جديدة وفي الأشهر الأخيرة تسلل مصطلح الترويكا الأوروبية، بديلا للجنة الثلاثية الأوروبية. ولا ريب بأن تأثير ما تقدمه الإذاعتان المسموعة والمرئية كبير على جمهور المستمعين والمشاهدين.

4- الصلة بين المؤسسات المعنية بنشر المصطلح والمؤسسات الإعلامية:

إن أهم المؤسسات التي تعني – أو يجب أن تعني – بمشكلة المصطلح الموحد ونشره هي مجامع اللغة العربية،والمكتب الدائم لتنسيق التعريب، والجامعات، واتحاد الجامعات العربية، ودور النشر والمؤسسات الإعلامية واتحاد مجالس البحث العلمي. وبدون عمل جاد مشترك ومنسق لهذه المؤسسات فإن العمل في مجال توحيد المصطلح ونشره ستظل جهودا مشتتة.

ويمر المصطلح الموحد ونشره في دورة لا بد أن ينظم سيرها التخطيط والتوحيد. فعلى مستوى الجامعات: يجب أن يتم توحيد المراجع الأساسية في العلوم المختلفة وإذا كان ذلك صعبا فيتم الالتزام باستخدام المصطلحات الموحدة. وهذا يستدعي أن يتم التعاون في هذا المجال بين المكتب الدائم لتنسيق التعريب، واتحاد الجامعات العربية واتحاد مجالس البحث العلمي العربي والجامعات العربية. وتصبح مسؤولية هذه المؤسسات مشتركة في أن توفر للباحثين والمترجمين منهم معاجم المصطلحات لحقول العلم والمعارف الإنسانية المختلفة، لأنهم دائمو الشكوى من عدم توفر المصطلحات العربية المناسبة، كما أنه يصبح ضروريا أن يتم اشتراط احتواء كل كتاب جامعي على مسرد للمصطلحات الموحدة، وأن يلتزم هذه المسرد بما أصدره المكتب الدائم لتنسيق التعريب من مصطلحات موحدة. ومثل هذا يمكن أن ينسحب على دور النشر التي تصدر كتبا علمية أو أدبية، والتي يجب أن تلتزم بالمصطلحات الموحدة فيما تنشره من كتب. إن تعميم نشر المصطلح ونجاح انتشاره سوف يتم بناء على عدة مبادئ من بينها:

1- التكرار: والتكرار قاعدة ذهبية لترسيخ المفاهيم والمصطلحات في أذهان الناس.

2- الشمولية: ويعني ذلك قيام وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية باستخدام المصطلحات ذاتها مما يؤدي على حصار المرء وقبوله.
3- التنسيق: وذلك بهدف نشر المصطلح ومن ثم التعود على استخدامه. ويجب أن تكون المؤسسات المعنية بنشر المصطلح الموحد على صلة مباشرة ومستمرة مع المؤسسات التعليمية والإعلامية، وبحيث توفر لها المصطلحات، وتتابع كذلك أمور استخدامها وتقوم بالتنسيق مع المؤسسات التعليمية والإعلامية بإعداد حملات لترويج المصطلح الموحد في حقول معرفية محددة.

الخاتمة:

من أين يبدأ الحل؟

إن نشر المصطلح الموحد وإشاعته يحتاج على عدة عوامل لنجاحه:

أولا: بدون رغبة حقيقية واقتناع بأهمية توحيد المصطلح لدى الجهات المعنية وخاصة الأكاديمية والإعلامية، فإن أي جهود تبذل ستظل حبرا على وق.

ثانيا: إن توحيد المصطلح، ليس قرارا شخصيا يقوم به فرد أو مؤسسة أو مؤسسات، إنه قرارا فوري، يجب أن يرافقه قرارا سياسي ملزم بقانون. والقرار السياسي في وطننا العربي يمكن أن يكون فعالا وذلك إذا اشتمل على ما يلي:

1- إلزام الجامعات العربية بالتدريس باللغة العربية في فروع العلوم كافة.
2- إلزام وسائل الاتصال بالتقيد بالتعريب واستخدام المصطلحات الموحدة التي يتم الاتفاق عليها من قبل المكتب الدائم لتنسيق التعريب.

ولكن نجاح مثل هذين القرارين يحتاج إلى عدة شروط ملائمة لنجاح ذلك:

أولا: أن يتم الاتفاق عربيا على مرجعية القرار بشأن المصطلح الموحد وشرعيته. بمعنى آخر من هي الجهة التي تقرر أن هذا المصطلح هو الذي يجب أن يسود؟ هل هي المجامع اللغوية القطرية؟ أم هل هو المكتب الدائم لتنسيق التعريب؟

ثانيا: توفير المصطلح الموحد بشكل منتظم للمؤسسات المعنية به من جامعات ومؤسسات إعلامية ودور النشر.

ثالثا: أن تقوم لجنة لمتابعة توحيد المصطلحات في كل قطر عربي وتكون مشتركة من المجمع اللغوي والجامعات والمؤسسات الإعلامية.

رابعا: توفير الإمكانيات البشرية والمادية القادرة على التعريب وتمكينها من ذلك.

إذن فنحن هنا أمام خيار سياسي يجب أن يوفر الإمكانيات لما يلي:

أولا: التشريع الثقافي والإعلامي في نشر المصطلح الموحد ويمكن أن يتم ذلك بأن تقوم وزارات الإعلام والثقافة بفرض تشريعات تخص نشر المصطلح وتلعب دورا رقابيا في استخدامه.

ثانيا: دعم المؤسسات التعليمية ومؤسسات البحث العلمي ودور النشر وتشجيعها في نشر المصطلح العلمي والترجمة وذلك بتوفير التمويل اللازم لإنجاز مشاريع لتعريب أمهات الكتب العلمية ونشرها وتوفير سبل وصولها إلى المعنيين بها.

ثالثا: إعداد القوى البشرية المؤهلة من خلال إعداد كوادر قائمة على التعريب وتوفير الفرص لها للقيام بذلك.

رابعا: تعزيز دور المجامع اللغوية وفي إطار تنسيقي على مستوى عربي، لتوحيد المصطلح وتعميه ويمكن في هذا الإطار إصدار نشرة فصلية موحدة يتم تعميمها على المؤسسات المعنية: الجامعات، والمؤسسات الإعلامية، ومراكز البحوث، ودور النشر.

خامسا: تنفيذ القرارات والتوصيات التي تتخذها المؤسسات العلمية والمجامع بخصوص التعريب وتوحيد المصطلح وهذا يحتاج إلى تشكيل لجان متابعة ورقابة.

ملحق:

نجتزأ في ما يلي نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية والذي أجراه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العام العربي، وقد أجري هذا الاستفتاء قبل أكثر من ثلث قرن، وكانت من نتائجه آراء ومقترحات قيمة، وهذا شأن العديد من الدراسات والندوات التي تعقد في الوطن العربي والتي تصدر القرارات والتوصيات وتضع الحلول بدون أن تجد استجابة عملية.. إن نتائج الاستفتاء مهمة لأنها تؤكد أننا نفتقد إلى تنفيذ القرارات والتوصيات التي تتكرر في الندوات والمؤتمرات بلا مجيب.

نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية:

تلقى المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي عن الاستفتاء الذي وجهه في أواخر سنة 1966 حول اللغة العربية ردودا كثيرة من هيئات رسمية عربية[212] وإقليمية، ومن عدد كبير من العلماء وأساتذة مجمعيين وجامعيين عرب وعجم ينتسبون إلى أحد عشر قطرا وينتمون إلى 19 كلية مختلفة ومن عدة شخصيات علمية مستقلة.

دائرة الاستفتاء:

أقطار الدائرة:

وردت الأجوبة على الاستفتاء من معاهد وهيئات وشخصيات مستقلة تنتمي إلى الأقطار التالية:

---

[212] – أنظر نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية في مجلة اللسان العربي العدد الخامس، ص . ص **89 – 95**.

- الجمهورية العربية المتحدة.
- الجمهورية العربية السورية.
- الجمهورية اللبنانية.
- جمهورية العراق.
- المملكة الأردنية الهاشمية.
- دولة الكويت.
- الجمهورية التونسية.
- المملكة المغربية.
- فرنسا.
- هولندا.
- الاتحاد السوفياتي (سابقا).

وأجاب على أسئلة الاستفتاء بعض المؤسسات الثقافية التالية بصفة رسمية، ووردت أجوبة بالأسماء الشخصية للمسؤولين على بقية المؤسسات أو بأسماء أساتذتها أو المنتمين إليها وهي:

أ) المعاهد العلمية والمؤسسات الثقافية:

1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة. 2) المجمع العلمي العراقي. 3) الاتحاد العلمي العربي. 4) كلية الطب بجامعة دمشق. 5) كلية الطب بجامعة الإسكندرية. 6) كلية الطب بجامعة عين شمس. 7) كلية الصيدلة بجامعة القاهرة. 8) كلية العلوم بجامعة عين شمس. 9) كلية الهندسة بالقاهرة. 10) كلية الزراعة بجامعة عين شمس. 11) كلية التجارة بجامعة عين شمس 12) كلية الحقوق بالقاهرة. 13) كلية التربية بجامعة دمشق. 14) كلية التربية ببغداد. 15) كلية التربية بجامعة عين شمس. 16) كلية المعلمين بجامعة عين شمس. 17) كلية البنات بجامعة عين شمس. 18) جامعة بيروت. 19) جامعة أسيوط. 20) الجامعة التونسية. 21) جامعة دولة الكويت. 22) جامعة السربون بباريس. 23) جامعة الدولة في ليد بهولندا.

ب) الهيئات الرسمية العربية والإقليمية:

1) الاتحاد البريدي العربي. 2) وزارة البريد والبرق والهاتف بالكويت. 3) وزارة التربية العراقية. 4) وزارة الثقافة والإرشاد القومي بسورية. 5) مستشفى دمشق. 6) المكتبة العامة بعمان. 7) المجلس الأعلى للقضاء بالرباط.

نتائج الاستفتاء:

أ) خلاصة الأجوبة على السؤالين الأول والثاني:

إن المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحدد من انتشارها هي:

1- تخلف الدول العربية العلمي والحضاري.
2- صعوبة اللغة العربية من حيث القواعد والكتابة.
3- إهمال الدول العربية نشر اللغة في الخارج وخاصة في الدول الإسلامية غير العربية.
4- وجود لغات دارجة إقليمية مختلفة تضايق الفصحى.
5- إنعدام الطرق والوسائل الصالحة لتعليم اللغة العربية لأبنائها وللأجانب.
6- عدم وجود مراجع عربية كافية في نواحي العلوم المختلفة.
7- عدم تشجيع لابتكار العلمي والتأليف باللغة العربية في مختلف فروع العلوم.
8- عدم تحقيق الوحدة الثقافية بين الأقطار العربية.
9- محاولة الدول الاستعمارية اللغة العربية لأنها أصبحت ترتبط بمفاهيم الحرية.

الحلول المقترحة:

1- الاهتمام بنهضة البلدان العربية علميا وثقافيا لجعلها في مستوى البلدان المتقدمة.
2- تبسيط قواعد اللغة العربية في مؤتمر عام لعلماء اللغة.
3- اهتمام الحكومات العربية وجامعة الدول العربية بفتح مراكز ثقافية عربية ومعاهد لتعليم اللغة العربية للأجانب في مختلف بلاد العالم وخاصة في الأقطار الإسلامية غير العربية، العناية بإعداد المتخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وبتأليف الكتب ووضع البرامج والأشرطة المسجلة والأفلام الصالحة لهذا التعليم، توسيع التبادل الثقافي والعلمي بين البلدان العربية والبلدان الأخرى، تنقل كل ما تتوسم فيه الجدة من فكرنا وأدبنا إلى اللغات الأجنبية.
4- تشديد الرقابة على أجهزة الإعلام من أجل استعمال الفصحى دون العامية، تقريب الشقة بين الفصحى والعاميات.
5- عناية الدول العربية بالكتاب المدرسي وبالمناهج المقررة وبأسلوب التعليم.
6- تشجيع ترجمة جميع المراجع العلمية الجامعية إلى اللغة العربية وتشجيع البحث والتأليف في مختلف العلوم.
7- بناء الوحدة الثقافية بتوحيد المناهج والكتب الدراسية وإيجاد مجمع عربي لغوي وعلمي موحد، توحيد المصطلحات العلمية بين البلدان العربية، تنسيق جهود التعريب.
8- اهتمام الدول العربية بصد التيارات الاستعمارية المضادة لتعليم اللغة العربية في الدول حديثة الاستقلال.

ب) خلاصة الأجوبة على السؤالين الثالث والرابع:

- هل تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي؟
- إذا كانت صالحة فما هي المشاكل التي تعترض الأساتذة وما هي الحلول في نظركم؟

الجواب على السؤال الثالث:

اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي للعلوم الإنسانية وهي صالحة كذلك لتدريس لعلوم الحديثة لكن يلزم في هذا التدريس الاستعانة بلغة أجنبية.

الجواب على السؤال الرابع:

المشاكل التي تعترض الأساتذة هي:

1- عدم وجود المراجع العلمية وكتب الدراسة باللغة العربية.
2- نقص المصطلحات العلمية والفنية العربية.
3- اختلاف المصطلحات بين الدول العربية.
4- ضعف الأساتذة والطلاب الجامعيين في اللغة العربية.
5- تقصير الجامعات في ميدان البحث العلمي.
6- عدم تعاون الجامعات وحتى كليات الجامعة الواحدة على اختيار المناهج والمراجع والكتب الدراسية.

الحلول المقترحة:

1- تكوين المكتبة العلمية بترجمة الكتب التي تختار للتدريس من المؤلفات الأجنبية، تشجيع حركة تعريب المراجع العلمية المختار، عقد حلقات دراسية جامعة لمشكلة المعجم العربي يشترك فيها فقهاء اللغة وأساتذة العلوم على مستوى الدول العربية، العمل على إصدار المجلة المتخصصة التي تحتاج إليها الجامعات ومراكز البحث.. الخ.
2- السرعة في علم تعريب المصطلحات بكيفية موازية لسرعة تطور العلم.
3- إصدار كتب دراسية جامعية موحدة بين الدول العربية، اشتراك الجامعات العربية في إيجاد المصطلح العلمي الملائم.
4- إيجاد لجنة جامعية من هيئة التدريس تشرف على ترجمة البحوث التي يضعها الأساتذة إلى لغة عربية سهلة ومتينة.
5- تنسيق الجهود بين مختلف لجان الجامعات ونشر البحوث المترجمة لتعميم الفائدة.

- خلاصة الأجوبة على السؤال الخامس:

كيف للعالم العربي أن يتخلص من مشكلة المصطلح العلمي؟

1- اختلاف المصطلحات ينبغي القضاء عليه بالإكثار من عقد المؤتمرات العلمية.
2- ينبغي للمصطلحات أن يضعها المتخصصون من أعضاء المجامع العلمية كل حسب اختصاصه ثم تعرض على المجامع اللغوية لإقرارها مع السرعة في عمل تعريب لمصطلحات.
3- توحيد المصطلحات العربية تحت إشراف الجامعة العربية وبمعاونة أعضاء المجامع الثلاثة بالقاهرة ودمشق وبغداد مع تحديد مدلولها وتوضيح مفهومها العلمي.
4- تتبع الأساتذة ما تقره المجامع اللغوية من المصطلحات وتطبيقهم إياها في تدريسهم وتأليفهم.
5- قبول المصطلحات العلمية بألفاظها اللاتينية كما تقبلها جميع اللغات الحية وضمنها الروسية.
6- الاقتصار على التعريب الحرفي للمصطلحات وتوفير الجهد على المجامع اللغوية.
7- الإكثار من ترجمة أمهات الكتب العالمية وإيجاد لجان متخصصة للتأليف في مختلف الفروع باللغة العربية وانعقاد لجان دائمة تابعة لجامعة الدول العربية تضم أساتذة الجامعات ورجال الصناعة من أجل توحيد المصطلحات العلمية.

المراجع

1. إبراهيم أنيس، من أسرارا اللغة (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ط 1972) ص 117.
2. أنيس مقدسي، التحديث والتعريب في مواجهة الغزو الثقافي مجلة الوحدة العدد 3 كانون الأول 1984، ص . ص 12 – 13.
3. حبيب صادر، لغتنا في خدمة الطب والعلم، مجلة اللسان العربي، العدد الخامس، ص . ص 203 – 214.
4. شارل بيلا، اللغة العربية والعالم الحديث، مجلة اللسان العربي العدد السادس، ص . ص 51 – 52.
5. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات والغة العربية، (الدار البيضاء، دار توبقال للنشر 1985، ص . ص 190 – 191.
6. مجلة اللسان العربي أنظر نتائج الاستفتاء حول اللغة العربية في العدد الخامس، ص . ص 89 – 95.
7. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حتى علوم الذرة والإلكترونات تدرس باللغة العربية، مجلة اللسان العربي، العدد الخامس 1967، ص . ص 89 – 99.
8. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، بيروت، دار الفكر الحديث ص2 1964، ص 295.
9. محمود شيت خطاب،المصطلحات العسكرية في القرآن، مجلة اللسان العربي، العدد الرابع، ص. ص 154 – 160.

نشر الأبحاث العلمية في الدوريات العلمية العربية

(المعيقات وسبل تجاوزها)

الفصل الثاني عشر

نشر الأبحاث العلمية في الدوريات العلمية العربية

(المعيقات وسبل تجاوزها)

1- مدخل:

يعيش العالم ثورة متصلة في المعلومات لم يشهد التاريخ البشري مثيلا لها، فالقرن العشرون هو عصر المعلومات، وهو عصر التخصصات العلمية والمعرفية، ومع اختراع الكمبيوتر والتطور الهائل في تقنيات اختزان المعلومات واسترجاعها وبسرعة تبادلها على مستوى عالمي أصبح العالم بحق قرية كونية، حسب تعبير مكلوهان وشهد هذا القرن تطورات هائلة في مجالات التصنيع المدني والحربي وما رافق ذلك من تأثير في البشر وفي البيئة، ومع هذا كله شهد العالم نموا متزايدا في عدد الجامعات ونوعيتها، وعددا متزايدا من مراكز البحوث العلمية التطبيقية والاجتماعية، وأصبح العديد من مراكز البحوث مسخرا لخدمة الصناعة والاقتصاد والتسليح. وتتفق في المجتمعات الغربية المليارات على مجالات البحوث والتطوير مما جعل الأبحاث العلمية تلعب دورا مهما في تشكيل نمط الحياة المعاصرة والتأثير في البيئة.

ونظرة فاحصة إلى الواقع العربي، تجعلنا ندرك أهمية التغيرات التي طرأت على المجتمعات العربية، من حيث الواقع العلمي والتعليمي في الوطن العربي. فبعد منتصف القرن العشرين وبعد حصول العديد من الدول العربية على استقلالها، نجد أن هذه الدول شهدت تطورات كبيرة – على الأقل كميا – في المجالات العلمية والتعليمية، فالتحق ملايين التلاميذ بالمدارس. وملايين التحقوا بالجامعات وتخرجوا منها، وعشرات الجامعات تم افتتاحها، والعشرات من مراكز البحوث العلمية المتخصصة بدأت تأخذ دورها في الحياة المعاصرة، وتيسرت سبل اتصال الوطن العربي بالعالم الغربي وبحضارته، وتم تخريج عشرات الآلاف من الطلبة العرب الذي غرفوا من مناهل العلم والمعرفة من مدارس وجامعات عربية وأجنبية، ذات رؤى وأساليب متنوعة، فنجد بيننا بالإضافة إلى خريجي الجامعات العربية، خريجين من الجامعات الألمانية والأمريكية والبريطانية والإسبانية والروسية والهندية والباكستانية والفرنسية وغيرها.. وحمل هؤلاء شهادات عالمية في تخصصات دقيقة، وشهد الوطن العربي تزايد الأفراد والمؤسسات التي نما إحساسها بأهمية البحث العلمي، مما جعل العديد من الأفراد أو المؤسسات يؤسسون جوائز فخرية لتشجيع البحث العلمي في الوطن العربي. ونذكر منها على سبيل المثال جائزة عبد الحميد شومان بالأردن وجائزة الملك فيصل في السعودية وجائزة سلطان العريس في الإمارات وغيرها.

كما شهد الوطن العربي تقدما في مجالات الاتصال والمواصلات، وشهد كذلك تقدما في مجالات الطباعة ومارافقها من ازدهار في مجالات النشر بشكل عام، هذا كله يستدعي النظر في دراسة جانب من جوانب البحث العلمي. وهو نشر الأبحاث العلمية، والمعيقات التي تواجهها وسبل اختزال هذه المعيقات ووسائل تشجيعها.

2- تحديد المفاهيم:

المنظومة (System): هي مجموعة الأجزاء التي تعتمد على بعضها البعض وتتفاعل معا لأجل أداء وظيفة أو مجموعة من الوظائف وهذه الأجزاء تشكل معا وحدة كلية وهي أعظم من أن تكون مجموع أجزائها وهي أعظم لأنها تشتمل على تفاعلات بين الأجزاء كما أنها تشتمل على تفاعل بين أجزائها ذاتها.[213]

البحث العلمي: نعني به هنا أي استقصاء معرفي في أحد مجالات المعارف والعلوم باعتماد مناهج البحث العلمي والالتزام بشروطه.

النشر: هو العملية التي بها يتم إذاعة الرسالة عن طريق الوسائل المطبوعة أو غيرها من الوسائل التي تجعلها متاحة للجمهور المستهدف.

الدورية العلمية: هي أي مطبوع / أو أقراص الحاسوب التي تصدر بانتظام عن جهة لها مرجعيتها في التخصص، سواء أكانت جامعة أم مركز بحث علمي أم رابطة متخصصة في أي من مجالات المعارف والعلوم.

الباحث: هو أي شخص يقوم بطريقة منظمة وعلمية باستقصاء معرفي في أحد مجالات المعارف والعلوم مستهدفا حل مشكلة بحثية ما منتهجا أساليب البحث العلمي.

3- أسئلة ومشكلات:

سوف نحاول مناقشة بعض الأسئلة المتصلة بمشكلات نشر الأبحاث العلمية ووسائل تشجيعها، فهذا الموضوع يثير لدى الباحث مجموعة من الأسئلة:

1- ما هو تأثير البيئة في البحث العلمي؟
2- هل هناك سياسة بحثية في الوطن العربي تشجع على البحث العلمي؟ وهل استطاعت المجتمعات العربية تطوير استراتيجيات للبحث فيها؟

---

[213] –صالح أبو إصبع: دراسات في الإعلام والتنمية العربية، دبي مؤسسة البيان **1989**، ص **14**.

3- ما هي الأدوار التي يمكن أن تلعبها المؤسسات المختلفة من جامعات، مراكز بحوث، شركات صناعية، لجان جوائز، مؤسسات علمية، في سبيل تطوير البحث العلمي وتشجيعه ونشره؟
4- ما هي المعيقات التي تواجه الباحثين من أجل إعداد بحوثهم وتطويرها ونشرها؟
5- هل استطاعت الدوريات العلمية في الوطن العربي تطوير آليات ومعايير خاصة بها للنشر العلمي؟
6- هل الدوريات العلمية العربية قادرة على تحقيق إشباعات الرغبة في النشر العلمي عند الباحثين العرب من حيث نوعيتها وتخصصها وكميتها؟
7- هل تتم عملية النشر العلمي في الدوريات العربية بما يحقق الشروط الموضوعية للنشر.
8- كيف يمكن تجاوز المعيقات في مجال النشر العلمي من أجل تشجيعها؟

ونلاحظ أن الأسئلة 1 – 3 تتناول علاقة البحث ببيئته، أما السؤال الرابع فيتناول علاقة الباحث بالبيئة والبحث معا، وأما الأسئلة 5 – 7 فتتناول بعض القضايا المرتبطة بالدوريات العلمية وأما السؤال الثامن فهو يشكل رؤية لتجاوز المعيقات.

4- المنهج:

سوف نعتمد هنا على دراسة تحليلية لعناصر عملية البحث العلمي باعتبار منظومة (System)، ومن خلال دراسة عناصر هذه العملية التي تقوم على مدخلات

ومخرجات وتتفاعل مع البيئة المحيطة يمكننا فهم المشكلات التي تجابهها وسبل اختزالها ووسائل تشجيعها وسوف نتبنى هنا المكونات الرئيسة لمنظومة العلوم والثقافة كما جاءت في تقرير لجنة استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي، والتي تتمثل فيما يلي:

أ) المدخلات:

وتتضمن الأطر البشرية التي تستخدم المنظومة جهود تطوير المعارف العلمية والتقانية ونقلها، ونشرها، ودفعها إلى القطاعات المستثمرة، ودعم أنشطة المنظومة بصورة عامة، كما تتضمن المدخلات، المعارف العلمية، والتقانية التي يتم تطويرها، أو نقلها أو نشرها، أو دفعها للاستثمار من خلال الأنشطة التي تقوم المنظومة بها والموارد التي تستغلها للقيام بتلك الأنشطة.

ب) العمليات والمؤسسات:

1- العمليات : تقوم المنظومة بعمليات تتعلق بوظائفها الأساسية التالية:
– وضع السياسات والخطط العلمية والتقانية، ومهامها، التنبؤ (الاستشراف) والاستطلاع والتقويم التقاني.

- توليد المعارف العلمية والتقانية ونقلها ونشرها.

2- المؤسسات: تقوم المنظومة بوظائفها في مجال نقل المعارف العلمية والتقانية نشرها وتوليدها وتوطينها بواسطة المؤسسات المختصة التالية:
- الجامعات.
- المعاهد وفعاليات التدريب المهني.
- الجمعيات العلمية والتقانية.
- مراكز البحث العلمي والتوطين التقاني ومراكز التطور التجريبي والإرشادي.
- المنظمات المهنية والتقانية.
- الشركات والفعاليات الإنتاجية.
- دور المشورة والخبرة الهندسية.

جـ) المخرجات:

تأخذ المخرجات في منظومة العلوم والتقانة عددا من الأشكال، منها ما يسهل تعريفه، وتظهر آثاره عندما يمكن تجسيد المعرفة العلمية أو الثقافية في منتج مادي أو أسلوب أو طريقة لأداء عمل منتج ما. ومنها ما ليس من السهل تعريفه.

وتتضمن المخرجات بصورة أساسية:

- معارف علمية وثقافية في أوراق منشورة وبراءات اختراع، وتصاميم ومواصفات تتجسد في منتج معين.
- طرائق وعمليات قابلة للاستثمار في العملية الإنتاجية وفي المرافق الخدمية، تولد بدورها موارد مادية (عائدات مباشرة) كما تساهم في رفع مستوى معيشة المواطنين العرب.
- أطرأ مدربة من المستويات المختلفة.

د) البيئة المحيطة:

منظومة العلوم والتقانة، في أي مجتمع تقوم ضمنه، ولكن تنشط وتزدهر، فلا بد من توافر عناصر نجاح مشروع حضاري يصوغ حوله المجتمع جهوده وتنعكس آثاره على أنشطة التعليم والتربية والثقافة والإنتاج. لكن منظومة العلوم والتقانة تتميز عن سائر "منظومات" المجتمع الأخرى بكونها الأساس الذي يستند إليه إدراك المجتمع لمشاكل نموه وتطوره. ومن هنا تبرز أهمية العلاقة بين منظومة العلوم والتقانة في مجتمع ما والمشروع الذي يتبناه ذلك المجتمع من:

- مواطني البلدان العربية وحاجتهم وطموحاتهم وآمالهم.
- مؤسسات البلدان العربية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

- المحيط العالمي من دول صناعية "حرة الاقتصاد" ودول ذات اقتصاد مخطط مركزيا، ودول مصنعة حديثا ودول متخلفة، مع ما تتضمنه هذه الدول من مؤسسات إنتاجية وخدمية وعلمية وثقافية، وما تسعى إليه من غايات سياسية وأهداف استراتيجية في المجالات المختلفة.[214]

إن فهم مكونات منظومة العلوم والتقانة يشكل مدخلا أساسيا لفهم الأبحاث العلمية ونشرها ومعيقاتها. فالأبحاث العلمية جزء من منظومة العلوم والتقانة، وعمليات البحث العلمي ومؤسساته هي العمليات والمؤسسات نفسها ومخرجاتها التي تتمثل بالنشر فهي جزء من مخرجات منظومة العلوم والتقانة وإما بيئتها فهي البيئة نفسها.

ولدواع منهجية فإننا سوف نقوم بدراسة الأبحاث العلمية في الدوريات العلمية باعتبارها منظومة تتكون عمليتها من مدخلات، وعلميات ومؤسسات، ومخرجات، والبيئة المحيطة.

ولأن فهم البيئة المحيطة يشكل أساسا للمدخلات والعمليات والمخرجات، ولأن فهم البيئة المحيطة (المجتمع) يرتبط ارتباطا وثيقا بالمؤسسات والعمليات، فإن دراستنا سوف تتناول عناصر منظومة البحث العلمي للإجابة على أسئلة البحث حسب الترتيب التالي:

1- البيئة المحيطة: البحث العلمي وعلاقته بالمجتمع ويشمل المؤسسات والعمليات والسياسات البحثية والظروف المجتمعية للبحث، نجيب فيها على الأسئلة الأول والثاني والثالث.
2- المدخلات: وتشمل الباحث والمعلومات والتمويل، نجيب فيه على السؤال الرابع.
3- المخرجات: النشر العلمي، نجيب فيه على السؤال الخامس والسادس والسابع.

ويمكن للمرء أن يلاحظ أننا أدمجنا المؤسسات البحثية وعملياتها مع البيئة المحيطة، وذلك لأنهما تشكلان معا القاعدة الأساسية لخلق ظروف ملائمة للبحث العلمي، وبدون تفاعلهما معا لا يمكن لمدخلات عملية البحث العلمي أن تعطينا مخرجات مناسبة.

4 – 1 – (البيئة المحيطة) – البحث العلمي وعلاقته بالمجتمع:

لا يمكننا دراسة مشكلات البحث العلمي دون التعرض لعلاقة البحث العلمي بالمجتمع، فإن أي نشاط بحثي في المجتمع يرتبط ارتباطا وثيقا بظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، ويرتبط كذلك بنظرة المجتمع وحاجته إلى البحث

---

[214] –لجنة استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي، التقرير العام والاستراتيجية الفرعية (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1989) ص. ص. 52– 55.

العلمي، باختصار أن البحث العلمي تطورا وإنجازا هو وليد ظروف المجتمع المحلي، كما أنها ذات صلة بالمجتمع الدولي، البيئة المحيطة الأوسع.

ولا شك أن المجتمع العربي شهد تطورا كبيرا في مجال التعليم ورافق ذلك ازدياد عدد خريجي الجامعات وحملة الشهادات العليا الذين يشكلون القاعدة الأساسية للباحثين في الوطن العربي وكما لاحظ انطون زحلان "أنه في عام 1978 كان يوجد 24 ألف عربي يحملون درجة الدكتوراه، وأن 2400 عربي آخر (أو 10في المائة من هؤلاء) يضافون إلى هذا العدد سنويا، وما لا يقل عن 50 في المائة من درجات الدكتوراه في مجال العلوم. وقد أظهرت البيانات المقدمة عن النشاط العلمي المصري في الخمسينات أنه كان يوجد لدى مصر في ذلك الحين موارد بشرية مساوية لتلك الموجودة في الصين. وقد أجرى منذ ذلك الوقت عدد من الدراسات المسحية للقوى البشرية في مصر، ولكن ما نشر كان قليلا، وأعلن في عام 1977 إن عدد الباحثين في مصر في ذلك الوقت ازداد من 1000 في عام 1958 إلى 18 ألفا في عام 1977.[215]

وفي الأردن بلغت نسبة الأنفاق على العلوم والتكنولوجيا ما نسبته 4.0 % من الناتج القومي الإجمالي عام 1991، نصفها على التعليم العالي و 40 % منها على خدمات العلوم والتكنولوجيا و 10 % على مشاريع البحث والتطوير تمثل نسبة 0.4 % من الناتج القومي الإجمالي مقارنة بنسبة 3.5 % في اليابان و 3.8 % في الولايات المتحدة وألمانيا. وحوالي 1.2 % في دول المجموعة الأوروبية عام 1991. وبلغت نسبة العمالة في العلوم والتكنولوجيا إلى مجموع القوى العاملة في الأردن حوالي 2 لكل ألف مستخدم عام 1991، نصفهم في البحث والتطوير مقارنة بحولي 609 لكل ألف مستخدم في البحث والتطوير في الولايات المتحدة، ويعمل 5% من العاملين في البحث والتطوير في مجال الإنتاج و 66 % في مجال التعليم العالي، و29 % في مجال الخدمات الأخرى، في حين يعمل 5 % من العاملين في الخدمات العلمية والتكنولوجية في مجال الإنتاج، 78 % في مجال التعليم العالي، و 17% في مجال الخدمات الأخرى، وبلغ عدد المؤسسات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بنشاطات علمية وتكنولوجية حالية 200 مؤسسة عام 1991، منها 87 مؤسسة لديها 379 مختبرا متخصصا، وتتركز هذه المختبرات في الجامعات وكليات المجتمع والمراكز العلمية والتقنية والتي تضم حولي 83 % منها، بينما يتوافر 90 % منها في المؤسسات الصناعية مما يعكس ضعف اهتمام هذه المؤسسات بالنشاطات العلمية والتكنولوجيا.[216]

أن هذه الأرقام تظهر لنا أن القدرات البشرية العربية تنمو يوما إثر يوم، ويظل التساؤل قائما لماذا لا تتحقق إنجازات بحثية مهمة في الوطن العربي؟

---

[215] –انطوان زحلان العربي، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربي، **1990**، ص **96**.

[216] – وزارة التخطيط، الخطةا لاقتصادية والاجتماعية **1993– 1997**، الأردن، عمان، وزارة التخطيط د. ت، ص ص **75–76**.

إن وعـي المجتمـع بأهميـة البحـث العلمـي يـؤدي إلـى تطـوير آليـات لـدعم البحـث العلمي، ودعم أنشطته، وتنظيم فعالياتـه، وتشـجيع باحثيـه، وخلـق ظـروف مناسـب لإنجـاز البحوث بكفاءة ولذا فإن معرفة مدى تطور البحث العلمي وإنجازاته ليس أمرا سهلا. وكما يرى انطـوان زحـلان: (ويلـزم لقيـاس نشـاط مجتمـع فـي ميدان علمـي معين وجـود علمـاء متخصصين في هذا الميدان، ذلك أن النشـاط العلمـي المتطـور تطـورا كـاملا يتميـز بدرجـة من التنظيم يتم معهـا التقييم علـى أسـاس مستمر ودائم، ويندمج بشكل مباشـر فـي العمليـة ذاتهـا، والنظـام الشـامل للمنظمـات والصـحف المتخصصـة ولجـان النظـر فـي المـنح والاستقصـاءات الحكوميـة المنتظمـة، والدراسـات المسـتقلة لأوضـاع قطاعـات معينـة مـن المؤسسة العلمية، كل ذلك يسهم في هذا للمجهود المبذول في مجال الاستعراض). [217]

إن دراسة الظروف المجتمعية العربيـة التـي تسـاهم فـي خلـق بيئـة علميـة وبحثيـة ملائمة أمر مهم، فمن المشكلات التـي يواجههـا البـاحثون العـاملون فـي المجتمعـات طبيعـة عمـل المؤسسـات العلميـة، والحـوافز التـي تقدمها لعمليـة البحـث وتمويلهـا ودرجـة حريـة المجتمع، الحرية الممنوحة لأفراده وللبحث العلمي نفسه.

وهذا يجعل ظروف البحث العلمـي فـي المجتمـع العربـي مختلفـة عـن طبيعـة عمـل المؤسسات البحثية بـالغرب ويلاحظ زحـلان: (هنـاك فـي المجتمعـات المتقدمـة تقسيم للعمـل بين المؤسسات العلمية المتخصصة التي تكرس طاقاتها لجميع نواحي البحث العلمـي بقـدر كبير من الحرية في اختيار البحث طالما لا يحتاجون إلى إعادة عام كبيرة. وهكذا نجد مـن يتابعون أبحاثهم فـي نظريـة الإعداد والـوارث، وجسيمات الكـوارك، والعـوالم المنهـارة أو المنفجرة، لا يهزهم الوضع في الأحياء الفقيرة بالمدينة أو العمليات العسكرية الأجنبية).[218]

فالبيئـة العربيـة كمـا لاحظ تقريـر اسـتراتيجية تطـوير العلـوم والثقافـة فـي الـوطن العربـي تتميـز بالأميـة الأبجديـة والأميـة العلميـة وبـالتخلف بشـكل عـام، وقـد جـاء فـي هـذا التقرير (وبشكل عام، فإن البيئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الوطن العربي، تتسم بخصـائص التخلـف، ولا سـيما بضـعف القاعـدة الصـناعية والعلميـة والثقافيـة، وانخفـاض مستوى دخل الفـرد، ويغلـب عليهـا هـاجس الاستهلاك لـدى الفئـات الميسـورة والمتوسـطة، وهموم المعيشة اليومية لدى غالبية الجماهير الفقيرة، وبالتالي، فإنه لا يمكـن اعتبـار البيئـة الأكثـر ملاءمـة لتحـريض أنشـطة العلـم والثقافـة وتشـجيع روح التجديـد والابتكـار فيهـا، وينطبق ذلك – على حد كبير – أيضا على المؤسسات الاقتصادية العربية المستفيدة.[219]

وأهم المؤسسات العاملة في مجال البحث العلمي هي:

---

[217] – زحلان، المصدر سبق ذكره، ص **15**.

[218] – المصدر نفسه.

[219] –الاستراتيجية مصدر سبق ذكره، ص ص **120– 121**.

1- الجامعات.
2- الأقسام والإدارات العامة في البحث والتطوير في الشركات والوزارات.
3- مراكز البحث العلمي.
4- الهيئات المساهمة في النشاط العلمي مثل المجالس، الجمعيات، النقابات.

وتشكل هذه المؤسسات القاعدة الأساسية للبحث العلمي في الوطن العربي، وتفتقر هذه المؤسسات إلى التنسيق فيما بينها، والتنسيق مع الفعاليات الاقتصادية والصناعية والاجتماعية داخل القطر ذاته، أو على مستوى الوطن العربي.

وقد عزت استراتيجية تطوير العلوم الثقافة ذلك إلى ضعف ارتباط تلك المؤسسات بالنشاط الاقتصادي وقضاياه وهمومه، وانغماسها ف همومها الخاصة، مما يؤدي على عدم بذل العلماء والباحثين جهدا إضافيا في بحث القضايا الاقتصادية والاجتماعية المحلية وتقديم الحلول العلمية والتقنية التي تحتاجها.[220] وتعاني الكثير من هذه المؤسسات من ضعف، واضح في الموارد البشرية والمالية وباستثناء – الدول النفطية – فإن معظم المجتمعات العربية تعاني من نقص في الموارد المالية الكافية لتغطية أنشطة تلك المؤسسات لإنجاز أهدافها في البحث والتطوير.

وتعاني هذه المؤسسات من التدخل الحكومي، وفي أحيان كثيرة، فإن الباحثين يعانون كثيرا من إمكانية الحصول على المعلومات نتيجة المحظورات، التي تفرضها الحكومة وكما لاحظ رحلان: (إن الحاجة إلى المعلومات العلمية موجودة دائما، ومعروف أنها أدت مجتمعات أخرى إلى توفير حافز تطوير العلم. غير أن السياسات التي تتبعها حكومة من الحكومات لتوفير المعلومات والشكل المرغوب لهذه المعلومات، والقيمة المنسوبة إليها، والمشاركة الاجتماعية والتعليمية في تحقيق هذا المسعى، كل ذلك يؤثر بطرق هامة في تطور العلم).[221]

وإذا كانت الجامعات تشكل المورد الأساسي والقدرات الأهم في مجال البحث العلمي، إلا أن مساهمتها في مجال البحث ما تزال قاصرة فالتعليم الجامعي يعاني من مشكلات عديدة من بينها استخدام الأسلوب التلقيني في التدريس مما جعل التعليم الجامعي يفشل في تنمية روح البحث والنقد والمبادرة والابتكار والقدرة على المبادرة وتمكين الأفراد من التعلم الذاتي واستثارة روح الاستكشاف العلمي[222] كما أن تشجيعها للبحث العلمي هو في أدنى المستويات من حيث توفير الإمكانيات للباحث وتوفير الوقت والتسهيلات له من مختبرات ومكتبة وحوافز تشجيعية. وقد أوضحت الخطة الاقتصادية

---

220 – المصدر نفسه ص 219.

221 –الخطة الاقتصادية والاجتماعية سبق ذكره، ص 75.

222 – لجنة استراتيجية تطوير العلوم المصدر سبق ذكره، ص 130.

والاجتماعية 1993 – 1997 بعض هذه المشكلات التي تواجه قطاع العلوم والتكنولوجيا وهي ذات الصلة مباشرة بالبحث العلمي وأبرز هذه المشكلات ما يلي:

1- تدني نوعية التعليم المالي، وغياب التخصصات متداخلة المعارف، ومحدودية برامج الدراسات العليا.
2- ضعف البحث العلمي الأساسي والتطبيقي وقصوره عن تلبية احتياجات المجتمع وأولياته.
3- عزوف القطاع الخاص عن الاستعانة بالمؤسسات العلمية والبحثية.
4- نقص التشريعات التي تنظم نقل وتوطين وتطوير التكنولوجيا الملائمة.
5- قصور القوانين والأنظمة عن تغطية براءات الاختراع وحقوق النشر والتأليف.
6- عدم ربط شيكات المعلومات المحلية بشيكات المعلومات العلمية والتكنولوجيا الدولية المتخصصة.
7- ضعف التنسيق والتعاون بين المؤسسات العامة في مجال العلوم والتكنولوجيا.
8- ضعف الوعي العام لأهمية العلوم والتكنولوجيا.[223]

ومن خلال هذا الاستعراض لعلاقة البحث العلمي بالمجتمع فإنها يمكننا الخلوص إلى أن هناك من المعيقات المجتمعية ما تثبط البحث العلمي وتوهن عزائم الباحثين.

4 – 2 - المدخلات:

الباحث: المعلومات، التمويل

حينما تتحدث عن البحوث ومشكلاتها، فإنه لا بد من التطرق إلى العناصر الرئيسية من مدخلات البحث العلمي والتي من خلالها يمكن تشخيص المشكلات والمعيقات التي تواجه البحث العلمي والنشر العلمي.

4 – 2 – 1 – الباحث:

الباحث هو العنصر الأهم في عملية البحث العلمي، وتحقق عملية البحث العلمي ونشره للباحث أحد الأهداف التالية أو جميعها.

- إشباع نزعة الباحث في الاستقصاء وحب الاستطلاع والمعرفة.
- يمكن أن يحقق "أهدافا شخصية" إذ يحصل المرء مكاسب شخصية له، مثل الترقية، الحصول على الربح المادي أو المعنوي، المنافسة

---

223 – زحلان المصدر سبق ذكره ص 20.

- يمكن أن يوفي الباحث بالتزامات وظيفية عن طريق البحث، كأن تكون طبيعة عمله هي إجراء البحوث والدراسات.

إن هذه الأهداف – الوظائف – للبحث العلمي تؤدي إلى فهمنا لنوعية الباحثين وإلى الحوافز التي تدفعهم إلى البحث العلمي، فإن النوع الأول الذي تدفعه نزعة داخلية وهي نزعة حب البحث والاستقصاء والمعرفة، سنجده أكثرا إخلاصا وإحساسا بمسؤولية البحث العلمي وأكثر انغماسا بأنشطته، وأما النوع الثالث فإن نزعته للبحث ذات دوافع خارجية وإذا كان الباحث لديه أكثر من هدف فإن دافعيته للبحث سوف تزداد.

وعلى الرغم من وجود الأعداد المتزايدة من حملة الشهادات العليا والمهيئين للبحث العلمي، غلا أنهم لا يمارسون البحث العلمي، ويمارس عدد محدود من هؤلاء وظيفة الباحثين في بعض المؤسسات البحثية أو الشركات، وأما أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية فإن طبيعة أعمالهم تستدعي أن يقوموا بنشاطات بحثية. ولكن مثل هذه النشاطات عند العديد منهم ليست سوى وسيلة للترقية. والتي تنتهي بحصولهم عليها ونجد القلة القليلة المعنية بالبحث العلمي لإشباع رغبتها وطموحها العلمي.

إن الواقع المجتمعي الذي أشرنا إليه لا يوفر ظروفا ملائمة فإن الأسلوب التعليمي قائم على التلقين على مستوى المدرسة ومستوى الجامعة، فهو أسلوب لا ينمي لدى الطالب روح البحث والنقد والابتكار، وأما أولئك الذين تلقوا تعليمهم في الغرب وترابوا على البحث العلمي ومنهجياته، حينما يعودون إلى أوطانهم بعد حصولهم على الدرجات العليا، وهم مشبعون بالطموح والرغبة في الإنجاز، يصطدمون بعد فترة من إحباطات مجتمعية، ومن عدم توفر الإمكانيات لتحقيق طموحاتهم البحثية.

ويمكننا تصنيف العاملين في مجال البحث إلى الشرائح التالية:

1- باحثون يمتلكون نواصي المنهجية والرغبة والقدرة على القيام بالأبحاث العلمية ولديهم الحوافز العلمية والدوافع الذاتية للقيام بالبحث العلمي ونشر ما ينجزونه.
2- باحثون يمتلكون نواصي المنهجية والمقدرة على القيام بالأبحاث ولكنهم لا يمارسون البحث العلمي لأنهم فقدوا الحوافز والدوافع وأصيبوا بالإحباط.
3- دارسون لا يمتلكون الكفاءة العلمية ولا المنهجية ولكن لديهم الرغبة في ممارسة البحث العلمي لأن لهم دوافعهم الخاصة.

وهذا التصنيف ليس استيعابيا، ولكنه يفيدنا في مجال النشر العلمي ودراسة مشكلاته في الدوريات العلمية، فالنموذج الأول: يشكل أقلية في الوطن العربي والنموذج الثاني: يشك شريحة مهمة من الأساتذة الجامعيين الذين يتوقف إنتاجهم البحثي عند أعتاب الترقية. أما النموذج الثالث فإن إنتاجه يشكل دائما عبئا على الدوريات العلمية، من حيث

التقييم، ومن حيث النشر وهم أناس ملحاحون يبحثون عن طرق كثيرة من أجل الضغط على اتخاذ قرارات لنشر أعمالهم.

ومن أهم الحوافز التي تؤدي إلى أداء علمي ممتاز هو تحقيق الذات وقد درس بيلز واندرس Pelz & Andrews في كتابهما الموسوم (العلماء في المؤسسات المناخ الإنتاجي للبحث والتطور) مصادر الحوافز، وقد وجدا أنه حينما يكون مصدر الحوافز داخليا فإنه يكون فعالا جدا، وإذا كان الحافز خارجيا يعتمد على المسؤولين والمشرفين على الباحثين فإن الحافز يكون قليل الفعالية.[224]

ويمكننا الإشارة هنا إلى جملة من العوائق التي تواجه العاملين في مجال البحث العلمي وهي ترتبط بعناصر المدخلات الثلاثة: الباحث، المعلومات، والتمويل.

- يفتقر الباحثون إلى توفر قاعدة معلومات أساسية وحديثة، تمكنهم من متابعة ما يستجد في فروع المعرفة التي يعملون بها وذلك لعدم وجود مراكز التوثيق والمعلومات التي تقوم بتجميع كل ما هو معروف حول المجالات الموضوعية المتخصصة وتحليل هذه المعلومات وتوصيلها إلى الآخرين.[225]
- يعاني الباحثون من عدم توفر الظروف الملائمة للعمل من وجود مرتبات ملائمة وجو الاحترام والتقدير، وكذلك عدم توفر الدعم المادي اللازم لإنجاز بحوثهم، وعدم توفر الإمكانيات الأخر الضرورية لإنجاز بحوثهم، وهذا ما

يجعل العديد من الذين أكملوا دراستهم في الغرب أو الذين يمتلكون روح البحث العلمي والدافعية له، يبحثون عن فرص للهجرة وترك الوطن العربي، لأنه لا تتوافر فيه ظروف مهيئه لنشاط بحثي مثمر، وبظروف حياة تليق بما يستشعرونه بأنفسهم من مكانة مرموقة، ولذا كان من توصيات اليونسكو بشأن وضع الباحثين العلمين ما يلي.[226]

1- تهيئة مناخ عام واتخاذ تدابير محدودة تكفل الدعم الأدبي والمادي للباحثين العلميين، وتشجيعهم على النهوض بمسؤولياتهم الخاصة اتجاه مجتمعاتهم.
2- تعزيز الموقف الذي يتيح تهيئة الحوافز اللازمة للغالبية من الباحثين العلميين، والشباب الطامحين لأن يصبحوا باحثين علميين، حتى يقوموا بأعمالهم خدمة لبلادهم، وأن يعودوا إليها إذا كان لهم أن ينشدوا استكمال جانب من تعلمهم أو تدريبهم أو خبرتهم في الخارج.

---

224 – يوسف حلباوي، الثقافة العربية، مفهومها وتحدياتها (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية) **1992**،ص **230**.

225 – الخطة الاقتصادية والاجتماعية مصدر سبق ذكره ص **76**.

226 – Donald C. Plez & Frank M. Andrews. Scientists in Organiztations: Productive. Climated for Research & Development (new York: John Wiley 1966). P. 108-109.

3- منح رواتب مجزية، وتوفير ظروف علم جيدة، وتهيئة الإجراءات التي تكفل مراجعة هذا الوضع دوريا، لضمان التكافؤ بين تلك الرواتب، والظروف المتعلقة بالباحثين وبين ظروف أقرانهم من العاملين الذي يناظرونهم من حيث الخبرة والمؤهلات.
4- توفير الفرص الكافية للترقي المهني مع كفالة الخيار أمام الباحثين للانتقال من العمل العلمي إلى المناصب الإدارية، أو إلى غيرها من الأعمال التي من شأنها أن يستفاد من خبراتهم وسائل مزاياهم الشخصية بصورة أفضل، وفي إطار وضع جديد.
5- أن تنطوي السياسة الوطنية لشاملة في مجال الكفاءات العالية على عنصر لتسهيل التبديل أو حرية التنقل بين مجالات البحث العلمي والتعليم العالي والخدمة في القطاعات الإنتاجية في البلاد.
6- توفير الفرص لمتابعة أحدث التطورات من خلال حضور المؤتمرات والدورات التعليمية، وتيسير الوصول إلى المكتبات ومصادر المعلومات الأخرى دونما قيود.
7- العمل بالنظام على تخصيص جزء من موازنات المنظمات الحكومية، أو شبه الحكومية التي يتم فيها أو تحت إشرافها إجراء أعمال البحث والتطوير، بحيث يستخدم هذا الجزء في تمويل مشاركة الباحثين العلمية بتلك المنظمات في التجمعات العملية والتكنولوجية الدولية.
8- تسهيل وتشجيع نشر النتائج التي يتوصل إليها الباحثون العلميون.
9- تسهيل وتشجيع تكوين الروابط والجمعيات العلمية.

- يعاني الباحثون من عدم وجود الحرية في المجتمع، سواء أكانت الحرية هي الحرية الشخصية أو حرية البحث العلمي، ومن ثم فإن فقدان الحرية يؤدي إلى عدم القدرة على الخوض في مجالات البحث العلمي بجرأة وصراحة.
- يعاني الباحثون في كثير من المجالات العلمية من عدم وجود معايير ثابتة بالنسبة للدوريات العلمية المحكمة في ما يتعلق بما يلي:

أ) عدم وجود معايير لأساليب الكتابة في التخصصات المختلفة، وعلى سبيل المثال، فإننا نلحظ أنه لغاية الآن لم يتم الاتفاق على أنماط الاستشهاد المرجعي، ويرتبط بالاستشهاد المرجعي، قضية أخرى وهي قضية الاقتباس وحقوقه، وهذا يجعلنا نتساءل عن:

- أي الكتب أو المصادر التي يمكنها أن تصلح لتكون مرجعا ومجالا للاقتباس؟
- إلى أي حد يمكننا الاقتباس من النص بدون استئذان المؤلف والمحافظة على حقوقه؟

ب) عدم وجود محرر في المجلة Copy Editor تكون مهمته لاحقة لمرحلة التحكيم، فإذا أجيز للنشر تكون مهمة المحرر أن يتأكد من أن البحث مطابق لأسلوب المجلة الذي تلتزم به.

- يعاني الباحثون في الوطن العربي من عدم القدرة من الاستفادة من البحوث السابقة في ميادين تخصصهم وخاصة تلك التي أجريت في الوطن العربي، إذ أن التنسيق بين المؤسسات العلمية العربية في حده الأدنى، والصلات بين الباحثين العرب تكاد تكون معدومة، بالإضافة إلى أن ما يجري من حلقات بحث ومؤتمرات وندوات لا يتم طباعتها بشكل يوفر فرص تعميمها، وكذلك لا توجد كشافات توفر للباحث فرصة للإطلاع على ما هو موجود، ويمكننا الإشارة إلى أنه على الرغم من وجود الباحثين الأكفاء، فإن هناك العديد من المحسوبين على البحث العلمي، والذين لديهم مشكلات أساسية تتعلق بما يلي:
- عدم خبرتهم بمناهج البحث العلمي.
- عدم معرفتهم بالطرق الإحصائية اللازمة لجمع البيانات وتحليلها.
- عدم إلمامهم باللغة العربية بطريقة تمكنهم من التعبير السليم عن أفكارهم.
- عدم الاستفادة من البحوث باللغات الأجنبية فيما يختص بالبحوث المرتبطة بتخصصاتهم.
- يعاني الباحثون من عدم توفر الإمكانيات المادية من مختبرات ومواد وتمويل اللازمة لإنجاز أبحاثهم ويلاحظ الفقر العام في المكتبات العربية وعدم قدرتها على متابعة أحدث الإصدارات العلمية ظاهرة شائعة في معظم الجامعات العربية لدواعي ارتفاع تكاليفها.

وقد لاحظت خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الأردنية (1986 – 1990) ما يلي:

- ضرورة تعزيز الإمكانيات المالية المتاحة لدعم مشروعات البحث الأساسي والتطبيقي الموجه لرفع المستوى العلمي وحل المشكلات العلمية والفنية في الأردن على المستوى الوطني بصورة عامة وعلى المؤسسات العلمية والإنتاجية بصورة خاصة.
- ضرورة تطوير الجهود المبذولة لتوفير المعلومات التفصيلية المحدثة عن قطاعات الاقتصاد الوطني المختلفة جنبا إلى جنب مع المعلومات الكلية المتاحة والاستفادة من شبكات المعلومات المتخصصة المتوفرة في العالم.

3 – 4 – المخرجات: البحث العلمي ونشره:

تتمثل مخرجات علمية البحث العلمي بنشر الأبحاث وبتطوير إمكانيات الباحثين أنفسهم، ولعل المشكلات التي تواجه البحث العلمي هي المشكلات التي تواجه الباحث لإنجاز بحثه، ولكن هناك بعض المشكلات التي تواجه الباحث لإنجاز بحثه، ولكن هناك بعض المشكلات التي تواجه البحث بعد فراغ الباحث من إنجازه، فبعد أن يفرغ الباحث من عمله، تصبح المهمة التالية هي نشر البحث، وتصبح مسألة نشره خاضعة للدورية العلمية التي سينشر بها وعلى الرغم من أن حديثنا عن البحث العلمي، وظروف غير علمية تتحكم في علمية النشر، فالنوازع الشخصية والتحيز والعوامل السياسية والاجتماعية ذات تأثير كبير في قرارات النشر، فالنوازع الشخصية والتحيز والعوامل السياسية والاجتماعية ذات تأثير كبير في قرارات النشر وتقييم الأبحاث.

ويرى جرازيا (Grazia) أن هناك أربعة أنماط محتملة لتقييم البحوث وهي.[227]

أ) **النمط العقلاني:** ويفترض أن النتائج العلمية يتم فحصها وقبولها في ضوء معايير عقلانية خالصة: إن الباب مفتوح على مصراعيه لنشر كل عمل يدعي العلمي، فالمناقشات هنا علنية نزيهة، تتكافأ فيها الفرص، ثم يصدر بناء عليها في النهاية قرارا رفض العلم أو ضمه إلى حصيلة المعرفة العلمية.

ب) **النمط الاعتباطي:** ويفترض أن حصيلة المعرفة العلمية تنمو بالالتقاط العشوائي للنتائج العلمية من بين كل ما يتوفر منها. ويعني ذلك- من وجهة نظر النشر – أن قبول البحوث العلمية والإفادة منها فيما بعد، يتوقف على عدد من العوامل اللاعلمية (كتأثير المؤلف ومدى ما يحظى به علمه من دعاية مثلا).

ج) **نمط القوة والنفوذ:** ويرى أن الباحثين وأعمالهم يحظون بالقبول طالما كانوا يميلون إلى تأكيد سلطة إحدى الجماعات العلمية الحاكمة وسيادتها. والتي لا تتحكم في المكافآت (كالترقية الأكاديمية مثلا) فحسب وإنما تهيمن أيضا على سبل النشر، والأطر العلمية التي تكون لها السيادة في وقت ماء هي تلك التي تقرها الجماعة المتسلطة، والتي يمارس أعضاؤها تحكما نمطيا في تطور العلم متبعين في ذلك سبل الاتصال غير الرسمية فيما بينهم.

د) **النمط العقائدي:** يرى أن حصيلة المعرفة العلمية على إطلاقها إنما هي بمثابة العقيدة، وأن للباحثين العلميين جميعا – باعتبارهم أبناء مهنة واحدة – مصلحة مؤكدة في المحافظة على الوضع بلا تغيير، وبناء على هذا النمط، فإن المعارضة القوية لا بد وأن تتحدى دائما لأي مؤلف يجرؤ على نشر أفكار تختلف اختلفا جوهريا من الإطار العلمي السائد.

---

227 –بولين أثرتون مركز المعلومات تنظيمها وإدارتها وخدماتها ترجمة د. حشمت قاسم (القاهرة، مكتب غريب **1977**)، ص **195**.

ويرى جاك ميدوز بأن سيادة نمط من هذه الأنماط يرتبط بالظروف التي يتم بها النشاط العلمي ففي الظروف السوية ينمو النمط الأول "العقلانية" وفي ظروف التي تكون فيها تغييرات جوهرية في الأطر العلمية يسود أحد الأنماط الثلاثة الأخرى.[228]

إن وصول البحث إلى دورية أو جلة ما سوف يدخلها في دورة تتمثل بالخضوع لنظام التحكم والخضوع لشروط النشر في المجلة والتحرير ثم النشر وهي عملية متكاملة.

إن علمية النشر في الدوريات العلمية من المفترض أنها تخضع لنظام خاص بها وعناصره تتمثل فيما يلي:

1- وجود نسق معين للبحث العلمي، له شروط ومواصفات خاصة تحددها الدورية مثل الحد الأعلى والأدنى لعدد الكلمات التي يتم نشرها، طريقة استخدام المراجع والإحالات والاستشهاد، الجوانب الفنية المرتبطة بالصور والرسوم والجداول.
2- وجود نظام خاص للتحكيم. من خلاله يتم إجازة البحوث أو رفضها، فبعض المجالات تكتفي بقارئ واحد للبحث وبعضها تطالب بمقيمين للبحث وقد تلجأ إلى ثالث إذا اختلف الرأيان عند المقيمين، وقد تخضع عوامل الرفض والقبول إلى دوافع غير علمية.
3- وجود عوامل موضوعية وسياسية مرتبطة بطبيعة المجلة وطبيعة الأبحاث، فهناك بعض المجلات المحكمة والتي لا تتخصص بفرع محدد من فروع المعرفة بل تفسح المجال للنشر فيها لجميع فروع العلم والمعرفة. ويصبح من

أهداف رئيس التحرير تنويع موضوعات البحوث في مجلته. وهذا يؤدي إلى حرمان بعض الأبحاث ذات التخصص المتشابه من نشرها في العدد نفسه على الرغم من أصالتها وابتكاراتها.

كما أن بعض المجلات تخضع في النشر إلى عامل جغرافي/ سياسي فيما يتعلق بنشر البحوث، إذ يحرص الناشر على التوازن في نشر بحوث وموضوعات في أقطار عربية مختلفة، ويحرصون أحيانا إلى نشر أعمال من أقطار عربية تحت شعار ضرورة التوازن بجوانب في النشر، وتشجيع باحثي بعض الأقطار العربية للنشر، ولا شك أن هذا الهدف هو مهم ولكن يجب إلا يكون العامل السياسي بديلا لعوامل القيمة العلمية.

---

[228] – انطوان زحلان وآخرون، هجرة الكفاءات العربية، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ط3، 1985، ص ص 177–178.

17– وزارة التخطيط، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية 1986– 1990 (الأردن، عمان، وزارة التخطيط. د.ت)، ص 134.

18– جاك ميدوز آفاق الاتصال ومنافذه في العلوم والتكنولوجيا، ترجمة د. حشمت قاسم، القاهرة: المركز العربي للصحافة 1979. ص.ص. 68–69.

19– جاك ميدوز المصدر نفسه ص 69.

20– صالح أبو أصبع، النشر العلمي العربي، أزمة نشر أم أزمة بحث، الشارقة مجلة شؤون اجتماعية، العدد الثامن 1986), ص ص. 44– 46.

ويسود لدى العديد من المسؤولين عن البحث العلمي والجامعات النظرة والدونية إلى المجلات العلمية العربية، ويطالبون الباحثين وأساتذة الجامعات بأن ينشروا في المجلات الأجنبية وهذا الموقف سوف يؤدي إلى عدم تطور الدوريات العلمية العربية ويحرم قراء العربية من أبحاث النابهين من العلماء العرب.

إن من معيقات النشر في الدوريات العلمية لعربية هو عدم وجود مجلات متخصصة كافية تخدم أهداف العلوم في تخصصاتها الدقيقة.

إن العديد من لجامعات العربية تصدر مجلات محكمة، ولكنها مجلات شاملة. وفي أحيان كثيرة تكون هذه المجلات للبحوث في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم التطبيقية.

وإن تطوير النشر العلمي يحتاج إلى دوريات متخصصة في الطب، أو الصيدلة، أو الهندسة بفروعها أو الزراعة الخ... وإذا كانت الإمكانيات المادية لا تستطيع معها الجامعات إنشاء مجلات عديدة لكل هذه التخصصات وتفرعاتها، فإنه يمكن أن يتم إصدار هذه المجلات مشاركة بين أكثر من جامعة أو مع مراكز الأبحاث المتخصصة، كما أنه يمكن أن يتم تدعيم الجمعيات العلمية المتخصصة من أجل تطوير نشراتها أو مجلاتها كي تصبح مجلات علمية محكمة.

إن قلة المجلات المحكمة المتخصصة، تجعل التسابق حول النشر في أي مجلة محكمة من الأمر التي تستدعي عند البعض اللجوء إلى الضغط الشخصي والتوسط لإجازة الأبحاث وخاصة أولئك الذي يسعون إلى الترقية.

تواجه المجالات العلمية من قلة الانتشار في الوطن العربي، وعلى الرغم من قلة المجلات المحكمة في الوطن العربي، إلا أن الاشتراكات فيها على مستوى شخصي ورسمي ضئيلة جدا وهذا يجعل إمكانية تطويرها وزيادة انتشارها محدودة جدا.

وتواجه المجالات والدوريات العلمية مشكلة الأمانة العلمية والسرقات والانتحال والتي مازال مسلسلها مستمرا، وحيث أنه لا توجد روادع أدبية أو مادية لأولئك الذي يخونون الأمانة العلمية فإن الأزمة سوف تظل مستمرة.

5- مقترحات حول سبل تشجيع النشر في الدوريات العلمية العربية:

خلال استعرضنا لمنظومة البحث بدا لنا واضحا أن معيقات البحث العلمي ونشره في الدوريات العلمية العربية هي مسألة متداخلة، وليس هناك مجال اقتراح التوصيات الجديدة بشأن تنمية البحث العلمي وتطويره، إذ أن العديد من المؤتمرات العلمية والسياسية العربية والدولية أصدرت توصيات ومقترحات عديد بهذا الخصوص ولا نريد أن نقع في التكرار، ولكننا نود أن نركز على جانب يتمثل بصلة البحث العلمي وبالدوريات العلمية

مما يعمل على تشجيع النشر العلمي ويسهل على الباحثين عملية النشر العلمي وهذه المقترحات تتمثل فيما يلي:

1- أن تحدد الدوريات العلمية سياسية النشر ومعايير الكتابة المقبولة فيها.
2- أن تقوم الدوريات العلمية بسرعة الرد على استلام البحوث وتحكيمها بأسرع وقت ممكن وإرسال نتائج المحكمين وملاحظاتهم في الباحثين للاستفادة منها.
3- أن يتم التوجه نحو التخصص الدقيق في الدوريات العلمية.
4- أن ترصد الدوريات العلمية جوائز تشجيعية لأفضل بحث ينشر في المجلة.
5- أن يتم التنسيق بين الدوريات العلمية المحكمة وبين مراكز البحوث والجامعات بشأن تخصيص أعداد حول محاور معينة مما يساعد في نشر البحوث في التخصصات الدقيقة.
6- أن يتم تبادل الدوريات العلمية العربية بين الجامعات والمؤسسات التي تصدرها وأن يتم الاشتراك بها ليضمن وجودها في المكتبات العامة مما يدعم استمرار صدورها.
7- أن تقوم المؤسسات بتمويل مشروعات بحثية وإعطاء مكافآت مناسبة تجشع الباحثين على العلم في مجال الأبحاث.
8- من الضروري أن تحاول الدوريات العلمية استقطاب البحثين العرب الذي يعيشون في المهجر أو باحثين أجانب مما يعزز سمعتها العلمية.
9- توفير الحرية للباحثين وكفالة حرية التعبير عن الرأي.
10- توفير سبل انتقال المعلومات وتأمين الاشتراك عن طرق التقنية الحديثة في بنود المعلومات الدولية.

الخاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة أن نبرز الجوانب المرتبطة بعملية نشر البحوث العلمية في الدوريات المحكمة العربية وقد أبرزنا أن هذه العملية تسير في سياق منظومة أركانها متفاعلة وبالتالي فإن تخلف النشر العلمي في الدوريات العلمية هو عملية مرتبطة بالمجتمع والباحث والدوريات العلمية ذاتها، وهي تحتاج إلى جهود رسمية وعلمية من أجل تحقيق هدف القدم في مجالات البحث العلمي.

المراجع

1. انطوان زحلان العربي، العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربي، 1990، ص 96.
2. انطوان زحلان وآخرون، هجرة الكفاءات العربية، بيروت مركز دراسات الوحدة العبرية ط3، 1985، ص ص 177-178.
3. بولين أثرتون مركز المعلومات تنظيمها وإدارتها وخدماتها ترجمة د. حشمت قاسم (القاهرة، مكتب غريب 1977)، ص 195.
4. جاك ميدوز آفاق الاتصال ومنافذه في العلوم والتكنولوجيا، ترجمة د. حشمت قاسم، القاهرة: المركز العربي للصحافة 1979. ص.ص. 68- 69.
5. صالح أبو إصبع: دراسات في الإعلام والتنمية العربية، دبي مؤسسة البيان 1989، ص 14.
6. صالح أبو أصبع، النشر العلمي العربي، أزمة نشر أم أزمة بحث، الشارقة مجلة شؤون اجتماعية، العدد الثامن 1986), ص ص. 44- 46.
7. لجنة استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي، التقرير العام والاستراتيجية الفرعية (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1989) ص. ص. 52- 55.
8. وزارة التخطيط، الخطةا لاقتصادية والاجتماعية 1993- 1997، الأردن، عمان، وزارة التخطيط د. ت، ص ص 75-76.
9. وزارة التخطيط، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية 1986- 1990 (الأردن، عمان، وزارة التخطيط. د.ت)، ص 134.
10. يوسف حلباوي، الثقافة العربية، مفهومها وتحدياتها (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية) 1992،ص 230.
11. Donald C. Plez & Frank M. Andrews. Scientists in Organiztations: Productive. Climated for Research & Development (new York: John Wiley 1966). P. 108-109.

الفصل الثالث عشر

العلاقة بين مؤسسات التكوين الإعلامي والمؤسسات الإعلامية:

أهي أزمة تكوين أم أزمة تشغيل؟

الفصل الثالث عشر

العلاقة بين مؤسسات التكوين الإعلامي والمؤسسات الإعلامية:

أهي أزمة تكوين أم أزمة تشغيل؟

ا – مقدمة:

يزداد الاهتمام يوما أثر يوم بالإعلام في حياتنا العربية المعاصرة. ويأخذ هذا الاهتمام أشكالا عديدة من بينها تخصيص وزارات للإعلام، وزيادة مطردة في عدد الصحف والمجلات التي تصدر، وزيادة ملحوظة في عدد المحطات الفضائية وفي عدد ساعات البث في الإذاعات المسموعة والمرئية مع تنوع في برامجها وزيادة في عدد اللغات التي يتم البث بها. وكذلك شهد الوطن العربي خلال عقدي السبعينات والثمانينات زيادة هائلة في عدد المؤسسات التعليمية والتدريبية الإعلامية في الجامعات العربية. وبعد= أن كانت عدد المؤسسات التعليمية الإعلامية في الوطن العربي لا يزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة في الستينات، فإن هذا العدد تضاعف خلال العقدين الآخرين، ويكفي أن نشير إلى أن أقساما للإعلام كثيرة قد افتتحت في جامعة اليرموك بالأردن وجامعة الإمارات وجامعة قطر وجامعة قابوس بعمان وبجامعة دمشق وما يزيد عن أربعة أقسام للإعلام في الجامعات السعودية وما يزيد عن ستة أقسام للإعلام في الجامعات الإقليمية والخاصة بمصر.

وقد رافق هذه الظاهرة الاضطراد في زيادة عدد الطلبة الملتحقين بها وزيادة المراجعات لمناهجها.

وفي ظل الظروف السياسية المتحركة في الوطن العربي، والتي أنتجت مجموعة من التجمعات الوحدوية العربية، مثل مجلس التعاون الخليجي، واتحاد المغرب العربي، تزداد أهمية الإعلام وتنمو مؤسساته ونجد أن العناية بالإعلام في أقدم هذه التجارب – مجلس التعاون الخليجي – قد اتضحت من خلال تأسيس مجموعة من المؤسسات الإعلامية المشتركة والتي نذكر منها:

- جهاز تلفزيون الخليج.
- مؤسسة إنتاج البرامج المشتركة لدول الخليج.
- مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي.

ولا شك أن الاتحاد المغاربي سيسير في النهج نفسه من جهة إنشاء المؤسسات الإعلامية المشتركة وتطوير العمل الإعلامي المشترك.

هذه العناية بوسائل الإعلام ومؤسساتها من مؤسسات التكوين ومؤسسات التشغيل تترك الباب مفتوحا أمام بحث العلاقة بينها.

2- تحديد المشكلة:

تقوم مؤسسات التعليم والتدريب الإعلامي بتخريج العديد من الخريجين كل عام، وفي المقابل فإن هؤلاء الخريجين لا يجدون فرصا ملائمة أو كافية لاستيعابهم في المؤسسات الإعلامية على الرغم من زيادة عدد المؤسسات الإعلامية أو اتساع نشاطها أو على الرغم من عدم تخصص مستخدميها في مجال الإعلام. ومن هنا فإن المشكلة المطروحة تتمثل بالسؤال التالي:

ما هي الأسباب التي تحول دون إيجاد صلة وثيقة بين مؤسسات التكوين الإعلامي ومؤسسات التشغيل الإعلامية؟

وينبثق عن هذا السؤال سؤالان فرعيان هما:

- ما هي طبيعة هذه الصلة التي نتوقعها؟
- وما هي الظروف التي تحتم وجود صلة متفاعلة بين مؤسسات التكوين الإعلامي ومؤسسات التشغيل الإعلامية؟

ومن خلال هذه الأسئلة تبرز لنا الفروض التالية؟

أ) تؤدي نوعية التكوين إلى عدم ثقة مؤسسات التشغيل بخريجي مؤسسات التعليم والتدريب الإعلامي.

ب) تفرض نوعية تكوين كوادر – المؤسسات الإعلامية – على مستوى قيادي وتنفيذي – إلى نوع من القطيعة بين مؤسسات التشغيل الإعلامية ومؤسسات التكوين الإعلامي.

ج) أن طبيعة ملكية المؤسسات الإعلامية – وما ينتج عنها – من أشكال سيطرة تقود إلى تقييد فرص الاستفادة من خريجي مؤسسات التكوين الإعلامي.

د) تفرض الظروف المجتمعة زيادة في فرص العمل الإعلامي مما يعني زيادة في

الطلب على خريجي الإعلام. وهذا يقتضي تعاونا وثيقا بين مؤسسات التشغيل الإعلامية من جهة ثانية.

3- تحديد المصطلحات:

3 – 1 – **نعني بمؤسسات التكوين الإعلامية هنا**: الكليات والأقسام والمعاهد التي تقوم بتدريس الإعلام نظريا وعمليا باعتباره تخصصا يوصل الخريج إلى ممارسة مهنة من مهن الاتصال الجماهيري في مجالات الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والسينما والإعلان والعلاقات العامة والنشر.

3 – 2 – ونعني بمؤسسات التشغيل الإعلامية: المؤسسات ذات النشاط الاتصالي الجماهيري مثل وزارات الإعلام والثقافة ومؤسسات الصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما وشركات الإعلان ودور النشر، وكذلك دوائر أو أقسام العلاقات العامة في الوزارات والشركات والمؤسسات العامة ودوائر أو أقسام التوجيه المعنوي والدعوة والدعاية في الوزارات أو المؤسسات المعنية. وكذلك المؤسسات الدولية والعربية مثل ايسيسكو واليكسو والمجلس القومي للثقافة العربية وغيرها.

3 – 3 – ونعني بالسياق المجتمعي: جملة الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والمعرفية في مجتمع ما والتي من خلالها تتفاعل المؤسسات أهدافا وأعمالا.

4- المنهجية:

من أجل الإجابة على تساؤلات الدراسة وفحص فروضها فإن هذه الدراسة ستعمل على استخدام أسلوب وصفي تحليلي وذلك من خلال:

أ) التعرف على الصلة بين المؤسسات الإعلامية ومؤسسات التكوين الإعلامية في سياقها المجتمعي.

ب) التعرف على مشكلات التكوين الإعلامي في الكليات والمعاهد الإعلامية العربية ذات الصلة بالتشغيل في المجال الإعلامي.

ج) التعرف على ظروف مؤسسات التشغيل الإعلامية والتي تؤثر في طبيعة العلاقة بينها وبين مؤسسات التكوين الإعلامي.

5- الصلة بين مؤسسات التشغيل الإعلامية ومؤسسات التكوين الإعلامي في سياقها المجتمعي:

بات الحديث عن أهمية الاتصال الجماهيري تكريرا لحقيقة يلمسها المرء حياته اليومية. بل واعتبر بعض الباحثين أن لوسائل الإعلام قوة خارقة جعلت توفي شوارتز Tony Schwart يلقبها بالإله الثاني (The Second God) إذ يقول: "الراديو والتلفزيون في كل مكان وهما معنا دائما، ويستمع الملايين إلى الشبكات نفسها وإلى الإعلانات التجارية نفسها، ويشاركون شخصيات المسلسلات الروائية اختبار الروح وغموض الحب والموت، وألم الخطيئة وانتصار الحق و .... وتؤثر وسائل الإعلام في اتجاهات المجتمع والبني السياسية والحالة النفسية في جميع البلدان ومثل الله فإن رسائل الإعلام يمكنها أن تغير دورة الحرب وأن تطيح برئيس أو ملك. وترفع ن انخفض شأنه وتخفض من شأن من اتسم بالكبرياء، ذلك بتوجيه انتباه الملايين إلى الحديث نفسه وبالطريقة نفسها" (Schwartz 1963: 1 - 3) وهو يرى كذلك أن هذه القوة الخارقة التي سماها بالإله الثاني "متوفرة للضعيف والقوى للمتعلم والجاهل للطفل وللراشد" وتوجد في "الولايات المتحدة" أجهزة راديو أكثر من عدد السكان وأجهزة تلفزيون أكثر من أحواض الاستحمام (بانيوهات). وجمهور وسائل الإعلام من جميع الطبقات والأجناس.

ويشارك الأمي مع المتعلم الثقافة ذاتها ويستوعب ابن المزارع وابن مدير البنك من خلال وسائل الإعلام المعلومات ذاتها (Schwartz 1983: 5).

ولا شك أن التطور التقني خلال القرن العشرين وخاصة في مجال الاتصالات أضحى يفرض إمكانيات هائلة للاتصال وتفاعل الإنسان مع أخيه الإنسان وبيئته. وكما لاحظ انتوني سميث Smith بمقدورنا أن نتخيل ونتنبأ بعالم يمكن أن تنتشر فيه المعارف التعليمية والأعمال، والصناعة والمعارف، وكذلك توزيع الأخبار والمعلومات والمراسلات الشخصية والمعرفة العلمية والطبيعية وكذلك التدفق الواسع للمواد الثقافية الترفيهية وجميعها تثبت من خلال أجيال جديدة من الآت الاتصالات والتي بعضها موجودة في صيغة جنينية وبعضها الآخر في مجال العمل الآن: (Antony Smith 1980: 228).

هذا الدور للاتصال الجماهيري الذي بات ضرورة من ضرورات الحياة يفرض ظروفا تنعكس عمليا على مجالات العمل بل ومع تطور تكنولوجيا الاتصال بخلق سوقا واسع (للعمل تحتاج إلى كفاءات مدربة).

وإذا كان هذا الواقع يأخذ أبعاده في ظل المجتمع الدولي، فإن واقع دول العالم الثالث ومن ضمنها بلدان الوطن العربي يتطلب حاجات أكثر إلحاحا لدور فعال للاتصال في هذه المجتمعات التي تنشد تنمية شاملة في كافة المجالات السياسية

والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والزراعية وغيرها. وذلك بهدف الخروج من مأزق التخلف.

وتسعى بلدان وطننا العربي نحو الخروج من هذا المأزق. ولا شك أن الدور المأمول لوسائل الإعلام في الإسهام في التنمية أشد إلحاحا في ظل التحديات التي يواجهها الوطن العربي من احتلال لأراضيه، وتجزئة سياسية لكياناته، وتخلف، وتبعية اقتصادية وغيرها.

وتستدعي هذه التحديات الحاجة إلى اتصاليين مدربين في مختلف فروع الحياة.. وإذا كان العالم يتجه نحو التخصص، فإن السوق الإعلامية هي أحوج إلى التخصص. وفي الغرب يمكننا أن نجد صحفيا متخصصا في المجال التكنولوجي وأخر متخصصا في الشئون الطبية وآخر متخصصا في الشئون السياسية وأخر متخصصا في شئون الصناعة أو الزراعة... الخ وهذا يعني أن السوق الإعلامية تحتاج إلى مثل هذه التخصصات كي تستطيع المؤسسات الإعلامية تقديم أفضل الخدمات لجمهورها.

إن السوق الإعلامية كبيرة، وإذا أردنا أن نرصد واقعة فسنجد أن هذا السوق تكاد تغطي أوجه النشاط الإنساني بكامله. فالمدارس والمستشفيات، والمصانع، والشركات والوزارات – ناهيك عن مؤسسات الاتصال الجماهيري – بحاجة إلى

إعلاميين ورجال علاقات عامة وإعلان من أجل تقديم خدمات أفضل للجمهور ولتحسين صورة هذه المؤسسات لدى جمهورها.

هذا الواقع الذي تحدثنا عنه باختصار يشير إلى أن مجالات العمل الإعلامي تتسع يوما أثر يوم، وسيزداد مع توافر تكنولوجيا الاتصال طلب المزيد من الخبرات الإعلامية في التخصصات كافة ويفرض هذا الواقع تساؤلا عن دور مؤسسات التكوين الإعلامي وعن دور مؤسسات التشغيل الإعلامية في التفاعل مع هذا الواقع؟

إن الإجابة عن هذا الدور تحتاج إلى رصد لواقع كل منهما ودراسة أشكال التفاعل بين هذه المؤسسات، مما يمكن أن يجعل طبيعة العلاقة بينهما أكثر إيجابية ومما يؤدي إلى أن تحمل الكوادر المكونة إعلاميا مسؤولياتها لتؤدي دورها الفعال في المؤسسات الإعلامية.

لغاية الآن يمكننا القول أن طبيعة العلاقة بين هذه المؤسسات ومؤسسات التكوين ومؤسسات التشغيل – ما زال يشوبها عدم الثقة مما يخلق في واقع الأمر أزمة تستدعي التساؤل أهي أزمة تكوين أم أزمة تشغيل؟

A. 6- مؤسسات التعليم والتدريب الإعلامية ألديها أزمة تكوين؟

لا يمكن للمرء وهو يناقش مؤسسات التكوين الإعلامي أن يتجاهل عناصر التكوين الأساسية في هذه المؤسسات.

وعناصر أي عملية تكوين إعلامية تتمثل في مجموعة من العناصر وهي المناهج، الأساتذة، الطلاب، الكتاب، والإمكانيات التدريبية وفي الوطن العربي يمكننا الحديث عن أنواع مؤسسات التكوين المتمثلة في الكليات الجامعية، وكليات المجتمع، ولمعاهد الإعلامية العليا ومراكز التدريب الإعلامي، والمدارس الثانوية – وهي تجربة جديدة في الجماهيرية.

ولا شك أن أية مؤسسة إعلامية تعليمية وتدريبية تقوم بناء على إدراك لضرورة دورها في المجتمع والحاجة الماسة إلى خريجيها.

ولذا فمن المتوقع أن يكون هدف هذه المؤسسات تخريج كوادر قادرة على العمل

في مواقعها المتخصصة بكفاءة واقتدار ولكن لماذا تحجم المؤسسات الإعلامية عن استيعاب الخريجين؟

ولماذا لا تقوم المؤسسات الأخرى باستيعاب كوادر إعلامية تخدم فيها؟ أن أول الأمور التي يجب بحثها هو إلى أي مدى يمكن لعناصر تكوين الخريج الإعلامي أن تؤهله لاقتحام مجال الإعلام بثقة وكفاءة تجذب مؤسسات التشغيل لاستخدامه فيها؟

6 – 1 – المناهج:

تكاد تلتقي كليات الإعلام وأقسامه ومعاهده في الإطار العام للمناهج وتفصيلاتها إلى حد ما – وأن اختلفت المصطلحات – فالمواد التي يتم تدريسها تنقسم إلى عدة مجموعات:

أ) مواد عامة تهدف إلى التكوين الثقافي العام من لغة / وسياسة / واقتصاد / وتاريخ.

ب) مواد نظرية في مجال الاتصال مثل نظريات الإعلام الدعاية والرأي العام / الإعلام والتنمية / تاريخ الصحافة / قانون الصحافة والإعلام .. الخ.

ج) مواد تخصصية في مجال الصحافة أو الإذاعة والتلفزيون أو العلاقات العام والإعلان.

د) مواد تطبيقية مثل المواد المرتبطة بالتحرير الصحفي أو الكتابة للإذاعة والتلفزيون أو مناهج البحث الإعلامي.

هـ) مواد عملية مثل الإخراج الصحفي أو الإخراج الإذاعي / فن الإلقاء / والتدريب العملي للإذاعة والتلفزيون / والتصوير الصحفي والتصوير التلفزيوني.

وإن استعراضا للمواد التي يدرسها الطلبة في كليات الإعلام وأقسامه تكفي لأن تعطي أي مقيم لها انطباعا بأنها كافية لأن تخرج إعلاميين قادرين على ممارسة المهنة ولكن هل يكفي توصيف المناهج لكي يعد الطالب إعداد جيدا.

إن مشكلة التكوين تحتاج إلى رصد لجميع عناصرها.

6 – 2 الأساتذة:

لا بد من الاعتراف بأن هناك نقصا شديدا في مجال الأساتذة المؤهلين لتدريس الإعلام، ولذلك لجأت أقسام الإعلام إلى الاستعانة بأساتذة من تخصصات أخرى، أو الاستعانة ببعض الفنيين في مجال الإعلام.

لقد أدى النقص في أعضاء هيئات التدريس إلى قصور في عمليات تكوين الطلبة. وقد لجأت بعض الجامعات العربية إلى محاولة تجاوز العجز من خلال فتح باب الدراسات العليا للحصول على الماجستير والدكتوراه في الإعلام على مصراعيه، وقد أدى ذلك إلى تساهل في منح درجة الدكتوراه. ولا يخفي ما لهذا من أثر يتعدى حدود البلد المانحة للشهادة. إذ أن هؤلاء الخريجين يعملون في مختلف الجامعات العربية، أما بكونهم مواطنين عادوا إلى بلدانهم، أو بكونهم أساتذة معارين أو متعاقدين.

ومعالجة مشكلة النقص في أعضاء هيئة التدريس كما حاولت أن تفعله مؤسسات التكوين الإعلامية، كان يمكن أن تتم بأسلوب أكثر فاعلية، لو أنها قامت بالاستفادة من كوادر المؤسسات الإعلامية لتغطية العجز في الجوانب التدريبية في كليات ومعاهد الإعلام، شريطة العناية بإعداد تلك الكوادر إعداد يمكنهم من القيام بالعبء التدريسي، وذلك من خلال دورات تدريبية مركز لهم قبل بدئهم في العمل التدريسي.

6 – 3 – الطلاب:

الطالب هو الأساس في العملية التدريسية أو التدريبية وهو المستهدف منها. وفي مجال الدراسات الإعلامية يتوقع الأستاذ أن يكون تلاميذه في مجال الإعلام ذوي

إمكانيـات متميـزة عـن غيـرهم مـن الطـلاب فـي التخصصـات الأخـرى. فالطالـب الإعلامي يجب أن تكون لديه المقدرة على التعبير بلغة عربية سليمة، ويجب أن يكون واسع الأفق ذا ثقافة عريضة. وعلى الرغم من أن كثيرا من كليات ومعاهد

الإعلام يجري مسابقات لدخولها، إلا أننا نجد أن مستوى الطلاب كثيرا ما يخيب الآمال سواء آمال أساتذتهم أو آمال مؤسسات التشغيل، ولا يستطيع أساتذة الإعلام أثناء تدريسهم لمواد محدودة، أن يجعلوا من كل طلبتهم كتابا جيدين قادرين على صياغة الخبر بأسلوب سليم، وخاصة أن مشكلة مستوى الطلاب ترافقهم من النظام المدرسي.

ولا نريد أن نظلم الطالب فهناك بعض النماذج المتميزة وهناك طلاب لو تلقوا الرعاية والظروف الملائمة من أساتذة وكتب ومراجع وتدريب لكان حالهم شيئا أخر.

6 – 4 – الكتاب:

من المشكلات الرئيسة التي تواجه أستاذ الإعلام وطالب الإعلام توفر الكتاب الإعلامي المناسب في مختلف التخصصات.

إن قلة المؤلفات في مجالات الإعلام تقف حائلا أمام الطالب في تحصيله الدراسي، وما يجعل الأساتذة يلجأون لتغطية العجز بإعداد مذكرات أو الإملاء على الطلاب، وكلا الأسلوبين لا يحققان الهدف التعليمي والتربوي المطلوب، ولا يوفران للطالب مجالا رحبا من المعرفة. ويكفي أن نشير إلى أن بعض الأساتذة يقومون خلال عام كامل بتدريس الطلبة ما لا يزيد عن ثلاثين صفحة يملونها عليهم، أو يطيعونها كمذكرات. ومن خلال تجربة شخصية كطالب في مرحلة الدراسات العليا فإني مازلت اذكر أن مجموعة الصفحات التي امتحنا بها في مادة الإعلام العربي لم يصل إلى أربعين صفحة. ولنتخيل دراسة موضوع الإعلام العربي من المحيط إلى الخليج في أربعين صفحة فأي معلومات تلك التي يحصل عليها الطالب منها. وهناك مشكلة أخرى في بعض الكتب الإعلامية الموجودة في الوطن العربي إذ أن بعضها ترجمات لما هو في الغرب دون إبداء الرأي ومع التزام الأمانة العلمية في النقل. والبعض الآخر ترجمات بدون أمانة علمية. ولعلنا تابعنا مسلسلات السرقات العلمية على المستوى الأكاديمي. هناك بعض الكتب القيمة التي لا ينكر فضلها في مجال الإعلام ولكنها محدودة. وفي مجال الإعلام فإن المكتبة العربية ما زالت فقيرة فقرا لا يدانيه فيه أي تخصص أخر.

6 – 5 – الإمكانيات التدريبية:

تعاني الكثير من المؤسسات التعليمية الإعلامية من فقر شديد في إمكانيات التدريب من مختبرات للتصوير، واستديوهات للإذاعة والتلفزيون، والصحف الخاصة بها للتدريب، ويستثنى من ذلك المعهد العالي للصحافة بالرباط، وقسم الإعلام بجامعة الملك سعود بالرياض وقسم الصحافة والإعلام بجامعة اليرموك وكلية الإعلام بجامعة القاهرة. ونجد أن معظم الأقسام الإعلامية لديها بعض المختبرات والاستديوهات الخاصة بها وغير الكافية لتحقيق التدريب الملائم لإعداد الطلبة، وبما يحقق لهم فرصة الممارسة الحقيقية في مجال العمل الإعلامي، ناهيك عن العجز الشديد في الكفاءات البشرية القادرة على القيام بمهمة التدريب – فليس كفي أن يكون الشخص فنيا ليقوم بمهمة التدريب، إذ لا بد وأن يكون على مقدرة في توصيل المعلومات إلى الطلاب. ولا شك أن مثل هذا العجز كان يمكن أن يغطي لو كانت الصلة بين المؤسسات الإعلامية ومؤسسات التعليم والتدريب الإعلامية هي صلة تكاملية.

هذه الصورة التي طرحتها.. لا يمكن تفسيرها إلا بأن هناك أزمة في تكوين الخريج الإعلامي بما يؤدي على عزوف عن توظيفه في المؤسسات الإعلامية. ولكن واقع الأمر أن هذا وجه لعملة واحدة والوجه الآخر للعملة هو أزمة المؤسسات الإعلامية ذاتها.

7 – مؤسسات التشغيل الإعلامية ألديها أزمة؟

أول ما يتبادر على الذهن أن عزوف المؤسسات الإعلامية عن توظيف خريجي كليات ومعاهد الإعلام ينبع من عدم قدرتها على استيعاب الخريجين وهذا سبب ظاهري له وجاهته ولكن لأزمة أوجه أخرى وهي تتمثل في:

طبيعة المسؤولين وتكوينهم، طبيعة المؤسسات وانتماءاتها، الصلة بين المؤسسات الإعلامية والمجتمع، الصلة بين المؤسسات الإعلامية وكليات ومعاهد التعليم الإعلامي.

7 – 1 – طبيعة المسؤولين وتكوينهم:

المسؤولون في المؤسسات الإعلامية إما أن يكنوا هم ناشري الصحف أي مالكوها، أو موظفون رسميون في الدولة مالكة وسيلة الإعلام، أو صحفيون تبوأوا مراكزهم من خلال خبرات عملية، ولم يلتحقوا بكليات الإعلام، أو أنهم رؤساء تحرير لمؤسسات إعلامية نقابية أو حزبية، وهم في معظمهم يخضعون لواحد من الأسباب التي جعلتهم يتبوأون مناهجهم إما لأسباب سياسية أو لأسباب اقتصادية أو لأسباب إدارية بيرقراطية. ومن ثم فإن رؤية هؤلاء لطبيعة العمل الإعلامي تخضع لتلك الأسباب. فعلى سبيل المثال فإن رئيس التحرير – والذي يكون هو مالكها –

سوف لا يعنيه شيء بقدر ما يعنيه الربح المادي. وإذا كانت صحيفته تحقق ربحا، فلن يعنيه كثيرا الجوانب الحرفية الصحفية البحت، وهو في العادة لا يفرق في الخبر بين كتابته عن طريق الهرم المقلوب (أو المعدول – أو المائل) لو كان يمكن أن يتم ذلك. ولهذا فإنه سوف يعمل دوما على الإبقاء على النفقات في حدها الأدنى. والعمل على زيادة الأرباح إلى حدها الأعلى. ولذلك لا داعي لزيادة أعباء ميزانيته بتوظيف خريجين جدد يحتاجون إلى فترة للتدريب – مهما كانت قصيرة.

والكلام نفسه يمكن أن يقال عن الأسباب السياسية، التي يمكن من أجلها أن يعين فقط من يخدم هذه الأسباب السياسية، سواء أكان خريجا إعلاميا أم لا. وكذلك المدير البيرقراطي الذي تعنيه أن تسير الأمور كما هي عليه ولا داعي لإضافة بنود على ميزانية مؤسسة. فكلما قلت النفقات كلما كان ذلك مقياسا للنجاح في مهمته. ومعظم هؤلاء المسؤولين ينظر حوله فيجد الإعلاميين الذين يعملون في مواقع مختلفة ليس من خريجي كليات الإعلام أو معاهدها ولذا فإنهم لا يرون مبررا لاشتراط أن يكون العامل في المؤسسية الإعلامية خريجا من قسم الإعلام.

7 – 2 – طبيعة المؤسسات:

الحديث عن المسؤولين هو في حد ذاته حديث عن أشخاص مرتبطين بأنواع من المؤسسات والتي يمكن أن تكون حكومية ومديرها إداري بيرقراطي، والخاصة والتي يمكن يكون مديرها هو مالكها، والمؤسسة الحزبية أو النقابية والتي يمكن أن يكون

رئيسها أحد أعضاء الحزب أو النقابة. وفي جميع الأحوال فإن كل مؤسسة تختلف في نظرتها إلى مسئولياتها نحو التوظيف، تخضع المؤسسات الحكومية إلى ضغوط اجتماعية. تفرض عليها حق المواطنين في التعيين. وتصبح بذلك فرصة التعيين فيها أكثر من غيرها. ونجد أن المؤسسات الحزبية لن تعين فيها إلا ذوي الانتماء لهذا الحزب أو ذاك. وأما المؤسسات الخاصة فإن فرص التوظيف فيها هي الأقل بين جميع أنواع المؤسسات. وهي تنظر دوما أن لأصلة لها بالمؤسسات التعليمية الإعلامية ولا تنظر إلى تشغيل خريج هذه المؤسسات من واقع مسؤولياتها المجتمعية.

7 – 3 – الصلة بين المؤسسات الإعلامية وكليات ومعاهد التعليم والتدريب الإعلامي:

يمكن للمؤسسات الإعلامية أن تستمر في أنشطتها بمعزل عن معاهد التعليم والتدريب الإعلامي. إلا أن هذا الأمر يعني جمودا في هذه المؤسسات، وقصور نظرها، ذلك أن الصلة مع هذه المؤسسات تؤدي إلى تغذيتها بطاقات شبابية مؤهلة

تحمل معها الحماس للعمل وروح الابتكار. وكذلك فإن الصلة تؤدي إلى علميات تطوير وتغذية متبادلة بين مؤسسات التكوين ومؤسسات التشغيل ولهذا فإن الصلة بين هذه المؤسسات يجب أن ينظر إليها من عدة زوايا:

- حاجات المؤسسات الإعلامية من الكفاءات البشرية.
- تدريب المستخدمين وتطوير كفاءاتهم.
- إيجاد حلول لمشاكل معينة تواجه المؤسسات الإعلامية.
- الإسهام في تدريب طلبة كليات ومعاهد الإعلام.

7 – 3 – 1 – حاجات المؤسسات الإعلامية من الكفاءات البشرية:

حينما تتحدد حاجات المؤسسات الإعلامية من الكوادر التي تنقصها، يتم عادة سد هذه الحاجات بطرق مختلفة، مثل الإعلان عن الوظائف الشاغرة في الصحف، أو التوظيف المباشر من خلال الصلات الشخصية. ونادرا ما تلجأ هذه المؤسسات إلى كليات الإعلام للبحث عن حاجاتها أو التنسيق مع مسئوليها بشأن ترشيح موظفين لها.

ولو كانت المؤسسات الإعلامية تخطط لتطوير القوى البشرية فيها، لكان من السهل التنسيق معها، من أجل توفير ما تطلبه.

7 – 3 – 2 – تدريب المستخدمين في المؤسسات الإعلامية:

لا يلقي التدريب والتطوير الدائم للقوى البشرية في المؤسسات الإعلامية أي عناية تذكر، ولا يمكن لأي مؤسسة يهمها تقديم أفضل الخدمات لجمهورها إلا أن تعمد إلى التطوير والتدريب المستمر لموظفيها، وخاصة أن التطور التكنولوجي في مجال الاتصال يفرض واقعا جديدا يستدعى التدريب والتطوير والمرشح الأول للقيام بهذا الدور بلا شك كليات ومعاهد الإعلام.

7 – 3 – 3 – إيجاد حلول لمشاكل معينة تواجه المؤسسات الإعلامية:

تواجه المؤسسات الإعلامية مشكلات إدارية أو تنظيمية أو فنية وهذه المؤسسات نادرا ما تلجأ إلى مؤسسات التكوين لكي تقدم لها استشارة أو حلا لهذه المشكلة.

وتحتاج العديد من المؤسسات الإعلامية إلى التعرف على جمهورها بأسلوب علمي ولذا تحتاج الإذاعة والتلفزيون إلى بحوث حول المستمعين والمشاهدين وآرائهم فيما يقدم إليهم. وتحتاج الصحف إلى التعرف على عادات القراء. وتستطيع الكفاءات من أعضاء هيئة التدريس في كليات أو معاهد الإعلام أن تشرف على إنجاز تلك البحوث وتستطيع أن توفر للمؤسسات الإعلامية استشارات علمية لحل مشاكلها.

7 – 3 – 4 – الإسهام في تدريب طلبة كليات ومعاهد الإعلام:

يحتاج طلبة الإعلام على تدريب علمي إذ لا يكفي ما ينالوه منه داخل معاهدهم فالتدريب في مواقع العمل أكثر فائدة. وبينما يتيح بعض المؤسسات الإعلامية الفرصة لطلبة الإعلام للتدريب فيها. فإن مؤسسات أخرى لا تتيح لهم الفرصة في التدريب، وتلك المؤسسات التي تفسح المجال في التدريب لطلبة الإعلام لا تأخذ ذلك بجدية كاملة، ولذلك فإن الإشراف على الطلبة لا يكون إشرافا دقيقا، وكثيرا ما يخضع إلى المجاملة. وينعكس هذا على الصورة التي تكونها هذه المؤسسات عن طلبة الإعلام والتي قد تحمل في جوانبها صورا سلبية حول جدية هؤلاء الطلبة.

8- الخاتمة:

من خلال عرضنا السابق يتضح لنا أن العلاقة بين مؤسسات التشغيل ومؤسسات التكوين علاقة مأزومة.

وبينما هناك بعض العوامل الذاتية في مؤسسات التكوين الإعلامي التي تجعل المؤسسات الإعلامية تعرف عن خريجي معاهد وكليات وأقسام الإعلام. إلا أن هذه العوامل ليست كافية لأن تكون هناك قطيعة أو تجاهل متعمد من قبل مؤسسات التوظيف لخريجي الإعلام. فمستوى خريجي الإعلام إذا ما قورن بغيره من خريجي التخصصات الأخرى، لا يقل عنهم في التحصيل هذا من جانب. ومن جانب أخر على مؤسسات التشغيل ألا تتوقع من خريج جديد أن يعطيها مثل من لديه خبرة في موقع العمل. إذ لا بد له من فترة تدريبية يكتسب فيها مهارات عديدة مثله مثل الخريج في مجال الهندسة أو الطب أو القانون أو غيرهم.

ولا بد من الإشارة إلى أن المؤسسات غير الإعلامية لا تدرج دون الاتصال ودور الإعلام فيها، فعلى سبيل المثال لو فكرنا بأهمية أن يكون المشرف على الصحافة المدرسية والإذاعة المدرسية خريجا إعلاميا فكم ذلك سيكون مفيدا وكم سنحتاج من الخريجين لتغطية المدارس.

وإذا انتقلنا إلى المؤسسات الأخرى كالمستشفيات والوزارات فإنها بحاجة إلى إعلاميين وخاصة في مجال العلاقات العامة، وبحيث يكون لمصطلح العلاقات العامة مفهومة الإعلامي الصحيح وليس كما هو شائعا الآن.

إن الصلة بين المؤسسات الإعلامية ومؤسسات التكوين الإعلامي يمكنها أن تتعزز حينما تدرك المؤسسات الإعلامية أن لديها مسؤولية اجتماعية تتعدى حدود مهامها الإعلامية، وهذه المسؤولية تقتضي التفاعل مع مؤسسات التكوين وأن يكون لها دورها الفعال في تدريب وتطوير المهارات لدى أبناء الوطن وكذلك الحرص على توفير فرص عمل لهم.

وفي الختام فإننا نرى أن توثيق الصلة بين المؤسسات الإعلامية ومؤسسات التكوين الإعلامي هي حاجة ملحة لتطوير العمل الإعلامي ولعل تحقيق ذلك يحتاج إلى:

1- أن تنظر مؤسسات التعليم والتدريب الإعلامي إلى حاجات السوق بالتنسيق مع مؤسسات التشغيل وتقوم بإعداد خريجيها.
2- أن تحدد مؤسسات التشغيل من خلال خطط طويلة الأجل حاجاتها من الكوادر البشرية في مختلف التخصصات، وتوفير هذه المعلومات لمؤسسات التكوين.

3- أن تقوم مؤسسات التعليم والتدريب الإعلامي بالاستفادة من الكوادر الفنية والخبرات الإعلامية في المؤسسات الإعلامية في عمليات تدريب طلبتها. المعلومات وثانيا: بتنظيم التدريب في المؤسسات الإعلامية بأسلوب يكفل ضبط علمية التدريب واستفادة الطلاب منها.
4- أن تتوثق علاقة المؤسسات الإعلامية ومؤسسات التكوين الإعلامية من خلال:

أ) عقد ندوات علمية مشتركة مما يتيح لأفراد هذه المؤسسات معرفة بعضهم البعض الآخر علاوة على الاستفادة من الجانب العلمي لهذه الندوات.

ب) أن تستعين المؤسسات الإعلامية بالإمكانيات البحثية لدى كليات ومعاهد وأقسام الإعلام، مما يسهم في تطوير إمكانياتها والتعرف على مشكلاتها ووضع خطط طويلة المدى لها.

ج) أن تقوم المؤسسات الإعلامية بتطوير خدماتها بشكل أكثر تخصصا وبما يستدعي تخصصا في المجالات كافة ونحن في حاجة إلى الإعلامي المتخصص في الإعلام الزراعي والإعلام العلمي والإعلام الصحي والتربوي إلخ.. وهذا عمليا سوف تفسح المجال أمام فرص لتخريج إعلاميين متخصصين يجدون أبواب عمل مفتوحة أمامهم.

ولعل تجربة المعهد العالي للصحافة في فتح أبوابها للتخصصات كافة لدخول حقل الإعلام في مرحلة الماجستير سوف توفر نوعا من خريجي الإعلام المتخصص.

5- لا بد أن تسعى المؤسسات الإعلامية إلى مؤسسات التشغيل الإعلامي للبحث عن الكفاءات التي تحتاجها، سواء أكان ذلك من خلال الاتصال بإدارات تلك المؤسسات التي ترشح لها من تراه يفيد تلك المؤسسات، أو من خلال اتصال هذه المؤسسات بالطلبة في كلياتهم. وكذلك لا بد أن تقوم مؤسسات التكوين الإعلامي بالاتصال بمؤسسات التشغيل بعرض ما لديها من قوائم الخريجين على المؤسسات الإعلامية.
6- أن يقوم أفراد من المؤسسات الإعلامية ومؤسسات التكوين الإعلامي بإنجاز كتب مشتركة وذلك لتغطية جانب العجز في الكتاب الإعلامي.
7- ضرورة وجود روابط خريجي الكليات والمعاهد الإعلامية تلعب دورا في توثيق العلاقة بين مؤسسات التكوين ومؤسسات التشغيل.

8- يظل طموحا بعيد المنال أن يتم تشكيل مجلس إعلامي مستقل عن الحكومة مهمته متابعة مستوى الخدمات الإعلامية للمؤسسات الإعلامية ومستوى خدماتها المجتمعية. وآنذاك سوف تحرص المؤسسات الإعلامية على تطوير خدماتها وبما يخلق فرصا للتشغيل.

9- تشمل قوانين نقابات الصحافة وقوانين الترخيص للمؤسسات الإعلامية شروط توفر للخريج الإعلامي فرصا للعمل قبل غيره من خريجي التخصصات الأخرى.

وتظل العلاقة بين مؤسسات التشغيل ومؤسسات التكوين بحاجة إلى الثقة وحسن النيات وذلك أمر غير بعيد المنال.

مراجع

1. Smith, Antony, (1980): the Politics of Information: Problems of Policy in Modern Media. (London: The Macmillan Press LTD).
2. Schwartz, Tony: (1983): Media the Second God. (Garden City N.Y.: Anchor Books).